



مرکز تحقیقات اسلامی

اصفهان

گامی



الحق
علیه
صلاوة
وسلام

www.

www.

www.

www.

Ghaemiyeh

.com

.org

.net

.ir

مَنْهَاجُ الْبِرِّ

فَتْحُ مَنَاجِجِ الْبَلَاغَةِ

لِلْإِمَامِ

الْعَلَامِ الْمُصَنِّفِ وَالْمُؤَلِّفِ وَالْمُتَلَكِّفِ
الْمَوْلَانَا مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي نَوْعَرٍ

الْمَشْهُورِ بِمَنْهَاجِهِ

الجزء السادس

من مشوراته

الكتاب الإسلامي

مطبعة دار الفقه الإسلامي

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

منهاج البراعه فى شرح نهج البلاغه

نويسنده:

حبيب الله خوئى

ناشر چاپى:

المكتبه الاسلاميه

ناشر ديڤيتالى:

مرکز تحقیقات رایانه‌ای قائمیه اصفهان

فهرست

| | |
|----|--|
| ٥ | فهرست |
| ١٣ | منهاج البراعه فى شرح نهج البلاغه (عربى - فارسى) جلد ٦ |
| ١٣ | مشخصات كتاب |
| ١٤ | تتمه باب المختار من خطب أمير المؤمنين عليه السلام و أوامره |
| ١٤ | اشاره |
| ١٥ | تتمه خطبه هشتاد و دوم |
| ١٥ | الفصل السادس |
| ١٥ | اشاره |
| ١٦ | اللغه |
| ١٧ | الأعراب |
| ١٧ | المعنى |
| ١٧ | اشاره |
| ٢٦ | تبييهات ثلاثه متضمنه لتحقيق بعض ما تضمنه هذا الفصل |
| ٢٦ | الاول |
| ٣٠ | الثانى |
| ٣٤ | الثالث |
| ٣٧ | الترجمه |
| ٣٨ | الفصل السابع منها فى صفه خلق الانسان |
| ٣٨ | اشاره |
| ٣٩ | اللغه |
| ٤١ | الاعراب |
| ٤٣ | المعنى |
| ٤٣ | اشاره |
| ٤٩ | و ينبغي تذييل المقام بامور مهمه |

الاول ٤٩

الثاني ٥٣

الثالث ٥٥

أما حاله الاحتضار ٥٥

و أما صفه ملك الموت و كيفية قبض الروح ٦٠

و أما التمسيل و التكفين ٦٣

و أما حالته اذا حمل على سريره ٦٤

و اما حاله بعد وضعه فى قبره ٦٦

و أما السؤال عنه ٦٦

و أما ضغطه القبر و ضمته ٧١

الترجمه ٧٦

الفصل الثامن ٧٨

اشاره ٧٨

اللغه ٧٩

الاعراب ٨٠

المعنى ٨١

تكملة ٨٤

الترجمه ٨٤

و من كلام له عليه السلام فى ذكر عمرو بن العاص ٨٦

اشاره ٨٦

اللغه ٨٦

الإعراب ٨٧

المعنى ٨٨

اشاره ٨٨

تذنيبات ٩٣

الاول ٩٣

| | |
|-----|--|
| ٩٩ | الثانى |
| ١٠٥ | الثالث |
| ١٠٨ | الرابع |
| ١٢٤ | الترجمه |
| ١٢٥ | و من خطبه له عليه السلام و هى الرابعه |
| ١٢٥ | اشاره |
| ١٢٤ | اللغه |
| ١٢٧ | الاعراب |
| ١٢٧ | المعنى |
| ١٢٧ | اشاره |
| ١٢٨ | الفصل الاول |
| ١٣١ | الفصل الثانى |
| ١٣٢ | الفصل الثالث |
| ١٣٥ | الترجمه |
| ١٣٦ | و من خطبه له عليه السلام و هى الخامسه و الثمانون |
| ١٣٦ | اشاره |
| ١٣٨ | اللغه |
| ١٣٩ | الاعراب |
| ١٣٩ | المعنى |
| ١٣٩ | اشاره |
| ١٥٥ | تذنيبان |
| ١٥٥ | الاول فى الكذب |
| ١٥٦ | هو على قسمين جلى و خفى |
| ١٥٦ | أما الجلى فهو على قسمين |
| ١٥٦ | أحدهما الكذب فى حق الناس |
| ١٥٧ | و ثانيهما الكذب على الله و رسوله و الأئمه |

| | |
|-----|--|
| ١٥٨ | و أما الكذب الخفى |
| ١٦٣ | الثانى فى الحسد |
| ١٦٤ | المقام الاول فى حده |
| ١٦٤ | الثانى فى الآيات و الأخبار الوارده فيه |
| ١٦٨ | الثالث فى اسباب الحسد |
| ١٧١ | الرابع |
| ١٧٣ | الخامس |
| ١٧٨ | الترجمه |
| ١٨٠ | و من خطبه له عليه السلام و هى السادسه و الثمانون |
| ١٨٠ | اشاره |
| ١٨٠ | الفصل الاول |
| ١٨٠ | اشاره |
| ١٨١ | اللغه |
| ١٨٢ | الاعراب |
| ١٨٢ | المعنى |
| ١٩١ | الترجمه |
| ١٩٢ | الفصل الثانى |
| ١٩٢ | اشاره |
| ١٩٣ | اللغه |
| ١٩٣ | الاعراب |
| ١٩٣ | المعنى |
| ١٩٦ | تنبيه |
| ٢٠١ | الترجمه |
| ٢٠١ | الفصل الثالث |
| ٢٠١ | اشاره |
| ٢٠٢ | اللغه |

| | |
|-----|--|
| ٢٠٣ | الاعراب |
| ٢٠٣ | المعنى |
| ٢٠٣ | اشاره |
| ٢٣٤ | تنبيه |
| ٢٣٤ | فمنها |
| ٢٣٧ | و منها |
| ٢٣٩ | و منها |
| ٢٤٠ | و منها |
| ٢٤١ | و منها |
| ٢٤٨ | و منها |
| ٢٤٩ | الترجمه |
| ٢٥٠ | الفصل الرابع |
| ٢٥٠ | اشاره |
| ٢٥١ | اللغه |
| ٢٥١ | الاعراب |
| ٢٥١ | المعنى |
| ٢٥٣ | الترجمه |
| ٢٥٣ | و من خطبه له عليه السلام و هى السابعه و الثمانون |
| ٢٥٣ | اشاره |
| ٢٥٤ | اللغه |
| ٢٥٥ | الاعراب |
| ٢٥٦ | المعنى |
| ٢٥٦ | اشاره |
| ٢٦٢ | تكلمه |
| ٢٦٤ | توضيح |
| ٢٧٠ | الترجمه |

| | |
|-----|--|
| ٢٧٢ | و من خطبه له عليه السلام و هي الثامن و الثمانون |
| ٢٧٢ | اشاره |
| ٢٧٣ | اللغه |
| ٢٧٤ | الاعراب |
| ٢٧٤ | المعنى |
| ٢٧٤ | اشاره |
| ٢٧٩ | تكملة |
| ٢٨٠ | بيان |
| ٢٨١ | الترجمه |
| ٢٨٢ | و من خطبه له عليه السلام و هي التاسع و الثمانون |
| ٢٨٢ | اشاره |
| ٢٨٣ | اللغه |
| ٢٨٤ | الاعراب |
| ٢٨٥ | المعنى |
| ٢٨٥ | اشاره |
| ٢٩٤ | يقاظ في ذكر نبذ من الاخبار الوارده في محاسبه النفس |
| ٢٩٤ | الترجمه |
| ٢٩٧ | و من خطبه له عليه السلام تعرف بخطبه الاشباح و هي |
| ٢٩٧ | اشاره |
| ٢٩٨ | الفصل الاول |
| ٢٩٨ | اشاره |
| ٢٩٩ | اللغه |
| ٢٩٩ | الاعراب |
| ٣٠٠ | المعنى |
| ٣١٤ | الترجمه |
| ٣١٥ | الفصل الثاني |

| | | |
|-----|-------|---|
| ٣١٥ | | اشاره |
| ٣١٧ | | اللغه |
| ٣١٩ | | الاعراب |
| ٣١٩ | | المعنى |
| ٣١٩ | | اشاره |
| ٣٢٠ | | المقصد الاول |
| ٣٢٧ | | المقصد الثانى |
| ٣٣٢ | | المقصد الثالث |
| ٣٣٧ | | الترجمه |
| ٣٤٠ | | الفصل الثالث |
| ٣٤٠ | | اشاره |
| ٣٤١ | | اللغه |
| ٣٤١ | | الاعراب |
| ٣٤٢ | | المعنى |
| ٣٤٢ | | اشاره |
| ٣٤٤ | | تنبيه |
| ٣٤٤ | | المقام الاول |
| ٣٥٢ | | المقام الثانى |
| ٣٥٣ | | إنّ الاراده كما حققه صدر المتألهين فى شرح الكافى تطلق على معنيين: |
| ٣٥٣ | | أحدهما ما يفهمه الجمهور |
| ٣٥٤ | | المعنى الثانى للاراده |
| ٣٥٥ | | المقام الثالث |
| ٣٥٧ | | الترجمه |
| ٣٥٨ | | و الفصل الرابع |
| ٣٥٨ | | اشاره |
| ٣٥٩ | | اللغه |

٣٦٠ الاعراب

٣٦٠ المعنى

٣٨٠ الترجمة

٣٨١ الفصل الخامس

٣٨١ اشارة

٣٨٤ اللغة

٣٨٨ الاعراب

٣٨٩ المعنى

٣٨٩ اشارة

٤٠٨ و ينبغي تذييل المقام بأمرين مهمين:

٤١٣ الثانى

٤١٤ الترجمة

٤٢٠ دربارہ مرکز

منهاج البراعه فی شرح نهج البلاغه (عربی - فارسی) جلد ۶

مشخصات کتاب

سرشناسه: خوئی، حبيب الله بن محمد هاشم، ۱۲۶۸ - ۱۳۲۴ ق.

عنوان و نام پدیدآور: منهاج البراعه فی شرح نهج البلاغه / لمولفه حبيب الله الهاشمی الخوئی؛ بتصحيحه و تهذيبه ابراهيم الميانجی.

مشخصات نشر: تهران: مکتبه الاسلاميه؛ قم: انتشارات دار العلم، ۱۳ -

مشخصات ظاهري: ۲۰ ج.

شابک: ۱۵۰ ريال (ج. ۸)

یادداشت: عربي.

یادداشت: فهرست نویسی بر اساس جلد هشتم، ۱۳۸۶ ق. = ۱۳۴۴.

یادداشت: چاپ دوم.

موضوع: علی بن ابی طالب (ع)، امام اول، ۲۳ قبل از هجرت - ۴۰ ق. -- کلمات قصار

موضوع: علی بن ابی طالب (ع)، امام اول، ۲۳ قبل از هجرت - ۴۰ ق. -- خطبه ها

موضوع: علی بن ابی طالب (ع)، امام اول، ۲۳ قبل از هجرت - ۴۰ ق. -- نامه ها

موضوع: علی بن ابی طالب (ع)، امام اول، ۲۳ قبل از هجرت - ۴۰ ق. . نهج البلاغه -- نقد و تفسیر

شناسه افزوده: میانجی، ابراهیم، ۱۲۹۲ - ۱۳۷۰. مصحح

شناسه افزوده: علی بن ابی طالب (ع)، امام اول، ۲۳ قبل از هجرت - ۴۰ ق. . نهج البلاغه. شرح

رده بندی کنگره: BP۳۸/۰۲ / خ ۹ ۱۳۰۰ ی

رده بندی دیویی: ۲۹۷/۹۵۱۵

شماره کتابشناسی ملی: ۱۹۹۲۰۶

تمه باب المختار من خطب أمير المؤمنين عليه السلام و أوامره

أشاره

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

تمه خطبه هشتاد و دوم

الفصل السادس

اشاره

و اعلموا أنّ مجازكم على الصّراط و مزالِق دحضه، و أهاويل زلله، و تارات أهواله، فاتّقوا الله تقية ذى لبّ شغل التّفكر قلبه (1) و أنصب الخوف بدنه، و أسهر التهجد غرار نومه، و أظماء الرّجاء هواجر يومه، و ظلّف الزّهد شهواته، و أوجف الذّكر بلسانه، و قدّم الخوف لأمانه، و تنكّب المخالّج عن وضح السّبيل، و سلك أقصد المسالك إلى التّهج المطلوب، و لم تفتله فاتلات الغرور، و لم تعم عليه مشتبهات الأمور، ظافرا بفرحه البشرى، و راحه النّعمى، فى أنعم

ص: ٢

١- (١) بين هذه القرائن العشر السجع المتوازي.

نومه، و آمن يومه، قد عبر معبر العاجله حميدا، و قدّم زاد «قدم خ» الآجله سعيدا، و بادر من وجل، و أكمش فى مهل، و رغب فى طلب، و ذهب عن هرب، و راقب فى يومه غده، و نظر قدما أمامه، فكفى بالجنه ثوبا و نوالا(1)، و كفى بالنار عقابا و وبالا، و كفى بالله منتقما و نصيرا، و كفى بالكتاب حجيجا و خصيما، أو صيكم بتقوى الله الذى أعذر بما أنذر، و احتج بما نهج، و حذر كم عدوا نفذ فى الصدور خفيا، و نفث فى الآذان نجيا، فأضلّ و أردى، و وعد فمنى، و زين سيئات الجرائم، و هون موبقات العظام، حتى إذا استدرج قرينته، و استغلق رهينته، أنكر ما زين، و استعظم ما هون، و حذر ما آمن «أمن خ».

اللغه

(المزلق) جمع المزلق و هو الموضع الذى يزلق فيه القدم و لا تثبت و مكان (دحض) و يحرك زلق و (التارات) جمع تاره و هى المره و الحين و (النصب) التعب و (هجد و تهجد) نام و هجد و تهجد سهروا استيقظ فهو من الأضداد و (الغرار) بكسر الغين المعجمه القليل من النوم و (الظماء) العطش و (الهواجر) جمع الهاجره و هو نصف النهار عند اشتداد الحرّ يقال أتينا أهلنا مهجرين أى سايرين فى الهاجره و (ظلف) نفسه عنه يظلفها من باب ضرب منعها من أن تفعله أو تأتية أو كفها عنه و (أوجف) فى سيره أسرع و الوجيف ضرب من سير الابل و الخيل.

(و قدّم الخوف لأمانه) هكذا فى نسختين للمعتزلى و البحرانى و فى بعض النسخ لابانه بالباء الموحّده المشدّده بعد الهمزه المكسوره و بعد الباء بالنون

ص: ٣

قال فى القاموس ابان الشىء بالكسر حينه أو أوله و الأول أظهر و أوفق و (نكب) عنه من باب نصر و فرح نكيا و نكبا و نكوبا عدل كنكب و تنكب و نكبه تنكيا لازم متعدّد و طريق منكوب على غير قصد.

و (المخالج) المشاغل من خلج يخلج اى شغل و جذب و (الوضح) محجّه الطريق و (فتله) يفتله من باب ضرب لواه و فتل وجهه عنهم صرف و (النعمى) و النعيم الخفض و الدّعه و المال كالتعمه، و أنعم الله صباحك من النّعمه جعله ذار فاهيه و (أكمش) أسرع و (القدم) بالضمّ و بضمتين و القدمه كالقدم محرّكه السّابقه فى الأمر و (نفث) ينفث من باب نصر و ضرب من النّفث و هو كالتفخ و منه.

النّفثات فى العقد و نفث الشّيطان فى قلبه ألقاه و (استدرجه) خدعه و أدناه و قرين الشّيطان و (قربنته) التّابع لرأيه.

قال الشّارح المعتزلى: القرينه ههنا الانسان الذى قارنه الشّيطان و لفظه لفظ التّأنيث و هو مذكّر أراد القرين و (غلق) الرّهن من باب فرح اذا استحقّه المرتهن و ذلك إذا لم يفتكك فى الوقت المشروط.

الأعراب

شهواته منصوب بنزع الخافض، و أوجف الذّكر فى كثير من النّسخ بنصب الذّكر فيكون الباء فى قوله بلسانه للاستعانه و فى بعض النّسخ بالرفع فيكون الباء زائده كان المعنى حرك الذّكر لسانه مسرعا، و قدم الخوف لأمانه اللّام للتّليل، و عن وضح السّبيل متعلّق بالمخالج، و حميدا و سعيدا حالان من فاعل عبر و زاد، قوله: و بادر من وجل، كلمه تعليليه كما فى قوله ممّا خطيئاتهم اغرقوا، و الباء فى قوله بالجئه و بالنّار و باللّه و بالكتاب زائده، و ثوبا و نوالا و عقابا و وبالا منصوبات على التّمييز، و منتقما و نصيرا و حجيجا و خصيما منصوبات على الحال.

المعنى

إشارة

اعلم أنّ هذا الفصل متضمّن للانذار بالصّراط و التّحذير من أهواله و الأمر

بالتقوى تأكيداً لأوامره السابقة فأنذر أولاً بالصيراط حيث قال (واعلموا أنّ مجازكم على الصيراط) الذى هو جسر جهنم و عليه ممرّ جميع الخلائق حسبما تعرفه تفصيلاً (و مزلق دحضه و أهويل زلله) لكونه أدقّ من الشعر و أحدّ من السييف كما يأتي فى الأخبار الآتية.

و فى النبوى قال صلى الله عليه و آله و سلم: ثلاث مواطن لا يذكر أحد أحدا: عند الميزان حتى يعلم أيخف ميزانه أو يثقل، و عند تطاير الصيحف حتى يعلم أيقع كتابه فى يمينه أم شماله أم من وراء ظهره، و عند الصيراط إذا وضع بين ظهر جهنم حتى يجوز.

قال الشارح المعتزلى (و تارات أهواله) هو كقولك دفعات أهواله و إنّما جعل أهواله تارات لأنّ الأمور الهائلة إذا استمرت لم يكن فى الازعاج و الترويع كما يكون إذا طرئت تاره و سكنت تاره.

ثمّ أمر عليه السلام بملازمه التقوى و تحصيله فى أقصى مراتب كماله مثل تقوى من كمل فى مقام العبودية و استجمع صفات الايمان فقال عليه السلام (فاتقوا الله عباد الله تقية ذى لبّ شغل التفكير) فى الله و فى صنعه (قلبه) من التوجه و الالتفات إلى الدنيا و أباطيلها (و أنصب الخوف) من الله و من عذابه (بدنه) حتى صار ناحل الجسم من ذكر النار و أهويلها (و اسهر التهجد) و عباده الليل (غرار نومه) فلم تترك له نوما حتى كان قائم الليل (و أظماً الرجاء) رجاء ما أعدّ لأولياء الله (هواجر يومه) فأكثر صوما حتى كان صائم النهار.

و نسبة السهر إلى الغرار و الظماء إلى الهواجر من باب التوسع و المجاز على حدّ قولهم: قام ليله و صام نهاره، فاقيم الظرف مقام المظروف أى أسهره التهجد من غرار نومه و أظمأه الرجاء فى هواجر يومه.

روى فى الوسائل عن سهل بن سعد قال: جاء جبرئيل إلى النبى صلى الله عليه و آله فقال:

يا محمّد عش ما شئت فانك ميت، و احب ما شئت فانك مفارقة، و اعمل ما شئت فانك تجزى به، و اعلم أنّ شرف الرجل قيامه بالليل، و عزّه استغناؤه عن الناس.

و فيه أيضا عن المفيد فى المقنعة قال: روى أنّ صلاة الليل تدرّ الرزق

و تحسّن الوجه و ترضى الرّب و تنفى السيئات.

قال: و قال رسول الله صلّى الله عليه و آله إذا قام العبد من لذيذ مضجعه و التّعاس فى عينيه ليرضى ربّه بصلاه ليله باهى الله به الملائكه و قال تعالى: اشهدوا أنّى قد غفرت له قال: و قال: كذب من زعم أنّه يصلّى بالليل و يجوع بالنّهار.

و قال صلّى الله عليه و آله: إنّ البيوت التى تصلّى فيها بالليل و بتلاوه القرآن تضىء لأهل السّماء كما تضىء نجوم السّماء لأهل الأرض.

و فيه أيضا عن جعفر بن محمّد عليهما السّلام قال: المال و البنون زينه الحياه الدّنيا، و ثمان ركعات فى آخر الليل و الوتر زينه الآخرة، و يأتى أخبار اخر فى هذا المعنى إنشاء الله فى شرح المختار المأه و الثانى و الثمانين (و ظلف الرّهد) فى الدّنيا (شهواته) و كفّه منها (و أوجف) إلى (الذّكر بلسانه) و لم يبطى فيه أو أسرع الذّكر لسانه فلم يسكت عنه قال تعالى:

«وَ اذْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَ خِيفَةً وَ دُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَ الْأَصَالِ وَ لَا تَكُنْ مِنَ الْغَافِلِينَ».

(و قدّم الخوف) من الله (لأمانه) أى ليأمن به من عذابه الأليم (و نكب المخالج عن وضح السّبيل) أى نحاه الشّواغل و الصّوارف عن صراطه المستقيم (و سلك أقصد المسالك) و أعدلها (إلى النهج المطلوب) الذى هو منهج الشرع القويم (و لم تفتله فاتلات الغرور) من الاتيان بالطاعات (و لم تعم عليه مشتبهات الأمور) فيقتحم فى الهلكات (ظافرا بفرحه البشرى و راحه النّعمى) أى مستبشرا بخطاب بشريكم اليوم جنّات تجرى من تحتها الأنهار، و مستريحا بسعه العيشه و لذّه النّعمه فى دار القرار (فى أنعم نومه و آمن يومه) أى فى أطيّب راحته و آمن أوقاته و اطلاق اسم النّوم على الرّاحه من باب اطلاق اسم الملزوم على اللازم و إلى الأمان و الاستراحه أشير فى الآيه قال سبحانه:

«إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ أَدْخُلُوهَا بِسَلَامٍ آمَنِينَ وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غَلٍّ إِخْوَانًا عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ لَا يُمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ وَمَا هُمْ مِنْهَا بِمُخْرَجِينَ» أى يقال لهم ادخلوا الجنّات بسلامه من الآفات و برائه من المكاره و المضرات آمين من الاخراج منها ساكنى النفس إلى انتفاء الضرر فيها (قد عبر معبر العاجله حميدا و قدّم زاد الآجله سعيدا) أى جاز مجاز الدّنيا العاجله حميدا فى فعاله، و قدم الزاد الآخره سعيدا فى أحواله.

و المقصود بذلك أنّه زهد فى الدّنيا فترك العيش العاجل و رغب فى الآخره فنال الثواب الآجل (و بادر من وجل و اكمش فى مهل) يعنى عليه السّلام بادر إلى الطاعات من أجل الخوف من العقوبه و أسرع إلى العبادات فى أيام الرّفق و المهله (و رغب فى طلب و ذهب عن هرب) أى كان طلبه للحقّ و سعيه إليه عن شوق و رغبه، و ذهابه عن الباطل و بعده عنه عن خوف و رهبه.

قال المحقّق الطوسىّ فى محكّى كلامه عن أوصاف الأشراف فى تفسير الرّهبه:

هو تألم النفس من العقاب بسبب ارتكاب المنهيات و التّقصير فى الطاعات كما فى أكثر الخلق، و قد يحصل بمعرفه عظمه الحقّ و مشاهدته هيئته كما فى الأنبياء و الأولياء.

و فرّق بعض العارفين بين الخوف و الرّهبه فقال: الخوف هو توقّع الوعيد و هو سوط الله يقوّم به الشّاردين عن بابه و يسير بهم على صراطه حتّى يستقيم به أمر من كان مغلوبا على رشده، و من علامته قصر الأمل و طول البكاء، و الرّهبه هى انصباب إلى وجهه الهرب بل هى الهرب رهب و هرب مثل جذب و جذب، فصاحبها يهرب أبدا لتوقّع العقوبه و من علاماتها حركه القلب إلى الانقباض من داخل و هربه و انزعاجه عن انبساطه حتّى أنّه يكاد أن يبلغ الرّهابه فى الباطن مع

ظهور الكمد(1) و الكابه على الظاهر انتهى.

و الرّهابه كسحابه عظم فى الصّدر مشرف على البطن (و راقب فى يومه غده و نظر قدما أمامه) أى لا حظ فى دنياه آخرته فادّخر لها و نظر فى سابقه أمره إلى ما بين يديه و لم يلتفت إلى غيره.

ثمّ قال عليه السّلام (فكفى بالجنّه ثوبا و نوالا) و هو ترغيب إلى السّعى إليها (و كفى بالنّار عقابا و وبالا) و هو تنبيه على وجوب الهرب منها (و كفى باللّه منتقما و نصيرا) و هو إشاره إلى لزوم قصر الخشيه و الاستعانه عليه سبحانه (و كفى بالكتاب حجيجا و خصيما) أى كفى كتاب اللّه محابجا و مخاصما، و هو إشاره إلى وجوب تعليم القرآن و تعلّمه و إكرامه و حرمة إضاعته و إهانتة.

قال الشّارح البحرانى و نسب الاحتجاج و الخصام إلى الكتاب مجازا.

أقول: بل هو حقيقه إذ الاستفادة من الأخبار أنّه يؤتى به يوم القيامة فى صورته إنسان فيكون بنفسه حجيجا خصيما.

فقد روى فى الوسائل عن محمّد بن يعقوب الكلينى معننا عن سعد الخفاف عن أبى جعفر عليه السّلام أنّه قال: يا سعد تعلّموا القرآن فإنّ القرآن يأتى يوم القيامة فى أحسن صورته نظر إليها الخلق «إلى أن قال» حتّى ينتهى إلى ربّ العزّه فيناديه تبارك و تعالى يا حجّتى فى الأرض و كلامى الصّادق النّاطق ارفع رأسك و سل تعط و اشفع تشفّع كيف رأيت عبادى؟ فيقول: يا ربّ منهم من صاننى و حافظ علىّ، و منهم من ضيّعنى و استخفّ بى و كذب بى و أنا حجّتك على جميع خلقك، فيقول اللّه عزّ و جلّ: و عزّتى و جلالى و ارتفاع مكانى لاثنين اليوم عليك أحسن الثّواب، و لأعاقبنّ عليك اليوم أليم العقاب الحديث.

و باسناده عن جابر عن أبى جعفر عليه السّلام قال: يجىء القرآن يوم القيامة فى أحسن منظور إليه صورته «إلى أن قال» حتّى ينتهى إلى ربّ العزّه فيقول: يا ربّ فلان بن فلان أظمأت هواجره و أسهرت ليله فى دار الدّنيا، و فلان بن فلان لم

ص: ٨

اظم هو اجره و لم اسهر ليله، فيقول تبارك و تعالى: ادخلهم الجنة على منازلهم فيقوم فيتبعونه فيقول للمؤمن: اقرء و ارقه، قال عليه السلام: فيقرأ و يرقا حتى بلغ كل رجل منهم منزلته التي هي له فينزلها.

و الأخبار في هذا المعنى كثيرة و فيما أوردناه كفايه في المقام و الزيادة على ذلك تطلب في شرح المأه و الخامسة و السبعين، و نروى تمام روايه الخفاف السالفه هناك إنشاء الله من أصل كتاب الكليني ثم عاد عليه السلام إلى الحث على التقوى أيضا بقوله (أوصيكم بتقوى الله الذي أعذر بما أنذر) أي أزال العذر عنه بما أنذركم به من العقوبات (و احتج بما نهج) أي أقام الحجج عليكم بما أوضحه لكم من الأدلة و الآيات (و حذركم عدوا نفذ في الصي دور خفيا و نفث في الآذان نجيا) أراد به تحذير الله سبحانه و تعالى في غير واحده من آيات كتابه الكريم من عداوه الشيطان اللعين كما قال في سورة البقره «و لا تَتَّبِعُوا خُطُواتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ» و في سورة يس:

«أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ» إلى غير ذلك و توصيفه بالنفوذ في الصدور و النفث في الآذان إشاره إلى أنه ليس مثل ساير الأعداء يرى بالأبصار و يدرك بالعيان، بل هو عدو ينفذ في القلوب و يجرى من ابن آدم مجرى الدم في العروق، و يلقي في الآذان زخرف القول و غروره، و يمكن أن يراد بالعدو الأعم من شيطان الجنّ و الانس فيكون الوصف بالنفوذ بالنظر إلى شيطان الجنّ، و الوصف بالنفث بالنظر إلى شيطان الانس كما قال سبحانه «مَنْ شَرَّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ مِنَ الْجِنَّةِ وَ النَّاسِ» قال المفسر أي من شرّ ذى الوسواس الذي وسوس في الصدور، ثم فسره بقوله

من الجنه و الناس كما يقال نعوذ بالله من شر كل وارد من الجن و الانس، و على هذا فيكون وسواس الجنه هو وسواس الشيطان، و وسواس الانس إغواء من يغويه من الناس، فشيطان الجن يوسوس و شيطان الانس يأتي علانيه و يرى أنه ينصح و قصده الشر و يمؤه و يلقي في سمعه زخرف القول الذي يستحسن ظاهره و يقبح باطنه.

(فأضل و أردى و وعد فمنى) أى أضل بنفوذه في الصدور و وسوسته في القلوب عن طريق الهدايه و أوقع في أوديه الهلاكه أعنى هلاكه الآخره الموجه لاستحقاق النار و لغضب الجبار و وعدهم بالمواعيد الكاذبه و متا هم الأمانى الباطله كما قال سبحانه:

«وَمَنْ يَتَّخِذِ الشَّيْطَانَ وَلِيًّا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرًا مُبِينًا يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا أُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَلَا يَجِدُونَ عَنْهَا مَحِيصًا».

أى يمتنيهم الأهواء الباطله و يلقيها في قلب الانسان فيمتنيه طول البقاء و أنه ينال من الدنيا مقصوده و يستولى على أعدائه و يوقع في نفسه أن الدنيا دول فربما تيسرت لى كما تيسرت لغيرى، و يشوش بذلك فكره فى استخراج الحيل الدقيقه و الوسائل اللطيفه فى تحصيل مطالبه الشهويه و الغضبيه، فيصدّه عن الطاعه و يوقعه فى المعصيه و تسويف التوبه.

و هذه الأمانى إنما تنشأ من الثقة بقوله و الوثوق بوعدده، و وعده تاره يكون بالقاء الخواطر الفاسده و اخرى بألسنه أوليائه من شياطين الانس، فربما يعد بالمغفره مع الكبيره كما قال تعالى: يأخذون عرض هذا الأدنى و يقولون سيغفر لنا، و ربما يعد أنه لا قيامه و لا حساب و لا ثواب و لا عقاب و يقول للإنسان اجتهد فى استيفاء اللذات العاجله و اغتتم الحياه الزائله.

(و زين سيئات الجرائم و هوّن موبقات العظام) أى زين فى نظر الانسان

قبائح المعاصى و هوّن مهلكات الكبائر و منشأ تزيينه للسّيئات كتهوينه الموبقات أيضا مواعيده الكاذبه و أمانيه الباطله فما لم يثق بقوله و لا يطمئن بوعده لا يهوّن الانسان ما هوّن، و لا يميل إلى ما زين.

توضيح ذلك و تحقيقه أنّ مقصود الشيطان هو التّريغيب فى الاعتقاد الباطل و العمل الباطل و التّنفير عن اعتقاد الحقّ و عمل الحقّ، و معلوم أنّ التّريغيب فى الشىء لا يمكن إلاّ بان يقرّر عنده أنّه لا مضرّه فى فعله، و مع ذلك فأنّه يفيد المنافع العظيمه و التّنفير عن الشىء لا يمكن إلاّ بان يقرّر عنده أنّه لا فائده فى فعله و مع ذلك يفيد المضارّ العظيمه.

إذا ثبت هذا فنقول إنّ الشيطان إذا دعا إلى المعصيه فلا بدّ و أن يقرّر أولا أنّه لا مضرّه فى فعله البتّه، و ذلك لا يمكن إلاّ إذا قال لا معاد و لا جنّه و لا نار و لا حياه بعد هذه الحياه، فهذا الطريق يقرّر عنده أنّه لا مضرّه البتّه فى فعل هذه المعاصى و إذا فرغ من هذا المقام قرّر عنده و زين فى نظره أن هذا الفعل يفيد أنواعا من اللذّه و السرور و لا حياه للانسان إلاّ فى هذه الدّنيا فتفويتها غبن و حسره.

و أما طريق التّنفير عن الطاعات فهو أن يقرّر أولا عنده أنّه لا فايده فيها من وجهين الاول أنّه لا جنّه و لا نار و لا ثواب و لا عقاب و الثانى أنّ هذه العبادات لا فائده فيها للعابد و لا للمعبود فكانت عبثا محضا، و إذا فرغ من هذا المقام قال:

إنّها توجب التّعب و المحنه و ذلك أعظم المضارّ فهذه مجامع تلبس إبليس و توضيح وعده و أمانيه و تزيينه و تهوينه.

(حتى إذا استدرج قرينته و استغلق رهينته) أى إذا خدع قرينه و تابعه بتزيين الباطل فى نظره و تنفيره عن الحقّ و أوقعه فى الغلق بالذنوب التى اكتسبها كالرهن المغلق فى مقابل المال (أنكر ما زين و استعظم ما هوّن و حدّر ما آمن) كما قال سبحانه فى سوره الأنفال:

«وَ إِذْ زَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ وَ قَالَ لَا غَالِبَ لَكُمْ الْيَوْمَ مِنْ»

«النَّاسِ وَ إِنِّي جَارٌ لَكُمْ فَلَمَّا تَرَاءتِ الْفِئْتَانِ نَكَصَ عَلَى عَقَبَيْهِ وَقَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكُمْ إِنِّي أرى مَا لَا تَرَوْنَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ» قال الطبرسى: أى اذكر اذ زين الشيطان للمشركين أعمالهم أى أحسنها فى نفوسهم و ذلك أن إبليس حَسِنَ لقريش مسيرهم إلى بدر لقتال النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ وَ سلم، و قال: لا يغلبكم أحد من النَّاسِ لكثرة عددكم و قوتكم و إِنِّي مع ذلك جار لكم أى ناصر لكم و دافع عنكم السَّوء، و إِنِّي عاقِدٌ لكم عقد الأمان من عدوكم، فلَمَّا التقت الفرقتان نكص على عقبيه، أى رجع القهقرى منهُما ورائه، و قال: إِنِّي بَرِيءٌ منكم، أى رجعت عمَّا ضمنت لكم من الأمان و السَّلامه لأنى أرى من الملائكة الذين جاءوا لنصر المسلمين ما لا ترون، و كان إبليس يعرف الملائكة و هم كانوا يعرفونه، إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ، أى أخاف عذاب الله على أيدى من أراهم، و الله شديد العقاب، لا يطاق عقابه و فى سورة الحشر:

«كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلْإِنْسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ فَكَانَ عَاقِبَتُهُمَا أَنَّهُمَا فِي النَّارِ خَالِدِينَ فِيهَا وَ ذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ».

أى مثل المنافقين فى إغراء اليهود أى بنى النَّصِيرَ للقتال كمثل الشيطان فى إغرائه للإنسان، فأنه أبدا يدعو الإنسان إلى الكفر ثم يتبرء منه وقت الحاجة مخافه أن يشاركه فى العذاب و يقول: إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ، و لا- ينفعه ذلك كما قال: فكان عاقبتهم أى الدَّاعى و المدعو من الشيطان و من أغواه، أَنَّهُمَا مَعْدَبَانِ فِي النَّارِ.

قال ابن عباس: إِنَّ المراد بالإنسان فى هذه الآية هو عابد بنى إسرائيل قال: إنه كان فى بنى إسرائيل عابد اسمه برصيصا عبد الله زمانا من الدهر حتَّى كان يؤتى بالمجانين يداويهم و يعوذهم فيبءون على يده، و أنه أتى بامرأه فى شرف قد جنت و كان لها اخوه فأتوه بها فكانت عنده فلم يزل به الشيطان يزئ له حتَّى وقع عليها فحملت، فلَمَّا

استبان حملها قتلها و دفنها، فلما فعل ذلك ذهب الشيطان حتى لقي أحد إخوتها فأخبره بالذي فعل الزاهب و أنه دفنها في مكان كذا.

ثم أتى بقيه إخوتها رجلا-رجلا- فذكر ذلك له فجعل الرجل يلقي أخاه فيقول و الله لقد أتاني آت فذكر لي شيئا يكبر علي ذكره، فذكر بعضهم لبعض حتى بلغ ذلك ملكهم فصار الملك و الناس، فاستنزلوه فأقر لهم بالذي فعل فأمر الملك به فصلب، فلما رفع علي خشبته تمثل له الشيطان فقال: أنا الذي ألقىتك في هذا فهل أنت مطيعي فيما أقول اخلصك مما أنت فيه؟ قال: نعم، قال: اسجد لي سجده واحده، فقال: كيف أسجد لك و أنا على هذه الحالة؟ فقال: اكتفي منك بالايماء، فأومى له بالسجود فكفر بالله و قتل الرجل، فهو قوله: كمثل الشيطان إذ قال للانسان اكفر.

اللهم إنا نعوذ بك من خداع إبليس و من شرور الأنفس و من سوء الخاتمه.

تنبيهات ثلاثه متضمنه لتحقيق بعض ما تضمنه هذا الفصل

الاول

في تحقيق الصراط و بيانه

فأقول: إن الصراط مما يجب الايمان به و هو من جمله ضروريات الدين و هو جسر جهنم.

قال الصدوق (ره) في محكي كلامه عن اعتقاداته: اعتقادنا في الصراط أنه حق و أنه جسر جهنم و أن عليه ممر جميع الخلق قال الله تعالى:

«وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا» قال (ره): و الصراط في وجه آخر اسم حجج الله فمن عرفهم في الدنيا و أطاعهم

ص: ١٣

أعطاه الله جوازا على الصراط الذى هو جسر جهنم قال (ره) وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لعلي عليه السلام: يا علي إذ كان يوم القيامة أقعد أنا و أنت و جبرئيل على الصراط و لا يجوز على الصراط أحد إلا من كان معه برائه بولايتك و قال المفيد «ره»: الصراط بمعنى الطريق و لذلك يقال على و لايه أمير المؤمنين و الأئمة من ذريتهم عليهم السلام: الصراط، لكونها طريق النجاه.

أقول: الصراط بهذين المعنيين مما اشير إليه فى غير واحد من الأخبار، فى الصافى و البحار من معانى الأخبار و تفسير الامام عليه السلام فى تفسير قوله:

«إِهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ».

عن الصادق عليه السلام يعنى أرشدنا للزوم الطريق المؤدى إلى محبتك و المبلغ إلى جنتك و المانع من أن نتبع أهوائنا فنعطب أو أن نأخذ بآرائنا فنهلك.

و عنه أيضا هى الطريق إلى معرفه الله و هما صراطان صراط فى الدنيا و صراط فى الآخرة، فأما الصراط فى الدنيا فهو الامام المفترض الطاعة من عرفه فى الدنيا و اقتدى بهداه مر على الصراط الذى هو جسر جهنم فى الآخرة، و من لم يعرفه فى الدنيا زلت قدمه عن الصراط فى الآخرة فتردى فى نار جهنم، و فى روايه نحن الصراط المستقيم.

و فى تفسير علي بن إبراهيم القمى عن حفص بن غياث قال: وصف أبو عبد الله عليه السلام الصراط فقال: ألف سنة صعود و ألف سنة هبوط و ألف سنة حزال.

و فيه عن سعد بن مسلم عن أبي عبد الله عليه السلام قال: سألته عن الصراط فقال:

هو أدق من الشعر و أحد من السيف، فمنهم من يمر عليه مثل البرق، و منهم من يمر عليه مثل الفرس، و منهم من يمر عليه ماشيا، و منهم من يمر عليه حبا(1)، و منهم من يمر عليه متعلقا فتأخذ النار بعضه و تترك بعضه.

و فيه قال: حدثنى أبى عن عمر بن عثمان عن جابر عن أبى جعفر عليه السلام قال:

لما نزلت هذه الآية:

ص: ١٤

١- (١) حبا الصبى يحبو إذا مشى على أربع، منه.

«وَجِيءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ».

سئل عن رسول الله فقال صلى الله عليه وآله وسلم: أخبرني الزوج الأمين أن الله لا إله غيره إذا برز الخلائق و جمع الأولين و الآخرين أتى بجَهَنَّمَ تقاد بألف زمام أخذ بكل زمام مائة ألف ملك تقودها من الغلاظ الشَّداد لها هده و غضب و زفير و شهيق و أنها لتزفر الزفره فلو لا- أن الله أخرهم للحساب لأهلك الجميع، ثم يخرج منها عنق فيحيط بالخلائق البرّ و الفاجر ما خلق الله عبدا من عباد الله ملكا و لا نبيا إلا ينادى رب نفسي نفسي و أنت يا نبى الله تنادى أمتى أمتى، ثم يوضع عليها الصراط أدق من حد السيف عليها ثلاث قناطر فأما واحده فعليها الأمانه و الرّحم، و الثانيه فعليها الصّلاه، و الثالثه فعليها رب العالمين لا إله غيره فيكلفون بالعمرّ عليها فيحبسهم الرّحم و الأمانه فان نجوا منها حبستهم الصّلاه فان نجوا منها كان المنتهى إلى رب العالمين(1) و هو قوله:

«إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ».

و النَّاسَ عَلَى الصَّرَاطِ فَمَتَعَلَّقَ بِيَدٍ وَ تَزَلَّ قَدَمٌ وَ تَسْتَمْسِكُ بِالْقَدَمِ وَ الْمَلَائِكَةُ حَوْلَهَا ينادون حولها يا حلیم اعف و اصفح و عد بفضلک و سلّم سلّم و النَّاسَ يَتَهَاوَتُونَ فِي النَّارِ كَالْفَرَّاشِ فِيهَا فَإِذَا نَجَى نَاجَ بِرَحْمَةِ اللَّهِ مَرَّ بِهَا فَقَالَ: الحمد لله و بنعمته تتم الصّالحات و تزكو الحسنات و الحمد لله الذى نجاني منك بعد اياس بمنه و فضله إنّ

ص: ١٥

١- (١) يعنى عداله ربّ العالمين قال المحدّث المجلسى فى كتاب حق اليقين بعد روايه هذا الحديث: يمكن أن يكون الامانه فى الاموال و العدل فى المضالم الآخر، أو يكون الامانه فى حق الله و العدل فى حق الناس، و لا يبعد أن يكون المراد بالرّحم رحم آل محمد و بالامانه عدم الخيانه فى عهدهم و بيعتهم، و لذلك قدّمت على الصلاه، ثم قال: و لم يذكر عقبه الولاية فى هذه الروايه و هى من أعظم العقبات و يمكن أن يقال أنّ هذه العقبات بالنسبه الى المؤمنين و أما المشركون و المنافقون فيكون جهنم فى أول الصراط أو يدخلونها قبل الصراط، انتهى كلامه رفع مقامه.

رَبَّنَا لَغُفُورٌ شُكُورٌ.

و في غايه المرام للسيد هاشم البحراني من طريق العامه عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: إذا كان يوم القيامة أمر الله مالكا أن يسعر الثيران السبع و أمر رضوان أن يزخرف الجنان الثمان و يقول: يا ميكائيل مد الصراط على متن جهنم و يقول: يا جبرائيل انصب ميزان العدل تحت العرش و ينادى يا محمد:

قَرَّبَ اِمْتِكَ لِلْحِسَابِ.

ثم يأمر الله تعالى أن يعقد على الصراط سبع قناطر طول كل قنطره سبع عشر ألف فرسخ، و على كل قنطره سبعون ألف ملك قيام فيسألون هذه الامه نسائهم و رجالهم على القنطره الأولى عن ولايه أمير المؤمنين عليه السلام و حب أهل بيت محمد صلى الله عليه و آله فمن أتى به جاز على القنطره الأولى كالبرق الخاطف و من لم يحب أهل بيت نبيه صلى الله عليه و آله سقط على أم رأسه على قعر جهنم و لو كان معه من أعمال البر عمل سبعين صديقا.

و على القنطره الثانيه فيسألون عن الصلاه، و على الثالثه يسألون عن الزكاه، و على الرابعه عن الصيام، و على الخامسه عن الحج، و على السادسه عن الجهاد، و على السابعه عن العدل فمن أتى بشيء من ذلك جاز على الصراط كالبرق الخاطف و من لم يأت عدب و ذلك قوله تعالى «وَقِفُّهُمْ إِنَّهُمْ مَسْئُولُونَ» يعنى معاشر الملائكه قفوههم يعنى العباد على القنطره الأولى أنهم مسئولون عن ولايه على عليه السلام و حب أهل البيت عليهم السلام.

و في البحار من تفسير الامام عليه السلام المفسر باسناده إلى أبى محمد العسكري عليه السلام فى قوله:

«إِهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ».

قال: آدم لنا توفيقك الذى به أطعناك فى ماضى أيامنا حتى نطيعك كذلك فى مستقبل أعمارنا، و الصراط المستقيم هو صراطان: صراط فى الدنيا، و صراط فى الآخره فأما الصراط المستقيم فى الدنيا فهو ما قصر عن الغلو و ارتفع عن التقصير و استقام فلم يعدل

ص: ١٤

إلى شىء من الباطل و أما الطريق الآخر فهو طريق المؤمنين إلى الجَنَّة الذى هو مستقيم لا يعدلون عن الجَنَّة إلى النار و لا إلى غير النار سوى الجَنَّة.

الثانى

فى تحقيق الذكر و الاستفادة من قوله عليه السَّلام: و اوجف الذكر بلسانه

الحث و الترغيب عليه

فأقول إنَّ ذكر الله عزَّ و جلَّ على أقسام الاول أن يذكره تعالى عند إرادته المعصيه التى يريد ارتكابها فيتركها له الثانى ذكره عند الطاعة فيسهل عليه مشقَّه العباده الثالث ذكره عند الرِّفاهيه و النَّعمه فيذكره و يؤدَّى شكره الرابع ذكره عند الابتلاء و المحنه فيتصرَّع له لصرف البلاء و الصَّبر عليه الخامس ذكره بالقلب بأن يتفكَّر فى صفاته الجلاليه و نعوته الجماليه و غيرها من العلوم و معارف الحَقَّه السادس الذكر باللسان بأن يسبِّح له و يقَدِّسه و يمجِّده و يشتغل بذكر فضائل أهل البيت و تعليم القرآن و تدريس العلوم الشَّرعيه و أنحائها.

و كلَّ ذلك ممَّا ورد الحثُّ عليه فى الأخبار و الآيات قال سبحانه: «فى بُيُوتِ الَّذِينَ أُذِنَ لَهُمْ أَنْ يُذَكَّرُوا فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَ الْأَصَالِ رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَ لَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَ إِقَامِ الصَّلَاةِ وَ إِيْتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَ الْأَبْصَارُ». و قال أيضا: «فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَ اشْكُرُوا لِي وَ لَا تَكْفُرُونِ» و قال: «وَ اذْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَ خِيفَةً وَ دُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَ الْأَصَالِ وَ لَا تَكُنْ مِنَ الْغَافِلِينَ».

ص: ١٧

قال الطبرسيّ (ره) هو عام في الأذكار وقراءه القرآن والدعاء والتسبيح والتهليل وتضرّعا وخيفه أى متضرّعا وخايفا، ودون الجهر من القول، أى ومتكلّما كلاما دون الجهر، لأنّ الاخفاء أدخل في الاخلاص وأبعد من الرّيا وأقرب إلى القبول وفي الكافي وعده الدّاعي لأحمد بن فهد الحلّي عن النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلم قال:

مكتوب في التّوراه أنّى لم تغير أن موسى سأل ربّه فقال: يا ربّ أ قريب أنت فأنا جيّك أم بعيد فأنا ديك؟ فأوحى الله إليه يا موسى أنا جليس من ذكرنى، فقال موسى: فمن فى سترك يوم لا- ستر إلا- سترك؟ فقال تعالى: الذين يذكرونى فأذكرهم ويتحابّون لى فاحبّهم فأولئك الذين إذا أردت أن اصيب أهل الأرض بسوء ذكرتهم فدفعت عنهم بهم.

و فى عده الدّاعي عن النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلم ما جلس قوم يذكرون الله إلاّ قعد معهم عده من الملائكه.

و روى أبو بصير عن أبى عبد الله عليه السّلام قال: ما اجتمع قوم فى مجلس لم يذكرو الله و لم يذكرونا إلاّ كان ذلك المجلس عليهم حسره يوم القيامة، ثمّ قال: قال أبو جعفر عليه السّلام إنّ ذكرنا من ذكر الله و ذكر عدوّنا من ذكر الشّيطان.

و روى الحسن بن الحسن الدّيلمى عن النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلم أنّ الملائكه يمزّون على حلق الذّكر فيقومون على رؤوسهم و يبكون لبكائهم و يؤمّنون لدعائهم، فاذا صعّدوا إلى السّماء يقول الله تعالى: يا ملائكتى أين كنتم؟ و هو أعلم، فيقولون:

يا ربّنا إنّنا حضرنا مجلسا من مجالس الذّكر فرأينا أقواما يسبحونك و يمجّدونك و يقدّسونك و يخافون نارك، فيقول الله سبحانه: يا ملائكتى أذودها عنهم و اشهدكم أنّى قد غفرت لهم و أمنتهم ممّا يخافون، فيقولون: ربّنا إنّ فيهم فلانا و إنّهم لم يذكرك فيقول تعالى: قد غفرت له بمجالسته لهم، الحديث.

و عنه أيضا من ذكر الله فى السّوق مخلصا عند غفله النّاس و شغلهم كتب الله له ألف حسنه و يغفر الله له يوم القيامة مغفراه لم تخطر على قلب بشر.

و فى عده الدّاعي عن أبى عبد الله عليه السّلام قال: إنّ موسى عليه السّلام انطلق ينظر إلى اعمال

العبيد فأتى رجلا من أعبد الناس فلما أمسى حرّك الرجل شجره إلى جنبه فاذا فيه رمانتان قال فقال: يا عبد الله من أنت إنك عبد صالح أنا ههنا منذ ما شاء الله ما أجد في هذه الشجره إلا رمانه واحده و لو لا أنك عبد صالح ما وجدت رمانتين قال أنا رجل أسكن أرض موسى بن عمران.

قال: فلما أصبح قال تعلم أحدا أعبد منك؟ قال: نعم فلان الفلاني، قال:

فانطلق إليه فاذا هو أعبد منه كثيرا فلما أمسى أوتى برغيفين و ماء فقال: يا عبد الله من أنت إنك عبد صالح أنا ههنا منذ ما شاء الله و ما اوتى إلا برغيف واحد و لو لا أنك عبد صالح ما اوتيت برغيفين قال أنا رجل أسكن أرض موسى بن عمران.

ثم قال موسى: هل تعلم أحدا أعبد منك؟ قال: نعم فلان الحداد في مدينه كذا و كذا، قال: فأتاه فنظر إلى رجل ليس بصاحب العباده بل إنما هو ذاكر لله تعالى و إذا دخل وقت الصلاه قام فصلّى فلما أمسى نظر إلى غلته فوجدها قد اضعفت قال يا عبد الله من أنت إنك عبد صالح أنا ههنا منذ ما شاء الله غلتي قرب بعضها من بعض و الليله قد اضعفت فمن أنت؟ قال: أنا رجل أسكن في أرض موسى بن عمران.

قال: فأخذ ثلث غلته فتصدّق بها، و ثلثا أعطى مولى له، و ثلثا اشترى له طعاما فأكل هو و موسى، قال: فتبسّم موسى عليه السلام فقال: من أى شىء تبسّمت؟ قال:

دلّنى نبىّ بنى إسرائيل على فلان فوجدته من أعبد الخلق فدلّنى على فلان فوجدته أعبد منه فدلّنى فلان عليك و زعم أنك أعبد منه و لست أراك شبه القوم.

قال: أنا رجل مملوك أليس ترانى ذاكر الله تعالى أ و ليس ترانى اصلى الصلاه لوقتها و إن أقبلت إلى الصلاه أضرت بغله مولاي و أضرت بعمل الناس أ تريد أن تأتي بلادك؟ قال: نعم.

قال فمرّت به سحابه فقال الحداد: يا سحابه تعالى، قال: فجاءت، قال: اين تريدين؟ فقالت: اريد كذا و كذا، قال: انصرفى ثم مرّت به اخرى قال: يا سحابه تعالى فجاءت فقال: اين تريدين؟ فقالت اريد ارض كذا و كذا، قال: انصرفى ثم مرّت به اخرى قال: يا سحابه تعالى فجاءته فقال اين تريدين؟ قالت اريد أرض موسى بن

عمران قال: تعالى و احملى هذا حمل دقيق وضعيه فى أرض موسى بن عمران وضعا دقيقا.

قال فلما بلغ موسى عليه السلام بلاده قال: يا ربّ بما بلغت هذا ما أرى؟ قال تعالى: إنّ عبدى هذا يصبر على بلائى و يرضى بقضائى، و يشكر على نعمائى.

و فى البحار من تفسير الامام عليه السلام قال: قال رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلم: الا فاذكروا يا امّه محمّد محمّدا و آله عند نوائبكم و شدائدكم لينصرنّ الله بهم ملائكتكم على الشياطين الذين يقصدونكم، فانّ كلّ واحد منكم معه ملك عن يمينه يكتب حسناته و ملك عن يساره يكتب سيئاته، و معه شيطانان من عند إبليس يغويانه.

فاذا وسوسا فى قلبه ذكر الله و قال: لا حول و لا قوه إلا بالله العليّ العظيم و صلّى الله على محمّد و آله حبس الشيطانان ثم صارا إلى إبليس فشكواه و قالوا له: قد أعيانا أمره فامددنا بالمردّه و لا يزال يمدّهما حتّى يمدّهما بألف مارد فيأتونه فكلمّا راموه ذكر الله و صلّى على محمّد و آله الطيّبين لم يجدوا عليه طريقا و لا منفذا.

قالوا لا إبليس ليس له غيرك تباشره بجنودك فتغلبه فتغويه فيقصده إبليس بجنوده، فيقول الله تبارك و تعالى للملائكه: هذا إبليس قد قصد عبدى فلانا، أو أمتى فلانه بجنوده ألا فقاتلوه، فيقاتلوه بازاء كلّ شيطان رجيم منهم مائة ألف ملك و هم على افراس من نار بأيديهم سيوف من نار و رماح من نار و قسى و نشايب(١) و سكاكين و أسلحتهم من نار.

فلا يزالون يجرحونهم و يقتلونهم بها و يأسرون إبليس فيضعون عليه تلك الأسلحة فيقول: يا ربّ وعدك وعدك قد أجلتني إلى يوم الوقت المعلوم، فيقول الله تبارك و تعالى للملائكه: وعدته أن لا اميته و لم أعدّه أن لا اسلّط عليه السّلاح و العذاب و الآلام اشتقوا منه ضربا بأسلحتكم فأتى لا اميته فيسخنونه بالجراحات ثم يدعونه، فلا يزال سخين العين(٢) على نفسه و أولاده المقتولين

ص: ٢٠

١- (١) جمع النشائب بالضم و التشديد و هو النبل

٢- (٢) أى باكى العين.

المقتلين (١) ولا يندمل شيء من جراحاته، إلا بسماعه أصوات المشركين بكفرهم فان بقى هذا المؤمن على طاعة الله و ذكره و الصّلاه على محمّد و آله بقى إبليس على تلك الجراحات، فان زال العبد عن ذلك و انهمك في مخالفه الله عزّ و جلّ و معاصيه اندملت جراحات إبليس ثمّ قوى على ذلك العبد حتى يلجمه و يسرح على ظهره و يركبه ثمّ ينزل عنه و يركب ظهره شيطانا من شياطينه و يقول لأصحابه أما تذكرون ما أصابنا من شأن هذا ذلّ و انقاد لنا الآن حتى صار يركبه هذا ثمّ قال رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلم فان أردتم أن تديموا على إبليس سخنه عينه و ألم جراحاته فداوموا على طاعة الله و ذكره و الصّلاه على محمّد و آله، و إن زلتم عن ذلك كنتم اسراء إبليس فيركب أقيتكم (٢) بعض مردته هذا، و الله المستعان و به الاعتصام فى النّجاه من مكاييد الشّيطان.

الثالث

فى تحقيق معنى الرجاء و الخوف على فى ما شرح البحرانى اخذا من احياء العلوم

لابى حامد الغزالى بتغيير و تصرف يسير

فاعلم أنّ الرّجاء من جملة مقامات السالكين و حالات الطالبين، و هو ارتياح النّفس لانتظار ما هو محبوب عندها فهو حاله لها تصدر عن علم و تقتضى عملا بيان ذلك أنّ ما يتصوّره النّفس من محبوب أو مكروه فاما أن يكون موجودا فى الماضى أو فى الحال أو يوجد فى الاستقبال، و الأوّل يسمّى ذكرا و تذكيرا، و الثّانى يسمّى وجدا لأنّها حاله تجدها من نفسك، و الثّالث و هو أن يغلب على ظنّك وجود شيء فى الاستقبال لنفسك به تعلق يسمّى ذلك انتظارا

ص: ٢١

١- (١) المقتلين من باب الافعال اى المعرضين للقتل أو التفعيل لبيان كثره مقتولهم قال الجوهرى اقتلت فلانا عرضته للقتل و قتلوا تقيلا شد للكثرة (بحار)

٢- (٢) جمع قفا (منه).

و توقّعا، فان كان مكروها حدث منه فى القلب تألم يسمّى خوفا و اشتقاقا، و إن كان محبوبا حصل من انتظاره و تعلّق القلب به لذه للنفس و ارتياح باخطار وجوده بالبال يسمّى ذلك الاتياح رجاء.

و لكن ذلك المحبوب المتوقّع لا بدّ و أن يكون له سبب، فان كان توقّعه لأجل حصول أكثر أسبابه فاسم الرجاء عليه صادق، و إن كان انتظاره مع العلم بانتفاء أسبابه فاطلاق اسم الغرور و الحمق عليه أصدق من اسم الرجاء، و إن كانت الأسباب غير معلومه الوجود و لا معلومه العدم فاسم التمتّى أصدق على انتظاره.

إذا عرفت ذلك فاعلم أنّ أرباب القلوب و العرفان قد علموا أنّ الدّنيا مزرعه الآخرة، فالقلب كالأرض و البذر هو الايمان و المعارف الألهيّة و تأثر القلب بالمواعظ و النصائح و الإتيان بالطّاعات جار مجرى تقليب الأرض و اصلاحها و مجرى سياق الماء إليها و اعدادها للزراعة.

و القلب المستغرق بحبّ الدّنيا و الميل إليها كالأرض الصلبة أو السبخة التى لا تقبل الزّرع و الانبات و لا ينمو فيها البذر لصلب الأرض أو لمخالطه الأجزاء الملحيه، و يوم القيامة يوم الحصاد و لا حصاد إلّا من زرع، و لا زرع إلّا من بذر و كما لا ينفع الزّرع فى أرض صلبة سبخة كذلك لا ينفع إيمان مع حبّ القلب و قساوته و سوء الأخلاق.

فينبغى أن يقاس رجاء العبد لمغفره الله و رضوانه برجاء صاحب الزّرع و كما أنّ من طلب أرضا طيبه و قلبها و القى فيها بذرا جّيّدا غير متعقّن و لا- مسوس ثمّ أمده بالماء العذب و ساير ما يحتاج إليه فى أوقاته، ثمّ طهره عن مخالطه ما يمنع نباته من الشّوك و الحشيش و نحوهما، ثمّ جلس منتظرا من فضل الله رفع الصواعق و الآفات المفسده إلى أن يتمّ الزّرع و يبلغ غايته كان ذلك رجاء فى موضعه و استحقّق اسم الرجاء إذا كان فى مظنّه أن يفوز بمقصده من ذلك الزّرع.

و من بذر فى أرض كذلك إلّا أنّه بذر فى اخريات النّاس و لم يبادر إليه فى

أول الأوقات أو قصر في بعض أسبابه مع حصول غالب الأسباب، ثم أخذ ينتظر ثمره ذلك الزرع و يرجو الله سبحانه في سلامه له فهو من جملة الرّاجين أيضا.

و من لم يحصل بذرا أو بذر في أرض سبخه أو صلبه غير قابله للانبات، ثم أخذ ينتظر الحصاد فذلك الانتظار حمق فكان اسم الرجاء إنما يصدق على انتظار ما حصل جميع أسبابه أو غالبها الداخلة تحت اختيار العبد و لم يبق إلا ما لا يدخل تحت اختياره و هو فضل الله تعالى بصرف المضار و المفسدات.

كذلك حال العبد إن بذر المعارف الالهيه في قلبه في وقته و هو انف البلوغ و مبدء التكليف و دام على سقيه بماء الطاعات و اجتهد في تطهير نفسه عن شوكة الأخلاق الرديه التي تمنع نماء العلم و زياده الايمان و انتظر من فضل الله أن يثبته على ذلك إلى زمان وصوله و حصاد عمله فذلك الانتظار هو الرجاء الحقيقي المحمود و هو درجه السابقين.

و إن ألقى بذر الايمان في نفسه لكنه قصر في بعض الأسباب إما بتأخير في البذر أو تسامح في السقي في الجملة ثم أخذ ينتظر وقت الحصاد و يتوقع من فضل الله تعالى أن يبارك له و يعتمد عليه على أنه الززاق ذو القوه المتين فيصدق عليه أنه راج أيضا لحصول اكثر الأسباب.

و أما من لم يزرع من قواعد الايمان في قلبه شيئا أو زرع و لم يسقه بماء الطاعه أو لم يطهر نفسه من رزايل الأخلاق و اشتغل بالسّيئات أو انهمك في الشهوات ثم انتظر المغفره و الفضل من الله فانتظاره حمق و غرور.

قال سبحانه: «خلف من بعدهم خلف ورثوا الكتاب يأخذون عرض هذا الأدنى و يقولون سيغفر لنا» و قال رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم: الأحمق من اتبع نفسه هواها و تمنى على الله الجنه، قال الشاعر:

إذا انت لم تزرع و عاينت حاصدا ندمت على التفريط في زمن البذر

فأعظم الحمق و الاغترار التمادى في الذنوب مع رجاء العفو من غير ندامه

و توقع القرب من الله تعالى بغير طاعه، و انتظار زرع الجنه بيدر النار و طلب دار المطيعين بالمعاصي و انتظار الجزاء بغير عمل و التمني على الله مع الافراط و التجري.

ترجو النجاه و لم تسلك مسالكها ان السفينه لا تجرى على اليبس

الترجمه

و بدانید ای مردمان که عبور شما بر صراط است و بر محلّهای لغزش اوست و خوفهای لغزیدن اوست و هولهای مکرر اوست، پس پرهیزید از خدا همچو پرهیز نمودن شخصی که مشغول نماید تفکر در معارف حقه قلب او را، و بر تعب اندازد ترس خدا بدن او را، و بیدار گردانیده باشد عبادت شب خواب اندک او را، و تشنه ساخته باشد رجاء بخدا روزهای گرم او را.

مانع شده باشد زهد از شهوت آن و سرعت نماید ذکر بزبان آن، و مقدم بدارد خوف را بجهه امن از عقوبت، و کناره جوئی کند از چیزهائی که شاغلت از راه روشن هدایت، و سلوک نماید در اعدل راهها بسوی منهج مطلوب که عبارتست از ثواب و جزاء مرغوب، و صارف نشود صوارف نخوت و غرور، و پوشیده نشود بر او مشتبهات امور در حالتی که فایز است بشادی بشارت و راحت نعمت در آسوده ترین خواب و ایمن ترین وقت.

بتحقیق که گذشته باشد از گذرگاه دنیا در حالتی که پسندیده است و مقدم داشته باشد توشه آخرت را در حالتی که سعید است، و شتافته است بعمل خیر از ترس خداوندگار، و سرعت نموده است بکردار خوب در مهلت روزگار، و رغبت نموده در طلب خشنودی و رضای پروردگار، و در رفته از باطل بجهه خوف از کردگار، و ملاحظه کرده در دنیای خود آخرت خود را، و نظر کرده در اول امر خود پیش روی خود را.

پس کفایت است بهشت از حیث عطا و ثواب، و کفایت جهنم از حیث عذاب و وبال، و کفایت خداوند در حالتی که انتقام کشنده است و یاری کننده، و کفایت کتاب خدا در حالتی که حجت آرنده است و خصومت کننده.

وصیت میکنم شما را بپرهیزکاری خدا، آن خدائی که عذر را زایل نمود از خود با آنچه که ترسانید خلائق را بآن از انواع عقوبات، و اقامه حجت نمود بر ایشان با آنچه که روشن نمود از براهین و بینات، و ترسانیده شما را از دشمنی که نفوذ کرد و روان شد در سینه ها در حالتی که پنهانست از نظر، و دید در گوشها در حالتی که نجوی کننده است بسر، پس گمراه کرد تابع خود را و بهلاکت انداخت و وعده کرد مطیع خود را.

پس آرزومند نمود و زینت داد بدیهای جرمها را در نظر او، و آسان کرد مهلکات معصیتها را در نزد او تا آنکه چون خدعه نمود قرین و همنشین خود را و بغلق انداخت و فرو بست رهین خود را انکار کرد آن چیزی را که زینت داده بود در نظر او، و بزرگ شمرد آن چیز را که آسان کرده بود در نزد او، و ترسانید از آن چیزی که ایمن کرده بود او را از آن.

و مقصود از همه این تحذیر است از مکاید شیطان لعین و از تدلیسات آن عدو مبین که انسان را بارتکاب معاصی جری میکند و بعد از ارتکاب از او تبری می نماید.

بیت

غافل مشو که مرکب مردان راه رادر سنگلاخ وسوسه پی ها بریده اند

الفصل السابع منها فی صفة خلق الانسان

اشاره

أم هذا الذی أنشأه فی ظلمات الأرحام و شغف الأستار نطفه دهاقا، و علقه محاقا، و جنینا و راضعا، و ولیدا و یافعا، ثم منحه قلبا حافظا، و لسانا لافظا، و بصرا لاحظا، لیفهم معتبرا، و یقصر مزدجرا حتی إذا قام اعتداله، و استوی مثاله، نفر مستکبرا، و خبط سادرا ماتحا فی غرب هواه، کادحا سعیا لدنياه، فی لذات طربه، و بدوات أربه، لا یحتسب رزیه، و لا یخشع تقیه، فمات فی فتنه غریرا، و عاش

ص: ۲۵

فى هفوته يسيرا، لم يفد عوضا، و لم يقض مفترضا، دهتمه فجعات المتيه فى عبّر جماحه، و سنن مراحه، فظلّ سادرا، و بات ساهرا، فى غمرات الآلام، و طوارق الأوجاع و الأسقام، بين أخ شقيق، و والد شقيق، و داعيه بالويل جزعا، و لا دمه للصدر قلقا، و المرء فى سكره ملهته، و غمره كارته، و أنه موجعه، و جذبه مكربه، و سوقه متعبه، ثم أدرج فى أكفانه ملبسا، و جذب منقادا سلسا، ثم ألقى على الأعواد رجيع و صب، و نضو سقم، تحمله حفده الولدان، و حشده الإخوان، إلى دار غربته، و منقطع زورته، حتى إذا انصرف المشيخ، و رجع المتفجع، أقعد فى حفرة نجيا لبهته السؤال، و عشره الامتحان، و أعظم ما هنا لك بليته نزل الحميم، و تصليه الجحيم، و فورات السعير، و سورات الزفير، لا فتره مريحه، و لا دعه مزيحه، و لا قوه حاجزه، و لا موته ناجزه، و لا سنه مسليه، بين أطوار الموتات، و عذاب الساعات، إنا بالله عائذون.

اللغه

(الشغف) بضمّين جمع شغاف كسحاب و هو غلاف القلب و (الدّهاق) بالدال المهمله من دهق الماء أفرغه إفرغا شديدا، و فى بعض النسخ دفاقا من دفع الماء دفقا من باب قتل انصب لشده و يقال أيضا دفقت الماء أى صببته يتعدى فهو دافق و مدفوق، و أنكر الأصمعى استعماله لازما قال: و أمّا قوله تعالى من ماء دافق فهو على اسلوب أهل الحجاز و هو أنهم يحولون المفعول فاعلا إذا كان فى موضع نعت و المعنى من ماء مدفوق، و قال ابن القوطبه ما يوافق سرّ كاتم أى

مكتوم و عارف اى معروف و عاصم اى معصوم.

و (المحاق) بضم الميم و الكسر لغه قال الفيومى: محقه محقا من باب نفع نقصه و أذهب منه بركه، و قيل هو ذهاب الشىء كله حتى لا يرى له أثر منه و يمحق الله الربا و انمحق الهلال الثلاث ليال فى آخر الشهر لا يكاد يرى لخفائه و الاسم المحاق بالضم و الكسر لغه. و فى القاموس المحاق مثلثه آخر الشهر أو ثلاث ليال من آخره أو أن يستتر القمر فلا يرى غدوه و لا عشيته سمى به لأنه طلع مع الشمس فمحقته.

و غلام (يافع) و يفع و يفعه مرتفع و (السادر) المتحير و الذى لا يهتمّ و لا يبالي ما صنع و (الماتح) الذى يستسق الماء من البئر و هو على رأسها و المايح الذى نزل البئر إذا قلّ ماؤها فيملاء الدلاء فالفرق بين المعنيين كالفرق بين النقطتين و (الغرب) الدلو العظيم و (كدح) فى العمل من باب منع سعى و (بدا) بدوا و بدوا و بدوا و بداء و بدوء و بدواه ظهر، و بدواه الشىء أول ما يبدو منه، و بادى الرأى ظاهره، و بدا له فى الأمر بدوا و بداءه نشأله فيه رأى و هو ذو بدوات.

قال الفيومى و (الارب) بفتحيتين و الاربه بالكسر و المأربه بفتح الراء و ضمّها الحاجه، و الجمع المآرب، و الارب فى الأصل مصدر من باب تعب يقال ارب الرجل إلى الشىء إذا احتاج إليه فهو ارب على فاعل و (دهمه) الشىء من باب سمع و منع غشيته و (غبر) الشىء بضم الغين و تشديد الباء بقاياها جمع غابر كرّكع و راکع و (جمع) الفرس جمحا و جماحا بالكسر اغترّ فارسه و غلبه و جمع الرّجل ركب هواه و (سنن) الطريق مثلثه و بضمّتين نهجه و جهته و (مرح) مرحا من باب فرح نشط و تبختر و المراح ككتاب اسم منه.

و (غمره) الشىء شدّته و مزدحمه و الجمع غمرات و غمار و (لهث) لهثا من باب سمع و لهاثا بالضمّ أخرج لسانه عطشا و تعباً أو اعياء، و فى بعض النسخ و سكره ملهيه بالباء أى مشغله و (كرته) الغمّ يكرّته من باب نصر اشدّ عليه و بلغ المشقّه و هو كريث الأمر إذا ضعف و جبن و (أنّ) المريض انا إذا تأوّه

و (ابلس) يئس و تحير و منه سمى إبليس و ناقه (رجع) سفر و رجيع سفر قد رجع فيه مرارا و (الوصب) محرّكه المرض و الوجع.
و (النضو) بالكسر المهزول من الابل و غيره و (السقم) كالجبل المرض و (الحشده) جمع حاشد من حشدت القوم من باب قتل و ضرب و حشد القوم يعدى و لا- يعدى إذا دعوا فأجابوا مسرعين أو اجتمعوا الأمر واحد و حفوا فى التعاون و (البهت) بالفتح الأخذ بغته و التحير و الانقطاع و (النزل) بضمّين طعام النزىل الذى يهيبه له قال سبحانه: هذا نزلهم يوم الدين.
و (الحميم) الماء الحارّ و (تصلية) النار تسخينها و (السوره) الحدّه و الشدّه و (زفر) النار تسمع لتوقدها صوت و (الدّعه) السعه فى العيش و السكون و (الازاحه) الازاله.

الاعراب

اختلف الشراح فى كلمه أم فى قوله أم هذا الذى أنشأه، فى شرح المعتزلى أم ههنا إمّا استفهاميه على حقيقتها كأنه قال: أعظكم و اذكركم بحال الشيطان و اغوائه أم بحال الانسان منذ ابتداء وجوده إلى حين مماته، و إمّا أن يكون منقطعه بمعنى بل كأنه قال عادلا و تاركا لما وعظهم به بل أتلو عليهم نبأ هذا الانسان الذى حاله كذا و كذا.

و فى شرح البحرانى أم للاستفهام و هو استفهام فى معرض التقرّيع للانسان و أمره باعتبار حال نفسه و دلالة خلقته على جزئيات نعم الله عليه مع كفرانه لها و كان أم معادله لهمزه الاستفهام قبلها، و التقدير أ ليس فيما أظهره الله لكم من عجائب مصنوعاته عبره أم هذا الانسان و تقلبه فى أطوار خلقته و حالته الى يوم نشوره.

أقول: لا يخفى ما فى ما ذكره من الاغلاق و الابهام بل عدم خلوه من الفساد، إذ لم يفهم من كلامه أنّ أم متصله أم منفصله، فإنّ قوله: أم للاستفهام مع قوله: و كان أم معادله لهمزه الاستفهام يفيد كون أم متصله إلّا- أنه ينافيه قوله هو استفهام فى معرض التقرّيع لأنّ أم المتصله لا بدّ أن تقع بعد همزه التسويه نحو قوله تعالى:

«سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أُنذِرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ» أو بعد همزه الاستفهام التي يطلب بها و بأم التعيين مثل أ زيد عندك أم عمرو، و لا بد أن يكون الاستفهام على حقيقته لتكون معادله لها في إفاده الاستفهام كمعادلتها لهمزه التسويه في إفاده التسويه و لذلك أيضا سميت متصلة لاتصالها بالهمزة حتى صارتا في إفاده الاستفهام بمنزله كلمه واحده، ألا ترى أنهما جميعا بمعنى أى و ينافيه أيضا قوله و التقدير أ ليس فيما أظهره آه بظهوره في كون الاستفهام للانكار التويخي و إن جعل أم منفصله فلا يحتاج إلى المعادل الذي ذكره، فالأولى ما ذكره الشارح المعتزلى و إن كان هو أيضا لا يخلو عن شيء.

و التحقيق عندى هو أن أم يجوز جعلها متصلة مسبوقة بهمزه الاستفهام أى ء أذكركم و أعظكم بما ذكرته و شرحته لكم أم أذكركم بهذا الذى حاله كذا و كذا، و يجوز جعلها منفصلة مسبوقة بالهمزه للاستفهام الانكارى الابطالى، و التقدير أ ليس فيما ذكرته تذكره للمتذكر و تبصره للمتبصر، بل فى هذا الانسان الذى حاله فلان فيكون من قبيل قوله سبحانه:

«أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِهَا» و هذا كله مبنى على عدم كون الخطبه ملتقطه و أن لا يكون قبل قوله عليه السلام أم هذا آه، حذف و إسقاط من السيد، و إلا فمعرفة حال أم موقوفه على الاطلاع و العثور بتمام الخطبه، هذا و المنصوبات الاثنان و العشرون أعنى نطفه و علقه و جنينا و راضعا و وليدا و يافعا و معتبرا و مزدجرا و مستكبرا و سادرا و ماتحا و كادحا و لا يحسب و لا يخشع و غريرا و ميلسا و منقادا و سلسا و رجيع و صب و نضوسقم و نجينا، كلها أحوال، و العامل فى كل حال ما قبله من الأفعال.

و سعيا مصدر بغير لفظ عامله من قبيل أ فنضرب عنكم الذكر صفحا، و فى لذات طربه متعلق بقوله كادحا، و يحتمل الحالتيه، و تقيته مفعول لأجله، و يسيرا

صفه للظرف المحذوف بقرينه المقام اى زمانا يسيرا، و جزعا و قلعا منصوبان على المفعول له.

المعنى

اشاره

اعلم أنه لما وعظ المخاطبين بالحكم و المواعظ الحسنه عقب ذلك و أكدده بذكر حال الانسان و ما أنعم الله به عليه من النعم الظاهره و الباطنه بعد أن لم يكن شيئا مذكورا حتى أنه إذا كبر و بلغ أشده نفر و استكبر و لم يأت ما امر و لم ينته عما ازدجر ثم أدركه الموت فى حال عتوه و غروره فصار فى محله الأموات رهين أعماله مأخوذا بأفعاله مبتلا بشدايد البرزخ و أهواله كما قال عليه السلام:

(أم هذا الذى أنشأه) الله سبحانه بقدرته الكامله و حكمته التامه الجامعه (فى ظلمات الأرحام و شغف الاستار) العطف كالتفسير، و المراد بالظلمات هى ما اشيرت إليها فى قوله سبحانه «يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقًا مِّنْ بَعْدِ خَلْقٍ فِي ظُلُمَاتٍ ثَلَاثٍ» و هى إمّا ظلمه البطن و الرحم و المشيمه أو الصلب و الرحم و البطن و الأوّل رواه الطبرسى عن أبى جعفر عليه السلام (نطفه دهاقا) أى مفرغه إفراغا شديدا (و علقه محاقا) أى ناقصه لم تتصوّر بعد بصوره الانسانى فى الاثيان بهذه الأوصاف تحقيرا للإنسان كما أومى إليه بالاشاره (و جنينا و راضعا و وليدا و يافعا) و هذه الأوصاف الأربعة كسابقيها مسوقه على الترتب الطبيعى المشار إليه بقوله سبحانه:

«ما لَكُمْ لا تَرْجُونَ لِلّهِ وَقَاراً وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَاراً» فأنه سبحانه قد خلق الانسان أولا عناصر ثم مركبات يغذى الانسان ثم أخلاطا ثم نطفه ثم علقه ثم مضغه ثم عظاما و لحوما كما قال «و لقد خلقنا الانسان من سلاله من طين ثم جعلناه نطفه فى قرار مكين ثم خلقنا النطفه علقه فخلقنا العلقه مضغه فخلقنا المضغه عظاما فكسونا العظام لحما ثم أنشأناه خلقا آخر فتبارك الله أحسن الخالقين».

ثم إنه ما دام فى الرحم يسمّى جنينا كما قال: «وَ إِذِ أَنْتُمْ أَجِنَّةٌ فِي بُطُونِ»

«أُمَّهَاتِكُمْ» و بعد ولادته يكون راضعا يرضع أمه أي يمتص ثديها، ثم يكون وليداً أي فطيماً فاذا ارتفع قيل يافع.

قال في سرّ الأدب في ترتيب أحوال الانسان: هو ما دام في الرحم جنين فاذا ولد فولد: ثم ما دام يرضع فرضيع، ثم إذا قطع منه اللبن فهو فطيم، ثم إذا دبّ و نمى فهو دارج، فاذا بلغ طوله خمسة أشبار فهو خماسى، فاذا سقطت روضعه فهو مشغور، فاذا نبتت أسنانه بعد السقوط فهو مئغر(1)، فاذا تجاوز العشر أو جاوزها فهو مترعرع و ناشى، فإذا كاد يبلغ الحلم أو بلغه فهو يافع و مراهق، فاذا احتلم و اجتمعت قوّته فهو حرّ، و اسمه في جميع هذه الأحوال غلام فاذا اخضرّ شاربه قيل قد بقل وجهه، فاذا صار فتاه فهو فتى و شارح، فاذا اجتمعت لحيته و بلغ غايه شبابه فهو مجتمع، ثم ما دام بين الثلاثين و الأربعين فهو شابّ، ثم هو كهل إلى أن يستوفى الستين و قيل إذا جاوز أربعاً و ثلاثين إلى إحدى و خمسين، فاذا جاوزها فهو شيخ.

إذا عرفت ذلك فلنعد إلى شرح قوله عليه السلام (ثمّ منحه قلباً حافظاً و لساناً لافظاً و بصراً لاحظاً) أي أعطاه عقلاً و نطقاً و نظراً و منحه ذلك و منّ عليه بذلك (ليفهم معتبراً و يقصر مزدجراً) أي ليعتبر بحال الماضين و ما نزل بساحه العاصين و ينتهى عما يفضيه إلى أليم النكال و شديد الوبال، و ليفهم دلائل الصنع و القدره و يستدلّ بشواهد الربوبية على وجوب الطاعة و الانتهاء عن المعصية فينجز عن الخلاف و العصيان و يتخلّص عن الخيبة و الخسران.

(حتّى إذا قام اعتداله) بالتناسب و الاستقامه و التوسّط بين الحالين فى كم أو كيف أى تمّ خلقته و صورته و تناسب أعضاؤه و خلت عن الزيادة و النقصان و كمل قواه المحتاج إليها (و استوى مثاله) أى اعتدل مقداره و صفته و يقال استوى الرجل إذا بلغ أشده أى قوّته و هو ما بين ثمانية عشر إلى ثلاثين (نفر) و فرّعن امثال

ص: ٣١

١- (١) قال المطرزي: ثغر الصبى فهو مشغور سقطت روضعه، و اذا نبت بعدا لسقوط فهو مشغور بالتاء، و التاء، و قد ائغر على افتعل، منه.

الأحكام الشرعيّة و التكاليف الإلهيّة (مستكبرا) و متعتنا (و خبط) أى سلك و سار على غير هدايه (سادرا) لا يبالى ما صنع (ماتحا فى غرب هواه) شبهّ الهوا بالغرب لأنّ ذى الغرب إنما يستسقى بغرب الماء ليروى غلله و كذلك صاحب الهوى يجلب بهواه ما تشتهي نفسه و تلتدّ به و تروى به غليل صدره و ذكر المتح ترشيح للتشبيه.

و أمّا ما قاله البحرانى من أنّه استعار الغرب لهواه الذى يملاء به صحايف أعماله من المآثم كما يملاء ذو الغرب غربه من الماء و رشح تلك الاستعاره بذكر المتح فليس بشىء، أمّا أولا فلاّ طرفى التشبيه مذکور فى كلامه عليه السّلام فكيف يكون استعاره بل هو تشبيه بليغ، و أمّا ثانيا فلاّ الهوى الذى يكون سببا لملاه صحايف الأعمال لا ربط له بالغرب الذى يملاء فيه الماء إذ المملوّ بالماء هو الغرب و المملو بالمآثم هو الصحايف لا- الهوا نفسه، و كذلك لا مناسبه بين الاثم و الماء و الوجه ما ذكرناه فافهم جيّدا.

و قوله (كادحا سعيا لدنياه) أى كان سعيه و همّته من جميع جهاته مقصوره فى دنياه غير مراقب بوجه لآخرته (فى لذات طربه و بدوات اربه) أى حاجته التى تبدو له و تظهر و تختلف فيها آرائه و دواعيه (لا يحتسب رزيّه و لا يخشع تقية) يعنى لم يكن يظنّ أن ينزل عليه مصيبه و لم يكن يخشع و يخاف من الله لأجل تقية و ذلك من فرط اغتراره بالدنيا و شدّه تماديه فى الشّهوات.

(فمات فى فتنته) أى فى ضلّالته (غريرا) و مغرورا (و عاش فى هفوته) و زلّته زمانا (يسيرا) قليلا- (لم يفد عوضا و لم يقض مفترضا) أى لم يستفد و لم يكتسب من الكمالات و الخيرات عوضا ممّا أنعم الله سبحانه به عليه، و لم يأت شيئا من الطاعات و التكاليف التى فرض الله تعالى عليه.

(دهمته فجعات المتيه فى غبر جماحه و سنن مراحه) يعنى فاجأته دواهى الموت فى بقاياى كوبه هواه و فى طرق نشاطه (فظلّ سادرا) متحيرا (و بات ساهرا فى غمرات الآلام)

و شدايدها (و طوارق الأوجاع و الأسقام) و نوازلها (بين أخ شقيق) عطوف (و والد شقيق) رؤوف و شقّ الشّىء و شقيقه هو نصفه.

و توصيف الأَخ بالشَّقِيق لكونه كالشَّقِّ منه و بمنزله جزء بدنه و قلبه (و داعيه بالويل جزعا) من النساء و الاماء (و لادمه للصدر قلقا) من البنات و الأمّهات و هذا كلّه تشريح لحال أهل الميّت فأنّه، إذا يئس عنه الطّبيب و ابلى الحبيب فهنا لك خفّ عنه عوّاده و أسلمه أهله و أولاده، فشقت جيوبها نساؤه، و لطمت صدورها اماؤه، و اعول لفقده جيرانه، و توجّع لرزيته إخوانه، و غصّوا بأيديهم عينيه، و مدّوا عند خروج نفسه يديه و رجله.

فكم موجه يبكي عليه تفجّعا و مستنجدا صبورا و ما هو صابر

و مسترجع داع له الله مخلصا يعدّ و منه خير ما هو ذاكر

و كم شامت مستبشر بوفاته و عما قليل كالذّي صار صائر

هذا حالهم، و أمّا حال الميّت فقد أشار إليه بقوله (و المرء فى سكره ملهته) يلوّك لسانه و يخرجه تعباً و عطشا (و غمره كارثه) أى شدّه بلغ الغايه من المشقّه.

روى فى الكافى عن عليّ بن إبراهيم عن أبيه عن عبد الله بن المغيرة عن السيّكونى عن أبى عبد الله عليه السّلام قال: إنّ الميت إذا حضره الموت أو ثقّه ملك الموت و لو لا ذلك استقرّ (1) (و أنّه موجه) أى تأوّه موجب لوجع الحاضرين و السّامعين (و جذبته مكربه و سوقه متعبه) و المراد بهما جذب الملائكه للروح و سوقهم له إلى خارج البدن كما قال تعالى:

«وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَيِّتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُو أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا أَنْفُسِكُمْ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَ كُنْتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ».

ص: ٣٣

١- (١) هكذا فى النسخه، و فى الوافى نقلا عن الكافى: ما استقرّ و هو الصحيح «المصحح».

قال الطبرسي: أى فى شدايد الموت عند التّرع و الملائكه الذين يقبضون الأرواح باسطو أيديهم لقبض أرواحهم يقولون أخرجوا أنفسكم من أجسادكم عند معاينه الموت ازهاقا لهم و تغليظا عليهم و إن كان إخراجها من فعل غيرهم.

و قال الشّارح البحرانى: اعلم أنّ تلك الجذبه يعود إلى ما يجده الميّت حال التّرع و هو عباره عن ألم ينزل بنفس الرّوح يستغرق جميع أجزائه المنتشره فى أعماق البدن و ليس هو كسائر ما يجده الرّوح المحتصّ ببعض الأعضاء كعضو شاكته شوكة و نحوها، لاختصاص ذلك بموضع واحد فألم التّرع يهجم على نفس الرّوح و يستغرق جميع أجزائه و هو المجذوب من كلّ عرق و عصب و جزء من الأجزاء و من أصل كلّ شعره و بشره لا تسألنّ عن بدن يجذب منه كلّ عرق من عروقه، و قد يتمثّل ذلك بشجره شوكة كانت داخل البدن ثمّ جذبت منه فهى الجذبه المكربه، و لمّا كان موت كلّ عضو عقيب الأمراض التى ربّما طالت تدريجا فتلك هى الشّوقه المتغبه (ثمّ ادرج فى أكفانه ملبسا) أى آيسا أو حزينا (و جذب) من وطنه إلى الخارج (منقادا سلسا) اى سهلا لينا (ثمّ القى على الأعواد) أى الأسرّه حالكونه (رجيع و صب و نضو سقم) يعنى أنّه من جهه ابتلائه بتارات الأمراض و تردّده فى أطوار الأتعاب و الأوصاب صار كالإبل الرّجيع الذى يردّد فى الأسفار مرّه بعد اخرى و لأجل نحول جسمه من الأسقام كان الجمل النّضو الذى يهزل من كثره الأحمال و الأثقال (تحمله حفده الولدان و حشده الاخوان) يعنى أنّه بعد الفراغ من تغسيله و تكفينه و حمله على سريره أقبلوا على جهازه و شمّروا لابرازه و حمله أعوانه و ولدانه و أحبّأوه و إخوانه.

فطلّ أحبّ القوم كان لقربه يحثّ على تجهيزه و يبادر

و شمّر من قد أحضروه لغسله و وجّه لما فاظ (1) للقبر حافر

و كفّن فى ثوبين فاجتمعت له مشيّع إخوانه و العشائر

ص: ٣٤

١- (١) فاظ الرجل اى مات، م.

ثم اخرج من بين صحبته (١) (إلى دار غربته و) من محل عزته إلى (منقطع زورته) و من سعه قصره إلى ضيق قبره فحثوا بأيديهم التراب و أكثروا التلدد و الانتحاب، و وقفوا ساعه عليه و قد يسوا من النظر إليه، ثم رجعوا عنه معولين، و ولوا مدبرين (حتى إذا انصرف المشيع و رجع المتفجع) انتبه من نومته و أفاق من غشيته و (اقعد في حفرتة نجيا لبهته السؤل) و دهشته (و عثره الامتحان) و زلته.

و لعل المراد به أنه يقعد في قبره مناجيا للمنكر و النكير أى مخاطبا و مجاوبا لهما سرا لعدم قدرته على الاعلان من أجل الدهشه و الحيره العارضه له من سؤلهمما و العثره التى ظهرت منه بسبب اختيارهما، أو المراد أنه يناجى ربه فى تلك الحال من هول الامتحان و السؤل و يقول رب ارجعون لعلى أعمل صالحا (و أعظم ما هنا لك بليته) و ابتلاء (نزل الحميم و تصليه الجحيم) كما قال تعالى:

«وَإِنَّ لِلطَّاغِينَ لَشَرَّ مَأْبٍ جَهَنَّمَ يَصِيلُونَهَا فَبئَسَ الْمِهَادُ هَذَا فَلْيَذُوقُوهُ حَمِيمٌ وَغَسَّاقٌ» «و فى سوره النبأ «لَا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَّاقًا» قال بعض المفسرين: إن الغساق عين فى جهنم يسيل إليها سم كل ذات حمه من حيه و عقرب، و قيل هو ما يسيل من دموعهم يسقونه من الحميم، و قيل هو القيح الذى يسيل منهم يجمع و يسقونه، و قيل إن الحميم الماء الحار الذى انتهت حرارته و الغساق الماء البارد الذى انتهت برودته فهذا يحرق ببرده و ذاك يحرق بحرّه.

و قال الطريحي: الحميم الماء الحار الشديد الحرارة يسقى منه أهل النار أو يصب على أبدانهم، و عن ابن عباس لو سقطت منه نقطه على جبال الدنيا

ص: ٣٥

١- (١) جمع صاحب و الملازم للانسان و المصاحب من اولاده و اقربائه و غيرهم.

لأذابتها، و كيف كان فقوله عليه السلام مأخوذ من الآية الشريفة في سورة الواقعة قال سبحانه:

«وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُكَذِّبِينَ الضَّالِّينَ فَنُزِّلْ مِنْ حَمِيمٍ وَتَصْلِيئِهِ جَحِيمٌ» و أمّا قوله (و فورات السّيعير) فأراد به شدّه غليان نار الجحيم و لهبها، و كذلك أراد بقوله (و سورات الزّفير) شدّه صوت توقد النّار (لا فتره مريحه) لهم من العذاب (و لا دعه مزيجه) عنهم العقاب كما قال سبحانه:

«إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي عَذَابٍ جَهَنَّمَ خَالِدُونَ لَا يُفْتَرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ» (و لا- قوه حاجزه) تمنعه عن النّكال (و لا موته ناجزه) أى عاجله تريحه من ألم الوبال إذ الموت ربّما يكون نعمه و يعده الانسان راحه كما قال مجنون العامرى و نعم ما قال: فلا ملك الموت المريح يريحنى (و لا سنه مسليه) لهمه و نومه منسيه لغمه و فى الحديث إنّ الله ألقى على عباده السّلوه بعد المصيبه لو لا ذلك لانقطع النّسل (بين أطوار الموتات و عذاب السّاعات) أراد بالموتات الآلام الشّديده و المشاق العظيمه مجازا فلا ينافى قوله عليه الصّلاه و السّلام: و لا موته ناجزه، فإنّ المراد به الحقيقه (إنّا بالله عائذون) أى ملتجئون من شرّ المآل و سوء الحال، و قد راعى فى أكثر فقرات هذا الفصل السّجع المتوازى، هذا

و ينبغي تذييل المقام بامور مهمه

الاول

فى تحقيق بدو خلق الانسان فاقول:

قال سبحانه فى سورة المؤمنين: «وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلالَةٍ»

ص: ٣٦

«مِنْ طِينٍ ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَبَارَكُ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ» و هذه الآيه الشريفة أجمع الآيات لأدوار الخلقه و أشملها لمراتب الفطره، و هذه المراتب على ما اشيرت إليها فيها سبع.

المرتبه الأولى ما أشار إليه بقوله:

«وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ» أى من خلاصه من طين و هو مبدء نشو الآدمى لتولد النطفه منها، و ذلك لأن النطفه إنما تتولد من فضل الهضم الرابع، و هو إنما يتولد من الأغذية، و هى إمّا حيوانيه و إمّا نباتيه، و الحيوانيه تنتهى إلى النباتيه و النباتات إنما يتولد من صفو الأرض و الماء، فالإنسان بالحقيقه يكون متولدا من سلاله من طين.

المرتبه الثانيه أن السلاله بعد ما تواردت عليها أدوار الفطره تكون نطفه فى أصلاب الآباء فتقذف بالجماع إلى أرحام النساء التى هى قرار مكين لها و إليه أشار سبحانه بقوله:

«خُلِقَ مِنْ مَاءٍ دَافِقٍ يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَ التَّرَائِبِ» المرتبه الثالثه أن النطفه بعد ما استقرت فى الرحم أربعين يوما تصير علقه و هى الدم الجامد.

المرتبه الرابعه أن العلقه بعد ما مكثت فى الرحم أربعين يوما أيضا تصير مضغه أى قطعه لحم حمراء كأنها مقدار ما يمضغ.

المرتبه الخامسه أن المضغه تمكث فيه أربعين ثلثه و يجعلها الله صلبا فتكون عظاما.

المرتبه السّادسه ما أشار إليه بقوله: فكسونا العظام لحما أى ممّا بقى من المضغه أو ممّا أنبتة عليها ممّا يصل إليها و إنّما جعل اللحم كسوه لستره العظم كما يستر اللباس البدن.

المرتبه السّابعه ما أشار إليه بقوله: ثمّ أنشأناه خلقا آخر أى خلقا متباينا للخلق الأوّل باضافه الرّوح إليه مباينا ما أبعدها، و ذلك بعد تمام ثلاثه أربعين أى كمال أربعه أشهر فكان حيوانا بعد ما كان جمادا، و حيّا بعد ما كان ميتا، و ناطقا و كان أبكم، و سميعا و كان أصم، و بصيرا و كان أعمى، و أودع باطنه و ظاهره بل كلّ عضو من أعضائه عجائب صنعته و بدائع حكّمته التّى لا يحيط بها وصف الواصفين و لا شرح الشّارحين، فتبارك الله أحسن الخالقين هذا.

و روى الصّيدوق (ره) فى الفقيه عن محمّد بن علىّ الكوفىّ، عن إسماعيل بن مهران، عن مرّازم، عن جابر بن يزيد، عن جابر بن عبد الله الأنصارى قال: قال رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلم: إذا وقع الولد فى جوف أمّه صار وجهه قبل ظهر أمّه إن كان ذكرا و إن كان انثى صار وجهها قبل بطن أمّها و يدها على و جنتيه و ذقنه على ركبتيه كهيئه الحزين المهموم، فهو كالمصرور منوط بعماء من سرّته إلى سرّته أمّه، فبتلك السرّه يغتذى من طعام أمّه و شرابها إلى الوقت المقدّر لولادته، فيبعث الله عزّ و جلّ ملكا إليه فيكتب على جبهته: شقى أو سعيد، مؤمن أو كافر غنى أو فقير، و يكتب أجله و رزقه و سقمه و صحّته.

فاذا انقطع الرّزق المقدّر له من سرّته أمّه زجره الملك زجره فانقلب فزعا من الرّجره و صار رأسه قبل الفرج، فاذا وقع إلى الأرض وقع إلى هول عظيم و عذاب أليم إن أصابته ريح أو مشقه أو مسّته يد وجد لذلك من الألم ما يجد المسلوخ عنه جلده.

يجوع فلا يقدر على الاستطعام، و يعطش فلا يقدر على الاستسقاء، و يتوجّع فلا يقدر على الاستغائه، فيوكّل الله تبارك و تعالى برحمته و الشّفقه عليه و المحبّه له أمّه فتقيه الحرّ و البرد بنفسها، و تكاد تفديه بروحها، و تصير من التّعطف عليه

بحال لا تبالى أن تجوع إذا شبع و تعطش إذا روى، و تعرى إذا كسى.

و جعل الله تعالى ذكره رزقه فى ثدى أمه فى إحداهما شرابه و فى الاخرى طعامه، حتى إذا رضع أتاها الله عزّ و جلّ فى كلّ يوم بما قدر له فيه من رزق، فاذا أدرك فهمه الأهل و المال و الشّره و الحرص، ثمّ هو مع ذلك معرض الآفات و العاهات و البليات من كلّ وجه، و الملائكه ترشده و تهديه، و الشّياطين تضلّه و تغويه، فهو هالك إلا أن ينجيه الله عزّ و جلّ، و قد ذكر الله تعالى ذكره نسبة الانسان فى محكم كتابه فقال عزّ و جلّ:

«وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ ثُمَّ إِنَّكُمْ بَعِيدٌ ذَلِكَ لَمَعْنُونَ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تُبْعَثُونَ» قال جابر بن عبد الله الأنصارى: فقلت: يا رسول الله هذه حالنا فكيف حالك و حال الأوصياء بعدك فى الولاده؟ فسكت رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلم ملياً ثمّ قال: يا جابر لقد سألت عن أمر جسيم لا يحتمله إلا ذو حظ عظيم، إنّ الأنبياء و الأوصياء مخلوقون من نور عظمه الله عزّ و جلّ ثناؤه يودع الله أنوارهم أصلاباً طيبه و أرحاماً طاهره يحفظها بملائكته و يربّيها بحكمته و يغذوها بعلمه، فأمرهم يجلّ عن أن يوصف، و أحوالهم تدقّ عن أن تعلم، لأنّهم نجوم الله فى أرضه، و أعلامه فى بريّته، و خلفاؤه على عبادته، و أنواره فى بلاده، و حججه على خلقه، يا جابر هذا من مكنون العلم و مخزونه فاكتمه إلا من أهله.

و فى توحيد المفضّل عن الصّادق عليه السّلام قال. و سنبتدئ يا مفضّل بذكر خلق الانسان فاعتبر به، فأول ذلك ما يدبر به الجنين فى الرّحم و هو محجوب فى ظلمات ثلاث: ظلمه البطن، و ظلمه الرّحم، و ظلمه المشيمه، حيث لا حيله عنده

فى طلب غذاء و لا دفع أذى و لا استجلاب منفعه و لا دفع مضره، فإنه يجرى إليه من دم الحيض ما يغذوه كما يغذو الماء النبات فلا يزال ذلك غذاه.

حتى إذا كمل خلقه و استحکم بدنه و قوى اديمه على مباشرة الهواء و بصره على ملاقات الضياء هاج الطلق بأمه فزعجه أشد إزعاج و أعنفه حتى يولد، فاذا ولد صرف ذلك الدم الذى كان يغذوه من دم أمه إلى ثديها، فانقلب الطعم و اللون إلى ضرب آخر من الغذاء، و هو أشد موافقه للمولود من الدم فيوافيه فى وقت حاجته إليه فحين يولد قد تلمط و حرّك شفّيته طلباً للرّضاع فهو يحدى ثدى أمه كالادواتين المعلقتين لحاجته، فلا يزال يعتدى باللبن ما دام رطب البدن رقيق الأمعاء لئلا الأعضاء.

حتى إذا تحرّك و احتاج إلى غذاء فيه صلابه ليشتدّ و يستوى بدنه و طلعت له الطواحين «من الاسنان خ» و الأضراس ليمضغ به الطعام فيلين عليه و يسهل له إساغته فلا يزال كذلك حتى يدرك، فاذا أدرك و كان ذكراً طلع الشعر فى وجهه فكان ذلك علامه الذكر و عزّ الرجل الذى يخرج به عن حدّ الصّبا و شبه النساء و إن كانت انثى يبقى وجهها نقياً من الشعر لتبقى لها البهجة و التّضاره التى تحرّك الرجال لما فيه دوام النّسل و بقاؤه، الحديث.

الثانى

فى تحقيق السؤال فى القبر و ذكر شبهه المنكرين له و دفعها

اعلم أنّ كلام الامام عليه السّلام فى هذا الفصل صريح فى ثبوت السؤال فى القبر و هو حقّ يجب الايمان و الاذعان به، و عليه قد انعقد إجماع المسلمين بل هو من ضروريات الدّين، و منكره كافر خالد فى الجحيم لا يفتّر عنه العذاب الأليم، و لم يخالف فيه إلاّ بعض من انتسب إلى الاسلام كضرار بن عمر و طايفه من المعتزله و جمع من الملاحده مموّهين على العوام الذين يصغون إلى كلّ ناعق بأنّ الميت بعد وضعه فى قبره إن حشى فمه بالجصّ و نحوه و دفن ثمّ يؤتى إليه فى اليوم الآخر

و ينبش قبره فأنك تراه على حاله لم يتغير فلو كان في القبر سؤال و حساب لتغيرت حالته و لا نفتح فمه و سقط الجص، و أيضا فانا لا نسمع عذابه في القبر مع شدته و صعوبته.

و فساد ذلك الكلام غنى عن البيان، لأن هذه العين و الأذن لا تصلحان لمشاهدة الأمور الملكوتية و سماعها، و كل ما يتعلق بالآخره فهو من عالم الملكوت.

ألا ترى أن الصيحابه كانوا يجلسون عند النبي صلى الله عليه و آله و سلم حين نزول جبرئيل عليه و هو يراه و يتكلم معه في حضورهم و الناس لا يرونه و لا يسمعون كلامه؟ و كذلك ملكا القبر لا يمكن للناس أن يدركوا سؤالهما و جواب الميت لهما بهذه الحواس، و كذلك الحيات و العقارب في القبر ليس من جنس الحيات و العقارب في هذا العالم حتى تدرك بالحس.

و يوضح ذلك أن النائم بحضور الجالسين قد يشاهد في نومه الحيات و العقارب و ساير المولمات و الموزيات تؤلمه و تؤذيه و تلدغه فيتألم و يتأذى بحيث يرشح جبينه و يعرق و يبكي في نومه من شدة الألم و الأذى و مع ذلك كله فلا يرى الحاضرون مما يرى و يسمع شيئا.

و بالجملة فلا يعتد بهذه الترهات و التمويهات، و المنكر قد وجد جزاء إنكاره و هو الآن في قبره مقر بما أنكر مدعن بما كفر مدرك لما أنكره بالسمع و البصر، و الحمد لله الذي من علينا بالايان بالغيب، و خلص قلوبنا من الشك و الريب.

قال الصادق عليه السلام في روايه الصدوق: ليس من شيعتنا من أنكر ثلاثه:

المعراج، و سؤال القبر، و الشفاعه.

و في كتاب السيماء و العالم للمحدث المجلسي عن الكافي عن بعض أصحابه عن علي بن العباس عن الحسن بن عبد الرحمن عن أبي الحسن الأول قال: إن الأحلام لم تكن فيما مضى في أول الخلق و إنما حدثت، فقلت: و ما العله في ذلك؟

فقال عليه السّلام: إنّ الله عزّ ذكره بعث رسولا إلى أهل زمانه فدعاهم إلى عباده الله و طاعته سبحانه فقالوا: إن فعلنا ذلك فما لنا فو الله ما أنت باكثرنا مالا و لا بأعزّنا عشيره قال لهم: إنّكم إن أطعتموني أدخلكم الله الجنّه، و إن عصيتموني أدخلكم الله النار، فقالوا: و ما الجنّه و ما النار؟ فوصف لهم ذلك، فقالوا: متى نصير إلى ذلك؟ فقال: إذا متم، فقالوا: لقد رأينا أمواتنا صاروا عظاما و رفاتا فازدادوا له تكديبا و به استخفافا، فأحدث الله عزّ و جلّ فيهم الأحلام فأتوا فأخبروه بما رأوا و ما أنكروا من ذلك، فقال لهم: إنّ الله سبحانه أراد أن يحتجّ عليكم بهذا، هكذا تكون أرواحكم إذا متم و إن بليت أبدانكم تصيرا لأرواح إلى عقاب حتّى تبعث الأبدان، هذا.

و بقى الكلام فى عموم سؤال القبر قال العلامة المجلسى (ره) المشهور بين متكلمى الاماميه عدم عمومه و اختصاصه بمحض المؤمن و محض الكافر و أنّه ليس على المستضعفين و لا- على الصّبيان و المجانين سؤال، و حكى عن الشّهيد (ره) أنّه قال: إنّ السؤال حقّ اجماعا إلّا فى من يلقن حجّته.

أقول: و يدلّ على ذلك و على اختصاصه بالمؤمن و الكافر المحض الأخبار المتظافره فى الكافى و غيره و سيجىء بعضها فى ضمن الأخبار الآتية.

الثالث

فى حالات الميت حين اشرف على الموت و حين ازهاق روحه و عند الغسل

و التكفين و حمله على سريره و اذا وضع فى قبره و كيفية السؤال فى القبر

و ضغطه القبر و بعض عقوباته فى البرزخ و مثوباته

و نحن نشرح كلّ ذلك بما وصل إلينا فى ذلك الباب من الأخبار المرويّه عن أئمتنا الأطياب الأطهار سلام الله عليهم ما تعاقب الليل و النهار، فأقول:

أما حاله الاحتضار

و أعنى بها حاله إشراف الميت على الموت فهى حاله يلهو المرء فيها بكليته

عن الدُّنْيَا وَ يَكُونُ تَوَجُّهُهُ إِلَى الْآخِرَةِ، وَ يَحْضُرُ حِينَئِذٍ عِنْدَهُ رَسُولُ اللَّهِ وَ الْأَيْمَةُ سَلَامُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ وَ الْمَلَائِكَةُ الْمُوَكَّلُونَ بِقَبْضِ رُوحِهِ كَمَا يَحْضُرُ عِنْدَهُ أَهْلُهُ وَ عِيَالُهُ وَ أَحْبَابُهُ وَ أَقْرَبَاؤُهُ فَتَارَهُ يَكُونُ مُخَاطَبَتُهُ مَعَ الْأَوَّلِينَ وَ أُخْرَى مَعَ الْآخِرِينَ.

رَوَى عَلِيُّ بْنُ إِبْرَاهِيمَ الْقَمِّيُّ فِي تَفْسِيرِ قَوْلِهِ:

«يُبَيِّنُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَ فِي الْآخِرَةِ وَ يُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ» بِاسْنَادِهِ عَنْ سُوَيْدِ بْنِ الْغَفَلَةِ عَنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ: إِنَّ ابْنَ آدَمَ إِذَا كَانَ فِي آخِرِ يَوْمٍ مِنَ الدُّنْيَا وَ أَوَّلِ يَوْمٍ مِنَ الْآخِرَةِ مِثْلَ لَهْ أَهْلِهِ وَ مَالِهِ وَ وَلَدِهِ وَ عَمَلِهِ، فَيَنْظُرُ إِلَى مَالِهِ فَيَقُولُ: وَ اللَّهُ إِنِّي كُنْتُ عَلَيْكَ لِحَرِيصًا شَحِيحًا فَمَاذَا عِنْدَكَ؟ فَيَقُولُ: خَذْ مِنِّي كَفَنَكَ، ثُمَّ يَلْتَفِتُ إِلَى وَلَدِهِ فَيَقُولُ: وَ اللَّهُ إِنِّي كُنْتُ لَكُمْ لِمَحَبًّا وَ إِنِّي كُنْتُ عَلَيْكُمْ لِمَحَامِيًا فَمَاذَا عِنْدَكُمْ؟ فَيَقُولُونَ: نُوَدِّيكَ إِلَى حَفْرَتِكَ وَ نُوَارِيكَ فِيهَا، ثُمَّ يَلْتَفِتُ إِلَى عَمَلِهِ فَيَقُولُ: وَ اللَّهُ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الزَّاهِدِينَ فِيكَ وَ إِنَّكَ كُنْتَ عَلَيَّ ثَقِيلًا فَمَاذَا عِنْدَكَ؟ فَيَقُولُ: أَنَا قَرِينُكَ فِي قَبْرِكَ وَ يَوْمَ حَشْرِكَ حَتَّى أَعْرَضَ أَنَا وَ أَنْتَ عَلَى رَبِّكَ.

فَإِنْ كَانَ لِلَّهِ وَلِيًّا أَتَاهُ أَطِيبُ النَّاسِ رِيحًا وَ أَحْسَنُهُمْ مَنْظَرًا وَ أَزِينَهُمْ رِيَاشًا فَيَقُولُ:

ابْشُرْ بِرُوحٍ مِنَ اللَّهِ وَ رِيحَانٍ وَ جَنَّةِ النَّعِيمِ قَدْ قَدِمْتَ خَيْرَ مَقْدَمٍ فَيَقُولُ: مَنْ أَنْتَ؟ قَالَ: أَنَا عَمَلُكَ الصَّالِحُ ارْتَحَلَ مِنَ الدُّنْيَا إِلَى الْجَنَّةِ وَ أَنَّهُ لَيَعْرِفُ غَاسِلَهُ وَ يَنَاشِدُ حَامِلَهُ أَنْ يَعْجَلَهُ.

فَإِذَا ادْخَلَ قَبْرَهُ أَتَاهُ مَلِكَانِ وَ هُمَا فَتَانِ الْقَبْرِ يَجْرَانِ أَشْعَارَهُمَا وَ يَبْحَثَانِ الْأَرْضَ بِأَنْبِابِهِمَا وَ أَصْوَاتُهُمَا كَالرَّعْدِ الْقَاصِفِ وَ أَبْصَارُهُمَا كَالْبُرْقِ الْخَاطِفِ فَيَقُولَانِ لَهُ:

مَنْ رَبُّكَ، وَ مَنْ نَبِيِّكَ وَ مَا دِينُكَ؟ فَيَقُولُ: اللَّهُ رَبِّي وَ مُحَمَّدٌ نَبِيُّي وَ الْإِسْلَامُ دِينِي فَيَقُولَانِ لَهُ: ثَبَّتَكَ اللَّهُ بِمَا تَحَبَّ وَ تَرْضَى وَ هُوَ قَوْلُ اللَّهِ:

«يُبَيِّنُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ» الْآيَةَ

يفسحان له في قبره مدّ بصره و يفتحان له بابا إلى الجنّة و يقولان له:

نم قرير العين نوم الشّابّ النّاعم، و هو قوله:

«أَصْحَابُ الْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُّسْتَقَرًّا وَ أَحْسَنُ مَقِيلًا» و إذا كان لرّبّه عدوّا فأنّه يأتيه أقبح من خلق الله رياشا و أنتنه ريحا فيقول:

من أنت؟ فيقول: عملك فيقول: ابشر بنزل من حميم و تصليه جحيم، و أنّه ليعرف غاسله و يناشد حامله أن يحبسه.

فاذا ادخل قبره أتياه ممتحنا القبر فألقيا أكفانه ثمّ قالاه: من ربّك، و من نبيك، و ما دينك؟ فيقول: لا أدري، فيقولان: لا دريت و لا هديت، فيضربانه بمرزبه ضربه ما خلق الله دابّه إلّا و تدعر لها ما خلا الثّقلين، ثمّ يفتحان له بابا إلى النّار، ثمّ يقولان له: نم بشرّ حال.

فهو من الضيق مثل ما فيه القنا(1) من الزّج حتّى أنّ دماغه يخرج من ما بين ظفره و لحمه، و يسلّط الله عليه حيّات الأرض و عقاربها و هوامها فتتهشه حتّى يبعث الله من قبره. و أنّه ليتمنّى قيام السّاعه ممّا هو فيه من الشّر.

و رواه في الكافي عن عليّ بن إبراهيم مسندا عن سويد بن غفله عنه عليه السّلام مثله.

و في الكافي عن أبي اليقظان عمّار الأسدي عن أبي عبد الله عليه السّلام قال: قال رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم: لو أنّ مؤمنا أقسم على ربّه أن لا يميته ما أماته أبدا، و لكن إذا كان ذلك أو إذا حضر أجله بعثه الله عزّ و جلّ إليه ريحين: ريحا يقال لها المنسيه و ريحا يقال المسخيه، فأما المنسيه فأنّها تنسيه أهله و ماله، و أمّا المسخيه فأنّها تسخى نفسه عن الدّنيا حتّى يختار ما عند الله.

و عن أبي خديجه عن أبي عبد الله عليه السّلام قال: ما من أحد يحضره الموت إلّا و كلّ به إبليس من شياطينه من يأمره بالكفر و يشكّكه في دينه حتّى يخرج نفسه، فمن كان مؤمنا لم يقدر عليه فاذا حضرتم موتاكم فلقّنوهم شهاده أن لا إله

ص: ٤٤

١- (١) القنا جمع قناه و هو الرمح و الزج بالضّم حديده في أسفل الرمح منه.

إِلَّا اللَّهَ وَ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولَ اللَّهِ حَتَّى يَمُوتَ.

و فى روايه اخرى قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آله: فَلَقَنَهُ كَلِمَاتِ الْفَرَجِ وَ الشَّهَادَتَيْنِ وَ يَسْمَى لَهُ الْاِقْرَارُ بِالْأَثْمَةِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ وَاحِدًا بَعْدَ وَاحِدٍ حَتَّى يَنْقَطِعَ عَنْهُ الْكَلَامُ.

و عن سدير قال: قلت لأبى عبد الله عليه السَّلام: جعلت فداك يا بن رسول الله هل يكره المؤمن على قبض روحه؟ قال عليه السَّلام: لا و الله إنَّه إذا أتاه ملك الموت لقبض روحه جزع عند ذلك فيقول له ملك الموت: يا ولئى الله لا تجزع فو الذى بعث محمداً صلى الله عليه و آله لأننا أبرّ بك و أشفق عليك من والد رحيم لو حضرك، افتح عينيك فانظر قال: و يمثّل له رسول الله صلى الله عليه و آله و أمير المؤمنين و فاطمه و الحسن و الحسين و الأئمة من ذريتهم عليهم السَّلام فيقال له: هذا رسول الله و أمير المؤمنين و فاطمه و الحسن و الحسين و الأئمة عليهم السَّلام فيقال له: هذا رسول الله و أمير المؤمنين و فاطمه و الحسن و الحسين و الأئمة عليهم السَّلام رفقاؤك، قال: فيفتح عينيه فينادى روحه مناد من قبل ربّ العزّه فيقول:

« يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ » إِلَى مُحَمَّدٍ وَ أَهْلِ بَيْتِهِ « ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً » بِالْوَلَايَةِ « مَرْضِيَةً » بِالثَّوَابِ « فَادْخُلِي فِي عِبَادِي » يَعْنِي مُحَمَّدًا وَ أَهْلَ بَيْتِهِ « وَ ادْخُلِي جَنَّتِي » فَمَا شِئَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ اسْتِلَالِ رُوحِهِ.

و عن عليّ بن عقبه عن أبيه قال: قال لى أبو عبد الله عليه السَّلام: يا عقبه لا يقبل الله من العباد يوم القيامة إلا هذا الأمر الذى أنتم عليه، و ما بين أحدكم و بين أن يرى ما يقربه عينه إلا أن تبلغ نفسه إلى هذه، ثم أهوى بيده إلى الوريد، ثم أتكى.

و كان معى المعلّى فغمزنى أن أسأله فقلت: يا بن رسول الله فإذا بلغت نفسه هذه أى شىء يرى؟ فقلت له بضعه عشر مرّه: أى شىء يرى، فقال فى كلّها: يرى، لا يزيد عليها، ثم جلس فى آخرها فقال: يا عقبه، فقلت: ليبيك و سعديك، فقال:

أبيت إلا أن تعلم؟ فقلت: نعم يا بن رسول الله إنّما دينى مع دينك فإذا ذهب دينى

كان ذلك كيف لى بك يا بن رسول الله كل ساعه و بكيت، فرق لى فقال: يراهما و الله، فقلت: بأبى و أمى من هما؟ قال: ذلك رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم و على عليه السلام يا عقبه لن تموت نفس مؤمنه أبدا حتى تراهما قلت: فاذا نظر إليهما المؤمن أ يرجع إلى الدنيا؟ فقال: لا، يمضى أمامه اذا نظر اليهما مضى أمامه فقلت له: يقولان شيئا؟ قال: نعم يدخلان جميعا على المؤمن، فيجلس رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم عند رأسه و على عليه السلام عند رجليه فيكب عليه رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم فيقول: يا ولئى الله ابشر أنا رسول الله إئنى «أناخ» خير لك ممّا تركت من الدنيا.

ثم ينهض رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم فيقوم على عليه السلام حتى يكب عليه فيقول: يا ولئى الله ابشر أنا على بن أبى طالب الذى كنت تحب أنا لأنفعنك، ثم قال عليه السلام: إن هذا فى كتاب الله عزّ و جل، فقلت: أين جعلنى الله فداك هذا من كتاب الله؟ قال: فى يونس قول الله عزّ و جل ههنا:

«الَّذِينَ آمَنُوا وَ كَانُوا يَتَّقُونَ لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَ فِي الْآخِرَةِ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ» و عن أبى بصير قال: قال أبو عبد الله عليه السلام إذا حيل بينه و بين الكلام أتاه رسول الله و من شاء الله فجلس رسول الله عن يمينه و الآخر عن يساره فيقول له رسول الله صلى الله عليه و آله:

أما ما كنت ترجو فهو ذا أمامك، و أما ما كنت تخاف منه فقد أمنت منه.

ثم يفتح له باب إلى الجنة فيقول هذا منزلك من الجنة فان شئت رددناك إلى الدنيا و لك فيها ذهب و فضه، فيقول: لا حاجه لى فى الدنيا فعند ذلك يبيض لونه و يرشح جبينه و تقلص شفتاه و تنتشر منخراه و تدمع عينه اليسرى فأى هذه العلامات رأيت فاكتف بها، فاذا خرجت النفس من الجسد فيعرض عليها كما عرض عليه و هى فى الجسد فتختار الآخرة الحديث.

أقول: و الأخبار فى رؤيه النبى و الأئمة صلوات الله عليه و عليهم كثيره كادت

تبلغ حدّ التواتر، و يأتي بعضها بعد ذلك، و بتلك الأخبار يطيب نفوسنا و يسكن قلوبنا إلى الموت، و بها أيضا يعلم أنّ كراهه المؤمن للموت على ما في الحديث القدسي من قول الله سبحانه: ما ترددت في شيء أنا فاعله كترددى في قبض روح عبدى المؤمن يكره الموت و أكره مسأته إنّما هي قبل الاستبشار برؤيتهم عليهم السّلام، و أمّا بعد معاينتهم فليس شيء أحبّ إليه من الموت كما عرفت في الروايات.

و يدلّ عليه صريحا ما في الكافي عن عبد الصّمد بن بشير عن بعض أصحابه عن أبى عبد الله عليه السّلام قال: قلت: أصلحك الله من أحبّ لقاء الله أحبّ الله لقاءه؟ و من أبغض لقاء الله أبغض الله لقاءه! قال عليه السّلام: نعم، قلت: فو الله إنّنا لنكره الموت، فقال عليه السّلام: ليس ذلك حيث تذهب إنّما ذلك عند المعاينة إذا رأى ما يحبّ فليس شيء أحبّ إليه من أن يتقدّم و الله تعالى يحبّ لقاءه و هو يحبّ لقاء الله حينئذ و إذا رأى ما يكره فليس شيء أبغض إليه من لقاء الله و الله يبغض لقاءه.

و فيه عن يحيى بن سابور قال: سمعت أبا عبد الله عليه السّلام يقول: فى الميّت تدمع عيناه عند الموت فقال عليه السّلام: ذلك عند معاينته رسول الله صلّى الله عليه و آله فيرى ما يسره، ثمّ قال عليه السّلام: أما ترى الرّجل يرى ما يسره و ما يحبّ فتدمع عينه لذلك و يضحك.

و أما صفه ملك الموت و كيفية قبض الروح

فروى السيّد السّند السيّد نعمه الله الجزائري أنّ الخليل عليه السّلام قال لملك الموت يوما: يا ملك الموت احبّ أن أراك على الصّوره التي تقبض فيها روح المؤمن، فقال:

يا إبراهيم اعرض عنّي بوجهك حتّى أتصوّر على تلك الصّوره، فلمّا رآه إبراهيم عليه السّلام رأى صورته شابّ حسن الوجه أبيض اللون تعلوه الأنوار فى أحسن ما يتخيّل من الهيئه فقال: يا إبراهيم فى هذه الصّوره اقبض روح المؤمن فقال عليه السّلام: يا ملك الموت لو لم يلق المؤمن إلّا لقاءك لكفاه راحه.

ثمّ قال عليه السّلام: اريد أن أراك على الصّفه التي تقبض فيها روح الكافر، فقال:

يا إبراهيم لا تقدر، فقال: أحبّ ذلك، فقال: أعرض بوجهك فأعرض بوجهه ثم قال: انظر فنظر إليه فاذا هو أسود كالليل المظلم وقامته كالنخل الطويل والنار والدخان يخرجان من منخريه وفمه إلى عنان السماء.

فلما نظر إليه غشى على إبراهيم عليه السّلام فرجع ملك الموت إلى حالته فلما أفاق الخليل عليه السّلام قال: يا ملك الموت لو لم يكن للكافر هول من الموت إلا رؤيتك لكفاه عن ساير الأهوال.

فاذا أتى إلى المؤمن سلّ روحه سلّاً رقيقاً لطيفاً حتّى أنّه يحصل له الرّاحة من ذلك السّلّ لما يشاهده من مكانه في الجنّة وإن كان كافراً أتى إليه بحديده محمّيه بنار جهنّم فأدخلها في حلقومه وجذب روحه بها يخيل إليه أنّ أطباق السماوات والأرض قد وقعت عليه وطبقته حتّى يخرج زبده على فمه كالبعير.

أقول: ويدلّ عليه ما في الكافي عن ابن الفضيل عن أبي حمزه قال: سمعت أبا جعفر عليه السّلام يقول: إنّ آية المؤمن إذا حضره الموت بياض وجهه أشدّ من بياض لونه ويرشح جبينه ويسيل من عينيه كهيئه الدّموع فيكون ذلك خروج نفسه، وإنّ الكافر يخرج نفسه سلّاً من شدقه (١) كزبد البعير أو كما يخرج نفس البعير.

وفيه باسناده عن عمّار بن مروان قال: حدّثني من سمع أبا عبد الله عليه السّلام يقول: منكم والله يقبل، ولكم والله يغفر إنّه ليس بين أحدكم وبين أن يغتبط ويرى السرور وقرة العين إلا أن تبلغ نفسه ههنا وأومى بيده إلى حلقه.

ثمّ قال عليه السّلام: إنّه إذا كان ذلك واحتضر حضره رسول الله صلّى الله عليه وآله وعليّ عليه السّلام وجبرئيل وملك الموت فيدنو منه عليّ عليه السّلام فيقول: يا رسول الله إنّ هذا كان يحبنا أهل البيت فأحبّه، ويقول رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلم: يا جبرئيل إنّ هذا يحبّ الله ورسوله وأهل بيت رسوله فأحبّه، ويقول جبرئيل عليه السّلام: يا ملك الموت إنّ هذا

ص: ٤٨

يحبّ الله و رسوله و أهل بيت رسوله فأحبّه و ارفق به.

فيدنو منه ملك الموت فيقول: يا عبد الله أخذت فكاك رقتك أخذت أمان براتك تمسكت بالعصمه الكبرى في الحياه الدنيا؟ قال: فيوفقه الله عزّ و جلّ فيقول: نعم، فيقول: و ما ذاك؟ فيقول: ولايه عليّ بن أبي طالب عليه السلام فيقول:

صدقت أما الذي كنت تحذره فقد آمنك الله منه، و أما الذي كنت ترجوه فقد أدركته ابشر بالسّلف الصّالح مرافقه رسول الله صلّى الله عليه و آله و عليّ و فاطمه عليهم السلام.

ثمّ يسأل نفسه سلاً رفيقاً، ثمّ ينزل بكفنه من الجنّه و حنوطه من الجنّه بمسك أذفر فيكفن بذلك الكفن و يحنط بذلك الحنوط، ثمّ يكسى حلّه صفراء من حلل الجنّه.

فاذا وضع في قبره فتح له باب من أبواب الجنّه يدخل عليه من روحها و ريحانها، ثمّ يفتح له عن أمامه مسيره شهر و عن يمينه و عن يساره، ثمّ يقال له:

نم نومه العروس على فراشها ابشر بروح و ريحان و جنّه نعيم و ربّ غير غضبان.

ثمّ يزور آل محمّد سلام الله عليهم في جنان رضوى فيأكل معهم من طعامهم، و يشرب معهم من شرابهم، و يتحدّث معهم في مجالسهم حتّى يقوم قائمنا فاذا قام قائمنا بعثهم الله تعالى فأقبلوا معه يلبنون زمرا زمرا و عند ذلك يرتاب المبطلون و يضمحلّ المحلّون و قليل ما يكونون هلكت المحاضرون و نجا المقرّون. «بون خ» من أجل ذلك قال رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم لعليّ عليه السلام أنت أخي و معاد ما بيني و بينك و ادى السلام.

قال عليه السّلام و إذا احتضر الكافر حضره رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم و عليّ عليه السّلام و جبرئيل و ملك الموت فيدنو منه عليّ عليه السّلام فيقول: يا رسول الله إنّ هذا كان يبغضنا أهل البيت فأبغضه و يقول رسول الله صلّى الله عليه و آله: يا جبرئيل إنّ هذا كان يبغض الله و رسوله و أهل بيت رسوله فأبغضه، فيقول جبرئيل عليه السّلام: يا ملك الموت إنّ هذا كان يبغض الله و رسوله و أهل بيت رسوله فأبغضه و اعنف عليه.

فيدنو منه ملك الموت فيقول: يا عبد الله أخذت فكاك رهانك و أمان براتك

تميّكت بالعصمه الكبرى في الحياه الدنّيا؟ فيقول: لا، فيقول: ابشر يا عدوّ الله بسخط الله عزّ وجلّ و عذابه و النّار، أمّا الذي كنت تحذر فقد نزل بك.

ثمّ يسأل نفسه سلا عنيفا ثمّ يوكل بروحه ثلاثمأه شيطان كلّهم ييزق في وجهه و يتأذى بروحه فاذا وضع في قبره فتح له باب من أبواب النّار فيدخل عليه من فيحها و لهبها.

و عن الهيثم بن واقد عن رجل عن أبي عبد الله عليه السّلام قال: دخل رسول الله صلّى الله عليه و آله على رجل من أصحابه و هو يجود بنفسه فقال صلّى الله عليه و آله و سلم: يا ملك الموت أرفق بصاحبي فأنه مؤمن، فقال: ابشر يا محمّد فأنّي بكلّ مؤمن رقيق.

و اعلم يا محمّد أنّي اقبض روح ابن آدم فيجزع أهله فأقوم في ناحيه من دارهم فأقول ما هذا الجزع فو الله ما تعجلناه قبل أجله و ما كان لنا في قبضه من ذنب فان تحتسبوه و تصبروا توجروا، و إن تجزعوا تأثموا و توزروا، و اعلموا أنّ لنا فيكم عوده ثمّ عوده فالحذر ثمّ الحذر إنّه ليس في شرقها و لا في غربها أهل بيت مدر و لا وبر إلاّ و أنا أتصفّحهم في كلّ يوم خمس مرّات و لأننا أعلم بصغيرهم و كبيرهم منهم بأنفسهم و لو أردت قبض روح بعوضه ما قدرت عليها حتّى يأمرني ربّي بها.

فقال رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلم: إنّما يتصفّحهم في مواقيت الصّلاه فان كان ممّن يواظب عليها عند مواقيتها لقنه شهاده أن لا إله إلاّ الله و نحى عنه ملك الموت إبليس.

و عن السّكوني عن أبي عبد الله عليه السّلام قال: إنّ الميّت إذا حضره الموت أو ثقه ملك الموت و لو لا ذلك ما استقرّ.

و أما التّغسيل و التّكفين

فقد ورد في الرّوايات أن الرّوح بعد خروجه من الجسد يكون مطلاً على الجسد و أنّه ليرى ما يفعل به.

و في روايه اصبح بن نباته أنّه يناشد الغاسل و يقول له عند تغسيله: بالله عليك يا عبد الله رفقا بالبدن الضّعيف فو الله ما خرجت من عرق إلاّ انقطع، و لا من عضو إلاّ انصدع، فو الله لو سمع الغاسل ذلك القول لما غسل ميّتا أبدا.

و فى جامع الأخبار قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: فو الذى نفس محمد بيده لو يرون مكانه و يسمعون كلامه لذهبوا عن مئتهم و لبكوا على نفوسهم حتى إذا حمل الميت على نعشه رفر ف روحه فوق النعش و هو ينادى: يا أهلى و يا ولدى لا تلعبن بكم الدنيا كما لعبت بى، الحديث هذا.

و فى الوسائل فى عدّه روايات الأمر باجاده الأكفان و المغالات فى أثمانها معللاً بأنّ الموتى يبعثون بها و بأنهم يتباهون بأكفانهم.

و فيه أنّ موسى بن جعفر عليهما السلام كفن فى حبره استعملت له بمبلغ خمسمائه دينار عليها القرآن كلّه.

و فيه عن يونس بن يعقوب عن أبى الحسن الأوّل عليه السلام قال: سمعته يقول:

إنّى كفتت أبى فى ثوبين شطويين كان يحرم فيهما و قميص من قمصه و عمامه كانت لعلّى بن الحسين عليهما السلام و فى برد اشتريته بأربعين ديناراً، و لو كان اليوم ساوى أربعمائه دينار.

و أما حالته اذا حمل على سريره

فهو أنّه إن كان مؤمناً خرج روحه يمشى بين يدي القوم قدما و تلقاه أرواح المؤمنين و يبشرونه بما أعدّ الله له جلّ ثناؤه من النعيم.

و إن كان عدوّ الله سبحانه فهو كما ورد فى روايه الكليني عن جابر عن أبى جعفر عليه السلام عن جابر بن عبد الله قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: إذا حمل عدوّ الله إلى قبره نادى حملته ألا تسمعون يا اخوتاه إنّى أشكو إليكم ما وقع فيه أخوكم الشقى إنّ عدوّ الله خدعنى فأوردنى ثمّ لم يصدرنى و أقسم لى أنّه ناصح لى فغشنى و أشكو إليكم دنيا غرتنى حتى إذا اطمأنتت إليها صرعتنى، و أشكو إليكم أخلاء الهوى منونى ثمّ تبرؤوا منى و خذلونى، و أشكو إليكم أولادا حميت عنهم و آثرتهم على نفسى فأكلوا مالى و أسلمونى.

و أشكو إليكم ما لا ضيعة فيه حقّ الله سبحانه فكان و باله على و كان نفعه لغيرى، و أشكو إليكم داراً أنفقت عليها حربيتى (1) و صار سكانها غيرى

ص: ٥١

أشكو إليكم طول الثواء في قبري ينادى أنا بيت الدود و أنا بيت الظلمه و الوحشه و الضيق.

يا اخوتاه فاحبسونى ما استطعتم و احذروا مثل ما لقيت فأتى قد بشرت بالنار و بالذلل و الصغار و غضب العزيز الجبار، و احسرتاه على ما فزطت فى جنب الله و يا طول عولناه فمالى من شفيع يطاع و لا صديق يرحمنى فلو أنّ لى كره فأكون من المؤمنين.

و فى روايه إنّ أبى جعفر عليه السلام كان يبكى إذا ذكر هذا الحديث.

ثمّ إنّّه إذا أتيت بالميت إلى شفير قبره فأمهله ساعه فأنه يأخذ اهتبه للسؤال كما وردت روايه أبى الحسن موسى عليه السلام.

و إذا حضر المؤمنون للصلاه عليه و شهدوا له بالخير و الصلاح فقد ورد فى الخبر أنّ الله سبحانه يجزى شهادتهم و يكتبه عنده من الأختيار و إن كان فى علمه عزّ و جلّ من الأشرار.

قال الصادق عليه السلام: إذا حضر الميت أربعون رجلا فقالوا: اللهم إنا لا نعلم منه إلاّ خيرا، قال الله تعالى: قد قبلت شهادتكم له و غفرت له ما علمت ممّا لا تعلمون.

قال السيد الجزيرى فى الأنوار التعمائيه روى الشيخ الكلينى قدس الله روحه باسناده إلى الامام أبى عبد الله جعفر بن محمد الصادق عليه السلام قال:

كان فى بنى إسرائيل عابد فأوحى الله تعالى إلى داود على نبينا و عليه السلام إنّّه مرأى قال: ثمّ إنّّه مات فلم يشهد جنازته داود، فقام أربعون من بنى إسرائيل فقالوا: اللهم إنا لا نعلم منه إلاّ خيرا و أنت أعلم به ممّا فاغفر له «قال فلما غسل أتى إليه أربعون غير الأربعين و قالوا: اللهم إنا لا نعلم منه إلاّ خيرا فأنت أعلم به ممّا فاغفر له خ ل» قال عليه السلام فأوحى الله إلى داود: ما منعك أن تصلى قال داود: للذى أخبرتنى به، قال: فأوحى الله إليه أنّه قد شهد له قومه فأجزت شهادتهم و غفرت له و عملت ما لم تعلموا.

و اما حاله بعد وضعه في قبره

ففي الحديث إنّ الرّوح يدخل إلى حقويه و يسمع لفظ أيدي القوم من تراب قبره فعند ذلك ينظر يمينا و شمالا فلا يرى إلا ظلمات ثلاث: ظلمه الأرض، و ظلمه العمل، و ظلمه الوحشه فيا لها من داهيه عظيمه و رزيه جسيمه، و أول ملك يدخل عليه يسمّى رومان فتان القبور، و في روايه اصبح بن نباته يسمّى مئبه.

قال السيّد الجزائري رحمه الله: روى عبد الله بن سلام أنّه قال: سألت رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلم عن أول ملك يدخل في القبر على الميت قبل منكر و نكير، فقال رسول الله صلّى الله عليه و آله ملك يتلأأ ووجهه كالشمس اسمه رومان(1) يدخل على الميت ثم يقول له:

اكتب ما عملت من حسنه و من سيئه، فيقول: بأى شيء أكتب؟ أين قلمي و دواتي و مدادى؟ فيقول له: ريقك مدادك و قلمك اصبعك، فيقول: على أى شيء أكتب و ليس معى صحيفه؟ قال: صحيفتك كفنك فاكتبه فيكتب ما عمله في الدنيا خيرا.

فاذا بلغ سيئاته يستحي منه فيقول له الملك: يا خاطي ما تستحي من خالقك حين عملتها في الدنيا و تستحي الآن، فيرفع الملك العمود ليضربه فيقول العبد:

ارفع عنى حتّى أكتبها، فيكتب فيها جميع حسناته و سيئاته ثم يأمره أن يطوى و يختم فيقول له: بأى شيء اختمه و ليس معى خاتم؟ فيقول له: اختمه بظفرك و علقه في عنقك إلى يوم القيامة كما قال تعالى:

«وَكُلَّ إِنسَانٍ أَلزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ وَ نُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَشُورًا» و في روايه اخرى أنّه يأتي إلى الميت فيسمه فان عرف منه خيرا أخبر منكرا و نكيرا حتّى يرفقا به وقت السؤال، و إن عرف منه شرا أخبرهما حتّى يشددا عليه الحال و العذاب.

و أما السؤال عنه

فقد علمت سابقا أنّه من ضروريّات الدين و عليه اتّفاق المسلمين و في

ص: ٥٣

١- (١) رومان في دعاء الصحيفه السجديه بالواو قال السيد عليخان في شرحه هو من الروم بمعنى الطلب، و في هذه الروايه و بعض الروايات الاخر رومان بدون الواو فافهم، منه.

الأخبار الكثيره أنّ لله سبحانه ملكين يسمّى أحدهما منكرا و الآخر نكيرا و كلّ تعالى السؤال إليهما.

و فى بعض الزوايات أنّهما بالتسبه إلى المؤمن مبشّر و بشير، و بالتسبه إلى الكافر منكر و نكير، لأنهما يأتيان إلى المؤمن بصورة حسنه و يبشّرانه بالثواب و التّعيم، و يأتيان إلى الكافر و المخالف بصورة نكره مهيبه و يوعدانه بالعذاب و الجحيم.

روى فى الكافى باسناده عن أبى بصير عن أبى عبد الله عليه السّلام قال: إنّ المؤمن إذا اخرج من بيته شيّعتة الملائكه إلى قبره و يزدهمون عليه حتّى إذا انتهى به إلى قبره قالت له الأرض مرحبا بك و أهلا- أما و الله لقد كنت احبّ أن يمشى علىّ مثلك لترينّ ما أصنع بك فيوسع له مدّ بصره و يدخل عليه ملكا القبر و هما قعيدا القبر منكر و نكير فيلقيان فيه الرّوح إلى حقويه فيقعدانه و يسألانه فيقولان له: من ربّك؟ فيقول: الله تعالى، فيقولان: ما دينك؟ فيقول: الاسلام، فيقولان: و من نبيّك؟ فيقول: محمّد صلّى الله عليه و آله و سلم فيقولان: و من امامك؟ فيقول: فلان، قال: فينادى مناد من السّماء صدق عبدى افرشوا له فى قبره من الجنّه و افتحوا له فى قبره بابا إلى الجنّه و البسوه من ثياب الجنّه حتّى يأتيانا و ما عندنا خير له، ثمّ يقال له: نم نومه عروس نم نومه لا حلم فيها.

قال عليه السّلام: و إن كان كافرا خرجت الملائكه شيّعتة إلى قبره تلعنونه حتّى إذا انتهى به إلى قبره قالت له الأرض: لا مرحبا بك و لا- أهلا- أما و الله لقد كنت أبغض أن يمشى علىّ مثلك لا- جرم لترينّ ما أصنع بك اليوم، فتضيق عليه حتّى تلتقى جوانحه.

قال عليه السّلام: ثمّ يدخل عليه ملكا القبر و هما قعيدا القبر منكر و نكير.

قال أبو بصير: جعلت فداك يدخلان على المؤمن و الكافر فى صورته واحده؟ فقال عليه السّلام: لا.

قال فيقعدانه فيلقيان فيه الروح إلى حقويه فيقولان له: من ربك؟ فيتلجلج (1) و يقول: قد سمعت الناس يقولون، فيقولان له. لا دريت، و يقولان له: ما دينك؟ فيتلجلج فيقولان له: لادريت، و يقولان له من نبيك؟ فيقول: قد سمعت الناس يقولون فيقولان له: لادريت و يسأل عن إمام زمانه.

قال عليه السلام و ينادى مناد من السماء كذب عبدى افرشوا له فى قبره من النار و افتحوا له بابا إلى النار حتى يأتينا و ما عندنا شر له فيضرب بانه بمرزبه ثلاث ضربات ليس منها ضربه إلا- و يتطاير منها قبره نارا لو ضرب بتلك المرزبه جبال تهامه لكانت ريمما.

و قال أبو عبد الله عليه السلام: و يسأل الله عليه فى قبره الحيات تنهشه نهشا و الشيطان يغمه غمًا، قال و يسمع عذابه من خلق الله إلا الجن و الانس، و قال عليه السلام إنه لسمع خفق نعالهم و نفض أيديهم و هو قول الله عز و جل:

«يُبَيِّنُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَ فِي الْآخِرَةِ وَ يُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَ يَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ.»

و عن إبراهيم بن أبي البلاد عن بعض أصحابه عن أبي الحسن موسى عليه السلام قال:

يقال للمؤمن فى قبره: من ربك؟ قال: فيقول: الله، فيقال له: ما دينك؟ فيقول:

الاسلام، فيقال: من نبيك؟ فيقول: محمد صلى الله عليه و آله و سلم، فيقال: من امامك؟ فيقول: فلان فيقال: كيف علمت بذلك؟ فيقول: أمر هدانى الله له و ثبتنى عليه، فيقال له:

نم نومه لا- حلم فيها نومه العروس، ثم يفتح له باب إلى الجنة فيدخل إليه من روحها و ريحانها ليقول: يا رب عجل قيام الساعة لعلنى أرجع إلى أهلى و مالى.

و يقال للكافر: من ربك؟ فيقول: الله، فيقال: من نبيك؟ فيقول: محمد صلى الله عليه و آله و سلم فيقال: ما دينك؟ فيقول: الاسلام، فيقال: من أين علمت ذلك؟ فيقول: سمعت الناس يقولون فقلته، فيضربانه بمرزبه لو اجتمع عليه الثقلان الانس و الجن

لم

ص: ٥٥

قال عليه السّلام فيذوب كما يذوب الرّصاص، ثمّ يعيدان فيه الرّوح فيوضع قلبه بين لوحين من نار فيقول. يا ربّ أحرّ قيام السّاعه و عن جابر قال قال أبو جعفر عليه السّلام: قال النّبىّ صلّى الله عليه وآله وسلم: إنّي كنت أنظر إلى الابل والغنم وأنا أرهاها و ليس من نبىّ إلاّ وقد رعى الغنم، و كنت أنظر إليها قبل النبوّه و هى متمكّنه فى «ممتليه من خ» المكيّنه ما حولها شىء يهيجها حتّى تذعر فتطير فأقول ما هذا و أعجب، حتّى حدّثنى جبرئيل عليه السّلام أنّ الكافر يضرب ضربه ما خلق الله شيئا إلاّ سمعها و يذعر لها إلاّ الثّقيلين فقلنا: ذلك لضربه الكافر، فنعود بالله من عذاب القبر.

و عن بشير الدّهان عن أبى عبد الله عليه السّلام قال: يجرى الملكان منكر و نكير إلى الميّت حين يدفن أصواتهما كالرعد القاصف و أبصارهما كالبرق الخاطف، يخطان الأرض بأنيابهما و يطآن فى شعورهما فيسألان الميّت من ربّك و ما دينك؟ قال عليه السّلام: فاذا كان مؤمنا قال: الله ربّى، و دينى الاسلام، فيقولان له: ما تقول فى هذا الرّجل الذى خرج بين ظهرا نيككم؟ فيقول: أعن محمّد رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلم تسألانى؟ فيقولان: تشهد أنّه رسول الله؟ فيقول: أشهد أنّه رسول الله، فيقولان له: نم نومه لا حلم فيها و يفسح له فى قبره تسعه أذرع و يفتح له باب إلى الجنّه و يرى مقعده فيها و إذا كان الرّجل كافرا دخلا عليه و أقيم الشيطان بين يديه عيناه من نحاس فيقولان له: من ربّك و ما دينك؟ و ما تقول فى هذا الرّجل الذى خرج من بين ظهرا نيككم؟ فيقول: لا أدرى فيخليان بينه و بين الشيطان، فيسلط عليه فى قبره تسعه و تسعين تينا لو أن تينا واحدا منها نفخت فى الأرض ما أنبت شجرا ابداء، و يفتح له بابا إلى النار و يرى مقعده فيها.

و عن محمّد بن أحمد الخراسانى عن أبيه رفعه قال قال أبو عبد الله عليه السّلام يسأل الميّت فى قبره عن خمس، عن صلاته و زكاته و حجّه و صيامه و ولايته إيانا أهل البيت

فتقول الولاية من جانب القبر للأربع: ما دخل فيك من نقص فعليّ تمامه.

و في الوسائل عن جابر بن يزيد عن أبي جعفر عليه السّلام ما على أحدكم إذا دفن ميتته و سوى عليه و انصرف عن قبره أن يتخلف عند قبره ثم يقول: يا فلان بن فلان أنت على العهد الذي عهدناك به من شهادته أن لا إله إلا الله و أنّ محمّدا رسول الله و أنّ عليّ أمير المؤمنين إمامك، و فلان و فلان حتّى يأتى آخرهم، فأنه إذا فعل ذلك قال أحد الملكين لصاحبه: قد كفينا الوصول إليه و مسألنا إياه فأنه قد لئن حجّته فينصرفان عنه و لا يدخلان إليه.

و فيه عن عليّ بن إبراهيم عن أبيه عن بعض أصحابه عن أبي عبد الله عليه السّلام قال: ينبغي أن يتخلف عند قبر الميت أولى الناس به بعد انصراف عنه و يقبض على التراب بكفّيه و يلقنه برفيع صوته، فإذا فعل ذلك كفى الميت المسأله في قبره.

و في الكافي باسناده عن أبي بكر الحضرمي قال: قال أبو عبد الله عليه السّلام: لا يسأل في القبر إلا من محض الايمان محضا أو محض الكفر محضا و الآخرون يلهون عنه.

و نحوه أخبار آخر فيه عنه عليه السّلام، و ظاهر الكلينيّ كالصّيدوق هو الأخذ بظواهر هذه الأخبار لروايتها لها من غير تمرّض لتأويلها، و قد حكى ذلك عن الشيخ البهائي (ره).

و قال الشّهد (ره) في محكيّ كلامه: إنّ هذا الخبر محمول على سؤال خاصّ ليوافق الأخبار العامّه في سؤال القبر و قال السيّد الجزائري رحمه الله و يمكن أن يراد بالملهوّ عنهم الذين وردت الأخبار في شأنهم أنّهم يكلفون يوم القيامة بأن تؤجّج لهم نار فيؤمروا بالدّخول فيها مثل البله و المجانين و من كان في فطرات «فترات ظ» الأنبياء و الشّيوخ الفاني و العجوز الفانيه و نحوهم، و هؤلاء لم يمحصوا الايمان و هو ظاهر، و لم يمحصوا الكفر أيضا لقصورهم عن ورود المورد فييقون على حالتهم في قبورهم حتّى يمنحهم الله سبحانه في القيامة قوه إدراك التكاليف و العقل القابل له.

ففى الكافى باسناده عن سالم عن أبى عبد الله عليه السّلام قال: ما من موضع قبر إلا و هو ينطق كلّ يوم ثلاث مرّات: أنا بيت التراب أنا بيت البلاء أنا بيت الدود، قال عليه السّلام فاذا دخله عبد مؤمن قال: مرحبا و أهلا أما و الله لقد كنت احببك و أنت تمشى على ظهرى فكيف إذا دخلت بطنى فسترى ذلك.

قال عليه السّلام: فيفسح له مدّ البصر و يفتح له باب يرى مقعده من الجنّه، قال عليه السّلام: و يخرج من ذلك رجل لم تر عيناه شيئا قطّ أحسن منه فيقول: يا عبد الله ما رأيت شيئا قطّ أحسن منك فيقول: أنا رأيك الحسن الذى كنت عليه و عملك الصالح الذى كنت تعمله.

قال عليه السّلام: ثمّ تؤخذ روحه فتوضع فى الجنّه حيث رأى منزله، ثمّ يقال له:

نم قرير العين فلا تزال نفحه من الجنّه تصيب جسده و يجد لذتها و طيبها حتى يبعث.

قال عليه السّلام: و إذا دخل الكافر قبره قالت: لا مرحبا بك و لا أهلا أما و الله لقد كنت ابغضك و أنت تمشى على ظهرى فكيف إذا دخلت بطنى سترى ذلك.

قال: فتضمّ عليه فتجعله رميما و يعاد كما كان و يفتح له باب إلى النار فيرى مقعده من النار، ثمّ قال: ثمّ أنّه يخرج منه رجل أقبح من رأى قطّ قال: فيقول يا عبد الله من أنت ما رأيت شيئا أقبح منك، قال: فيقول: أنا عملك السيّء الذى كنت تعمله و رأيك الخبيث.

قال ثمّ تؤخذ روحه فتوضع حيث رأى مقعده من النار، ثمّ لم تزل نفحه من النار تصيب جسده فيجد ألمها و حرّها فى جسده إلى يوم يبعث، و يسلّط الله على روحه تسعه و تسعين تئينا تنهشه ليس فيها تئين ينفخ على ظهر الأرض فتنبت شيئا.

و هذه الضّغطة هى التى ضمنها رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلم لفاطمه بنت أسد أمّ أمير المؤمنين عليه السّلام.

و قد روى أنّه لما حفر لها قبر اضطجع فيه رسول الله صلّى الله عليه و آله فليل له صلّى الله عليه و آله و سلم فى ذلك فقال: إنّى ذكرت ضغطة القبر عندها يوما و ذكرت شدّتها فقالت: و اضعفاه

ليس لى طاقه عليها فقلت لها: إني أضمن لك على الله فاضطجعت فى قبرها لذلك.

و فى الكافى عن أبى بصير قال: قلت: لأبى عبد الله عليه السّلام: أيفلت من ضغطه القبر أحد؟ قال: فقال عليه السّلام: نعوذ بالله منها ما أقلّ من يفلت من ضغطه القبر، إنّ رقيه لَمّا قتلها عثمان وقف رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على قبرها فرفع رأسه إلى السّماء فدمعت عيناه و قال للنّاس: ذكرت هذه و ما لقيت فرقت لها و استوهبتها من ضمّه القبر، قال:

فقال: اللهمّ هب لى رقيه من ضمّه القبر فوهبها الله له.

قال عليه السّلام و إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم خرج فى جنازه سعد و قد شيّعه سبعون ألف ملك فرفع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم رأسه إلى السّماء ثمّ قال: مثل سعد يضمّ؟ قال: قلت جعلت فداك: إنا نحدّث أنّه كان يستخفّ بالبول، فقال عليه السّلام: معاذ الله إنّما كان من زعاره (١) فى خلقه على أهله قال: فقالت أمّ سعد هنيئاً لك يا سعد، قال: فقال لها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: يا أمّ سعد لا تحتمى على الله.

و عن أبى بصير عن أبى عبد الله عليه السّلام قال: يسأل و هو مضغوط.

قال المحدث المجلسى «ره» فى حقّ اليقين: يفهم من الأحاديث المعتبره أنّ ضغطه القبر للبدن الأصىلى و أنّها تابعه للسؤال، فمن لا- سؤال عنه لا- ضغطه له و فيه عن الصّيدوق عن الصّادق عليه السّلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله إنّ ضغطه القبر للمؤمن كفّاره عمّا صدر عنه من تضييع نعم الله سبحانه.

و فى الكافى عن يونس قال: سألته عن المصلوب يعذب عذاب القبر؟ قال:

فقال: نعم إنّ الله عزّ و جلّ يأمر الهواء أن يضغطه.

و فى روايه اخرى سئل أبو عبد الله عليه السّلام عن المصلوب يصيبه عذاب القبر، فقال عليه السّلام: إنّ ربّ الأرض هو ربّ الهواء فيوحى الله عزّ و جلّ إلى الهواء فيضغطه ضغطه هو أشدّ من ضغطه القبر.

و فيه فى روايه أبى بصير التى تقدّم صدرها فى ذكر حاله الاحتضار عن أبى

ص: ٥٩

عبد الله عليه السلام، فاذا ادرج في أكفانه و وضع على سريره خرجت روحه تمشى بين أيدي القوم قدما و تلقاه أرواح المؤمن و يبشرونه بما أعد الله له جل ثناؤه من النعيم، فاذا وضع في قبره رد إليه الروح إلى و ركيه ثم يسأل عما يعلم فاذا جاء بما يعلم فتح له ذلك الباب الذي أراه رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم، فيدخل عليه من نورها و بردها و طيب ريحها.

قال: قلت جعلت فداك فأين ضغطه القبر؟ فقال عليه السلام: هيهات ما على المؤمنين منها شيء و الله إن هذه الأرض لتفتخر على هذه فيقول: و طيء على ظهري مؤمن و لم يطاء على ظهرك مؤمن، و الله لقد كنت احببك و أنت تمشى على ظهري فأما إذا وليتك فستعلم ما ذا أصنع بك فتفسح له مد بصره، هذا.

و في الحق اليقين بعد ايراده الأخبار الوارده في الضغطة مما قدّمنا روايتها و ما لم يتقدّم قال: و الجمع بين هذه الأخبار في غايه الاشكال إذ لو حملنا المؤمن فيها على المؤمن الكامل فأى كامل أكمل من فاطمه بنت أسد و رقيه ابنه النبي صلى الله عليه و آله و سلم و سعد بن معاذ.

اللهم إلا أن يحمل ما في فاطمه و رقيه على الاحتياط و الاطمينان و حصول الاضطجاع و الدعاء أو يقال المراد بالمؤمن المعصوم و من يتلو مرتبه العصمه كسلمان و أبي ذر و نظرائهما، و يمكن حمل أخبار عدم الضغطة للمؤمن على عدم الضغطة الشديده أو حمل أخبار عدم الضغطة له على ما تكون على وجه الغضب، و ما تدلّ عليها على ما تكون على وجه اللطف و ليكون قابلا لدخول الجنه كما أنّ ابتلاءه بمحن الدنيا و بلاياها كان لذلك.

و يمكن أن يقال: إنّها كانت في صدر الاسلام عامه للمؤمن و غيره، ثم اختصت بغيرهم بشفاعه الرسول و الأئمه صلوات الله و سلامه عليه و عليهم هذا.

و بقى الكلام فيما يوجب ارتفاع الضغطة و الأمن من بعض عقوبات البرزخ و هي امور كثيره.

منها رش الماء على القبر فقد روى في الكافي عن أبي عبد الله عليه السلام أنه قال:

يتجافى عنه العذاب ما دام التدى فى التراب.

و منها الجريدتان فى الوسائل عن الصدوق باسناده إلى زواره قال: قلت لأبى جعفر عليه السلام: أرأيت الميِّت إذا مات لم تجعل معه الجريدتان؟ فقال عليه السلام يتجافى عنه العذاب أو الحساب ما دام العود رطبا إنما العذاب و الحساب كلّه فى يوم واحد فى ساعه واحده قدر ما يدخل القبر و يرجع القوم و إنما جعلت السعفتان لذلك فلا يصيبه عذاب و لا حساب بعد جفوفهما إنشاء الله.

و منها الوفاه ليله الجمعه أو يومها فى الأنوار للسيد الجزائرى رحمه الله قد ورد فى الأخبار المعتبره، أن من مات من المؤمنين ليله الجمعه أو يومها أمن من ضغطه القبر، قال «ره» و ربّما ورد أن بعض أعمال البرّ و الأذعيه المأثوره تدفعها أيضا، و هو ليس ببعيد فإنّ رحمه الله قريب من المحسنين.

و منها الدفن فى وادى السلام فقد روى فى الأنوار أيضا من كتاب إرشاد القلوب فى فضل المشهد الشّريف الغروى و ما لترتبه و الدفن فيها من المزيّه و الشّرف.

روى عن أبى عبد الله عليه السلام أنه قال: الغرى قطعته من الجبل الذى كَلّم الله موسى عليه تكليما، و قدّس عليه تقديسا و اتّخذ عليه إبراهيم خليلا، و محمّدا صلّى الله عليه و آله حبيبا و جعله للنبيين مسكنا.

و روى أنّ أمير المؤمنين عليه السلام نظر إلى ظهر الكوفه فقال: ما أحسن منظر ك و أطيب قعر ك، اللهم اجعل قبرى بها.

قال: و من خواصّ تربته اسقاط عذاب القبر و ترك محاسبه منكر و نكير من المدفون هناك كما وردت به الأخبار الصّحيحه عن أهل البيت عليهم السلام.

أقول: و نظير ما رواه عن أمير المؤمنين عليه السلام ما رواه فى الكافي عن حبه العرنى قال: خرجت مع أمير المؤمنين عليه السلام إلى الظهر فوقف بوادى السلام كأنه مخاطب

لأقوام، فقامت بقيامه حتى أعييت، ثم جلست حتى مللت، ثم قمت حتى نالني مثل ما نالني أولاً، ثم جلست حتى مللت.

ثم قمت وجمعت ردائي فقلت يا أمير المؤمنين إنني قد أشفقت عليك من طول القيام فراحه ساعه، ثم طرحت الرداء ليجلس عليه. فقال لي: يا حبه إن هو إلا محادثه مؤمن أو مؤانسته قال: قلت: يا أمير المؤمنين وإنيهم كذلك؟ قال: نعم، ولو كشف لرأيتهم حلقة حلقة محتبين يتحادثون، فقلت: أجساد أم أرواح؟ فقال لي: أرواح و ما من مؤمن يموت في بقعه من بقاع الأرض إلا قيل: ألحقى بوادي السلام وإنيها لبقعه من جنه عدن.

والمستفاد من هذه الرواية و كثير من الأخبار المعتبره أنها جنه الدنيا و أن أرواح المؤمنين فيها كما أن أرواح الكفار في بئر البرهوت.

فقد روى في الكافي عن أحمد بن عمر رفعه عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قلت له: إن أخي ببغداد و أخاف أن يموت بها، فقال عليه السلام: ما يبالي حيث مات أما أنه لا يبقى في شرق الأرض و غربها إلا حشر الله روحه إلى وادي السلام، قال:

قلت له: و أين وادي السلام؟ قال عليه السلام: ظهر الكوفة أما أنني كأني بهم حلق حلق قعود يتحدثون.

و عن محمد بن أحمد باسناد له قال قال أمير المؤمنين عليه السلام: شر بئر في النار البرهوت الذي فيه أرواح الكفار.

و عن السيكوني عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم: شر ماء على وجه الأرض ماء برهوت، و هو واد بحضر موت ترد عليه هام الكفار.

و الأخبار في هذا المعنى كثيره و لا حاجة إلى ذكرها نعم في المقام خبر يستلذ النفس و يسر القلب به و هو ما رواه في الأنوار عن القاضي بن بدر الهمداني الكوفي و كان رجلاً صالحاً متعبداً.

قال: كنت في جامع الكوفة ذات ليله مطيره فدفق باب مسلم جماعه ففتح لهم و ذكر بعضهم أن معهم جنازه فأدخلوها و جعلوها على الصفة التي تجاه باب

مسلم بن عقیل، ثمَّ إنَّ أحدهم نَعَسَ فنام فرأى في منامه قائلاً يقول لآخر: ما تبصره حتَّى نبصر هل لنا معه حساب أم لا، فكشف عن وجه الميِّت و قال لصاحبه بل لنا معه حساب و ينبغي أن نأخذه معجلاً قبل أن يتعدَّى الرِّصافه فما يبقى لنا معه طريق.

فانتبه و حكى لهم المنام و قال: خذوه عجلاً- فأخذوه و مضوا به في الحال إلى المشهد الشَّريف صلوات الله و سلامه على مشرفها.

أقول: رزقنا الله سبحانه و إخواني المؤمنين مجاوره حضرت مولای و مولی العالمین علیه الصَّلاه و السَّلام حیا و میّتاً، و أنا أوصی خلیفتی و ولیّ امری بعدی أن یدفننی فی ذلك المقام الشَّریف.

و أقول له:

إذا متَّ فادفنی إلى جنب حیدر أبی شبر أكرم به و شبیر

فلست أخاف النَّار عند جواره و لا أتقی من منکر و نکیر

فعار علی حامی الحمی و هو فی الحمی إذا ضلَّ فی البیدا عقل بعیر

ثم أقول:

ولا یتى لأمیر النَّحل تکفینی عند الممات و تغسیلی و تکفینی

و طینتی عجنّت من قبل تکوینی بحبِّ حیدر کیف النَّار تکوینی

ثم اناجی ربی و أقول:

وفدت علی الکریم بغير زاد من الحسنات و القلب السليم

فحمل الزّاد أفبح کلّ شیء إذا کان الوفود علی الکریم

الترجمه

و بعض دیگر از این خطبه شریفه در صفت خلقت انسانست که می فرماید: آیا یاد آوری نمایم شما را باین انسانی که ایجاد فرمود او را صانع حکیم در ظلمتهای رحمها و در غلافهای پرده ها در حالتی که نطفه بود ریخته شده و علقه ناقص گشته و بچه پنهان در شکم زنان و طفل شیرخواره و از شیر باز گرفته و بسن احتلام رسیده.

پس از آن عطا فرمود او را قلب حفظ کننده، و زبان گوینده، و دیده نگرنده تا فهم کند در حالتی که عبرت گیرنده باشد و باز ایستد از معصیت در حالتی که نفس خود را زجر کننده شود، تا این که قایم شد حد اعتدال او، و راست شد پیکر و مثال او، رمید و نفرت نمود از حق در حالتی که گردن کش بود، و خبط کرد در حالتی که بی باک بود.

آب کشنده بود در دلو بزرگ هوس و هوای خود، رنج کشنده بود و سعی کننده از برای دنیای خود در لذت‌های شادیش و در حاجت‌های خطور کننده قلب خویش در حالتی که گمان نمی نمود مصیبتی که برسد باو، و نمی ترسید از محذوری که وارد شود باو پس مرد در ضلالت خود در حالتی که غافل بود از غضب مالک الملک، و زندگانی کرد در لغزیدن خود در زمان اندک.

کسب نمود عوض نعمتها را در دنیا، و بجا نیاورد فرایض لازمه بر خود را، هجوم آور شد بر او اندوه‌های مرگ در بقایای سواری او بر هوای خود، و در راه‌های سرور و شادی خود، پس متحیر گشت و شب را بر بیداری بروز آورد در شدت‌های دردها و نازل شده های المها و بیماریها در میان برادر که شقه ایست از جان و پدر مهربان و مادر و اوایلا گوینده از روی جزع و خواهر بسینه زننده از روی اضطراب و فزع و حال آنکه آن مرد در سكرات موتست مشتمله بر تعب و شدت، و در غمرات مرگست متصفه با نهایت مشقت، و در ناله‌های درد آورنده، و در کشش روح اندوه آورنده، و راندن رنجاننده.

پس پیچیده شد در کفنه‌های خود در حالتی که مایوس بود و حزین، و کشیده شد در حالتی که اطاعت کننده بود آسان و لین، پس انداخته شد در چوبه‌های نعش مثل شتر مردد در اسفار، و همچو شتر لاغر از کثرت بار، در حالتی که بردارند او را فرزندان یاری دهنده، و برادران جمع شونده بسوی قبر که سرای غربت اوست و جای بریدن زیارت از اوست. «ج ۴»

تا آنکه چون رجوع کند تشییع کننده و بر می گردد اندوه خورنده نشانده می شود در قبر در حالتی که راز گوینده باشد از جهت بهت و حیرتی که حاصل می شود او را از سؤال، و بجهت لغزش در امتحانی که او راست در عقاید و اعمال، و بزرگترین چیزی که آن جاست از حیثت بلا پیشکش آب گرم و جوشانست، و در آوردن اوست در آتش سوزان، و جوششهای آتش سرخ شده، و شدت‌های صدای نار موقده.

نیست آنجا سستی که راحت کننده از عذاب باشد، و نه آرمیدنی که زایل کننده عقاب باشد، و نه مرگ حاضر که باعث استراحت او شود، و نه خواب اندک که سبب فراموشی زحمت او گردد، بلکه همیشه در میان انواع مرگ ها باشد، و در میان عذابهای ساعت بساعت، بدرستی که پناه می بریم بخدا از این عذاب و عنا.

الفصل الثامن

اشاره

عباد الله، أين الذين عمّروا فنعّموا، و علّموا ففهموا، و أنظروا فلهوا، و سلّموا فنسوا، أمهلوا طويلا، و منحوا جميلا، و حدّروا أليما، و وعدوا جسيما، أهدروا الذّنوب المورطه، و العيوب المسخّطه، أولى الأبصار و الأسماع، و العافيه و المتاع، هل من مناص أو خلاص، أو معاذ أو ملاذ، أو فرار أو محار، أم لا- فأنّي تؤفكون، أم أين تصرفون، أم بماذا تغتّرون، و إنّما حظّ أحدكم من الأرض، ذات الطّول و العرض، قيد قدّه، منعفرا على خدّه، الاين عباد الله و الخناق مهمل، و الزّوج مرسل، في فينه الإرشاد، و راحه الأجساد، و باحه

ص: ۶۵

الاحتشاد، و مهل البقيته، و أنف المشييه، و إنظار التوبه، و انفساح الحوبه، قبل الضنك و المضيق، و الزوع و الزهوق، و قبل قدوم الغائب المنتظر، و أخذه العزيز المقتدر.

قال السيد (ره) و فى الخبر أنه عليه السلام لَمَّا خطب بهذه الخطبه اقشعرت لها الجلود و بكت العيون و رجفت القلوب، و من الناس من يسمي هذه الخطبه الغراء.

اللغه

(احذروا) أمر من حذر بالكسر من باب علم و (الورطه) الهلكه و أرض مطمئنه لا- طريق فيها و أورطه ألقاه فيها و (المناص) الملجأ و (المحار) المرجع من حار يحور أى رجع قال تعالى:

«إِنَّهُ ظَنَّ أَنْ لَنْ يَحُورَ» و (أفك) من باب ضرب و علم أفكا بالفتح و الكسر و التحريك كذب و افكه عنه يأفكه صرفه و قلبه أو قلب رأيه و (القيد) كالقاد المقدار و (المعفر) محرّكه التراب و عفره فى التراب يعفره من باب ضرب و عفره فانعفر و تعفر مرغه فيه أودسه و (الخناق) ككتاب جبل يخنق به و يقال أخذ بخناقه أى بحلقه لأنه موضع الخناق فاطلق عليه مجازا و (فينه) الساعه و الحين يقال لقيته الفينه بعد الفينه و قد يحذف اللام و يقال لقيته فينه بعد فينه.

و فى بعض النسخ الارتياذ بدل (الارشاد) و هو الطلب و (الباحه) السباحه و الفضاء و (الاحتشاد) الاجتماع و (انف) الشىء بضمّتين أوله و (الانفساح) من الفسحه و هو السعه و (الحوبه) الحاله و الحاجه و (و الضنك) و الضيق بمعنى واحد و (المضيق) ما ضاق من المكان و المراد هنا القبر و (الزوع) الفزع و (زهق) نفسه من باب منع و سمع زهوقا خرجت و زهق الشىء بطل و هلك.

و «اقشعرت جلده» أخذته قشعريره أى رعده و «رجفت القلوب» اضطربت

و «الخطبه الغزاه» بالغين المعجمه أى المتّصفه بالغزاه قال فى القاموس: و الغزاه من المتاع خياره و من القوم شريفهم و من الرّجل وجهه و كلّ ما بدا لك من ضوء أو صبح فقد بدت غزاه.

الاعراب

قوله عباد الله منصوب على التّداء بحذف حرفه، و كذلك قوله عليه السّلام: اولى الأبصار، و قوله: هل من مناص استفهام على سبيل الإنكار و الإبطال، و أم فى قوله أم لا منقطعه بمعنى بل فهى مثل أم فى قوله:

«هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَ الْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِي الظُّلُمَاتُ وَ النُّورُ أَمْ جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ» و الشّاهد فى الثّانيه فأنّه سبحانه بعد إبطال استواء الأعمى و البصير و الظلمات و النور أضرب عن ذلك و أخبر عن حالهم بأنهم جعلوا لله شركاء، و كذلك الامام عليه السّلام بعد إنكار المناص و الخلاص و إبطاله أضرب عن ذلك و أخبر بأنّه ليس هناك مناص و لا خلاص.

و قوله: فأنّى تؤفكون، أنى بمعنى كيف أو بمعنى أين و من مقدّره قبلها أى من أين تؤفكون، صرّح به نجم الأئمه الرضى فى مبحث الظروف من شرح الكافيه، و ذا فى قوله أم بماذا تغترون إمّا زايده و هو الأظهر أو بمعنى الذى كما فى ما ذا لقيت، و منعفرا حال من الضمير فى قدّه.

و قوله: الآن من ظروف الزّمان مبنى على الفتح و اختلفوا فى علّه البناء و الأظهر ما قاله أبو على من أنّه متضمّن لمعنى ال الحضورى لأنّ معناه الزّمن الحاضر، و اللّام فيه زايده لازمه و ليست للتعريف كما توهم السّيرافى و ابن عصفور إذ لا تعرف أنّ التى للتعريف تكون لازمه و هذه لازمه لأنّ الآن لم يسمع مجزّدا عنها، و كيف فهو مفعول فيه و العامل محذوف، و التّقدير اعملوا و اغتتموا الفرصه الآن.

و جملة و الخناق مهمل، فى محلّ الانتصاب على الحال من عباد الله و العامل التّداء المحذوف لكونه فى معنى الفعل، و اللام فى الخناق عوض عن المضاف إليه أى خناقكم على حدّ و علم آدم الأسماء، أى أسماء المسمّيات، و كذا فى الرّوح و قوله فى فىه الارشاد، متعلّق بقوله مرسل و فى للظرفية المجازية، و قيل الضنك ظرف للفعل المحذوف الذى جعلناه العامل فى الآن.

المعنى

اعلم أنّ هذا الفصل متضمّن للتذكير بحال السّلف و للأمر بالكفّ عن المعاصى و للحثّ على التّدارك للذنوب قبل الموت بتحصيل التوبة و الانابه و هو قوله:

(عباد الله أين الذين عمّروا فنعموا) أى أعطاهم الله العمر فصاروا ناعمين أى صاحبي سعه فى العيش و الغذاء (و علّموا ففهموا) أى علّمهم الأحكام ففهموا الحلال و الحرام (و أنظروا) فى مدّه الأجل (فلهوا) بطول الأمل (و سلّموا) فى العاجله (فنسوا) العاجله (أمهلوا) زمانا (طويلا) و أمدا بعيدا (و منحوا) عطاء (جميلا) و عيشا رغيدا (و حذروا عذابا أليما) و جحيما (و وعدوا) ثوابا (جسيما) و عظيما (احذروا الذنوب المورطه) أى المعاصى الموقعة فى ورطه الهلاكه و العقاب (و العيوب المسخطه) أى المساوى الموجه لغضب ربّ الأرباب.

(أولى الأبصار و الأسماع و العافيه و المتاع) و إنّما خصّ هؤلاء بالتّداء و خصّصهم بالخطاب لأنهم القابلون للاتعاظ و الاذكار و اللائقون للانتهاز و الانزجار بما أعطاهم الله من الأبصار و البصائر منحهم من الأسماع و الضمائر و بذل لهم من الصّيحّه و السّلامه فى الأجساد و منّ به عليهم من المتاع و الأموال و الأولاد الموجهه للاعراض عن العقبا و الرّغبه إلى الدّنيا و الباعثه على ترك سبيل الرّحمن و سلوك سبيل الشّيطان و الداعيه إلى ترك الطّاعات و الاقتحام فى الهلكات.

ثمّ استفهم على سبيل التّكذيب و الانكار بقوله:(هل من مناص) من العذاب (أو خلاص) من العقاب (أو معاذ) من الوبال (أو ملاذ) من النّكال (أو فرار) من الحميم (أو محار) من الجحيم (أم لا و ليس فأنّى توفكون) و تنقلبون (أم أين

تصرفون) و تلفتون (أم بماذا تغترون) و تفتنون (و أنما حظ أحدكم من الأرض) الغبراء (ذات الطول و العرض) و الارعاء (قيد قدّه) و قامته (منعفرا على خدّه) و وجنته.

اعملوا (الآن) و اغتنموا الفرصه فيهذا الزّمان يا (عباد الله و الخناق مهمل و الرّوح مرسل) أى أعناق نفوسكم مهمله من الأخذ بخناق الموت و أرواحكم متروكه من الجذب بحبال الفناء و الفوت (فى فينه الارشاد) و الهدايه إلى الجنان (و راحه الاجساد) و استراحه الأبدان (و باحه الاحتشاد) أى ساحه اجتماع الأشباه و الاقران (و مهل البقيه و انف المشيّه) أى مهمله بقية الحياه و أوّل أزمنه الارادات.

و أشار بذلك إلى أنّ اللاّزم على الانسان أن يجعل أوّل زمان إرادته و ميل خاطره إلى اكتساب الفضائل و اجتناب الرّذائل و يكون همّته يومئذ مصروفه فى اتيان الطاعات و اقتناء الحسنات ليكون ما يرد على لوح نفسه من الكمالات و اردا على لوح صاف من الكدورات سالم عن رين الشّبهات إذ لو انعكس الأمر و جعل أوائل ميوله و إرادته منصرفه إلى اتيان المعاصى و الخطيئات تسوّد وجه نفسه بسوء الملكات فلم يكذب يقبل بعد ذلك الاستضاءه بنور الحقّ و الاهتداء إلى الخيرات.

(و انظار التّوبه و انفساح الحوبه) أراد به إمهال الله لهم لأجل تحصيل التوبه و إعطائه لهم اتساع الحاله و وسعه المجال لاكتساب الحسنات الأعمال (قبل الضّئك و المضيق) أى قبل ضيق الزّمان و مضيق المكان (و الرّوع و الرّهوق) أى الفزع و خروج الرّوح من الأبدان (و قبل قدوم) الموت الذى هو (الغائب المنتظر و أخذه) الذى هو (العزيز) الغالب (المقتدر) فأنّه إذا قدم الموت بطل التكليف و استحال تدارك الذنوب و لا ينفع الندامه.

و لذلك قال أبو جعفر عليه السّلام: قال رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم: الموت الموت ألا و لا بدّ من الموت، جاء الموت بما فيه جاء بالرّوح و الرّاحه و الكرهه المباركه إلى جنّه عاليه لأهل دار الخلود الذين كان لها سعيهم و فيها رغبتهم، و جاء الموت بما فيه

بالشقوقه و الندامه و الكثره الخاسره إلى نار حاميها لأهل دار الغرور الذين كان لها سعيهم و فيها رغبتهم.

ثم قال: و إذا استحققت و لايه الله و السعيه عاده جاء الأجل بين العينين و ذهب الأمل وراء الظهر، و إذا استحققت و لايه الشيطان جاء الأمل بين العينين و ذهب الأجل وراء الظهر.

قال عليه السلام: و سئل رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم أي المؤمنين أكيس؟ فقال: أكثرهم ذكرا للموت و أشدهم له استعدادا.

قال السيد (ره) و في الخبر أنه لما خطب بهذه الخطبه اقشعرت لها الجلود و ارعدت و بكت العيون و اسكبت (1) و رجفت القلوب و اضطربت و من الناس من يسمي هذه الخطبه الغراء.

أقول: و هي حقيقه بهذه التسميه لكونها من خيار خطبه و شرايفها و جوهها لما تضمنه معناها من الحكمه و الموعظه الحسنه و هي كافيه في الهدايه و الارشاد للطالب الرّاعب إلى الثّواب و وافيّه في مقام التحذير و الانذار للهارب الرّاهب من العقاب.

و لما اشتملت عليه الفاظها من انواع المحسنات البيانيه و البديعيه من الانسجاء و الترصيع و التنجيس و السّيجع و المقابله و الموازنه و المجاز و الاستعاره و الكنايه و غيرها.

و ناهيك حسنا قوله عليه السلام في هذا الفصل: هل من مناص أو خلاص أو معاذ أو ملاذ أو فرار أو محار، و قوله في الفصل الرّابع، فاتقوا الله تقية من سمع فخشع و اقترف فاعترف و وجل فععمل إلى آخر ما قاله.

فإنك إذا لاحظت كلّ لفظه منها وجدتها آخذة برقبه قرينتها، جاذبه لها إليها دالّه عليها بذاتها و محسنات كلامه غتية عن الاظهار غير محتاجه إلى التدكار إذ تكلف الاستدلال على أنّ الشمس مضيئه يتعب و صاحبه ينسب إلى

ص: ٧٠

الشفه و ليس جاحدا لأمر المعلومه بالضرورة بأشدد سفها ممن رام الاستدلال عليها

تكملة

اعلم أنّ بعض فصول هذه الخطبه مروى في البحار من كتاب عيون الحكمة و المواعظ لعلّي بن محمّد الواسطي باختلاف يسير لما هنا، و هو من الفصل الخامس إلى آخرها و لا حاجة لنا إلى ايراده نعم روى كلام آخر له عليه السّلام فيه من الكتاب الذي اشرنا إليه بعض فصول هذه الخطبه مدرّج فيه و أحببت ايراده لاقتضاء المقام ذلك.

قال (ره) و من كلام له عليه السّلام إنّكم مخلوقون اقتدارا، و مربوطون ايتسارا إلى آخر ما يأتي إنشاء الله في تكمله الشرح الخطبه المأتين و الرّابعه و العشرين

الترجمه

ای بندگان خدا کجایند آن کسانی که معمر شدند پس منعم شدند بناز و نعمت، و تعلیم شدند پس فهمیدند بدکاء و فطنت، و مهلت داده شدند پس غفلت ورزیدند از طاعات، و سالم گردانیده شدند پس فراموشی اختیار کردند بر تذکیرات حذر نمائید از ذنوبی که می اندازد بورطه هلاکت، و از عیوبی که باعث می شود بخشم حضرت عزّت.

ای صاحبان دیده های بینا و گوشه های شنوا و خداوندان سلامتی و متاع دنیا آیا هیچ پناه گاهی هست از عذاب، یا خلاصی هست از عقاب، یا هیچ ملجائی هست از شدت، یا ملاذی هست از عقوبت، یا هیچ گریزی هست از آتش جحیم، یا مرجعی هست از عذاب الیم، یا این که چاره و علاج نیست و مفرّ و مناص نه؟ پس چگونه گردانیده می شوید از فرمان خدا، یا کجا صرف کرده می شوید یا بچه چیز مغرور می باشید و جز این نیست که نصیب هر یکی از شما از زمینی که صاحب طولست و عرض مقدار قامت اوست در حالتی که خاک آلوده باشد بر رخسار خود.

عمل بکنید و فرصت غنیمت شمارید الان ای بندگان خدا و حال آنکه

آن چیزی که بآن أخذ کرده می شود گردنهای نفوس شما که مرگست واگذاشته شده است، و روحهای شما ترک کرده شده است در ساعت رشادت یعنی کسب کردن چیزهایی که باعث رشد است و در راحت بدنها و در مهلت بقیه حیا و در اول ازمه ارادات و در مهلت دادن بجهت تحصیل توبه و در وسعت و فراخی حالت پیش از زمان کوتاه و مکان تنگ، و قبل از ترس و رفتن جان از بدن و پیش از آمدن غایب انتظار کشیده شده که عبارتست از موت، و پیش از اخذ نمودن خدای غالب صاحب قدرت او را در سلسله عقوبت.

قال الشارح عفی الله عنه: و لیکن هذا آخر ما أردنا ایراده فی هذا المجلد و هو المجلد الثانی (۱) من مجلدات منهاج البراعه فی شرح التهج، و يتلوه إنشاء الله المجلد الثالث إن ساعدنا الوقت و المجال بتوفیق الله الملك المتعال، و هذه هی النسخه الأصل التي كتبتها بيمينی و أرجو من الله سبحانه أن يثبتها فی صحايف أعمالی و یرجیح بها میزان حسناتی و أن يؤتيتها بيمينی كما أمليتها بيمينی إنه علی كل شيء قدير و بالاجابه جدير، و كان الفراغ منه فی فجر العشرين من شهر ربيع الآخر ۱۳۰۳.

بسم الله الرحمن الرحيم و به نستعين الحمد لله الذي هدانا لهذا و ما كنا لنهتدى لو لا أن هدانا الله، و الصلاه و السلام علی عبده و رسوله محمد حبيب الله، و علی آله الذين فضّلهم علی العالمين و جعلهم أفضل عبدا لله و اختصّهم بالامامه و الولایه فصاروا أئمه الدّین و أولیاء الله، و أهل بيته الذين أذهب الله عنهم الرجس و طهّهم تطهيرا، و لعنه الله علی أعدائهم الذين جعل مأواهم جهنّم لهم فيها زفير و شهيق و سائت مقاما و مصيرا.

و بعد فهذا هو المجلد الثالث من مجلدات منهاج البراعه املاء راجی عفو ربّه الغنی «حبيب الله بن محمد بن هاشم الهاشمی العلوی الموسوی» أعطاه الله كتابه .

ص: ۷۲

بيمناه، و جعل عقباه خيرا من اولاه، و المرجو منه سبحانه أن يمين عليّ ياتمامه بقرب محمد و آله.

فأقول: قال السيّد (ره):

و من كلام له عليه السلام في ذكر عمرو بن العاص

اشاره

و هو الثالث و الثمانون من المختار في باب الخطب

و قد رواه غير واحد من المحدثين على اختلاف تطلع عليه في التذنيب الثاني إن شاء الله.

عَجَبًا لَابْنِ النَّبِغَةِ يَزْعَمُ لِأَهْلِ الشَّامِ أَنَّ فِي دُعَابِهِ وَ إِنِّي أَمْرٌ تَلْعَابُهُ أَعَافِسُ وَ أَمَارِسُ، لَقَدْ قَالَ بَاطِلًا، وَ نَطَقَ آثِمًا، أَمَا وَ شَرُّ الْقَوْلِ الْكِذْبُ، إِنَّهُ لَيَقُولُ فَيَكْذِبُ، وَ يَعِدُ فَيُخْلِفُ، وَ يَسْتَيْئُلُ فَيُلْحِفُ، وَ يَسْتَيْئُلُ فَيُحِلُّ، وَ يَخُونُ الْعَهْدَ، وَ يَقْطَعُ الْإِلَّ، فَإِذَا كَانَ عِنْدَ الْحَرْبِ فَأَيُّ زَاجِرٍ وَ أَمْرٍ هُوَ مَا لَمْ يَأْخُذِ السُّيُوفُ مَا خَذَهَا، فَإِذَا كَانَ ذَلِكَ كَانَ أَكْبَرُ مَكِيدَتِهِ أَنْ يَمْنَحَ الْقَوْمَ سَبَبَتَهُ، أَمَا وَ اللَّهُ إِنَّهُ لَيَمْنَعُنِي مِنَ اللَّعْبِ ذِكْرُ الْمَوْتِ، وَ إِنَّهُ لَيَمْنَعُهُ مِنْ قَوْلِ الْحَقِّ نَسِيَانُ الْآخِرَةِ، إِنَّهُ لَمْ يُبَايِعْ مُعَوِيَةَ حَتَّى شَرَطَ لَهُ أَنْ يُؤْتِيَهُ أُتَيْتَهُ، وَ يَرْضَخَ لَهُ عَلَى تَرْكِ الدِّينِ رَضِيحَةً.

اللغة

(النابغه) أم عمرو بن العاص سميت بها لظهورها و شهرتها بالبغي، مأخوذة

ص: ٧٣

من نبغ الشيء نبوغاً أي ظهر و (يزعم) بمعنى يقول، قال الفيومي: و عليه قوله تعالى:

«أَوْ تُشَقِّطَ السَّمَاءَ كَمَا زَعَمْتَ» أي كما أخبرت قال المرزوقي: أكثر ما يستعمل الزعم فيما كان باطلاً- أو فيه ارتياب، قال الحطاني: و لهذا قيل زعم مطييه الكذب و زعم غير مزعم قال غير مقول صالح و ادعى ما لا يمكن، و قال أبو البقاء: الزعم بالضم اعتقاد الباطل بلا تقوّل و بالفتح اعتقاد الباطل بتقوّل، و قيل: بالفتح قول مع الظنّ و بالضّمّ ظنّ بلا قول، و من عاده العرب أنّ من قال كلاماً و كان عندهم كاذباً قالوا: زعم فلان قال شريح:

لكلّ شيء كنيه و كنيه الكذب زعم، و قد جاء في القرآن في كلّ موضع ذمّاً للقائلين.

و (الدعابه) بضمّ الدالّ المزاح من دعب يدعب مثل مزح يمزح و زنا و معنى و في لغة من باب تعب و في الحديث قلت: و ما الدّعابه؟ قال: هي المزاح و ما يستملح و (التلعا به) بكسر التاء كثير اللعب و المزاح و التّاء للمبالغه، و التلعا ب مصدر لعب و (العافسه) المعالجه في الصراع من العفس و هو الجذب إلى الأرض في ضغط شديد و الضرب على الأرض بالرّجل و (الممارسه) المعالجه و المزاوله و (ألحف) السائل إلحافاً ألحّ و (الالّ) العهد و القرابه قال تعالى:

«لَا يَرْقُبُونَ فِي مُؤْمِنٍ إِلَّا وَا لَ ذِمَّةً» و (السبه) الاست و (الايه) كالعطيه لفظاً و معنى و (الرضيخه) الرّشوه من رضخ له رضخاً من باب نفع و ضيخه أعطاه شيئاً ليس بالكثير.

الإعراب

عجباً منصوب على المصدريه بحذف عامله، و جمله يزعم إمّا في محلّ النّصب على الحال من ابن النابغه لكونه مفعولاً بالواسطه، أو لا محلّ لها من الإعراب لكونها استينافاً بيانياً، فكأنّه عليه السّلام سئل عن علّه التعجب فأجاب بأنّه يزعم و هو الأظهر

وجمله أعافس و أمارس في محل الرفع صفه بعد صفه لامرء و هي في المعنى تأكيد لقوله تلعبه و لكمال الاتصال بينهما ترك حرف العطف و هو من المحسنات البيانية و جملة لقد قال باطلا قسميه و باطلا صفه لمصدر محذوف، و آثماً منصوب على الحال و يحتمل أن يكون صفه لمحذوف أيضا أى نطق نطقاً آثماً فيكون اسناد آثماً إليه من باب التوسع.

قوله فأى زاجر و أمر هو، لفظه أى منصوبه على الحالیه و حذف عاملها للقرينه و هي اسم موضوع للدلالة على معنى الكمال و يستعمل في مقام التعجب، تقول:

مررت برجل أى رجل، أى كامل في الرجوليه و يزيد أى رجل أى كاملاً فيها قالوا: إنه إذا وقع بعد المعرفة فحال و إذا وقع بعد النكرة فصفه، و تقدير كلامه عليه السلام فهو زاجر أى زاجر.

قال الرضى في شرح الكافية بعد ما حكى عنهم كون أى اسماً موضوعاً للدلالة على معنى فى متبوعه: و الذى يقوى عندى أن أى رجل لا يدل بالوضع على معنى فى متبوعه، بل هو منقول عن أى الاستفهاميه، و ذلك أن الاستفهاميه للسؤال عن التعيين، و ذلك لا يكون إلا عند جهالة المسئول عنه فاستعيرت لوصف الشيء بالكمال فى معنى من المعانى و التعجب من حاله، و الجامع بينهما أن الكامل البالغ غايه الكمال بحيث يتعجب منه يكون مجهول الحال بحيث يحتاج إلى السؤال عنه.

المعنى

إشارة

اعلم أن عمرو بن العاص اللعين ابن اللعين لما كان عدواً لأمر المؤمنين سلام الله عليه و آله، معلناً بعداوته كما كان أبوه العاص بن وائل عدواً لرسول الله صلى الله عليه و آله و سلم لا جرم كان همّة اللعين مصروفه فى الكذب و الافتراء عليه عليه السلام و كان يروم بذلك أن يعيبه عند الناس و يسقط محلته عليه السلام من القلوب و من جملة ما افترى عليه كذبا أنه قال لأهل الشام: إنما أخرجنا علياً لأن فيه هزلاً لا جد معه، فنسبه عليه السلام إلى الدعابه و كثره المزاح كما نسبه عليه السلام إلى ذلك عمر بن الخطاب و هذه النسبه من عمرو سيئه من سيئات عمر.

فأراد عليه السلام بكلامه ذلك دفع هذه النسبه و اثبات أنه افتراء و بهتان في حقه و ذكر أولاً ما قاله ابن العاص ثم اتبعه برده فقال:

(عجباً لابن التابغه) و إنما كنى عنه بأمه إذ من عادة العرب النسبه إلى الأمّ إذا كانت مشهوره بالخسّه و الدنائه يريدون بذلك ذمه و القدح فيه، و قد ينسبونه إليها إذا كانت معروفه بالشرف يريدون بذلك شرفه و مدحه (يزعم لأهل الشام) و يقول لهم قصدا للقدح و التعيب (انّ فيّ) مزاح و (دعابه و انى امرء تلعباه) و كثير الممازحه حتّى أتى (أعافس) و أصرار (و أمارس) و أعالج فعل من أتصف بفراغ القلب فاستغرق أوقاته باللّهو و اللّعب، و الله (لقد قال) قولاً (باطلاً و نطقاً) عاصياً (آثماً) لأنّه كذب فاذهب و افتري فعصى (أما و شرّ القول الكذب) و الافتراء من حيث العقل و النّقل و الدّين و الدّنيا كما ستطلع عليه فيما عليك يتلى.

و هذا الملعون قد أتصف بذلك و غيره ممّا يوقعه في المهالك و لقد كان جامعاً لجملة من الصّيفات الخبيثه الشّيطانيه و متصفاً بجّمه من الرّذائل الخسيسه النّفسانيه مضافه إلى ما فيه من فساد الاعتقاد و الكفر و العناد و هى على ما نبه عليها أمور:

أول (انه ليقول فيكذب) و رذاله هذه الصّفه و قباحتها معلومه من حيث العقل و النّقل.

أمّا العقل فلأنّ الوجدان شاهد بأنّ الكذب يوجب اسوداد لوح القلب و يمنعه من انتقاش صور الحقّ و الصّيدق فيه و يفسد المنامات و الالهامات، و ربما يكون سبباً لخراب البلاد و فساد أمر العباد، جالباً للعداوه و البغضاء، باعثاً على سفك الدّماء و لذلك اتفق العقلاء من الملتين و غيرهم على قبحه، و قالت المعتزله: قبحه معلوم بالضروره.

و أمّا النّقل فقد قال سبحانه:

«يا أيّها الذين آمنوا اتّقوا الله و كونوا مع الصّادقين» و قال في صفه المؤمنين: «و الذين لا يشهدون الزّور و إذا مرّوا باللغو مرّوا كراماً».

و قال رسول الله صَلَّى الله عليه و آله و سَلَّمَ: إِيَّاكُمْ و الكَذِبَ «فَإِنَّ الكَذِبَ ظ» يَهْدِي إِلَى الفُجُورِ و الفُجُورُ يَهْدِي إِلَى النَّارِ -
رواه في جامع الأخبار.

و فيه عن أنس قال: قال رسول الله صَلَّى الله عليه و آله و سَلَّمَ: المؤمن إذا كذب من غير عذر لعنه سبعون ألف ملك و خرج
من قلبه نتن حتّى يبلغ العرش فيلعبه حمله العرش و كتب الله عليه بتلك الكذبه سبعين زنيه أهونها كمن يزني مع أمه.

و قال موسى عليه السّلام: يا ربّ أيّ عبادك خير عملاً؟ قال: من لا يكذب لسانه و لا يفجر قلبه و لا يزني فرجه.

و قال العسكري عليه السّلام: جعلت الخبائث كلّها في بيت و جعل مفتاحها الكذب و في عقاب الأعمال عن أبي عبد الله عليه
السّلام قال: إنّ الله عزّ و جلّ جعل للشّر أقفالا و جعل مفاتيح تلك الأقفال الشراب و الشّر من الشراب الكذب.

و في الوسائل من الكافي بإسناده عن الفضيل بن يسار عن أبي جعفر عليه السّلام قال: إنّ أول من يكذب الكذاب الله عزّ و جلّ
ثمّ الملكان اللذان معه ثمّ هو يعلم أنه كاذب.

و عن عبد الرّحمن بن أبي ليلى عن أبيه عمّن ذكره عن أبي جعفر عليه السّلام قال:

الكذب هو خراب الإيمان.

و عن عبيد بن زرارته قال: سمعت أبا عبد الله عليه السّلام يقول: إنّ مما أعان الله به على الكذابين النسيان.

و عن محسن بن طريف عن أبيه عمّن ذكره عن أبي عبد الله عليه السّلام قال: قال عيسى بن مريم عليه السّلام: من كثر كذبه
ذهب بهاؤه.

و الأخبار في هذا المعنى كثيره و فيما أوردناه كفايه لمن له درايه و سيأتي تحقيق الكلام فيه و في أقسامه في شرح الخطبه
الخامسه و الثمانين فانتظر.

(و) الثاني أنّه (يعد فيخلف) و هذا أيضاً من شئون الكذب ففيه ما فيه و زياده، و يقابله الوفاء و هو توأم الصدق كما قد مرّ
مشروحاً في الخطبه الحاديّه و الأربعين (و) الثالث أنه (يسأل فيلحف) و دنائه هذه الصّفه أيضاً واضحاً إذ الإصرار

فى المطالبه و الالحاح فى السؤال من اوصاف الأردال موجبہ للابتدال لا محاله (و) الرابع انه (يسأل فيبخل) يعنى انه يمنع السائل و ينهره و يبخل من أداء الحقوق الواجبه و صرفها فى جهتها، و قد قال سبحانه:

«وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ» و قال أيضاً: «وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ لِّلسَّائِلِ وَ الْمَحْرُومِ» و قال فى موضع آخر: «وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَ اسْتَعْنَى وَ كَذَّبَ بِالْحُسْنَى فَسَنِيسِرُهُ لِّلْعُسْرَى» و فى سورة آل عمران:

«وَلَا يَحْسِبَنَّ الَّذِينَ يَبْخُلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ هُوَ خَيْرًا لَّهُمْ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخُلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَ لَلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ وَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ» و فى سورة التوبه:

«وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَ الْفِضَّةَ وَ لَا يُنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ يَوْمَ يُحْمَى عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَى بِهَا جِبَاهُهُمْ وَ جُنُوبُهُمْ وَ ظُهُورُهُمْ هَذَا مَا كَنْزْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْنِزُونَ».

روى فى الوسائل من الكافى بإسناده عن مسعده بن صدقه عن جعفر عن آبائه عليهم السلام أن أمير المؤمنين عليه السلام سمع رجلاً يقول: إنَّ الشَّيخَ أَعْدَرَ مِنَ الظَّالِمِ، فقال له:

كذبت إنَّ الظالم قد يتوب و يستغفر و يردَّ الظلامه على أهلها، و الشَّيخ إذا شحَّ منع الزكاه و الصَّيدقه و صلته الرِّحم و قرى الضيف و النفقه فى سبيل الله و أبواب البرِّ، و حرام على الجنَّه أن يدخلها شحيح.

و فيه عن عبد العلئ بن أعين عن أبى عبد الله عليه السلام قال: إنَّ البخيل من كسب

مالا من غير حلّه و أنفقه فى غير حقه.

و عن إسماعيل بن جابر عن أبى عبد الله عليه السلام فى قول الله عزّ و جلّ:

«وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ» أ هو سوى الزّكاه؟ فقال: هو الرّجل يؤتية الله الشروه من المال فيخرج منه الألف و الألفين و الثلاثة و الأقلّ و الأكثر فيصّل به رحمه و يحمل به الكلّ عن قومه.

و يجىء اشباع الكلام فى هذا المقام زياده على ذلك فى شرح المأه و التسع من المختار فى باب الخطب انشاء الله (و) الخامس أنّه (يخون العهد) و هى رذيله داخله تحت الفجور، و يقابلها الوفاء قال سبحانه:

«وَأَوْفُوا بَعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ وَ لَا تَنْفُضُوا الْأَيْمَانَ بَعِيدَ تَوْكِيدِهَا وَ قَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا...»، «وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَفَضَتْ غَزَلَهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنْكَاثًا».

و قد مضى تفصيل الكلام فيه فى شرح كلماته السّابعة و السّبعين (و) السادس أنه (يقطع الال) إن كان المراد بالال العهد فالعطف بمنزله التفسير و إن كان المراد به القراب كما هو الأظهر فالمقصود به قطع الرّحم، و يقابله الصّيله و قد مضى الكلام فيهما فى الفصل الثانى من الخطبه الثالثه و العشرين.

و السابع الجبن و يقابله الشّجاعه و إليه أشار عليه السّلام بقوله (فاذا كان عند الحرب فأىّ زاجر و أمر هو) بالقتال و براز الأبطال (ما لم يأخذ السيوف مأخذها) و الرّماح مراكزها (فاذا كان ذلك) و التحم الحرب و شبّ لظاها و علا سناها (كان أكبر مكيدته) فى الذّب عنه و أعظم حيلته فى الخلاص عن حدّ السّيف و النجاه منه (أن يمنح القوم سبته) كما ستطلع عليه فى التذنيب الآتى.

ثمّ إنّه عليه السلام رجع إلى ابطال دعوى عمرو و بيّن وجه البطلان بأمرين:

أحدهما راجع إليه عليه السلام و هو قوله (أما و الله إنّه ليمنعنى من اللّعب ذكر الموت)

فإنّ مذاكره الموت و مراقبه الاخره تكون شاغله عن الدنّيا معرضه عن الالتفات إليها و إلى شهواتها من اللّعب و نحوه لكونه و جلا من اللّٰه و مترصّدا لهجوم الموت و هو واضح بالمشاهده و العيان و يشهد عليه البداهه و الوجدان، و ثانيها راجع إلى عمرو و هو قوله (و انه ليمنعه من قول الحق نسيان الآخره) فإنّ نسيان الآخره يوجب صرف الهمه إلى الدنّيا و طول الأمل فيها و يبعث على الانهماك في الشّهوات و الانغمار في اللّذات و من كان هذه حاله لا يبالي بما قال و ما يقول و يقصد بدواعي شهواته الكذب على الصدق و الباطل على الحقّ ليصل غرضه و ينال مناه.

ثمّ تبّه عليه السّلام على بعض ما ترتب على نسيان الآخره بقوله (أنّه لم يبايع معاويه حتى شرط له أن يؤتیه على البيعه أتيه و يرضخ له على ترك الدّين) و العدول عن الحقّ (رضيخه) فأعطاه مصر ثمنا و طعمه على ما قد مضى مفضّلا في شرح الفصل الثالث من فصول الخطبه السّادسه و العشرين.

تذنيبات

الاول

في ذكر نسب عمرو بن العاص

اللّعين ابن اللّعين عليه لعنه اللّٰه و الملائكه و النّاس أجمعين أبدأ الأبدین و بیان بعض حالاته الداله على كفره و شقاوته مع الاشاره إلى ما صدر عنه في صفين من كشف سؤئته فأقول:

اعلم أنّ العاص بن وائل أباه كان من المستهزئين برسول اللّٰه صلى اللّٰه عليه و آله و سلم و المعالنين له بالعداوه و الأذى، و فيه و في أصحابه نزل قوله تعالى.

«إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ».

و كان يلقّب في الاسلام بالأبتر لأنّه قال لقريش: سيموت هذا الأبتر غدا فينقطع ذكره، يعنى رسول اللّٰه صلى اللّٰه عليه و آله و سلم و يشتمه و يضع في طريقه الحجاره، لأنّه صلى اللّٰه عليه و آله و سلم كان يخرج من منزله ليلا فيطوف بالكعبه فكان يجعل الحجاره في طريقه ليعثر بها، و هو أحد القوم الذين خرجوا إلى زينب ابنه رسول اللّٰه صلى اللّٰه عليه و آله و سلم لما خرجت من مكه

مهاجره إلى المدينة فرؤعوها و قرعوا هودجها بكعوب الرّماح حتى اجهضت جنينا ميتا من أبى العاص بن الرّبيع بعلمها، فلمّا بلغ ذلك رسول الله نازل منه و شقّ عليه مشقّه شديده و لعنهم، رواه الشّارح المعتزلى عن الواقدى.

و روى عنه و عن غيره من أهل الحديث أنّ عمرو بن العاص هجا رسول الله صلى الله عليه و آله هجا كثيرا كان تعلمه صبيان مكه فينشدونّه و يصيحون رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم إذا مرّ بهم رافعين أصواتهم بذلك الهجاء فقال رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم و هو يصلى بالحجر: اللهم إنّ عمرو بن العاص هجانى و لست بشاعر فالعنه بعدد ما هجانى.

قال: و روى أهل الحديث أنّ النّضر بن الحارث و عقبه بن أبى معيط و عمرو بن العاص عمدوا إلى سلا(1) جمل فرفعوه بينهم و وضعوا على رأس رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم و هو ساجد بفناء الكعبه فسال عليه فصبر و لم يرفع رأسه و بكى فى سجوده و دعا عليهم فجاءت ابنته فاطمه عليها السلام و هى باكية فاحتضنت ذلك السلا فرفعتة عنه فألقته و قامت على رأسه تبكى فرفع رأسه صلى الله عليه و آله و سلم قال: اللهم عليك بقريش قالها ثلاثا، ثم قال صلى الله عليه و آله رافعا صوته: إننى مظلوم فانتصر، قالها ثلاثا، ثم قال فدخل منزله و ذلك بعد وفات عمّه أبى طالب بشهرين.

قال: و لشده عداوه عمرو بن العاص رسول الله صلى الله عليه و آله أرسله أهل مكّه إلى النّجاشى ليزهده فى الدّين و ليطرد عن بلاده مهاجره حبشه و ليقتل جعفر بن أبى طالب عنده إن أمكنه قتله، فكان منه فى أمر جعفر هناك ما هو مذكور مشهور فى السّير.

فاما النّابغه فقد ذكر الزّمخشري فى الكتاب ربيع الأبرار قال: كانت النّابغه أمّ عمرو بن العاص أمه لرجل من عنزه فسبيت فاشتراها عبد الله بن جذعان التّيمى بمكه فكانت بغيا، ثم اعتقها فوقع عليها أبو لهب بن عبد المطلب و اميّه بن خلف الجهمى و هشام بن المغيره المخزومى و أبو سفيان بن الحرب و العاص بن وائل السهمى فى طهر واحد فولدت عمرا فادّعاه كلّهم فحكمت امّه فيه فقالت: هو من العاص .

ص: ٨١

ابن وائل، و ذلك لأنّ العاص بن وائل ينفق عليها كثيرا، قالوا: و كان أشبه بأبي سفيان.

قال: و روى أبو عبيده معمر بن المثنى فى كتاب الأنساب أنّ عمرا اختصم فيه يوم ولادته رجلا: أبو سفيان بن الحرب و العاص بن وائل، فقيل: لتحكم أمّه فقالت أمّه: من العاص بن وائل، فقال أبو سفيان: أما أنى لا أشكّ أنى وضعت فى بطن (رحم خ ل) أمّه فأبت إلاّ العاص فقيل لها: أبو سفيان أشرف نسبا، فقالت:

إنّ العاص بن وائل كثير التّفقه علىّ و أبو سفيان شحيح، ففى ذلك يقول حسان بن ثابت لعمر بن العاص حيث هجاء مكافئا له عن هجاء رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم:

أبو ك أبو سفيان لا شكّ قد بدت لنا فيك منه بينات الشّمائل

ففاخر به إمّا فخرت و لا تكن تفاخر بالعاص الهجين بن وائل

و إنّ التى فى ذاك يا عمرو حكمت فقالت رجاء عند ذاك لنايل

من العاص عمرو تخبر الناس كلّما تجمّعت الأقسام عند المحافل

و فى البحار من الاحتجاج فى حديث طويل قال الحسن عليه السّلام مخاطبا لابن العاص: و أما أنت يا عمرو بن العاص الشّانى اللّعين الأبتّر فانما أنت كلب أوّل أمرك امّيك لبغيه أنّك ولدت على فراش مشترك فتحاكمت فيك رجال قريش منهم أبو سفيان بن حرب و الوليد بن المغيرة و عثمان بن الحارث و النّضر بن الحارث بن كلده و العاص بن وائل كلّهم يزعم أنّك ابنه فغلبهم عليك من بين قريش الأمهم حسبا و أحبّتهم منصبا و أعظمهم بغيه ثمّ قمت خطيبا و قلت أنا شانى محمّد، و قال العاص ابن وائل: إن محمّدا رجل أبتّر لا ولد له فلو قد مات انقطع ذكره فأنزل الله تبارك و تعالى «إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ».

و كانت امّك تمشى إلى عبد قيس يطلب البغه تأتيمهم فى دورهم و فى رحالهم و بطون أوديتهم، ثمّ كنت فى كلّ مشهد يشهده رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم من عدوّه أشدّهم له عداوه و أشدّهم له تكذّيبا، الحديث.

و فى البحار من كتاب سليم بن قيس الهلالي عن أبان بن أبي عيّاش عن سليم

قال: إن عمرو بن العاص خطب الناس بالشام فقال: بعثني رسول الله صلى الله عليه وآله على جيش فيه أبو بكر و عمر فظننت أنه إنما بعثني لكرامتي عليه فلمّا قدمت قلت يا رسول الله أى الناس أحب إليك؟ فقال صلى الله عليه وآله وسلم: عايشه، فقلت: من الرجال؟ قال: أبوها، وهذا عليّ يطعن على أبي بكر و عمر و عثمان، و قد سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله و سلم يقول: إن الله ضرب بالحق على لسان عمر و قلبه، و قال فى عثمان: إن الملائكة تستحى من عثمان.

و قد سمعت عليا و إلا فسمّتا يعنى اذنيه يروى على عهد عمر إن نبي الله نظرا إلى أبي بكر و عمر مقبلين، فقال: يا عليّ هذان سيّدا كهول أهل الجنّه من الأوّلين و الآخرين ما خلا التّبيين منهم و المرسلين و لا تحدّثهما بذلك فيهلكا.

فقام عليّ عليه السّلام فقال: العجب لطغاه أهل الشّام حيث يقبلون قول عمرو و يصدّقونه و قد بلغ من حديثه و كذبه و قلّه ورعه أن يكذب على رسول الله صلى الله عليه وآله و لعنه رسول الله صلى الله عليه وآله و سلم سبعين لعنه و لعن صاحبه الذى يدعو إليه فى غير موطن.

و ذلك أنّه هجا رسول الله صلى الله عليه وآله بقصيده سبعين بيتا فقال رسول الله صلى الله عليه وآله:

اللهم إنى لا أقول الشّعير و لا احلّه فالعنه أنت و ملائكتك بكلّ بيت لعنه تترى على عقبه إلى يوم القيامة.

ثمّ لما مات إبراهيم ابن رسول الله صلى الله عليه وآله فقال: إن محمّدا قد صار أبترا لا عقب له و إنى لأشنا الناس له و أقولهم فيه سوء فأنزل فيه:

«إنّ شانئك هو الأبتّر».

يعنى هو الأبتّر من الايمان من كلّ خير ما لقيت من هذه الامه من كذا بيها و منافقيها لكأنّى بالقراء الضعفه المتهجدين رووا حديثه و صدّقوه فيه و احتجّوا علينا أهل البيت بكذبه: انا نقول خير هذه الامه أبو بكر و عمر و لو شئت لسّميت الثالث، و الله ما أراد بقوله فى عايشه و انتهى الارضاء معاويه بسخط الله عزّ و جلّ، و لقد استرضاه بسخط الله.

و أمّا حديثه الذى يزعم أنّه سمعه منى فلا و الذى فلق الحنّه و برىء النسمة

ليعلم أنه قد كذب على يقينا و إن الله لم يسمعه مني سرًا ولا جهرا، اللهم العن عمرا و العن معاويه بصدّهما عن سبيلك و كذبهما على كتابك و استخفافهما نبيك صلى الله عليه و آله و كذبهما عليه و عليّ.

و فى تفسير عليّ بن إبراهيم القمى دخل رسول الله صلى الله عليه و آله المسجد و فيه عمرو ابن العاص و الحكم بن أبى العاص قال عمرو: يا أبا الأبر و كان الرجل فى الجاهليه إذا لم يكن له ولد سمى ابتر ثم قال عمرو: إني لأشأ محمدا أى ابغضه فأنزل الله على رسوله صلى الله عليه و آله:

«إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكُوثَرَ» إلى قوله: «إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ».

أى مبغضك عمرو بن العاص لا دين له و لا حسب، و بما ذكر كلفه ظهر كفر ابن العاص اللعين و كفر أبيه كما ظهر عداوته لأمر المؤمنين عليه السلام و بغضه و هو ليس ببعيد من أولاد الزنا و لنعم ما قال الشاعر:

بحبّ على تزول الشكوك و تركوا النفوس و تصفو البخار

و مهما رأيت محبا له فتمّ الذكاء (الزكاه) و تمّ الفخار

و مهما رأيت عدوا له ففى أصله نسب مستعار

فلا تعذلوه على فعله فحيطان دار أبيه قصار

و أما خبر عمرو فى صفين فى البحار من المناقب و برز أمير المؤمنين عليه السلام و دعا معاويه قال: و أسألك أن تحقن الدماء و تبرز إلى و أبرز إليك فيكون الأمر لمن غلب، فبهت معاويه و لم ينطق بحرف، فحمل أمير المؤمنين عليه السلام على الميمنه فأزالها، ثم حمل على المسيره فطحنها، ثم حمل على القلب و قتل منهم جماعه و أنشد

فهل لك فى أبى حسن عليل الله يمكن من قفاكا

دعاك إلى البراز فعكت عنهو لو بارزته تربت يداكا

فانصرف أمير المؤمنين عليه السلام ثم برز متنكرا فخرج عمرو بن العاص مرتجرا

يا قاده الكوفه من أهل الفتيا قاتلى عثمان ذاك المؤتمن

كفى بهذا حزنا عن الحزنأضربكم و لا أرى أبا الحسن

فتناكل عنه عليّ عليه السّلام حتى تبعه عمرو ثم ارتجز:

أنا الغلام القرشي المؤمن الماجد الأبيض ليث كالشّطن

يرضى به الساده من أهل اليمين أبو الحسين فاعلمن أبو الحسن

فولى عمرو هاربا فظعنه أمير المؤمنين عليه السّلام فوقعت فى ذيل درعه فاستلقا على قفاء و أبدا عورته فصفح عليه السّلام استحياء و تكرّما، فقال معاويه: أحمد الله عافاك و احمد استك الذى و قال، قال أبو نواس:

فلا خير فى دفع الزدى بمذله كما ردّها يوما بسوءته عمرو

قال و برز عليّ عليه السّلام و دعا معاويه فنكل عنه فخرج بسر بن أرطاه يطمع فى على عليه السّلام فصرعه أمير المؤمنين فاستلقى على قفاه و كشف عن عورته فانصرف عنه على عليه السّلام فقالوا: وليكم يا أهل الشّام أما تستحيون من معامله المخانيت لقد علمكم رأس المخانيت عمرو، و لقد روى هذه السّيره عن أبيه عن جدّه فى كشف الاستاه وسط عرصه الحروب.

قال الشّارح المعتزلى: و للشراء فيهما أشعار مذكوره فى موضعها من ذلك الكتاب منها فيما ذكر الكلبى و المدائنى قول الحرث بن نصر الخثعمى و كان عدوّا لعمرو بن العاص و بسر بن أرطاه:

أفى كلّ يوم فارس ليس يتقى (ينتهى خ ل) و عورته وسط العجاجة بادية

يكفّ لها عنه عليّ سنانه و يضحك منه فى الخلاء معاويه

بدت أمس من عمرو فقنّ رأسه و عوره بسر مثلها حذ و حاذيه

فقولا لعمرو ثم بسر ألا انظرا سبيلكما لا تلقيا اللّيث ثانيه

و لا تحمدا إلاّ الحيا و خصا كما هما كانتا و الله للنفس واقيه

و لو لا هما لم تنجوا من ستانه و تلك بما فيها من العود ماهيه

متى تلقيا الخيل المشيحه صيحه و فيها عليّ فاتر كا الخيل ناحيه

و كونا بعيدا حيث لا يبلغ القنا نحور كما إنّ التجارب كافيّه

قال نصر بن مزاحم: حدّثنا عمرو بن شمر عن النخعى عن ابن عباس قال:

تعرض عمرو بن العاص لعلی علیه السّلام یوما من آیام صَفّین و ظنّ أنّه یطمع منه فی غزّه فیصیبه فحمل علی علیه السّلام فلما کاد أن یخالطه اذری نفسه عن فرسه و دفع ثوبه و شفر برجله فبدت عورته فضرِب علیه السّلام وجهه عنه و قام معفرا بالتراب هازما علی رجلیه معتصما بصفوفه فقال أهل العراق: یا أمیر المؤمنین أفلت الرّجل، فقال علیه السّلام أ تدرّون من هو؟ قالوا: لا، قال علیه السّلام: فأنه عمرو بن العاص تلقانی بسوءه فصرفت وجهی عنه، و رجع عمرو إلى معاویه فقال: ما صنعت یا أبا عبد الله؟ فقال: لقینی علیّ فصر عنی قال: احمد الله و عورتک، و الله إننی لأظنّک لو عرفته لما أقمحت علیه، و قال معاویه فی ذلك:

ألا لله من هفوات عمرو یعاتبنی علی ترکی برازی

. فقد لا قی أبا حسن علینا فآب الوائلی مآب خازی

فلو لم یبد عورته لطارت بمهجته قوادم أی بازی

فان تكن المتیّه أخطأته فقد غنی بها أهل الحجاز

و روى الواقدی قال: قال معاویه یوما بعد استقرار الخلفه لعمرو بن العاص یا با عبد الله لا أراک إلا و یغلبنی الضّحک، قال: بما ذا؟ قال: أ ذکر یوم حمل علیک أبو تراب فی صَفّین فاذریت نفسک فرقا من شبا سنانه و کشف سوئتک له، فقال عمرو: أنا منک أشدّ ضحکا إننی لأذکر یوم دعاک إلى البراز فانفتح منخرک و ربا لسانک فی فمک و عصب ریقک و ارتعدت فرائصک و بدا منک ما أکره ذلك، فقال معاویه: لم یکن هذا کلّه و کیف یكون و دونی عمک و الأشعرون، قال: أنک لتعلم أنّ الذی وضعت دون ما أصابک و قد نزل ذلك بک و دونک عمک و الأشعرون فکیف کانت حالک لو جمعکما ما قَط الحرب؟ قال: یا با عبد الله خض بنا الهزل إلى الجدّ إنّ الجبن و الفرار من علیّ لاعار علیّ أحد فیهما.

الثانی

اعلم أنّ ما رواه السید (ره) من کلامه علیه السّلام مرویّ فی غیر واحد من الکتب

المعتبره، ففي الاحتجاج مثل الكتاب، و في البحار من أمالي المفيد عن محمد بن عمران عن الحسن بن علي بن أحمد بن سعيد عن الزبير بن بكار عن علي بن محمد قال: كان عمرو بن العاص يقول: إن في علي دعابه، فبلغ ذلك أمير المؤمنين عليه السلام فقال: زعم ابن النابغه أنني تلعبه مزاحه ذو دعابه اعافس و امارس، هيهات يمنع من العفاس و المراس ذكر الموت و خوف البعث و الحساب و من كان له قلب ففي هذا عن هذا له واعظ و زاجر، أما و شر القول الكذب و أنه ليحدث فيكذب و يعد فيخلف فاذا كان يوم البأس فأى زاجر و أين هو ما لم يأخذ السيوف هام الرجال، فاذا كان ذلك فأعظم مكيدته في نفسه أن يمنح القوم استه.

و فيه من كتاب الغارات لإبراهيم بن محمد الثقفي قال: بلغ عليا عليه السلام أن ابن العاص ينتقصه عند أهل الشام، فصعد المنبر فحمد الله و أثنى عليه ثم قال: يا عجبا عجبا لا ينقضى لابن النابغه يزعم لأهل الشام، الى آخر الكلام و جمع بين الروايتين.

و كيف كان فقد ظهر و تحقّق من هذه الروايات و ممّا قدّمناه في التذنيب الأوّل أن نسبه ابن العاص له عليه السلام إلى الدعابه كان منشاها شدّه العناد و العداوه كما قد ظهر كذب اللعين ابن اللعين في ذلك بتكذيبه له عليه السلام مع ما ذكره عليه السلام من البيئه و البرهان على كذبه، و هو أن من كان قلبه مستغرقا بذكر الآخره و ما فيها لا يكون له فراغ إلى التلفت إلى الدنيا و مالها.

قال الشارح المعتزلي: و أنت إذا تأملت حال علي عليه السلام في أيام رسول الله صلى الله عليه و آله وجدته بعيدا عن أن ينسب إلى الدعابه و المزاح لأنه لم ينقل عنه شيء من ذلك أصلا لا في الشيعة و لا في كتب المحدثين، و كذلك إذا تأملت حاله في أيام أبي بكر و عمر لم تجد في كتب السيره حديثا واحدا يمكن أن يتعلّق به متعلّق في دعابته و مزاحه إلى أن قال:

و لعمر الله لقد كان أبعد من ذلك و أيّ وقت كان يتسع لعلي عليه السلام حتى يكون فيه على الصّفات، فان زمانه كلّها في العباده و الذكر و الصّلاه و الفتاوى

و العلم و اختلاف النَّاس إليه في الأحكام و تفسير القرآن، و نهاره كلّه أو معظمه مشغول بالصّوم، و ليله كلّه أو معظمه مشغول بالصّلاه، هذا في أيام سلمه فأما أيام حربه فالسيف الشّهير و النّشاب الطّيرير و ركوب الخيل و قود الجيش و مباشره الحروب.

و لقد صدق عليه السّلام في قوله إنّهُ ليمنعني من اللّعب ذكر الموت و لكن الرّجل الشريف النّبيل الذي لا يستطيع أعداؤه أن يذكروا له عيبا أو يعدوا عليه و صمه لا بدّ أن يحتالوا و يبذلوا جهدهم في تحصيل أمرّ ما و إن ضعف يجعلون عذرا له في دمه و يتوسلون به على أتباعهم في تحسينهم لهم مفارقتة و الانحراف عنه، و ما زال المشركون و المنافقون يضعون لرسول الله صلّى الله عليه و آله الموضوعات و ينسبون إليه ما قد برأه الله عنه من العيوب و المطاعن في حياته و يعد وفاته إلى زماننا هذا، و ما يزيده الله سبحانه إلّا رفعة و علواً.

فغير منكر أن يعيب عليا عليه السّلام عمرو بن العاص و أمثاله من أعدائه بما إذا تأمله المتأمل علم أنّهم باعتمادهم و تعلّقهم به قد اجتهدوا في مدحه و الثناء عليه لأنهم لو وجدوا غيره عيبا لذكروه.

أقول: و لعلّه إلى ذلك ينظر الشاعر في قوله:

و اذا أتتك مذمتي من ناقص فهي الشهاده لى بأنّي كامل

و لعمرى أنّه لا بيان فوق ما أتى به الشارح من البيان في توضيح برائه ساحتة عليه السّلام مما قاله ابن العاص في حقّه من الكذب و البهتان إلّا أنّه لو انصف لعلم أنّ كلّ الصّيد في جوف الفراو أنّ أوّل من فتح أمثال ذلك الباب لابن العاص و نظرائه هو عمر بن الخطاب إذ هو أوّل من صدر عنه هذه اللفظه فحذا ابن العاص حذوه كما سبق ذلك في التذييل الثاني من تذييلات الفصل الثالث من فصول الخطبه الثالثه المعروفه بالشقشقيّه.

و قد اعترف به الشارح نفسه أيضا ههنا حيث قال: و أمّا ما كان يقوله عمرو بن العاص في عليّ لأهل الشام: إنّ فيه دعا به يروم أن يعيبه بذلك عندهم

فأصل ذلك كلمه قالها عمر فتلقفها أعداؤه حتّى جعلها أعداؤه عيبا له و طعنا عليه.

و استند فى ذلك إلى روايه أحمد بن يحيى فى كتاب الأمالى قال: كان عبد الله ابن عباس عند عمر فتنفّس عمر نفسا عاليا قال ابن عباس حتّى ظننت أنّ أضلاعه قد انفرجت فقلت له: ما أخرج هذا النفس منك يا أمير المؤمنين إلا همّ شديد؟ قال: اى و الله يا بن عباس فكرت فلم أدر فيمن أجعل هذا الأمر بعدى، ثمّ قال:

لعلّك ترى صاحبك لها أهلا؟ قلت: و ما يمنعه من ذلك من جهاده و سابقته و قرابته و علمه قال: صدقت و لكنه امرء فيه دعا به ثمّ ذكر الخمسه الباقية من أمر أهل الشورى و ثبت لكلّ منهم عيبا نحو ما تقدّم ذكره فى شرح الخطبه الشقشقيه ثمّ قال: إنّ أحرهم أن يحملهم على كتاب ربهم و سنّه نبّيهم لصاحبك و الله لئن وليها ليحملنهم على المحجّه البيضاء و الصراط المستقيم.

ثمّ اعتذر الشارح عن جانب عمر بأنّ عمر لما كان شديد الغلظه، وعر الجانب خشن الملمس، دايم العبوس، كان يعتقد أنّ ذلك هو الفضيله و أنّ خلافه نقص و لو كان سهلا طلقا مطبوعا على البشاشه و سماحه الخلق لكان يعتقد أنّ ذاك هو الفضيله و أنّ خلافه نقص حتى لو قدرنا أنّ خلقه حاصل لعلّى و خلق علّى عليه السّلام حاصل له لقال فى علّى لو لا شراره فيه، فهو غير ملوم عندى فيما قاله و لا منسوب إلى أنّه أراد الغص من علّى عليه السّلام و القدح فيه و لكنه أخبر عن خلقه ظانّا أنّ الخلافه لا تصلح إلاّ للشديد الشكيمه العظيم الوعوره.

إلى أن قال: و جملة الأمر أنّه لم يقصد عيب علّى عليه السّلام و لا كان عنده معيبا و لا منقوصا، ألا ترى أنه قال فى آخر الخبر إنّ أحرهم أن يحملهم على كتاب الله و سنّه رسوله لصاحبك، ثمّ أكّد ذلك بأن قال لئن وليهم ليحملنهم على المحجّه البيضاء و الصراط المستيم، فلو كان أطلق تلك اللفظه و عنى بها ما حملها عليه الخصوم لم يقل فى خاتمه كلامه ما قاله، انتهى ما أردنا ايراده من كلامه.

و أقول: لا أدرى إلى م يتعصّب هذا الرّجل حقّ عمر؟ و حتّام يستصلح

عثراته؟ و أَى شَىء رَأَى مِنْهُ حَتَّى اغْتَرَّ بِهِ؟ و أَى دَاعٍ لَهُ إِلَى تَأْوِيلِ كَلَامِهِ؟ فَإِنَّ لَفْظَهُ الدَّعَابَهُ فِي كَلَامِ ابْنِ الْعَاصِ وَ ابْنِ الْخَطَّابِ وَاحِدَهُ فَلَمْ يَبْقِيهَا فِي حَقِّ ابْنِ الْعَاصِ عَلَى ظَاهِرِهَا وَ يَجْرِيهَا عَلَى أَقْبَحِ وَجْهِهَا وَ يَأْوُلُهَا فِي حَقِّ ابْنِ الْخَطَّابِ وَ يَخْرُجُهَا عَلَى أَحْسَنِ وَجْهِهَا مَعَ أَنَّ الشَّمْسَ لَا يَسْتَرُ بِالْحِجَابِ وَ الْحَقُّ لَا يَخْفَى عَلَى أَوْلَى الْأَبَابِ.

وَ أَهْلَ الْمَعْرِفَةِ يَعْرِفُ أَنَّ كُلَّ مَا يَتَوَجَّهُ فِي هَذَا الْبَابِ عَلَى ابْنِ الْعَاصِ يَتَوَجَّهُ عَلَى ابْنِ الْخَطَّابِ بَلْ وَ زِيَادَهُ إِذْ هُوَ أَوَّلُ مَنْ صَدَرَ عَنْهُ هَذَا التَّشْنِيعُ وَ أَوَّلُ مَنْ اتَّهَمَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِهَذَا الْأَمْرِ الْفُضِيعِ.

ثُمَّ أَقُولُ: كَيْفَ خَفِيَ عَنِ الشَّارِحِ التَّنَاقُضُ فِي كَلَامِ عُمَرَ مَعَ وَضُوحِهِ حَيْثُ إِنَّهُ صَدَقَ ابْنُ عَبَّاسٍ أَوَّلًا فِي كَوْنِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَهْلًا لِلْخِلَافَةِ إِلَّا أَنَّهُ اسْتَدْرَكَ بِقَوْلِهِ: وَ لَكِنَّهُ فِيهِ دَعَابَةٌ فَجَعَلَ الدَّعَابَةَ مَانِعَةً لَهُ عَنْهَا مَوْجِبَةً لِسُقُوطِهِ عَنْ أَهْلِيَّتِهَا وَ ذَلِكَ يَنَاقِضُ صَرِيحًا قَوْلَهُ فِي آخِرِ الرُّوَايَةِ لَثَنَ وَلِيهَا لِيَحْمِلَنَّهُمْ عَلَى الْمَحْجَّةِ الْبَيْضَاءِ وَ بَعْبَارَهُ أُخْرَى إِنْ كَانَتِ الدَّعَابَةُ الَّتِي نَسَبَهَا إِلَيْهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَمْرًا خَارِجًا عَنِ حُدُودِ الْعَدَالَةِ مُخَالَفًا لِلشَّرِيعَةِ الْغَرَاءِ كَيْفَ يُمْكِنُ مَعَهَا حَمْلُ النَّاسِ عَلَى الْمَحْجَّةِ الْبَيْضَاءِ وَ عَلَى الْكِتَابِ وَ السُّنَنِ وَ الطَّرِيقَةِ الْمُسْتَقِيمَةِ وَ إِنْ لَمْ يَكُنْ أَمْرًا مَنَافِيًا لِحَمْلِهِمْ عَلَى مَا ذَكَرَ فَأَيُّ مَانِعِيَةٍ لَهُ عَنِ اسْتِحْقَاقِ الْخِلَافَةِ وَ الْوِلَايَةِ.

وَ أَمَّا مَا اعْتَذَرَ بِهِ الشَّارِحُ مِنْ أَنَّ عُمَرَ إِنَّمَا قَالَ ذَلِكَ بِمَقْتَضَى شِدَّةِ غِلْظَتِهِ وَ خَشُونَةِ جَبَلَتِهِ ظَانًا أَنَّ الْخِلَافَةَ لَا تَصْلُحُ إِلَّا لِلشَّدِيدِ الشَّكِيمِ الْعَظِيمِ الْوَعُورِ.

فِيهِ أَنَّ الشَّدَّةَ وَ الْعِلْظَةَ لَوْ كَانَتَا شَرْطًا لِلْخِلَافَةِ كَمَا ظَنَّهُ عُمَرُ لَوْجِبَ أَنْ يَكُونَ شَرْطًا لِلنَّبَوَةِ بِطَرِيقِ أَوْلَى مَعَ أَنَّهُ سَبَّحَانَهُ قَالَ:

«وَلَوْ كُنْتُ فَظًّا غَلِيظًا لَأَنْفَضُوا مِنْ حَوْلِكَ» وَ مَدَحَ نَبِيَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ بِقَوْلِهِ: «وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ».

فَاللَّازِمُ لِعُمَرِ الَّذِي جَعَلُوهُ خَلِيفَتَهُمْ أَنْ يَكُونَ سِيرُهُ وَ سُلُوكُهُ عَلَى طَبَقِ الْكِتَابِ

لا أن ينبذ الكتاب وراء ظهره و يتكلم بمقتضى طبيعته و بجانب الاقتداء بنبية صلى الله عليه و آله و سلم فى أفعاله و أعماله «و أخلاقه خ ل».

و الانصاف أن من لاحظ وجنات حال عمر يعرف أن كل ما صدر عنه من الأقوال و الأفعال أو أغلبه كان ناشئا من فرط قوته الغضبية و الشهويه و مقتضى هوى نفسه الأماره، و لم يكن ملاحظا جانب الشريعة و مقدما لها على دواعى نفسه و مقتضى جبلته، بل من راجع محاوراته عرف أنه كان مثل حيه سمه فى لسانه تلسع المخالف و المؤالف، و عقرب عوجاء لا تفرق بين البر و الفاجر.

و كفى بذلك شاهدا ما قاله لرسول الله صلى الله عليه و آله و سلم حين وفاته صلى الله عليه و آله و سلم على ما قدمناه مفضلا فى شرح الكلام السداس و الستين فى التنبيه الثانى منه، و ما قاله لأهل الشورى حين وصيته كما مر فى ثانى تذييلات الفصل الثالث من شرح الخطبه الثالثه، و ما توعد به جبله بن الأيهم حتى عاد إلى التصرايه حسب ما مر فى شرح الفصل الثانى من الخطبه الثالثه و مر هناك أيضا أن ابن عباس أضمر بطلان القول بالبعول فى حياته و أظهره بعد وفاته خوفا منه و أنه أساء الأدب فى الكلام بالنسبه إلى رسول الله صلى الله عليه و آله فى صلح الحديبيه إلى غير ذلك مما لو أردنا إشباع الكلام فيها لطل.

و يؤيد ذلك كله ما رواه الشارح فى شرح هذا الكلام من أنه إذا غضب على أهله لم يسكن غضبه حتى يعصّ يده عصا شديدا حتى يدميها.

و بعد ذلك كله لا يكاد ينقضى عجبى من الشارح و أمثاله حيث إنهم يوردون مثل ما أوردناه فى كتبهم و يذكرون مثالب عمر و مطاعنه ثم يغمضون عنها و لا يعرفون مع فضلهم و ذكائهم فى العلوم أن أدنى شىء من ذلك يوجب سقوط الرجل عن مرتبه الكمال و عن درجه القبول و الاعتبار فكيف بذلك كله و كيف بمرتبه الخلافه و منصب الولايه.

و لا- أدرى بأى مناقبه يجعلونه قابلا- لولا-يه الله، و مستحقا لخلافه رسول الله، و لايقاً لرياسه الدين، و أهلا لأماره المؤمنين أ بحسن حاله؟ أم مزيد كماله؟ أم

شرافه نسبه؟ أم كرامه حسبه؟ أم عدويه لسانه؟ أم فصاحه بيانه؟ أم علو قدره؟ أم طهاره مولده؟ أم كثره علمه؟ أم وفور فضله؟ «وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعِهِ يَخْسِبُهُ الظَّمَانُ مَاءً حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللَّهَ عِنْدَهُ فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ».

الثالث

فى تحقيق الكلام فى جواز المزاح و عدمه فأقول إن الأخبار فى طرفى النفى و الاثبات كثيره جدا إلا أن مقتضى الجمع بينها هو حمل أدله النفى على الكثير منه الخارج عن حد الاعتدال و أدله الجواز على القليل كما قال الشاعر:

أفد طبعك المصدود بالجد راحه يجم (١) و علله بشيء من المزح

و لكن إذا أعطيته المزح فليكن بمقدار ما يعطى الطعام من الملح

و يدل على هذا الجمع الأدله المفصله و السيره المستمره، فإن المشاهد من حالات النبى صلى الله عليه و آله و سلم و الأئمه أنهم كانوا قد يمزحون إدخالا- للسُرور فى قلب المؤمنين و مداراه للخلق و مخالطه معهم أو نحو ذلك، و كذلك نوابهم القائمون مقامهم من المجتهدين و العلماء العاملين، فإنهم مع كثره زهدهم و شدّه ورعهم ربما يمزحون و يدعون.

و بالجملة فالحق فى المقام هو الجواز فى الجملة للأدله الداله على ذلك قولاً و فعلاً و تقريراً.

فمنها ما فى الوسائل عن الكلينى باسناده عن معمر بن خلاد قال: سألت أبا الحسن عليه السلام فقلت جعلت فداك الرجل يكون مع القوم فيجرب بينهم كلام يمزحون و يضحكون، فقال، لا بأس ما لم يكن، فظننت أنه عنى الفحش ثم قال: إن رسول

ص: ٩٢

١- (١) أى يستريح منه

اللَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَأْتِيهِ الْأَعْرَابِيُّ فَيَأْتِي إِلَيْهِ الْهَدِيَّةُ ثُمَّ يَقُولُ مَكَانَهُ أَعْطَانَا ثَمَنَ هَدِيَّتِنَا فَيُضْحِكُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ إِذَا اغْتَمَّ يَقُولُ مَا فَعَلَ الْأَعْرَابِيُّ لِئْتَهُ أَتَانَا.

وَعَنْ إِبْرَاهِيمَ بْنِ مَهْزَمٍ عَنْ ذَكَرَهُ عَنْ أَبِي الْحَسَنِ الْأَوَّلِ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ: كَانَ يَحْيَى بْنُ زَكْرِيَّا يَبْكِي وَلَا يَضْحَكُ، وَكَانَ عَيْسَى بْنُ مَرْيَمَ يَضْحَكُ وَيَبْكِي، وَكَانَ الَّذِي يَصْنَعُ عَيْسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ أَفْضَلَ مِنَ الَّذِي كَانَ يَصْنَعُ يَحْيَى عَلَيْهِ السَّلَامُ.

وَعَنِ الْفَضْلِ بْنِ أَبِي قَرَةَ عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ: قَالَ: مَا مِنْ مُؤْمِنٍ إِلَّا وَفِيهِ دَعَابَةٌ، قُلْتُ: وَمَا الدَّعَابَةُ؟ قَالَ: الْمَزَاحُ.

وَعَنْ يُونُسَ بْنِ الشَّيْبَانِيِّ قَالَ: قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ: كَيْفَ مَدَاعِبُهُ بَعْضُكُمْ بَعْضًا؟ قُلْتُ: قَلِيلٌ قَالَ: فَلَا تَفْعَلُوا فَإِنَّ الْمَدَاعِبَةَ مِنْ حَسَنِ الْخَلْقِ وَإِنَّكَ لِتَدْخُلَ بِهَا السَّرُورَ عَلَى أَخِيكَ، وَلَقَدْ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ يَدَاعِبُ الرَّجُلَ يَرِيدُ أَنْ يَسْرَهُ.

أَقُولُ: وَيَسْتَفَادُ مِنْ هَذِهِ الرَّوَايَةِ اسْتِحْبَابُهَا لِشُمُولِ أَدْلُهُ اسْتِحْبَابَ حَسَنِ الْخَلْقِ وَإِدْخَالَ السَّرُورِ فِي قَلْبِ الْمُؤْمِنِ عَلَيْهَا.

رَوَى فِي الْوَسَائِلِ عَنِ الصَّيْدِ دُوقِ فِي الْمَجَالِسِ مَسْنَدًا عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيِّ الرِّضَا عَنْ آبَائِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ: قَالَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ إِنَّكُمْ لَنْ تَسْعُوا النَّاسَ بِأَمْوَالِكُمْ فَسَعَوْهُمْ بِطَلَاقِهِ الْوَجْهِ وَحَسَنِ اللَّقَاءِ فَانِي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ إِنَّكُمْ لَنْ تَسْعُوا النَّاسَ بِأَمْوَالِكُمْ فَسَعَوْهَا بِأَخْلَاقِكُمْ.

وَفِي شَرْحِ الْمَعْتَزَلِيِّ رَوَى النَّاسَ قَاطِبَهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ قَالَ إِنَّي أَمْزَحُ وَلَا أَقُولُ إِلَّا حَقًّا.

وَفِيهِ أَتَتْ عَجُوزٌ مِنَ الْأَنْصَارِ إِلَيْهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ فَسَأَلَتْهُ أَنْ يَدْعُو اللَّهَ تَعَالَى لَهَا بِالْجَنَّةِ فَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ إِنَّ الْجَنَّةَ لَا تَدْخُلُهَا الْعَجُزُ، فَصَاحَتْ فَتَبَسَّمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَقَالَ:

«إِنَّا أَنْشَأْنَاهُنَّ إِنْشَاءً فَجَعَلْنَاهُنَّ أَبْكَارًا» قَالَ وَكَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ يَمَازِحُ ابْنَةَ بَنْتَةَ مَزَاحِ مَشْهُورًا وَكَانَ يَأْخُذُ الْحَسِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَيَجْعَلُهُ عَلَى بَطْنِهِ وَهُوَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ نَائِمٌ عَلَى ظَهْرِهِ وَيَقُولُ تَرْقَهُ تَرْقَهُ تَرْقَهُ تَرْقَهُ عَيْنَ بَقَّةٍ.

قال: و جاء في الخبر أن يحيى عليه السلام لقي عيسى عليه السلام و عيسى متبسّم فقال يحيى:

ما لي أراك لا هيا كأنك آمن فقال أراك عابسا كأنك آيس فقال: لا نبرح حتى ينزل علينا الوحي فأوحى الله إليهما أحبكما إلى الطلق البسام أحسنكم ظنا بي.

قال: و رأى نعيمان يبيع أعرابي عكّه غسل فاشتراها منه فجاءها إلى بيت عايشه في يومها، و قال خذوها فظنّ رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلم أنه أهداها إليه و مضى نعيمان فنزل الأعرابي على الباب فلما طال قعوده نادى يا هؤلاء إمّا أن تعطونا ثمن العسل أو تردّوه علينا، فعلم رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلم بالقصه و أعطى الأعرابي الثمن و قال صلّى الله عليه و آله و سلم لنعيمان: ما حملك على ما فعلت؟ قال: رأيتك يا رسول الله تحبّ العسل و رأيت العكّه مع الأعرابي، فضحك رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلم و لم ينكر.

و في زهر الزبيح تأليف السيّد نعمه الله الجزائري «قده» روى أنه كان يأكل رطبا مع ابن عمّه أمير المؤمنين عليه السّلام و كان يضع النوى قدام عليّ عليه السّلام فلما فرغا من الأكل كان النوى مجتمعاً عنده، فقال صلّى الله عليه و آله: يا علي إنك لأكول، فقال: يا رسول الله الأكول من يأكل الرطب و النواه.

و روى أنه أتته امرئه في حاجه لزوجها فقال لها: و من زوجك؟ قالت:

فلان فقال صلّى الله عليه و آله و سلم: الذي في عينه بياض فقالت: لا، فقال: بلى فانصرفت عجلا إلى زوجها و جعلت تتأمل عينه فقال لها: ما شأنك؟ فقالت: أخبرني رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلم إنّ في عينك بياضا، فقال: أما ترين بياض عيني أكثر من سواده؟ قال: و استدبر صلّى الله عليه و آله رجلا من ورائه و أخذ بعضده و قال من يشتري هذا العبد يعني أنه عبد الله.

و قال: قال صلّى الله عليه و آله لرجل: لا تنس ياذا الاذنين.

و رأى جملا يمشى و عليه حنطه فقال عليه السلام: تمشى الهريسه.

و جاء أعرابي فقال: يا رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلم بلغنا أنّ الدجال يأتي بالثريد و قد هلكوا جميعا جوعا أفترى بأبي أنت و أمي أن أكفّ عن ثريده تعففا؟ فضحك رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلم ثم قال: بل يغنيك الله بما يغني به المؤمنين.

وقبل خالد القسري خذ امرئه فكشفت إلى النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فَارْسَلْ إِلَيْهِ فَاعْتَرَفَ وَقَالَ: إِنْ شَاءَتْ أَنْ تَقْتَصَّ فَلْتَقْتَصَّ فَإِنَّ مِنْ دِينِكَ الْقِصَاصَ فَتَبَسَّمَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَأَصْحَابُهُ وَقَالَ: أَوْ لَا تَعُودُ؟ فَقَالَ: لَا وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ فَعَفَى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ.

وقال رجل: احملني يا رسول الله، فقال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ أَنَا حَامِلُوكَ عَلَى وَلَدٍ نَاقَهُ فَقَالَ: مَا أَصْنَعُ بَوْلِدِ نَاقِهِ؟ قَالَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: وَهَلْ يَلِدُ الْإِبِلُ إِلَّا التُّوقَ؟.

الرابع

في طائفة من طرائف الكلم و طرايف الحكم و نوادر الأخبار، و غرائب

الآثار

، أردت أن اوردها هنا ليرتفع بها الكلال و يرجع إليها عند الملل، فإنّ القلوب قد تملّ و الأرواح تكلّ كما تكلّ الأبدان فتحتاج إلى التنزه و الارتياح و التفرّج و السراح.

فأقول: روى إنَّ أبا حنيفة قال يوماً لمؤمن الطاق: يا با جعفر أنت قائل بالرجعة؟ قال: نعم، قال: فاقرض لي خمسمائة دينار أو ديكت في الرجعة، فأجاب «ره» إنَّ من جملة أحكام الرجعة عندنا أنّ بعض مبغضى آل محمّد سلام الله عليه و عليهم يرجعون بصورة الكلاب و الخنازير فلا بدّ أن تؤتيني ضامناً على أنّك ترجع بصورة الانسان و أخاف أن ترجع بصورة الخنزير.

وقال أيضاً له يوماً: يا با جعفر لو كان لعليّ حقّ في الخلافه فلم لم يطالبها؟ قال: خاف أن يقتلها الأجنّه بحمايه أبي بكر و عمر كما قتلت سعد بن عباده.

قال الراغب في المحاضرات: إنَّ بقزوين قريه أهلها متناهون بالتشيع فمّر بهم رجل فسألوه عن اسمه فقال: عمر، فضربوه ضرباً شديداً، فقال: ليس اسمي عمر بل عمران، فقالوا: هذا أشدّ من الأوّل فإنّ فيه عمر و حرفان من عثمان فهو أحقّ بالضرب.

و مضى رجل إلى بغداد فاتهموه بسبّ الشّيوخين فأخذوه إلى القاضي فسأله القاضي، فقال: كذبوا عليّ أنا رجل عاقل أعرف أنّ هذه البلاد بلاد أهل الخلاف لا ينبغي اللعن و السبّ و الطعن فيها هذا شيء يجوز في بلادنا أمّا هذه البلاد فلا

و كان القاضي منصفاً فضحك و خلّاه.

روى فى حواشى المغنى عن أبى بكر الأنبارى بسنده إلى هشام بن الكلبيّ قال: عاش عبيد بن شريه الجرهمى ثلاث مائة سنة و أدرك الاسلام فأسلم و دخل على معاوية بالشّام و هو خليفه، فقال: حدّثنى بأعجب ما رأيت، فقال: مررت ذات يوم بقوم يدفنون ميّتا لهم فلما انتهيت إليهم اغرورقت عيناي بالدموع فتمتلت بقول الشّاعر:

يا قلب إنك من أسماء مغرور فاذكر و هل ينفعنك اليوم تذكير

قد بحث بالحبّ ما تخفيه من أحد حتّى جرت لك اطلاقاً محاضير

تبغى امورا فما تدرى أعاجلها أدنى لرشدك أم ما فيه تأخير

فاستقدر الله خيراً و ارضينّ به فيبينما العسر إذ دارت مياسير

و بينما المرء فى الاحياء مغتبط إذ صار فى الرّمس يعفوه الأعاصير

يبكى عليه الغريب ليس يعرفه و ذو قرابته فى الحىّ مسرور

قال: فقال: لى رجل: أتعرف من قال هذا الشعر؟ قلت: لا، قال: إنّ قائله هو الذى دفنناه السّاعه و أنت الغريب تبكى عليه و لا تعرفه، و هذا الذى خرج من قبره أمسّ الناس رحماً به و أسرّهم بموته فقال له معاوية: لقد رأيت عجباً فمن الميّت قال: هو عنتر بن لبيد الغدرى.

روى أنّ مؤمن الطّاق كان بينه و بين أبى حنيفه مزاح و كان يمشى معه يوماً فنادى رجل: من يدلّنى على صبّى ضالّ؟ فقال مؤمن الطّاق أمّا الصّبّى الضالّ فلا أدري إن كنت تبغى الشيخ الضالّ فهو هذا. و أشار إلى أبى حنيفه، و قيل إنّ أبا حنيفه كان جالساً مع أصحابه فجاء مؤمن الطّاق فقال أبو حنيفه لأصحابه: جائكم الشيطان و سمعه مؤمن الطّاق فقراً.

«أَنَا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ تَوَضُّعُهُمْ أَزًّا» (١)

ص: ٩٤

١- (١) اى تزعجهم ازعاجا

أقول: مؤمن الطاق لقب هشام بن الحكم عند الشيعة و هو من أصحاب الصادق عليه السلام و يسمونه المخالفون شيطان الطاق و له بسطه يد في المناظرات.

قيل: مكتوب في خاتمه التوراه هذه الكلمات: كل غني لا زاحه له من ماله فهو و الأجير سواء، و كل امرئ لا تجالس في بيتها فهي و الأمه سواء، و كل فقير تواضع الأغنياء لغناه فهو و الكلب سواء، و كل ملك لا عدل له فهو و فرعون سواء و كل عالم لا يعمل بعلمه فهو و إبليس سواء.

المدايني، رأيت رجلا يطوف بين الصيفا و المروه على بغل ثم رأيت رجلا في سفر فقلت له: تمشي و يركب الناس؟ فقال: ركبت حيث يمشي الناس و حق على الله أن يرجلني حيث يركب الناس.

ارسطاطاليس، حركه الاقبال بطيئه حركه الادبار سريعه لأن المقبل كالصاعد من مرقاه إلى مرقاه و المدبر كالمقذوف به من علو إلى سفلى.

أرسل رجل سنّي إلى شيعي مقدارا من الحنطه و كانت حنطه عتيقه فردّها عليه ثم أرسل إليه عوضا جديده و لكن فيها تراب فقبلها و كتب إليه بهذا الشعر:

بعث لنا بدال البرّ بزا رجاء للجزيل من الثواب

رفضناه عتيقا و ارتضينا به إذ جاء و هو أبو تراب

أقول: و غير خفي لطفه فإن عتيق اسم أبي بكر و أبو تراب كنيه أمير المؤمنين عليه السلام سئل نصراني عسي عليه السلام أفضل أم موسى؟ فقال: إن عيسى يحيى الموتى و موسى و كز رجلا فقضى عليه، و عيسى تكلم في المهد صبيا و موسى قال بعد ثمانين سنه: و احلل عقده من لساني فانظر أيهما أفضل.

نقل أنه لما مات عمر بن عبد العزيز و تخلّف بعده يزيد بن عبد الملك قال لوزرائه: دلّوني على خزائن ابن عبد العزيز فدّلوه على حجره كان يخلو فيها، فلما فتحوا قفلها رأوها قاعا بيضاء و في وسطها تراب متحجر من بكائه و فيها ثياب خشنه و غلّ من الحديد يضعه في عنقه و يبكي إذا تفرّد بنفسه قيل إن أهل خراسان علموا بموته بالشام يوم وفاته قالوا: كُنّا نرى الذّب

مع الغنم و السباع مع الانعام حتى افرقت ذات يوم من الأيام فعلمنا أنه قد مات و قال الشيخ الرئيس: النساء من ثلاث إلى عشر سنين لعبه اللاعبين، و من عشره إلى خمسة عشرهنّ حور عين، و من خمسة عشر إلى عشرين هنّ لحم و شحم و لين، و من عشرين إلى ثلاثين هنّ امهات البنات و البنين، و من ثلاثين إلى أربعين هنّ عجوز في الغابرين، و من أربعين إلى خمسين اقلوهنّ بالسكين، و من خمسين إلى ستين عليهنّ لعنه الله و الملائكه و الناس أجمعين.

قيل دخلت امرئه على داود النبي صلى الله عليه و آله و سلم فقالت: يا نبي الله ربك عادل أم ظالم؟ فقال عليه السلام: ويحك هو العدل الذي لا يجوز ثم قال لها: ما قصّتك؟ قالت:

أنني امرئه أرمله و عندي ثلاث بنات و إنني أقوم عليهنّ من غزل يدي فلما كان أمس شدّيت غزلي في خرقة حمراء و أردت أن أذهب به إلى السوق و أبيعها فأشترى الطعام للأطفال فاذا بطاير قد انقضّ عليّ و أخذ الخرقة و الغزل و طار، و بقيت حزينة مالي شيء أبلغ به أطفالي.

قال الراوى فبينما المرأه مع داود عليه السلام في الكلام فاذا بطارق يطرق الباب فأذن داود عليه السلام بالدخول و إذاهم عشره من التجار و مع كلّ واحد مائة دينار فقالوا:

يا نبي الله بمستحقّها فقال عليه السلام لهم و ما سبب إخراجكم هذا المال؟ قالوا: كنّا في مركب فهاجت علينا الرياح فعاب المركب و أشرفنا على الغرق و إذا نحن بطاير قد ألقى إلينا خرقة حمراء و فيها غزل فسدنا به عيب المركب فانسدّ و ندرنا أن يصدّق كلّ واحد منّا مائة دينار من ماله، و هذا المال بين يدك تصدّق به على من أردت، فالتفت داود إلى المرأه و قال عليه السلام: ربّيك يتجر لك في البحر و تجعلينه ظالما؟ ثم أعطاهم الألف دينار و قال: اذهبي بها و أنفقيها على أطفالك و الله أعلم بحالك.

حكى إنّ جماعة من المصريّين لعنهم الله نقبوا في جوار روضه النبي صلى الله عليه و آله و سلم و قصدوا إخراج جسده الشريف و نقله إلى مصر و كان ذلك في نصف الليل فسمع أهل المدينة من الجوّ: احفظوا نبيكم صلى الله عليه و آله، فأوقدوا السراج و طافوا فرأوا ذلك النقب

فى الجدار و حوله الجماعة موتى.

قال السيد الجزائري: حكى لى جماعة من الثقات أنه فى بعض السنين نزلت صاعقه فىها نار من السماء على الصريح المقدس النبوى صلى الله عليه و آله فى المدينة فاحرقت طرفا منه فقال بعض النواصب شعرا:

لم يحترق حرم النبى لحادث و لكل شىء مبتدا و إزار

لكنما أيدى الروافض لامست ذاك الجنب فطهرته النار

فقال بعض الشيعة فى الجواب:

لم يحترق حرم النبى لحادث و لكل شىء مبتدا و عواقب

لكن شيطانين قد نزلا به و لكل شيطان شهاب ثاقب

روى فى البحار أنّ يحيى بن خالد البرمكى سأل مؤمن الطّاق هشام بن الحكم بمحضر من الرّشيد فقال: أخبرنى يا هشام هل يكون الحقّ فى جهتين مختلفتين؟ قال هشام: الظاهر لا قال فأخبرنى عن رجلين اختصما فى حكم فى الدّين و تنازعا هل يخلو من أن يكونا محقّين أو مبطلين أو أن يكون أحدهما محقّا و الآخر مبطلا؟ فقال هشام: لا يخلو من ذلك.

قال يحيى: فأخبرنى عن علىّ و العباس لَمّا اختصما إلى أبى بكر فى الميراث أيهما كان المحقّ و من المبطل إذ كنت لا تقول أنّهما كانا محقّين و لا مبطلين؟ قال هشام: فنظرت فاذا أنّى إن قلت إنّ عليّا عليه السّلام كان مبطلا كفرت و خرجت من مذهبي، و إن قلت: إنّ العباس كان مبطلا ضرب الرّشيد عنقى و وردت علىّ مسأله لم اكن سئلت عنها قبل ذلك الوقت و لا أعددت لها جوابا.

فذكرت قول أبى عبد الله عليه السّلام يا هشام لا تزال مؤيّدا بروح القدس ما نصرتنا بلسانك فعلمت أنّى لا اخذل و عنّ لى الجواب فى الحال فقلت له: لم يكن لأحدهما خطأ حقيقه و كانا جميعا محقّين و لهذا نظير قد نطق به القرآن فى قصه داود عليه السّلام يقول الله عزّ و جلّ:

«هَلْ أَتَاكَ نَبَأُ الْخَضْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا الْمِحْرَابَ» إلى قوله: «خَضْمَانِ بَغَى بَعْضُنَا عَلَى بَعْضٍ».

فأى الملكين كانا مخطئا وأيها كان مصيبا أم تقول انهما كانا مخطئين فجوابك في ذلك جوابي فقال يحيى: لست أقول إن الملكين أخطأ بل أقول إنهما أصابا وذلك إنهما لم يختصما في الحقيقة ولم يختلفا في الحكم وإنهما أظهرتا ذلك لئيبها على داود عليه السلام في الخطيئة ويعرفاه الحكم ويوقفاه عليه.

قال هشام: قلت له: كذلك على عليه السلام والعباس لم يختلفا في الحكم ولم يختصما في الحقيقة وإنما أظهرتا الاختلاف والخصومه لئيبها أبا بكر على خطائه ويدلّاه على أن لهما في الميراث حقا ولم يكونا في ريب من أمرهما وإنما كان ذلك منهما على حد ما كان من الملكين، فاستحسن الرشد ذلك الجواب.

صلى أعرابي خلف إمام فقراً.

«إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ».

ثم وقف وجعل يرددّها، فقال الأعرابي: أرسل غيره يرحمك الله وأرحنا وأرح نفسك وصلى آخر خلف إمام فقراً.

«فَلَنْ أَبْرَحَ الْأَرْضَ حَتَّى يَأْذَنَ لِي أَبِي».

فوقف وجعل يرددّها، فقال الأعرابي: يا فقيه إن لم يأذن لك أبوك في هذه الليلة نطل نحن وقوفا إلى الصّباح؟ ثم تركه وانصرف.

في الأثر أنّ الجاحظ كان من العلماء النواصب وهو قبيح الصورة حتى قال الشاعر:

لو يمسخ الخنزير مسخا ثانيا ما كان إلا دون قبح الجاحظ

قال يوما لتلامذته: ما أخجلني إلا امرئ أتت بي إلى صائغ فقالت: مثل هذا، فبقيت حائرا في كلامها، فلما ذهبت سألت الصائغ فقال: استعملتني لأصوغ لها

صوره جنى فقلت: لا أدري كيف صورته فأنت بك.

فى الحديث إن شيطاناً سمينا لقي شيطاناً مهزولاً فقال: لم صرت مهزولاً؟ قال: إننى مسلط على رجل إذا أكل أو شرب أو أتى أهله يقول: بسم الله فحرمت المشاركة معه فصرت مهزولاً، و أنت لم صرت سمينا؟ قال: إننى مسلط على رجل غافل عن التسميه يأكل و يشرب و يأتى أهله غافلاً فشاركته فيها كما قال تعالى «و شارِكُهُمْ فِى الْأَمْوَالِ وَ الْأَوْلَادِ».

حكى إن عالماً سئل عن مسأله فقال: لا أدري فقال السائل: ليس هذا مكان الجهال، فقال العالم: المكان لمن يعلم شيئاً و لا يعلم شيئاً فأما الذى يعلم كل شىء فلا مكان له.

و سئل أبو بكر الواعظ عن مسأله فقال: لا- أدري قيل له: ليس المنبر موضع الجهال، فقال: إنما علوت بقدر علمى و لو علوت بقدر جهلى لبلغت السماء.

دخل لصّ دار رجل يسرق طحيناً فى الليل فبسط رداءه و مضى إلى الطحين ففطن به صاحب المنزل و مدّ يده و جرّ الرداء إليه فأتى اللصّ بالطحين و وضعه يظن أنه فوق الرداء و إذا هو فى الأرض فصاح به صاحب الدار سارق سارق فانفلت اللصّ هارباً و هو يقول قد علم أيتنا السارق أنا أو أنت.

قال الأصمعى: دخلت البادية و معى كيس فأودعته عند امرئه منهم فلما طلبته أنكرته فقدمتها إلى شيخ فأقامت على إنكارها، فقال: ليس عليها إلا يمين فقلت كأنك لم تسمع قوله تعالى:

و لا تقبل لسارقه يمينا و لو حلفت برّب العالمينا

فقال: صدقت ثم تهددها فأقرت و ردّت إلى مالى ثم التفت إلى الشيخ فقال فى أىّ سورة تلك الآية؟ فقلت فى سورة.

ألا هبى بصحنك فاصبحنا و لا تبقى خمور الأندرينا

(١)

ص: ١٠١

١- (١) البيت لعمر بن كلثوم التغلبي هب من نومه يهب هبا اذا استيقظ و الصحن القدح العظيم و الجمع الصحون و الصبح سقى الصبوح و الفعل صبح يصبغ و الاندرون قرى بالشام يقول الا استيقظى من نومك ايتها الساقية و استقيني الصبوح بقدحك العظيم و لا تدخرى خمر هذه القرى، هكذا قال شارح الايات، منه

قال: سبحان الله لقد كنت ظننت أنها في سورة إنا فتحنا لك فتحا مبينا.

و نظيره أنّ رجلا احضر ولده إلى القاضي فقال: يا مولانا إنّ ولدى هذا يشرب الخمر و لا يصلّي، فأنكر ولده ذلك فقال أبوه: أتكون صلاه بغير قراءه؟ فقال الولد إنّى أقرأ القرآن و أعرف القرائه فقال له القاضي: اقرء حتى أسمع فقال:

علق القلب ربابا بعد ما شابت و شابا

إنّ دين الله حقّ لا ترى فيه ارتيابا

فقال له أبوه: إنّ لم يتعلّم هذا إلاّ- البارحه سرق مصحف الجيران و حفظ هذا منه فقال له القاضي: قاتلكم الله يتعلّم أحدكم القرآن و لا يعمل به.

قيل: ما وضعت سرّي عند أحد فأفشاه فلمته لأنّى أحقّ باللوم منه اذ كنت أضيق صدرا منه قال الشاعر:

إذ المرء أفشا سرّه بلسانه فصدر الذى يستودع السرّ أضيق

إذا ضاق صدر المرء عن سرّ نفسه و لام عليه آخرا فهو أحق

رأى الحسن عليه السّلام يهودىّ فى أبهى زىّ و أحسنه و اليهودىّ فى حال ردّىّ و حال رثه، فقال: أليس قال رسولكم: الدّنيا سجن المؤمن و جنّه الكافر؟ قال عليه السّلام نعم، فقال: هذا حالى و هذا حالك، فقال عليه السّلام: غلطت يا أخا اليهودىّ و لو رأيت ما وعدنى الله من الثواب و ما أعدّ لك من العقاب لعلمت أنّك فى الجنّه و أنّى فى السّجن.

حكى صاحب الأغاني قال: صلّى دلال يوما خلف إمام بمكّه فقال:

«و ما لى لا أعبّد الذى فطرّنى».

فقال: ما أدرى و الله، فضحك الناس و قطعوا الصّلاه، فلمّا فرغوا عاتبه الامام و قال: ويلك لا تدع الجنون و السّيفه قال: كنت عندى أنّك تعبد الله فلمّا سمعتك تستفهم ظننت أنّك قد شككت فى ربّك فتب إليه.

قيل: دخل أعرابىّ فى الجامع ليصلّى و كان اسمه موسىّ و وجد فى طريقه

كيسا فيه دنانير فقرأ الامام: «و ما تلك بيمينك يا موسى» فرمى إليه الكيس و قال: و الله أنك لساحر.

حكى أنّ بعضهم تمنى في منزله و قال: يكون عندنا لحم فنطبخه على مرق فما لبث أن جاء جاره بصحن فقال: اغرفوا لنا فيه قليلا من المرق، فقال. إنّ جيراننا يشمون رائحه الأمانى.

قال أبو عليّ بن سينا في رساله المعراج: إنّ أمير المؤمنين عليّ بن أبى طالب عليه السّلام مركز الحكمة و فلك الحقيقة و خزانة العقل، و لقد كان بين الصحابه كالمعقول بين المحسوس.

روى ان طايفه من العامه تناظروا مع شيخنا بهاء المله و الدّين فقالوا: كيف تجوزون قتل عثمان مع ما ورد من قوله: صلّى الله عليه و آله و سلّم مثل أصحابى كمثل النجوم بايهم اقتديتم اهتديتم؟ فقال: جوزنا قتله بهذا الحديث لأنّ بعض الصّحابه افتى بقتله و بعضهم باشر قتله.

قال الحجّاج يوما لرجل: اقرء شيئا من القرآن فقال:

«إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَ الْفَتْحُ وَ رَأَيْتَ النَّاسَ «يَخْرُجُونَ مِنْ» «دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا».

فقال: ليس كذلك بل هي «يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ»، قال: ذلك قبل ولايتك و لكنهم الآن يخرجون بسببك، فضحك و أعطاه.

صلّى معروف الكرخى خلف إمام فلما فرغ من صلاته قال الامام لمعروف من أين تأكل؟ قال: اصبر حتى اعيد صلاتى خلفك لأنّ من شكّ في رزقه شكّ في خالقه.

قال في مجمع البيان في ذكر حكم لقمان: إنّ مولاه دعاه فقال اذبح شاه فأتنى بأطيب مضغتين منها، فذبح شاه و أتاه بالقلب و اللسان، فسأله عن ذلك فقال:

إنّهما أطيب شىء إذا طابا و أخبث شىء إذا خبثا.

و فيه قال عبد الله بن دينار: قدم لقمان من سفر فلقي غلامه في الطريق فقال:

ما فعل أبي؟ قال: مات، قال: ملكت أمري، قال: ما فعلت امرأتى؟ قال: ماتت، قال:

جدد فراشى، قال: ما فعلت اختى؟ قال: ماتت، قال: سترت عورتى، قال: ما فعل أخى؟ قال: مات، قال: انقطع ظهري.

عن كشكول البهائي (ره) إن أباه حسين بن عبد الصمد الحارثي وجد في مسجد الكوفة فص عقيق مكتوب عليه:

أنا درّ من السماء نثروني يوم تزويج والد السبطين

كنت أصفى من اللجين بيضا صبغتني دماء نحر الحسين

قال نعمه الله الموسوي الجزائري (ره): وجدنا في نهر تستر(1) صخره صغيره صفراء أخرجها الحفّارون من تحت الأرض و عليها مكتوب بخط من لونها:

بسم الله الرحمن الرحيم لا إله إلا الله محمّد رسول الله عليّ وليّ الله لما قتل الحسين بن عليّ بن أبي طالب بأرض كربلا كتب دمه على أرض حصباء: و سيعلم الذين ظلموا أيّ منقلب ينقلبون.

في رياض الجنّه تأليف بعض أصحابنا أنّ الباري عزّ و جلّ قال لعزرائيل:

هل رحمت أحدا و هل هبت من أحد؟ فقال: يا ربّ أنت أعلم، فقال سبحانه تعالى صدقت يا عزرائيل و لكن احبّ أن تقول ذلك، فقال عزرائيل: إني يا ربّ رحمت طفلا يرتضع ثدي امّه و كان هو و امّه في مركب في البحر فغرق المركب فأمرتني ان أقبض روح امّه فقبضتها و بقي الولد في البحر طايفا على صدر امّه فرحمته، و إني يا ربّ خفت (هبت خ ل) من رجل أمرتني أن أقبض روحه و كان ذا سلطان و مملكه و غلمان كثيره و هو جالس على سريره في نهايه العافيه فلما اردت قبض روحه دخلني خوف و رعب، فقال الباري سبحانه: يا عزرائيل الذي رحمته هو الذي خفت منه، ثم قال: المشهور أنّ الرجل المذكور هو الشّداد المعروف، و العلم عند الله.

ص: ١٠٤

١- (١) وزان جندب اسم بلد يقال له ششتر منه

و فيه و في غيره أنّ بهلول وقت جنونه مرّ يوماً على باب دار أبي حنيفة فوقف عند الباب ساعه فسمع أبا حنيفة يحدث أصحابه و يقول: إنّ جعفر بن محمد الصّادق عليه السّلام يقول: إنّ الله لا- يمكن رؤيته و محال عليه الرؤيه، و أيضا إنّ العبد فاعل مختار يفعل فعله بالاختيار، و يقول: إنّ الشّيطان يعذب بالنار و هذه الأقوال الثلاثة غير معقوله عندي.

أمّا الأوّل فلأنّ الله تعالى موجود و كلّ موجود يمكن رؤيته، و الثّاني إنّ العبد لا اختيار له، و الثّالث إنّ الشّيطان خلق من النّار فلا يعذب إذ النّار لا يعذب بعضها بعضاً.

فلما سمع بهلول ذلك الكلام اغتاظ و أخذ مدراً من الأرض فضرب أبا حنيفة فأصاب رأسه و أوجعه و مضى يعدو، فتلاحقه أصحاب أبي حنيفة و جاءوا به إليه و لأجل قرابته من المنصور الخليفة لم يقدرُوا أن يصلوا إليه بشيء من الضرب قال أبو حنيفة: اذهبوا به إلى الخليفة و أخبروه بما فعل، فلما أخبر المنصور بالقصه عاتبه و قال له: لم فعلت ذلك و طلب أبا حنيفة يعتذر إليه بحضره بهلول، فطلب بهلول الرخصه منه في التّكلم مع أبي حنيفة فأذن له.

فقال: يا با حنيفة ما أصابك منّي؟ قال: ضربتني بالمدر فوجع رأسي، فقال بهلول: أرني الوجع حتّى أنظر اليه، فقال أبو حنيفة: يا مجنون الوجع كيف يرى؟ و كيف يمكن أن تنظر اليه؟ فقال بهلول: يا ملعون الوجع موجود أم لا-؟ قال: بل موجود، قال بهلول: إنك ادّعت أنّ الله يرى لأنّه موجود و الوجع أيضا موجود فلم لا يرى؟ فلما سمع أبو حنيفة ذلك أطرق رأسه و افحم.

ثمّ قال: يا با حنيفة ينبغي أن لا يوجع المدر رأسك لأنك خلقت من التّراب و هو تراب، ثمّ قال: يا با حنيفة العبد لا فعل له و لا اختيار حسب ما زعمت فلأنيّ شيء تؤاخذني بما صدر منّي و لا قدره لى عليه؟ فلما سمع الخليفة أقواله استحسّن مقاله و رخصه في الانصراف بغير عتاب.

في زهر الرّبيع أنّ أبا العلى المعزى كان يتعصّب لأبي الطيب فحضر يوماً مجلس المرتضى «ره» فذكر أبو الطيب فأخذ المرتضى في ذمّه و الازراء عليه

فقال المعزى: لو لم يكن له من الشعر إلا قصيدته اللاميه و هي:

لك يا منازل في القلوب منازل أقفرت أنت و هنّ منك أو اهل

لكفى في فضله، فغضب المرتضى و أمر بحسب المعزى فسحب و ضرب، فلما اخرج قال المرتضى لمن بحضرتة: هل تدرّون ما عنى الأعمى إنّما عنى قول المتنبى فى اثناء قصيدته:

و إذا أتتك مذمتى من ناقص فهى الشّهاده لى بأنّى كامل

و لما بلغ الخبر إلى أبى العلى قال: قاتله الله ما أشدّ فهمه و زكاه، و الله ما عنيت غيره.

أقول: أبو العلى ذلك كان من النواصب فصار من الزنادقه و معروف أنّ المرتضى «ره» أمر بقلع عينيه و له اعتراضات على الشريعة و حكمه الله سبحانه و من جملتها قوله:

يد بخمس مئين عسجد و ديت ما باله قطعت فى ربع دينار

و أجابه المرتضى بقوله:

عزّ الامانه أغلاها و أرخصها ذلّ الخيانه فانظر حكمه البارى

و ربما ينسب هذا الجواب إلى أخيه الرضى «ره».

فى البحار من كتاب الفردوس عن على بن أبى طالب عليه السّلام قال: قال رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم إذا رأيت حيه فى الطّريق فاقتلها فأنّى قد شرطت على الجنّ أن لا يظهروا فى صوره الحيات فمن ظهر فقد أحلّ بنفسه.

أقول: و يناسب ذلك و يؤيّدّه ما ذكره شارح ديوان أمير المؤمنين فى فواتحه عن استاده جلال الدّين الدّوانى عن السيّد صفى الدّين عبد الرحمن اللايجى أنه قال: ذكر لى العالم الفاضل المتقى شيخ أبو بكر عن الشّيخ برهان الدّين الموصلى و هو رجل عالم فاضل و رع أنا توجّهنا من مصر إلى مكّه نريد الحجّ و نزلنا منزلا- و خرج عليه ثعبان فثار الناس إلى قتله فقتله ابن عمّى فاختطف و نحن نرى سعيه و تبادلّ الناس على الخيل و الركاب يريدون ردّه فلم يقدرّوا على ذلك فحصل للناس

من ذلك أمر عظيم.

فلما كان آخر النهار جاء و عليه السكينه و الوقار فسألناه ما شأنك؟ فقال:

ما هو إلا أن قتلت هذا الثعبان الذي رأيتموه فصنع بي ما رأيتم، فاذا أنا بين قوم من الجن يقول بعضهم قتلت أبي و بعضهم قتلت ابن عمي فتكاثروا علي و إذا رجل لصق بي و قال لي قل: أنا أرضى بالله و بالشريعة المحمديه صلى الله عليه و آله و سلم فقلت ذلك فأشار إليهم أن سيروا إلى الشرع فسرنا حتى وصلنا إلى شيخ كبير على مصطبه، فلما صرنا بين يديه قال: خلوا سبيله و ادعوا عليه فقال الأولاد ندعى عليه أنه قتل أبانا فقلت: حاشا لله انا نحن وفد بيت الله الحرام نزلنا هذا المنزل فخرج علينا ثعبان فتبادر الناس إلى قتله فضربته فقتلته فلما سمع الشيخ مقالتي قال: خلوا سبيله سمعت ببطن نخل عن النبي صلى الله عليه و آله و سلم من تزيا بغير زيّه فقتل فلا ديه و لا قود.

في البحار عن حيوه الحيوان، روى البيهقي في دلائل النبوه عن أبي دجانة و اسمه سماك بن خرشه قال: شكوت إلى النبي صلى الله عليه و آله و سلم أنني نمت في فراشي فسمعت صريرا كصيرير الرحي و دويًا كدوي النحل و لمعانا كلمعان البرق فرفعت رأسي فاذا أنا بظلم أسود يعلو و يطول بصحن داري فمسست جلده فاذا هو كجلد القنفذ فرمى في وجهي مثل شرر النار فقال صلى الله عليه و آله و سلم: عامر دارك يا با دجانة ثم طلب دواتا و قرطاسا و أمر عليًا عليه السلام أن يكتب:

بسم الله الرحمن الرحيم هذا كتاب من رسول رب العالمين إلى من طرق الدار من العمار و الزوار إلا طارقا يطرق بخير أما بعد فإن لنا و لكم في الحق سعة فان يكن عاشقا مولعا فاجرا مقتحما فهذا كتاب الله ينطق علينا و عليكم إنا كنا نستنسخ ما كنتم تعملون إن رسلنا يكتبون ما تمكرون، اتركوا صاحب كتابي هذا و انطلقوا إلى عبده الأصنام و إلى من يزعم أن مع الله الها آخر لا إله إلا هو كل شيء هالك إلا وجهه له الحكم و إليه ترجعون حم لا ينصرون حمعسق تفرق أعداء الله و بلغت حججه الله و لا حول و لا قوه إلا بالله فسيكفيكم الله و هو السميع العليم.

ص: ١٠٧

قال أبو دجانة فأخذت الكتاب و أدرجته و حملته إلى داري و جعلته تحت رأسي فبت ليلتي فما انتبهت إلا من صراخ صارخ يقول: يا با دجانة أحرقتنا هذه الكلمات فيحرق صاحبك إلا ما رفعت عنا هذا الكتاب فلا عود لنا في دارك و لا في جوارك و لا في موضع يكون فيه هذا الكتاب قال أبو دجانة: لا أرفعه حتى استأذن رسول الله صلى الله عليه و آله.

قال أبو دجانة و لقد طالت عليّ ليلتي ممّا سمعت من أنين الجنّ و صراخهم و بكائهم حتى أصبحت فغدوت فصليت الصبح مع رسول الله صلى الله عليه و آله و أخبرته بما سمعت من الجنّ و ما قلت لهم فقال صلى الله عليه و آله و سلّم: يا با دجانة ارفع عن القوم فو الذي بعثني بالحق نبيا إنهم ليجدون ألم العذاب إلى يوم القيامة.

في المحاسن مسندا عن أبي بصير عن أبي جعفر عليه السلام قال: إذا ضللت في الطريق فناد: يا صالح يا با صالح أرشدونا إلى الطريق رحمكم الله، قال عبد الله: فأصابنا ذلك فامرنا بعض من معنا أن يتنحى و ينادي كذلك قال: فتنحى فنأدى ثم أتانا فأخبرنا أنه سمع صوتا برز دقيقا يقول: الطريق يمينه أو قال يسره، فوجدناه كما قال.

في البحار قال رسول الله صلى الله عليه و آله و سلّم: إذا أصاب أحدا منكم وحشه أو نزل بأرض مجنّه فليقل: أعوذ بكلمات الله التامات التي لا يجاوزهنّ برّ و لا فاجر من يشرّ ما يلج في الأرض و ما يخرج منها و ما ينزل من السماء و ما يعرج فيها و من فتن الليل و من طوارق النهار إلا طارقا يطرق بخير

إذا قلّ مال المرء قلّ بهاؤه ضاقت عليه أرضه و سماؤه

إذا قلّ مال المرء لم يرض عقلهبنوه و لم يعصب له أولياؤه

فيل كلّ عضو من الأعضاء فرد فهو مذكر إلا الكبدة و الطحال، و كلّ ما كان في الجسد اثنين فهو مؤنث إلا الحاجب و الخدّ و الجنب.

في الأثر أنّ الزبيع بن خثيم حفر في داره قبرا فكان إذا وجد من قلبه قسوه اضطجع فيه فمكث ما شاء ثم يقول ربّ ارجعون لعلّي أعمل صالحا فيما تركت

ثم یرد علی نفسه فیقول قد ارجعتک فجداً.

قیل کان ملک یسیر و معه ندیم له فییناهما كذلك إذا بکلب بال علی قبر فقال الملک: لعل هذا قبر رافضی یبول علیه الکلب، فقال ندیمه: ان کان هذا رافضیاً فالکلب لا بد أن یكون ستیا.

قال الرشد للبهلول: أتحب أن تكون خلیفه؟ قال: لا، و ذلك إنی رأیت موت ثلاث خلفاء و لم یر الخلیفه موت بهلولین.

و فی زهر الزبیع دخل رجل من أهل حمص إلى بلد فرأى فیها مناره فقال لصاحبه: ما أطول قامه من بنا هذه المناره، فقال له صاحبه: یا أخى هل فی الدنیا من یكون قامته مثل هذه المناره و إنما بنوها فی الأرض و هى نائمة ثم أقاموها.

فی زهر الزبیع رأیت رساله فی المشهد الرضوی علی مشرفه السلام سنه ثمان بعد المأه و الألف للامام الجوبینی من أكابر علماء مذهب الشافعی رد بها علی مذهب الحنفیه و ذکر فیها أشياء كثيرة من أكاذیب أبی حنیفه و زخارفه و خلافه علی مله النبی صلی الله علیه و آله و ذکر من جمله الطعون علیه: أن السلطان محمود بن سبکتکین کان علی مذهب أبی حنیفه و کان مولعاً بعلم الحدیث یقرأ بین یدیه و هو یسمع فوجد الأحادیث أكثرها موافقاً لمذهب الشافعی فالتمس من العلماء الکلام فی ترجیح أحد المذہبین فوق الاتفاق علی أن یصلوا بین یدیه رکعتین علی مذهب الشافعی و رکعتین علی مذهب أبی حنیفه لینظر فیہ السلطان و یتفکر و یختار ما هو أحسن فصلی القفال المروزی من أصحاب الشافعی رکعتین علی مذهب الشافعی بالأركان و الأذکار و الطمانینه و الطهاره ممّا لم یجوزہ غیر الشافعی، ثم أمر القفال أن یصلی بین یدیه رکعتین علی ما یجوزہ أبو حنیفه، فقام و لیس جلد کلب مدبوغ و لطح ربعه بالنجاسه لأنّ أباً حنیفه یجوز الصیلاه علی هذا الحال، و توضأ بنیذ التمر فاجتمع علیه الذباب و توضأ معکوساً منکوساً ثم استقبل القبله فأحرم بالصلاه من غیر نیه و أتى بالتکبیر بالفارسیه ثم قرأ آیه بالفارسیه

دو برك سبز(۱) ثم نقر نقرتين كنقر الديك من غير فصل و من غير ركوع و تشهد.

فقال القفال أيها السلطان هذه صلاه أبي حنيفه فقال السلطان ان لم تكن هذه لقتلتك فأنكر أصحاب أبي حنيفه هذه صلاته فأمر القفال باحضار كتب العراقيين و أمر السلطان نصرانيا يقرأ كتب المذهبين فوجدت الصلاه على مذهب أبي حنيفه كما حكاه القفال فعدل السلطان إلى مذهب الشافعي و هذه مقاله نقلها علي بن سلطان الهروي الحنفي.

ثم عارض الشافعيه بأنهم يقولون: إذا كان جماعه معهم من الماء قلتين و ذلك لا يكفيهم لطهارتهم و لو كملوه ببولهم لكفاهم فإنه يجب عليهم تكميله بالبول أو الغائط و هذا مما تمجّه العقول و تدفعه النقول.

ثم عارض تلك الصلاه بما جوزه الشافعي في الصلاه فقال: إن واحدا منهم إذا اجتمع عندهم ماء بالوعه نجس حتى صار قلتين فتمضمض به و استنشق منه ثم قال نويت ان اطهر بهذا الماء الطاهر المطهر للصلاه ثم غسل وجهه و يديه و مسح برأسه على شعره أو شعرتين ثلاثا أو مرتين و غسل رجليه ثم انغمس فيه معكوسا و منكوسا لكمال الطهاره و مع هذا رعف و قاء و فصد و احتجم و لبس جلد خنزير بحري، و تحنى في اليدين و الرجلين مشبها بالمخانيث و النساء، و لطخ جميع بدنه و ثيابه بماء منى منفصل عن ذنب حمار حتى اجتمع عليه الذباب و هو فوق جبل أبي قبيس يقتدى بامام عند الكعبه، و مع هذا همز الله أو أكبر ثم وقف و الامام انتقل من ركن إلى ركن و هو يقول: بس بس بسمي الله و نحوه و هو جاهل بالقرآن غير عالم بمخارج الحروف ثم يقول: ملك يوم الدين باسكان اللام و المستقيم بالغين و الذين بالزا و أنعمت بتحريك النون و يختم بقوله غير المغضوب عليهم و لا الضالين بالقاف عوض الغين أو بالذال بدل الصاد هذه صفة صلاه الشافعي و أطال في التشنيع

ص: ۱۱۰

عليه قال الشاعر:

و مصطنع المعروف من غير أهله يلاقى كما لاقى مغيث أمّ عامر

قيل (١) إنّ أمّ عامر كنيه الضبع و أنّ صيادا أراد صيدها فطردها فالتجأت إلى بيت أعرابي فأجارها فلما جاء الليل أطعمها و أنامها فقامت في الليل إلى صبيّ فمزقت بطنه و أكلت رأسه و خرجت ليلا قال أبو الطيب:

و وضع الندى في موضع السيف بالعلی مضرّ كوضع السيف في موضع الندى

قال بعض الخلفاء لبعض الزهاد: إنّك لعظيم الزهد، فقال: إنّك أزهّد منّي لأنّك زهدت في نعيم الآخرة و هو نعيم دائم عظيم و زهدت أنا في نعيم الدّنيا الحقيّر المنقطع.

كان بعضهم في أيام صغره أشدّ منه ورعا في أيام كبره فقال:

عصيت هوى نفسى صغيرا و عند ما أتتني الليالي بالمشيب و بالكبر

أطعت الهوى عكس القضيّه ليتنى خلقت كبيرا ثمّ عدت إلى الصّغر

الترجمه

از جمله کلام آن جناب ولایت مآب است در ذکر عمرو بن عاص بی اخلاص می فرماید: تعجب میکنم تعجب کردنی به پسر نابغه باغیه می گوید باهل شام بدرستی که در من است مزاحی و بدرستی که من مردی هستم بسیار بازی کننده شوخی میکنم و بازی می نمایم، بتحقیق که گفته است آن روسیاه حرف باطل و تباه را، و گویا شده است در حالتی که گناه کننده است.

ص: ۱۱۱

۱- (۱) و قيل انه كان من حديثه ان قوما خرجوا الى الصيد في يوم حار فعرضت لهم ام عامر فطردها فألجأوها الى خباء أعرابي فاقتحمته فخرج اليهم الا-عرايى و قال: لا- تصلون اليها ما ثبت قائم سيفى بيدي، فرجعوا و تركوها فأسقاها و أطعمها حتى استراحت، فبينما الا-عرايى قائم اذ و ثبت اليه فبقرت بطنه و شربت دمه، فجاء ابن عمه فرآه مقتولا- فأخذ قوسه و تبعها حتى أدركها فقتلها و أنشا يقول: و من يصنع المعروف مع غير أهله يلاقى الذى لاقى مجير امّ عامر فقل لذوى المعروف هذا جزاء منبدا يصنع المعروف في غير شاكر، منه

آگاه باشید که بدترین گفتار دروغ است و بدرستی آن بد بنیاد حرف می زند پس دروغ می گوید و وعده می دهد پس خلف وعده میکند، و سؤال میکند پس اصرار می نماید در سؤال، و سؤال کرده می شود پس بخل می ورزد از قضاء آمال، و خیانت میکند در عهد و پیمان، و قطع رحم میکند از خویشان، پس اگر واقع شود آن بد خصال در نزد قتال و جدال پس چه بزرگ نهی کننده است و امر نماینده مادامی که شمشیرها شروع نکرده اند در محل شروع خود.

یعنی ما دامی که نایره حرب مشتعل نشده است دعوی سر کردگی میکند و مشغول امر و نهی می شود، پس چون زمان ضرب و شست رسید و شجاعان روزگار مشغول کارزار گردید میباید بزرگترین حيله آن با تزویر این که بذل کند بمردمان دبر خود را و باین واسطه و تدبیر از دم شمشیر آبدار نجات یابد چنانچه در جنگ صفین امام عالمیان قصد آن بدبخت بی دین را نمود و او خودش را از اسب بزمین انداخت و آن مردود ابتر علا-جی از مرگ بغیر از کشف از قبل و دبر خویش نیافت پس آن معدن حیا و عفت از سوئت آن بدبخت رو بتافت و بازگشت.

پس می فرماید آگاه باشید بخدا سوگند که باز میدارد مرا از بازی کردن ذکر موت، و باز میدارد ابن نابغه را از گفتار حق فراموشی آخرت، و بدرستی که آن بیعت نکرد بمعایه تا این که شرط کرد از برای وی که عطا کند باو عطاء قلیلی و ببخشد او را بر ترک دین رشوت حقیری که عبارت باشد از حکومت دو روزه مصر.

و من خطبه له علیه السلام و هی الرابعه

اشاره

و الثمانون من المختار فی باب الخطب

و أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، الأول لا شيء قبله و الآخر لا غايه له، لا تقع الأوهام له على صفه، و لا تعقد القلوب منه

ص: ۱۱۲

على كَيْفِيَّهٖ، و لا تناله التَّجْزِيه و التَّبْعِيض، و لا تحيط به الأبصار و القلوب.

منها فاتَّعَظُوا عباد الله بالعبر النَّوَافِع، و اعتبروا بالآسى السَّوَاطِع، و ازدجروا بالنَّذر البوالغ، و انتفعوا بالذِّكْر و المواعظ، فكأن قد علقتكم مخالِب المِيتِه، و انقطعت منكم علائق الامْتِيَه، و دهمتكم مفضعات الأُمور، و السِّيَاقِه إلى الورد المورود، و كلَّ نفس معها سائق و شهيد، سائق يسوقها إلى محشرها، و شاهد يشهد عليها بعملها. و منها فى صفه الجنه درجات متفاوتات، و منازل متفاوتات، لا ينقطع نعيمها، و لا يظعن مقيمها، و لا يهرم خالدها، و لا يبأس «يبأس خ ل» ساكنها.

اللغه

(العبر) جمع عبره و هى ما يعتبر به أى يتَّعَظ و (الآى) جمع آيه و هى العلامه و آيه القرآن كلَّ كلام متصل إلى انقطاعه، و قيل ما يحسن السِّيَكوت عليه و (سطع) الشىء يسطع من باب منع ارتفع و (النذر) بضمَّتين جمع نذير و هو المنذر رأى المخوف، قال الشَّارح المعتزلى: و الأحسن أن يكون النذر هى الانذارات نفسها، لأنَّه قد وصف ذلك بالبوالغ و بوالغ لا تكون فى الأكثر إلاَّ صفه المؤمنث.

أقول: و عليه حمل قوله سبحانه:

«فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَ نَذْرِي».

ص: ١١٣

أى كيف رأيت انتقامى منهم و انذارى إيّاهم مرّه بعد اخرى فالجمع للمصدر باعتبار اختلاف الأجناس و الأنواع و (علق) الشوك بالثوب من باب تعب إذا نشب و (المخلب) من الحيوان بمنزله الظفر للانسان و (مفطعات الأمور) بالفاء و الظاء المعجمه شدايدها الشنيعه و (ظعن) ظعنا من باب نفع ارتحل (و لا يئأس) بالباء الموحده مضارع بئس كسمع يقال بئس فلان إذا أصاب بؤسا و هو الضّر و الشدّه، و فى بعض النسخ لا يئأس بالياء المشناه التحتانيه من اليأس بمعنى القنوط يقال يأس يئأس من باب منع، و من باب ضرب شاذّ و فى لغه كحسب.

الاعراب

قوله: فكأن قد علقتمكم مخففه كأنّ و ملغاه عن العمل على الاستعمال الفصيح لفوات مشابهه الفعل بفوات فتحه الآخر و لذلك ارتفع بمدّها الاسم فى قوله:

و نحر مشرق اللّون كأن تدياه حقّان.

و ان أعملتها قلت تدييه لكنه استعمال غير فصيح و مثله قوله:

و يوما توافينا بوجه مقسّم كأن ظيبه تعطو إلى وارق السّلم

برفع ظيبه على الاهمال و نصبها على الأعمال و يروى جرّها على جعل أن زايده أى كظيبه و إذا لم تعملها فففيه ضمير شأن مقدّر كما فى ان المخففه و يجوز أن يقال بعدم التقدير لعدم الدّاعى عليها، ثم هل هى فى قوله للتحقيق كما قاله الكوفيون فى قوله:

فأصبح بطن مكه مقشعرا كأنّ الأرض ليس بها هشام

أو للتقريب كما فى قولهم: كأنّك بالشتاء مقبل، و كأنّك بالدنيا لم تكن و بالآخره لم تزل، الوجهان محتملان و ان كان الأظهر هو الأوّل و قوله عليه السّلام: لا ينقطع نعيمها إما فى محلّ النّصب على الحال أو فى محلّ الرّفح على الوصف.

المعنى

إشارة

اعلم أنّ هذه الخطبه كما يظهر من الكتاب مأخوذه و ملتقطه من خطبه طويله و لم نعثر بعد على أصلها و ما أورده السيد «ره» هنا يدور على فصول ثلاثه.

فى الشّهاده بالتّوحيد و ذكر بعض صفات الجمال و الجلال و هو قوله: (و أشهد أن لا إله إلاّ الله وحده) فى ذاته و صفاته (لا شريك له) فى أفعاله و مخلوقاته، و قد مضى تحقيق الكلام فى ذلك فى شرح الفصل الثّانى من فصول الخطبه الثانيه فلا حاجه إلى الاعاده (الأوّل) بالأزليه ف (لا شىء قبله و الآخر) بالأبديّه ف (لا غايه له) قد مضى تحقيق الأوّل و الآخر فى شرح الخطبه الرّابعه و السّتين، و قدّمنا هناك أنّ أوليته سبحانه لا تنافى آخريته، و آخريته لا تنافى أوليته كما تتنافيان فى غيره سبحانه.

و نقول هنا مضافا إلى ما سبق: أنّه سبحانه أوّل الأشياء و قبل كلّ شىء فلا يكون شىء قبله، و ذلك لاستناد جميع الموجودات على تفاوت مراتبها و كمالاتها إليه، و هو مبدء كلّ موجود فلم يكن قبله أوّل بل هو الأوّل الذى لم يكن قبله شىء.

قال النّيسابورى فى محكّي كلامه: و هو سبحانه متقدّم على ما سواه بجميع أقسام التقدّمات الخمسه التى هى تقدّم التأثير و الطبع و الشرف و المكان و الزمان، أمّا بالتأثير فظاهر، و أمّا بالطّبع فلأنّ ذات الواجب من حيث هو لا يفتقر إلى الممكن من حيث هو و حال الممكن بالخلاف، و أمّا بالشرف فظاهر، و أمّا بالمكان فلأنّه وراء كلّ الأماكن و معها كقوله تعالى:

«فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ».

و قد جاء فى الحديث لو دلّيتم بحبل إلى الأرض السفلى لهبط إلى الله ثمّ قرأ: هو الأوّل و الآخر، و أمّا بالزّمان فأظهر.

و أمّا آخريته فلأنّه هو الباقي بعد فناء وجود الممكنات و إليه ينتهى كلّ الموجودات فهو غايه الغايات فلا يكون له غايه.

قال بعض العارفين: هو الآخر بمعنى أنه غايه القصوى تطلبها الأشياء والخير الأعظم الذى يتشوقه الكلّ و يقصده طبعاً و إرادته، و العرفاء المتألهون حكموا بسريان نور المحبّه له و الشوق إليه سبحانه فى جميع المخلوقات على تفاوت طبقاتهم و أنّ الكائنات السفليه كالمبدعات العلويه على اعتراف شوق من هذا البحر العظيم و اعتراف شاهد مقرّ بوحدانيّه الحقّ القديم.

فهو الأوّل الذى ابتداء أمر العالم حتّى انتهى إلى أرض الأجسام و الأشباح و هو الآخر الذى ينساق إليه وجود الأشياء حتى يرتقى إلى سماع العقول و الأرواح و هو آخر أيضاً بالاضافه إلى سير المسافرين، فانهم لا يزالون مترقّين من رتبه إلى رتبه حتى يقع الرجوع إلى تلك الحضرة بفنائهم عن ذواتهم و اندكاك جبال هويّاتهم، فهو تعالى أوّل من حيث الوجود، و آخر من حيث الوصول و الشهود، و قيل أوليته أخبار عن قدمه و آخريته أخبار عن استحاله عدمه.

و فى الكافى بإسناده عن ميمون البان قال: سمعت أبا عبد الله عليه السّلام و قد سئل عن الأوّل و الآخر فقال عليه السّلام: الأوّل لا عن أوّل قبله و لا عن بدىء سبقه، و الآخر لا عن نهايه كما يعقل عن صفات المخلوقين و لكنّ قديم أوّل آخر لم يزل و لا يزول بلا بدىء و لا نهايه لا يقع عليه الحدوث و لا يحول من حال إلى حال، خالق كلّ شىء و يأتى إنشاء الله شرح هذا الحديث فى شرح الخطبه المأه.

(لا تقع الأوهام له على صفه) أراد عليه السّلام أنه لا تناله الأوهام و لا تلحقه فتقع منه على صفه إذ الوهم لا يدرك إلا ما كان ذا وضع و مادّه، فأما الأمور المجرّده عن الوضع و المادّه فالوهم ينكر وجودها فضلاً أن يصدق فى اثبات صفه لها، و البارى سبحانه مع بساطه ذاته و تجرّده ليس له صفه زائده حتّى يدركه الأوهام أو تصفه بصفه، و قد مرّ بعض القول فى ذلك فى شرح الفصل الثّانى من الخطبه الاولى.

(و لا تعقد القلوب منه على كفيّه) إذ ليس لذاته تعالى كفيّه حتّى تعقد عليها القلوب فلا يعرف بالكيفوفيه، و تحقيق ذلك يتوقّف على معرفه معنى الكيف فنقول: إنّ الكيف كما قيل هى هيئه قاره فى المحلّ لا يوجب اعتبار

وجودها فيه نسبة إلى أمر خارج عنه ولا قسمه في ذاته ولا نسبه واقعه في اجزائه، وبهذه القيود تفارق الأعراض الثمانية الباقية.

وأقسام الكيفيات وأوائلها أربعة، لأنها إما أن تختص بالكميات من جهة ما هي كمّ كالمثلثية والمربّعية للأشكال، والاستقامة والانحناء للخطوط، والزوجية والفردية للأعداد وإما أن لا تختص بها وهي إما أن تكون مدركة بالحسّ راسخه كانت كصفه الذهب وحلاوه العسل، أو غير راسخه كحمره الخجل و صفه الوجل وإما أن لا تكون مدركة بالحسّ وهي إما استعدادات للكّمالات كالاستعداد للمقاومه والدفع وللانفعال وتسمّى قوّه طبيعیه كالصلابه والمصحاقيه، أو للنقايس كالاستعداد بسرعه للانفعال وتسمّى ضعفا ولا قوّه طبيعیه كاللين والممراضيه وإما أن لا تكون استعدادا للكّمالات والنقايس بل تكون في أنفسها كّمالات أو نقايس فما كان منها ثابتا يسمى ملكه كالعلم والقدرة والشجاعه، وما كان سريع الزوال يسمّى حالا كغضب الحليم وحلم الغضبان فهذه أقسام الكيف و اجناسها و يتدرج تحتها أنواع كثيره.

إذا عرفت ذلك فنقول: إنّ من المحال أن يتّصف سبحانه بها لكونها حادثه بالذّات ممكنه الوجود مفتقره إلى جاعل يوجدّها برىء الذّات عن الاتّصاف بها، أمّا حدوثها وإمكانها فلكونها ذات ماهية غير الوجود فكونها عرضا قائما بمحلّه فهي مفتقره إلى جاعل وينتهى افتقارها بالأخره إلى الله سبحانه، وأمّا برائه ذاته سبحانه من الاتّصاف بها فلا أنّ يوجد الشىء متقدّم عليه بالوجود فيستحيل أن يكون المكيف بالكسر أى جاعل الكيف مكيفا بالفتح أى منفعلا وإلا لزم تقدّم الشىء على نفسه و كون الشىء الواحد فاعلا و قابلا لشىء واحد.

(ولا- تناله التجزيه و التبعض) عطف التبعض على التجزيه إمّا من باب التأكيد أو المراد بالأول نفى الأجزاء العقلية كالجنس و الفصل و بالثاني نفى الأجزاء الخارجيه كما في الأجسام، و على كلّ تقدير فالمقصود به نفى التركيب عنه إذ كلّ مركّب ممكن.

و أمّا ما قاله الشّارح البحرانى: من أنّه اشاره إلى نفى الكميّه عنه إذ كانت التجزيه و التبعض من لواحقها و قد علمت أنّ الكمّ من لواحق الجسم و البارى تعالى ليس بجسم و ليس بكمّ.

ففيه أنّه خلاف الظاهر إذ التّجزيه أعمّ من التجزيه العقليّه و الخارجيه و لا- دليل على التّخصيص بالثانيه لو لم تكن ظاهره فى الأولى حسب ما أشرنا إليه فيكون مفادها على ذلك مفاد قوله عليه السّلام فى الخطبه الأولى: فمن وصف الله سبحانه فقد قرنه و من قرنه فقد ثناه و من ثناه فقد جزّاه.

(و لا- تحيط به الأبصار و القلوب) و قد مرّ تحقيق ذلك فى شرح الخطبه الثالثه و الأربعين بما لا مزيد عليه و فى شرح الفصل الثانى من الخطبه الاولى.

الفصل الثانى

(منها) فى التذكير و الموعظه و هو قوله عليه السّلام (فاتّعظوا عباد الله بالعبر النوافع) اى اعتبروا بالعبر النافعه و اتّعظوا بما حلّ بأهل القرون الخاليه كيف صارت أجسادهم شحبه بعد بضّتها، و عظامهم نحره بعد قوتها، و كيف انجلوا عن الرّباع و الدّور و ارتحلوا عن الضياع و القصور، و طوّحت بهم طوايح الزّمن و هجرتهم «و أزعجتهم خ ل» عن الأموال و الأولاد و الوطن (و اعتبروا بالآى السّواطع) من آثار القدره و علامات الجلال و الجبروت و العزّه أو بالآيات القرآنيه المعزّره و المنذره و براهينها الشاطعه المشرقه.

(و ازدجروا بالنّذر البوالغ) أى بالانذارات الكامله و التّخويات البالغه الوارده فى الكتاب و السنّه (و انتفعوا بالذكر و المواعظ) النافعه التى تضمّنتها آيات الكتاب المبين و أخبار سيّد المرسلين (فكأن قد علقتمك مخالبا المتيه) شبه المتيه بالسّبع من باب الاستعاره بالكنايه و اثبات المخالبا تخييل و ذكر العلوق ترشيح (و انقطعت منكم علائق الامنيه) لأنّ الأجل إذا حلّ و الموت إذا نزل انقطع الأهل و ضلّ الحيل و تنغصّ اللذات و انتقض الشّهوات (و دهمتكم مفضعات

الامور) أى الامور الموجهه للقطع و الدّواهى الموقعه فى الفزع من سكرات الموت و غمرات الفوت و الجذبه المكربه و السوقه المتعبه و الهجره إلى دار الوحده و بيت الوحشه و ما يليها من شدايد البرزخ و أهوال القيامه.

(و السّياقه إلى الورد المورود) أى المكان الذى يردّه الخلاق و عليه محشرها و منشرها (و كلّ نفس معها سائق و شهيد) اقتباس من الآيه فى سوره ق و هو قوله:

«و نُفِخَ فِي الصُّورِ ذَٰلِكَ يَوْمَ الْوَعِيدِ وَ جَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَعَهَا سَائِقٌ وَ شَهِيدٌ».

أى تجيء كلّ نفس من المكلفين يوم الوعيد و معها (سائق) من الملائكه (يسوقها إلى محشرها) أى يحثّها على السّير إليه (و شاهد) منهم أو من الأنبياء و الرّسل و الأئمه على ما سبق فى شرح الخطبه الواحده و السّبعين أو من الأعضاء و الجوارح كما ورد فى غير واحد من الآيات و يأتى التصريح به فى الكلام المأه و الثّامن و التّسعين إنشاء الله (يشهد عليها بعملها) و بما يعلم من حالها.

الفصل الثالث

(منها فى صفه الجنه) و هو قوله (درجات متفاوتات و منازل متفاوتات) كما قال سبحانه:

«يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ» و قال: «هُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ اللَّهِ وَ اللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ» و قال: «أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَ مَغْفِرَةٌ وَ رِزْقٌ كَرِيمٌ».

و تفاوت الدّرجات و تفاضل المنازل إنّما هو بتفاوت أهل الايمان فى مراتب المعرفه و الكمال، فالمؤمنون الكاملون فى مراتب العمل و الاخلاص ذوو الدّرجات العلى و التّاقصون فيهما ذوو الدّرجات السفلى و قد جاء فى الخبر أنّ أهل الجنّه ليرون

أهل عليين كما يرى النجم في افق السماء.

و في الحديث إنّ في الجنّة مائة درجة بين كلّ درجتين منها مثل ما بين السماء والأرض و أعلى درجاتها الفردوس و عليها يكون العرش و هي أوسط شيء في الجنّة و منها تفجر أنهار الجنّة فاذا سألتهم الله فاسألوه الفردوس.

و في بعض الروايات إنّ أقل ما يعطى المؤمن فيها ما يقابل الدنيا و أشرف المنازل و أرفع المراتب هو مرتبه الرضوان كما قال سبحانه:

«وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَ الْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَ مَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ وَ رِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ».

أى رضاء الله عنهم و محبته أيّاهم أكبر من كلّ لذات الجنّة، و هذه اللذّة لا يدركها كلّ أحد و إنما هي مختصّه بالأولياء التّامين في مقام المحبّة الكاملين في العبودية و في روايه زراره الوارده في ثواب البكاء على الحسين عليه السلام عن الصادق عليه السلام و ما من عبد يحشر إلّا و عيناه باكيه إلّا الباكين على جدّى فانه يحشر و عينه قريه و البشاره تلقاه و السيّرور على وجهه و الخلق يعرضون و هم حدّاث الحسين تحت العرش و في ظلّ العرش لا يخافون سوء الحساب يقال لهم: ادخلوا الجنّة فيأبون و يختارون مجلسه و حديثه، و أنّ الحور لترسل إليهم إنّنا قد اشتقتناكم مع الولدان المخلّدين فما يرفعون رؤوسهم لما يرون في مجلسهم من الشّور و الكرامه الحديث.

فلا- تظنن أنّ أعلى الدّرجات هو أعالي الجنان و الجلوس مع الحور و الغلمان فإنّ هذا من لذات البدن و الرضوان من لذات الرّوح، و لذا كان مطمح نظر الأئمه عليهم آلاف الصّلاه و التحيّه تلك اللّذه المعنويّه كما يشير إليه قول أمير المؤمنين عليه السّلام ما عبدتك خوفا من نارك و لا طمعا في جنتك و لكن وجدتك أهلا للعباده فعبدتك و تقابل هذه المرتبه أعنى مرتبه الرضوان لأهل السّعاده مرتبه الخذلان لأهل

الشقاوه كما يشير إليه قوله تعالى حكاية عنهم:

«رَبَّنَا إِنَّكَ مَنْ تُدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُ».

فإن قولهم أخزبته دون أحرقتة أو عدبته دليل على أن ألم الخزي عندهم أشد وأفزع من ألم الاحتراق بالنار، وذلك لأن الخزي عذاب روحاني و عذاب الاحتراق و الأفاعى و العقارب و ساير ما اعد في جهنم عذاب جسماني، و لا شك أن الأول أشد و أكد.

ثم أشار عليه السلام إلى دوام نعيم الجنة بقوله: (لا- ينقطع نعيمها) و قد أشير إلى ذلك في غير واحده من الآيات مثل قوله سبحانه:

«مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ أُكُلُهَا دَائِمٌ وَظُلُّهَا» و قوله: «وَ أَصْحَابُ الْيَمِينِ مَا أَصْحَابُ الْيَمِينِ فِي سِدْرٍ مَخْضُودٍ وَ طَلْحٍ مَنْضُودٍ وَ ظِلٌّ مَمْدُودٍ وَ مَاءٌ مَسْكُوبٌ وَ فَاكِهِهٌ كَثِيرَهٌ لَا مَقْطُوعَهٌ وَ لَا مَمْنُوعَهٌ» و قوله: «إِنَّ هَذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُ مِنْ نَفَادٍ» و إنما لم يكن لنعيمها نفاذ و انقطاع لأن استحقاق تلك النعيم إنما نشأ من ملكات ثابتة في جوهره لا تتغير و لا تبدل و مهما دام الاستحقاق القابل للنعمة و الجود و جب دوام الافاضه و الانعام من واجب الوجود، إذ هو الجواد المطلق الذي لا- بخل من جهته و لا- نفاذ في خزائنه (و لا- يظعن مقيمها) أى لا- يسير عنها و المراد به إما نفى سيره عنها إلى الخارج فيكون المقصود به الاشارة إلى أنها دار خلود و دوام و على ذلك فهذه الجملة تأكيد للجملة السابقة، و إما نفى السير عن مقامه إلى مقام آخر فيها طلبا لما هو أحسن منه و إلى الأول أشير في قوله تعالى:

«لِّلَّذِينَ اتَّقَوْا عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا» الآية و على الثاني اشير في قوله: «إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ»

«كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا - خَالِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا» قال في مجمع البيان: أي دائمين فيها لا يطلبون عن تلك الجنّات تحولا إلى موضع آخر يطلبها و حصول مرادهم فيها (و لا يهرم خالدها و لا يبأس ساكنها) لأنّ الهرم و البؤس متلازمان للتعب و النصب المنفّيين في حقّ أهل الجنّه كما قال سبحانه حكايه عنهم:

«وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزْنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ الَّذِي أَحَلَّنَا دَارَ الْمُقَامَةِ مِن فَضْلِهِ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ».

أي لا يمسنا فيها عناء و مشقّه و لا يصيبنا فيها اعياء و متعبه

الترجمه

از جمله خطبهای آن حضرتست که مشتمل است بسه فصل فصل اول در مقام شهادت بتوحید می فرماید: و گواهی می دهم که نیست هیچ معبودی بسزا بجز خدا در حالتی که یگانه است و نیست شریک او را، اولی است که نیست هیچ چیزی پیش از او در بدایه، و آخریست که نیست مر او را غایه و نهایت، واقع نمی شود و همها از برای او بر صفتی، و بسته نمی شود عقلها از او بر کیفیت، از جهه این که او منزّه است از صغه زایده بر ذات، و مبراست از کیفیت و چگونگی حالات، و نمی رسد بدایره ذات او تجزی و تبعّض بجهه اتصاف او بوحده، و نمی تواند احاطه کند باو ابصار و قلوب و ادراک کنند او را بحقیقت.

فصل دوم در مقام موعظه و نصیحت می فرماید: پس قبول موعظه نمائید ای بندگان خدا با عبرتهای نافع، و عبرت بردارید بآیات باهره، و منزجر بشوید با ترسانیدنهای بی پایان، و منتفع باشید بذکر متذکران و موعظهای واعظان، پس گویا فرو رفته است بشما چنگالهای مرگ خون آشام، و بریده شده است از شما

علاقه‌های آرزوها بناکام، و رسیده است ناگهان بشما فطع آورنده کارها، و راندن بسوی محشر که محلّ ورود خلایق است آنجا، و هر نفس او راست راننده و گواهی دهنده که گواهی می دهد بعمل ناپسندیده او.

فصل سیم در صفة جنت می فرماید: درجه های بهشت بعضی تفاضل دارد ببعضی و بعض دیگر منازل آن با تفاوتست با یکدیگر، بریده نمی شود نعیم بهشت و رحلت نمی کند مقیم بهشت، و پیر نمی شود کسی که مخلّد است در آن، و محزون نمی شود یا مأیوس نمی گردد کسی که ساکن است در آن بلکه ساکنان آن جوانان تازه و رعنا است، و مقیمان آن ملتذّنند با لذائذ بی حدّ و انتها.

و من خطبه له علیه السلام و هی الخامسة و الثمانون

اشاره

من المختار فی باب الخطب

قد علم السّرائر، و خبر الضّمائر، له الإحاطه بكلّ شیء، و الغلبه لكلّ شیء، و القوّه علی كلّ شیء، فلیعمل العامل منکم فی آیام مهله قبل إرهابه أجله، و فی فراغه قبل أوان شغله، و فی متنفسه قبل أن یؤخذ بکظمه، و لیمهّد لنفسه و قدمه، و لیتزوّد من دار طعنه لدار إقامته. فالله الله أیها النّاس فیما استحفظکم من کتابه، و استودعکم من حقوقه، فإنّ الله لم یخلقکم عبثاً، و لم یتراکم سدی، و لم یدعکم فی جهاله و لا عمی، قد سمی آثارکم، و علم أعمالکم، و کتب آجالکم

ص: ۱۲۳

و أنزل عليكم الكتاب تبياناً، و عمّر فيكم نبيّه أزماناً، حتّى أكمل له و لكم فيما أنزل من كتابه دينه الّذى رضى لنفسه، و أنهى إليكم على لسانه محابّه من الأعمال و مكارهه، و نواهيه و أوامره، فألقى إليكم المعذره، و اتّخذ عليكم الحجّه، و قدّم إليكم بالوعيد، و أنذركم بين يدي عذاب شديد، فاستدركوا بقيّه أّيّامكم، و اصبروا لها أنفسكم، فإنّها قليل فى كثير الأيّام الّتى تكون منكم «فيها خ» الغفله، و التّشاغل عن الموعظه، و لا ترخصوا لأنفسكم، فتذهب بكم الرّخص فيها مذاهب الظّلمه، و لا تدهنوا فيهجم بكم الإدهان على المعصيه. عباد الله إنّ أنصح النّاس لنفسه أطوعهم لرّبّه، و إنّ أغشّهم لنفسه أعصاهم لرّبّه، و المغبون من غبن نفسه، و المغبوط من سلم له دينه، و السّعيد من وعظ بغيره، و الشّقّى من انخدع لهواه، و اعلموا أنّ يسير الرّياء شرك، و مجالسه أهل الهوى منسأه للإيمان، و محضره للشّيطان جانبوا الكذب فإنّه بجانب للإيمان، الصّادق على شفا منجاه و كرامه، و الكاذب على شرف مهواه و مهانه، و لا تحاسدوا فإنّ الحسد يأكل الإيمان كما تأكل النّار الحطب، و لا تباغضوا فإنّها الحالقه، و اعلموا أنّ الأمل يسهى العقل، و ينسى الذّكر، فأكذبوا الأمل فإنّه غرور،

اللغة

(السِّيَرُ و السِّيَرِيَّة) ما يكتُم و جمع الأوَّل أسرار و الثاني السَّراير (خبرت) الشىء من باب قتل علمته و امتحنته، و فى القاموس خبر ككرم و فى بعض النسخ خبر الضَّمَاير بكسر الباء، قال الشارح المعتزلى: خبر الضماير امتحنها و ابتلاها و من رواه بكسر الباء أراد علم انتهى فافهم.

و(ضمير)الانسان قلبه و باطنه كما فى المصباح و الجمع الضَّمَاير، و فى القاموس الضمير الشر و داخل الخاطر، و على ذلك فهو إمَّا حقيقه فى الأوَّل مجاز فى الثانى أو بالعكس بعلاقه الحال و المحل و (المهل) محرکه المهله و (الارهاق) الاعجال و (الكظم) محرکه مخرج النفس و (الظعن) الارتحال و (الانهاء) الاعلام و الابلاغ و (الترخسه) التسهيل فى الأمر و الجمع رخص كغرفه و غرف و (الادهان) و المداهنه اظهار خلاف ما تضرر و الغش.

و (المنساة) و (المحضرة) محلّ النسيان و الحضور، و التاء فيهما للتكثير كما يقال أرض مسبعة أى كثير فيها السِّباع و (الشفاء) طرف كل شىء و (الشرف) محرکه المكان العالى و (المهواه) محلّ السقوط و (المهانة) الذله و الحقاره و (الحالقه) الخصله التى فيها حلق اى شؤم قال فى القاموس: و الحالق المشئوم كالحالقه فالتاء للمبالغه و فى القاموس أيضا الحالقه قطيعه الرّحم و التى تحلق رأسها فى المصيبة، قال شارح القاموس و منه الحديث دبّ اليكم داء الامم البغضاء الحالقه، و هى قطيعه الرّحم انتهى.

و أمّا تفسير الحالقه بالمستأصله للشعر كما فى شرح المعتزلى و البحرانى فلم أجده فى كتب اللّغه و كذلك لم أجد تفسير الحالق بما يحلق به الشّعر بل المستفاد من القاموس خلافه حيث ذكر للحالق معانى و لم يذكر ذلك فيها، و قال: المحلق كمنبر موسى فيفهم منه أن ما يحلق به الشعر و يستأصل به على وزن مفعّل لا على وزن الفاعل و الفاعله.

الفاء فى قوله: فليعمل فصيحه، فالله الله منصوب على الاغراء أى فاتقوا الله، و تكرير اللفظ نيابه عن الفعل المقدر، و تبياناً منصوب على الحالیه، و ازمانا على الظرفیه، و الباء فى قوله بالوعيد زايده، و بقيه أيامكم منصوب على الظرف، و اصبروا لها اللام بمعنى على دليل قوله: فما أصبرهم على النار، و قوله فانها قليل أى شىء قليل فحذف الموصوف كما حذف فى قوله تعالى:

«وَ حَسَنَ أَوْلِيَّكَ رَفِيقًا».

أى قبيلا رفيقا، و نفسه بالنصب مفعول غبن، و دينه بالرفع فاعل سلم.

المعنى

إشارة

اعلم أنّ هذه الخطبه مسوقه للتذكير و الموعظه، و المقصود بها جذب الخلق إلى طرف الحقّ و صدورها بالاشارة إلى بعض أوصافه سبحانه لتكون مقدّمه للمقصد فقال عليه السلام (قد علم السرائر) و هو كقوله سبحانه:

«وَ إِنْ تَجَهَّزْ بِالْقَوْلِ فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَ أَخْفَى» و قوله تعالى:

«يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَ جَهْرَكُمْ».

و قد مضى القول فى ذلك فى شرح الخطبه التاسعه و الأربعين، و تمام القول فى علمه تعالى بالكليات و الجزئيات و السرّ و الاعلان فى تنبيهات الفصل السابع من فصول الخطبه الاولى و نقول هنا مضافا إلى ما سبق: أنّ عموم علمه سبحانه مما اتفق عليه المتكلمون و الحكماء.

أمّا المتكلمون فظاهر لأنهم تابعون للشرع و الشرع قد ورد بذلك حسبما عرفت مفصلا فى شرح الخطبتين المذكورتين.

و أمّا الحكماء فملخص كلامهم على ما فى شرح البحرانى أنه يعلم ذاته بذاته و يتحد هناك المدرك و المدرك و الادراك و لا يتعدّد إلا بحسب الاعتبارات العقلية التى تحدثها العقول البشرية، و أمّا علمه بمعلولاته القريبه منه فيكون بأعيان ذواتها،

و يتحد هناك المدرك و الادراك و لا يتعدان إلا بالاعتبار العقلي و يعايرهما المدرك و أما بمعلولاته البعيده كالماديات و المعدومات التي من شأنها إمكان أن توجد في وقت أو تتعلّق بوجود فيكون بارتسام صورها المعقوله من المعلولات القريبه التي هي المدركات لها أولاً و بالذات و كذلك ينتهي إلى ادراك المحسوسات بارتسامها في آلات مدركاتها.

قالوا: و ذلك لأنّ الموجود في الحاضر حاضر و المدرك للحاضر مدرك لما يحضر معه فاذا لا يعزب عن علمه مثقال ذره في السموات و لا- في الأرض و لا أصغر من ذلك و لا أكبر، لكون ذوات معلولاته القريبه مرتسمه بجميع الصور، و هي التي يعبر عنها تاره بالكتاب المبين، و تاره باللوح المحفوظ، و تسمى عندهم عقولا فعّاله.

هذا ما حقّقه محققو الحكماء في كيفيه علمه سبحانه، إلا أنّ الكلام بعد في صحّته القول بالارتسام، و قد مضى ما فيها في شرح الفصل السابع من الخطبه الاولى، و كيف كان فلا- ريب في عموم علمه و ان لم نعلم كيفيه ذلك و لم نعرفه بكنهه (و خبر الضمائر) اي امتحن القلوب بالخير و الشرّ أو أنّه عالم بالقلوب و بما فيها من الأسرار و خبير بما في الصّيدور على الاختلاف المتقدّم في بيان اللّغه قال سبحانه:

«أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعِثَ رُوحٌ فِي الْقُبُورِ وَ حُصِّلَ مَا فِي الصُّدُورِ إِنَّ رَبَّهُمْ بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّخَبِيرٌ».

قال بعض المحقّقين: الخبير هو المذى لا تعزب عنه الأخبار الباطنه فلا يجرى في الملك و الملكوت شيء و لا تتحرّك ذره و لا تسكن و لا تضطرب نفس و لا تطمئنّ إلا و يكون عنده خبره، و هو بمعنى العليم لكنّ العلم إذا اضيف إلى الخفايا الباطنه سمى خبره و سمى صاحبها خبيراً فهو أخصّ من مطلق العلم (له الاحاطه بكلّ شيء) أي علما و حفظاً، أو استيلاء و قدره كما قال تعالى:

«أَلَا إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطٌ».

و قد مضى تفسيرها فى شرح الفصل السابع من الخطبه الأولى (و الغلبه لكلّ شىء) كما قال سبحانه:

«وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰ أَمْرِهِ وَ لَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ».

و قد مرّ بعض القول فى غالبية فى شرح الخطبه الرابعه و الستين و أقول هنا إنّ معنى غلبته بكلّ شىء يعود إلى تمام قدرته عليه و كونه قاهرا على جميع الأشياء، و ليس قهره تعالى و غلبته على نحو ما يتصوّر فينا، بل على معنى آخر.

كما أشار إليه أبو الحسن الرضا عليه السّلام فى حديث الكافى بقوله: و أمّا القاهر فليس على معنى نصب و علاج و احتيال و مداراه و مكر كما يقهر العباد بعضهم بعضا و المقهور منهم يعود قاهرا و القاهر يعود مقهورا، و لكن ذلك من الله تعالى على أنّ جميع ما خلق ملتبس به الذلّ لفاعله و قلّه الامتناع لما أراد به لم يخرج منه طرفه عين أن يقول له كن فيكون و القاهر منّا على ما ذكرت و وصفت.

توضيحه أنّ الله سبحانه لا يحتاج فى قهره و غلبته إلى عمل و آله و مدافعه و تعب و خديعه و مخالطه و حيله كما يحتاج العباد فى قهر بعضهم بعضا إلى ذلك، إذ هذه كلّها من صفات النقص و زايده على الذات و من العوارض التى يجوز انفكاكها عن المعروض فيجوز أن يكون القاهر فى وقت ما لوقوع تدبيره على وفق مطلوبه مقهورا فى وقت آخر لعدم وقوع تدبيره على وفق مقصوده أو لوقوع تدبير المقهور على نحو ارادته و غلبته على تدبير القاهر كما هو المشاهد فى تدبيرات السّلاطين و الملوك و سائر الناس.

بل قاهريته سبحانه عباره عن ذلّ الخلايق لفاعلهم القديم و دخولهم فى استكانه الامكان تحت غلبته و احتياجهم فى اسر الحاجه إلى كمال قدرته بحيث لا يقدرّون على الامتناع لما أراد من ذواتهم و صفاتهم و هيئاتهم و مقاديرهم و كمالاتهم و نفعهم

و ضرّهم و خيرهم و شرّهم للزوم حاجتهم فى الدّوات و الصّيفات و جميع الحالات إليه و رفع أيدي الامكان و الافتقار لهم من جميع الجهات بين يديه.

و لعلّ لفظ القلّه فى الحديث اشاره إلى صدور الامتناع عن بعضهم قليلا فيما أراد منهم من أفعالهم الاختيارية، و ليس ذلك لقهرهم و غلبتهم عليه، بل لأنه تركهم على حالهم و لم يجبرهم تحقيقا لمعنى التّكليف و الاختيار.

و قوله عليه السّلام لم يخرج منه طرفه عين أن يقول أه حال عن فاعله أو عن فاعل أراد، و ضمير منه راجع إليه، و أن يقول فاعل لم يخرج يعنى لم يخرج منه سبحانه فى سلطانه على الخلق و قهره عليهم طرفه عين قول كن فيكون، فهو إشاره إلى أنه قاهر دائما و لا يصير مقهورا أبدا، و فيه تنبيه على أنّ الممكن فى بقائه يحتاج إليه سبحانه كما يحتاج إليه فى وجوده.

قال بهمنيار فى محكّى كلامه: إنّ كلّ ممكن بالقياس إلى ذاته باطل و به تعالى حقّ يرشد إليه قوله: كلّ شيء هالك إلاّ وجهه فهو آنافآنا يحتاج إلى أن يقول له الفاعل الحقّ كن و يفيض عليه الوجود بحيث لو أمسك عنه هذا القول و الافاضه طرفه عين لعاد إلى البطلان الذاتى و الزّوال الأصلي كما أنّ ضوء الشمس لو زال عن سطح المستضىء لعاد الى ظلمته الأصليّه.

(و القوّه على كلّ شيء) و هو أيضا يعود إلى تمام القدره، و ليس المراد به قوّه البطش المعروف من المخلوق الذى هو الأخذ الشديدا عند ثوران الغضب و التناول عند الصّوله أو قوّه التعلّق بالشىء و أخذه على الشّده، لأنّ القوّه بهذا المعنى من الصّيفات الجسمانيه كالقوّه الشّهويه و الغضبيه و قابله للزياده و النقصان، فلا يمكن اتّصاف الواجب القديم بذلك بالبديهه و العيان، لكونه من صفات الامكان كما مرّ تفصيلا و تحقيقا فى شرح الخطبه الرّابعه و الستين.

ثمّ إنّّه عليه السّلام لما أشار إلى أنّه سبحانه عالم بما فى الصّدور و غالب على كلّ مقدور و كان ذلك مقتضيا لانجذاب الخلق إليه ليفوزوا بما لديه علما منهم بأنّه سبحانه طالب كلّ راغب و مدرك كلّ هارب أمر بعد ذلك بالطاعات و حدّ عن

(فليعمل العامل منكم فى أيام مهله قبل إرهاب أجه) و هو أمر بالمبادره إلى العمل قبل حلول الأجل، لأنّ الموت إذا حلّ ارتفع التّكليف و بطل، فليبادر فى أيام المهل قبل أن يحلّ الموت و ينزل و قبل أن يحول بينه و بين العمل.

(و فى فراغه) من شدايد الأهوال (قبل أو ان شغله) بفجايح الآجال (و فى متنفسه) أى سعه نفسه و خلاقه (١) (قبل أن يؤخذ بكظمه) و خناقه (٢) (و ليمهدّ لنفسه و قدمه) قبل أن لا ينفعه ندمه (و ليزود من دار ظعنه) و رحلته (لدار إقامته) و محلّ فاقتة، و إنّما أمر بذلك لأنّ سفر الآخره مهول و السبيل طويل و الخطر جليل فمن لم يمهدّ لنفسه زادا يتقوى به و لا لقدمه محلا يضعها عليه مع حزونه الطّريق و خشونته صعب له الوصول إلى المحلّ بل تاه فى المهامه (٣) و ضلّ.

(فالله الله عباد الله فيما استحفظكم من كتابه) و طلب منكم تدبّر ما فيه من تكليفه و خطابه (و استودعكم من حقوقه) المؤدّيه إلى ثوابه و عقابه (فإنّ الله سبحانه لم يخلقكم عبثا) لعبا (و لم يترككم سدى) هملا- كالابل الرّثاع و الجمل الرّعاع، و أنّما خلقكم على وجه الحكمة و الصّواب و جعلكم عاقلا قابلا للتكليف و الخطاب لتستفيدوا محاسن الآداب، و تنافسوا فى المكارم، و تسارعوا فى المغانم و تحصّلوا المعارف و الطّاعات، و تنتهوا عن المعاصى و السيّئات.

فانه قد نصب لكم أعلام الهدى (و لم يدعكم فى جهاله و لا عمى) فمن خبط بعد ذلك و طغى فقد ضلّ و غوى، و من أطاع فاتقى فسوف يعطيه ما يرضى و (قد سمى آثاركم) خيرها و شرّها و رفع أخباركم نفعها و ضرّها (و علم أعمالكم) صغيرها و كبيرها (و كتب آجالكم) طويلها و قصيرها (و أنزل عليكم الكتاب

١- (١) الخلاق بالفتح النصيب.

٢- (٢) و الخناق بالكسر والضّم الحلق منه

٣- (٣) أى المفازة جمع مهمه

تبياناً) و برهاناً (و عمر فيكم نبيه) صلى الله عليه و آله و آونه و (أزماناً) لانتظام معاشكم و اصلاح معادكم و اقامه للحجّه عليكم
«لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَن بَيْنِهِ وَ يَحْيَى مَنْ حَيَّ عَن بَيْنِهِ».

(حتى أكمل له صلى الله عليه و آله و سلم و لكم فيما أنزل من كتابه دينه الذي رضى لنفسه) و أتم عليكم نعمته التي اختارها له
و لكم من اسلامه و شرعه كما قال عزّ من قائل:

«الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَ أَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَ رَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا».

(و أنهى إليكم) و أعلمكم (على لسانه) سلام الله عليه و آله (محبّته من الأعمال) الحسنه (و مكارهه) من الأفعال القبيحه (و
نواهيه) الموجبه للشقاوه (و أوامره) المحصّيه له للسعاده (فألقي إليكم المعذره) أى العذر فى عقوبتكم يوم القيامه حتى لا يكون
لكم الحجّه عليه بل يكون له الحجّه عليكم (و اتخذ عليكم الحجّه) بما أنزله فى كتابه لثلاث- تكونوا عن آياته فى غفله (و قدّم
إليكم بالوعيد و أنذركم بين يدي عذاب شديد) أى قدّم إليكم الوعيد و خوّفكم أمام العذاب الشديد ليكون الوعيد قبل حلول
العقاب و الانذار قبل نزول العقاب، لأنّ العقاب من دون بيان قبيح و التأديب بعد التّكليف حسن و مليح كما قال تعالى شأنه:

«وَ مَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا».

فأرسل سبحانه رسله مبشّرين و منذرين و بعث رسوله بالكتاب المبين كيلا تقولوا يوم القيامه: إنّنا كنّا عن هذا غافلين (فاستدركوا
بقية أيامكم و أصبروا لها أنفسكم) أى تداركوا ما أسلفتم من الذّنوب و الخطيئات فيما بقى لكم من الأوقات و احبسوا أنفسكم
عليها بتحمّل مشاقّ الطاعات.

و فى الحديث الصّبر صبران صبر على ما تكره و صبر عمّا تحبّ، فالصّبر الأوّل مقاومه النّفس للمكاره الوارده عليها و ثباتها و
عدم انفعالها، و قد يسمّى سعه الصّدر

و هو داخل تحت الشجاعه، و الصبر الثانی مقاومه النفس لقوتها الشهويه و هو فضيله داخله تحت العفّه (فأنها قليل في كثير الأيام التي تكون منكم الغفله و التشاغل عن الموعظه) يعنى أنّ الأيام الباقيه التي يمكن فيها الاستدراك و التدارك قليله في جنب الأيام التي تكون فيها الغفله و التشاغل و هي كثيره بالنسبه إليها.

و لعلّ الاتيان بلفظه تكون دون كانت للاشعار بأنّ غفلتهم ليست مختصّه بما مضى، بل ربما تكون فيما يأتي أيضا، و ذلك لما علم من حالهم أنّهم لا يستغرقون أوقاتهم الآتية بالتدارك و الطاعه فأمر عليه السّلام بالتدارك فيما هو آت إذ ما مضى قد فات فافهم.

(و لا ترخصوا لأنفسكم فتذهب بكم الرخص فيها مذاهب الظلمه) أي مسالكها، و الظاهر أنّ المراد بالترخيص للنفوس المسامحه و المسايله لها، فيكون المقصود بالتهى المواظبه عليها و مجاهدتها.

روى الكلينيّ باسناده عن السّكوني عن أبي عبد الله عليه السّلام أنّ النّبىّ صلّى الله عليه و آله و سلّم بعث سريه فلما رجعوا قال عليه السّلام: مرحبا بقوم قضوا الجهاد الأصغر و بقى عليهم الجهاد الأكبر فقيل: يا رسول الله ما الجهاد الأكبر؟ قال: جهاد النفس.

و فى الوسائل عن الصّدوق باسناده عن شعيب العرقوفى عن الصادق عليه السّلام قال: من ملك نفسه إذا رغب و إذا رهب و إذا اشتهى و إذا غضب و إذا رضى حرّم الله جسده على النار.

و عن الكلينيّ عن عدّه من أصحابنا عن محمّد بن خالد بن خالد رفعه قال: قال أبو عبد الله عليه السّلام أقصر نفسك عمّا يضرّها من قبل أن تفارقك، واسع فى فكاكها كما تسعى فى طلب معيشتك فإنّ نفسك رهينه بعملك، هذا.

و يحتمل أن يكون المراد به الترخيص فى الشبهات المؤدى إلى الاقتحام فى الهلكات فيكون مساقه مساق ما وراه الصّيدوق عنه عليه السّلام قال: إنّ أمير المؤمنين عليه السّلام خطب الناس فقال فى كلام ذكره: حلال بين و حرام بين و شبهات بين ذلك، فمن ترك ما اشتبه عليه من الاثم فهو لما استبان له أترك، و المعاصى حمى الله فمن

يرتع حولها يوشك أن يدخلها.

و نظيره ما رواه فى الوسائل عن الكراچكى فى كتاب كنز الفوايد مسندا عن سلام بن المستنير عن أبى جعفر الباقر عليه السّلام قال: قال جدّى رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم أيّها النّاس حلّالى حلال إلى يوم القيامة و حرامى حرام إلى يوم القيامة ألا وقد بيّنهما الله عزّ و جلّ فى الكتاب و بيّنتهما لكم فى سنّتى و سيرتى، و بينهما شبهات من الشّيطان و بدع بعدى من تركها صلح له أمر دينه و صلحت له مروّته و عرضه، و من تلبّس بها و وقع فيها و اتّبعها كان كمن رعى غنمه قرب الحمى، و من رعى ماشيته قرب الحمى نازعته نفسه إلى أن يرعى ها فى الحمى، ألا- و إنّ لكلّ ملك حمى ألا و إنّ حمى الله عزّ و جلّ محارمه فتوقوا حمى الله و محارمه، الحديث.

(و لا- تداهنوا فيهم بكم الادهان على المعصيه) و المراد بالمداهنه إمّا المساهله للنفس فيكون هذه الجملة تأكيدا للجملة السّابقه، و إمّا ترك المناصحه و الصّدق و إظهار خلاف ما تضمّر أعنى النفاق و هو الأظهر.

و منه الحديث القدسى لعيسى عليه السّلام قال لمن تمرد علىّ بالعصيان و عمل بالادهان ليتوقّع عقوبتى.

و مثله فى حديث الباقر عليه السّلام قال: أوحى الله عزّ و جلّ إلى شعيب النّبىّ عليه السّلام أنّى معذب من قومك مأثمه ألف أربعين ألفا من شرارهم، و ستّين ألفا من خيارهم فقال: يا ربّ هؤلاء الأشرار فما بال الأخيار؟ فأوحى إليه داهنوا أهل المعاصى و لم يغضبوا الغضبى.

(عباد الله إنّ أنصح النّاس لنفسه أطوعهم لربّه) و ذلك لأنّه لما كان مقصود النّاصح بنصحه إيصال المنفعه إلى المنتصح و كان أعظم المنافع و أجلّها هو السّعيّ عادّه الأبدية و العنايه السّرمديه المستفاده من طاعه الحضرة الرّبوبيّه، لا جرم كان أنصح النّاس لنفسه أكثرهم طاعه لربّه.

(و إنّ أغشّ النّاس لنفسه أعصاهم لربّه) و الغشّ خلاف التّصح و هو عباره عن عدم الخلوّص و عن اظهار خلاف ما يضمّر، و لما كان غرض الغاشّ من غشّه إيصال الضّرر إلى المستغشّ

و كان أعظم المضارّ هو الشقاوه الأبدية و العقوبه الدائمة الناشيه من عصيان الحضرة الالهيه، لا جرم كان أغشّ الناس لنفسه أكثرهم معصيه لربه.

و فى هاتين الجملتين من الأمر بالطاعة و التحذير عن المعصيه ما لا يخفى، إذ أحبّ الأشياء إلى الانسان نفس الانسان فهو دائما طالب لمحابّتها و منافعها.

هارب عن مضارّها و مكارهها، فيلزم له الاتيان بالطّاعة و الحذر عن المعصيه لكون الاولى جالبه للمحبوب و الأخرى كاسبه للمكروه.

(و المغبون من غبن نفسه) أصل الغبن هو الخداع فالغابن خادع و المغبون مخدوع و الغبن فى البيع هو بيع الكثير بالقليل، و لما كانت الشهوات الدنيويه و اللذائذ العاجله زهيده قليله فى جنب الثمرات الأخرويه و المنافع الآجله، و كان المشتغل باللذات الدنيه و الصّارف عمره فى الشهوات الخسيسه قد فوّت على نفسه المنافع الكثيره و النعم الخطيره، فكأنّه قد باع الكثير بالقليل و فوّت على نفسه الخطير بالحقير، لا جرم كان هو غابنا لنفسه و خادعا لها حيث بخسها ما تستحقّه من ثواب الله و رضوانه، و منه قوله تعالى:

«يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ الْجَمْعِ ذَلِكَ يَوْمُ التَّغَابُنِ».

قال الطبرسى فى تفسيره: هو تفاعل من الغبن و هو أخذ شرّ و ترك خير أو أخذ خير و ترك شرّ فالمؤمن ترك حظّه من الدنيا و أخذ حظّه من الآخره فترك ما هو شرّ له و أخذ ما هو خير له فكان غابنا، و الكافر ترك حظّه من الآخره و أخذ حظّه من الدنيا فترك الخير و أخذ الشرّ فيكون مغبونا، فيظهر فى ذلك اليوم الغابن و المغبون هذا.

و لما كان السعادات الاخرويه أنفس متاع لا متاع فوقه، و الغبن فيها أعظم غبن لا غبن مثله، لذلك حصر عليه السيّلام المغبون فيمن غبن فى ذلك و قال: المغبون من غبن نفسه على طريق المبالغه، و مثله قوله عليه السيّلام (و المغبوط من سلم له دينه) فان سلامه الدّين لما كانت أعظم نعمه لا نعمه فوقها كان المنعم بذلك أحقّ بأن يغبط و يتمنى مثل ماله من غير أن تريد زواله، و بهذا القيد يفترق الغبطه من الحسد

حسبما ستعرف.

(و السعيد من وعظ بغيره) أى السعيد فى الآخرة من لاحظ حال الغير فأتعظ به بأن ينظر إلى حال الصالحين و ما لهم و ما أعد الله لهم و بشرهم به فى كتابه الكريم من الجنان و الغلمان و الحور العين و الشراب من الكوثر و التسنيم فيحذو حذوهم و يسلك مسالكهم و يلاحظ مصير المجرمين و مقرهم و ما هيا الله لهم و أنذهم به من الجحيم و ظل من يحموم و شراب من الزقوم و الحميم فيعدل عن جادتهم و يتنحى عن قذتهم.

(و الشقى من انخدع لهواه) و غروره كما قال سبحانه:

«وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ» و قال أيضا: «وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الغُرُورِ» أى الخداع الذى لا حقيقه له و هو المتاع الردى الذى يدلّس به على طالبه حتى يشتريه ثم يتبين له ردائه و الشيطان هو المدلّس (و اعلموا أن يسير الرّيا سرّك) فكيف بكثيره كما مضى تفصيلا فى شرح الخطبه الثالثه و العشرين بما لا مزيد عليه (و مجالسه أهل الهوى منسأه للايمان و محضره للشيطان) أراد بمجالسه أهل الهوى مجالسه أهل المعاصى و قد مضى بعض الأخبار الناهيه عنها فى شرح كلامه الثالث عشر.

و أقول هنا: إن كون مجالسه أهل المعصيه و مخالطتهم موجه لنسيان الايمان و لحضور الشيطان واضح، لأنّ الفساق باقبالهم إلى اللّعب و اللّهو و الفسق و الفجور و السيئات بما فيهم من دواعى الهوى و الشهوات يسود ألواح خاطرهم و يرين وجه قلوبهم فيغفلون بذلك عن ذكر الحقّ و تذكّر الآخرة و يزيد الغفله شيئا فشيئا و يشتدّ فيخرج نور الايمان من قلوبهم و يضمحلّ و يمحو و يحضر الشيطان فى مجالسهم لاغوائهم و إضلالهم، فمن جالس معهم و خالطهم يكون المجالسه و المخالطه لا محاله مؤثّره فيه، إذ المرء على دين خليله و قرينه فيقتدى بهم

ص: ١٣٥

و يحذو حذوهم و يعمل عملهم فيكون ناسي الايمان و قرين الشيطان مثلهم.

و يدل على ذلك الأخبار المستفيضه بل المتواتره ففي الوسائل عن الكليني مسندا عن غياث بن ابراهيم عن ابي عبد الله عليه السلام في حديث قال: ما اجتمع ثلاثة من الجاحدين الا حضرهم عشره اضعافهم من الشياطين، فان تكلموا تكلم الشياطين بنحو كلامهم، و اذا ضحكوا ضحكوا معهم، فاذا نالوا من اولياء الله نالوا معهم، فمن ابتلى من المؤمنين بهم فاذا خاضوا في ذلك فليقم و لا- يكن شرك شيطان و لا جلسه، فان غضب الله لا يقوم له شيء و لعنته لا يردها شيء ثم قال: فان لم يستطع فلينكر بقلبه و ليقم و لو حلب شاه أو فواق ناقه.

و عن عمرو بن يزيد عن ابي عبد الله عليه السلام انه قال: لا تصحبوا اهل البدع و لا تجالسوهم فتصيروا عند الناس كواحد منهم قال رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم: المرء على دين خليله و قرينه.

و عن ابي حمزه عن علي بن الحسين عليهما السلام في حديث طويل اياكم و صحبه العاصيين و معونه الظالمين و مجاوره الفاسقين، احذروا فتنهم و تباعدوا من ساحتهم.

و فيه من علل الشرائع مسندا عن علي بن جعفر عن اخيه موسى بن جعفر عن ابيه عليه السلام قال: قال علي بن الحسين عليهما السلام ليس لك أن تقعد مع من شئت لأن الله تبارك و تعالى يقول:

«وَ إِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ وَ إِمَّا يُنسِئَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرِى مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ » الحديث.

و من كتاب صفات الشيعة معنعنا عن محمد بن قيس عن ابي جعفر عن آبائه عن علي سلام الله عليه و عليهم قال: مجالسه الأشرار تورث سوء الظن بالأخيار، و مجالسه الأخيار تلحق الأشرار بالأخيار، و مجالسه الفجار للأبرار تلحق الفجار بالأبرار

فمن اشتبه عليكم أمره و لم تعرفوا دينه فانظروا إلى خلطائه، فان كانوا أهل دين الله فهو على دين الله، و إن لم يكن على دين الله فلا حظ لهم في دين الله، إن رسول الله صَلَّى الله عليه و آله و سلم كان يقول: من كان يؤمن بالله و اليوم الآخر فلا يواخين كافرا و لا يخالطن فاجرا، و من آخى كافرا أو خالط فاجرا كان فاجرا كافرا و لنعم ما قيل في هذا المعنى:

عن المرء لا تسأل و سل عن قرينه فكل قرين بالمقارن يقتدى

و من مجالس الشيخ حسن ابن شيخنا الطوسي قدس الله راسه مسندا عن أبي الخير قال: قال رسول الله صَلَّى الله عليه و آله: أربعه مفسده للقلوب: الخلو بالنساء، و الاستمتاع منهن، و الأخذ برأيهن، و مجالسه الموتى فليل: يا رسول الله صَلَّى الله عليه و آله و سلم و ما مجالسه الموتى؟ قال: كل ضال عن الايمان و جائر «حائر ظ» عن الأحكام، و الأخبار في هذا المعنى كثيره و لا حازه إلى الزيادة.

ثم أمر بمجانبه الكذب بقوله: (جانبوا الكذب) و قد مرّ الكلام في قبحه عقلا و شرعا في شرح كلامه الثالث و الثمانين و يأتي تفصيل أقسامه في التذنيب الآتي، و علل عليه السلام قبحه هنا بقوله: (فإنه مجانب للايمان) و أراد عليه السلام بذلك أن كلاً من الكذب و الايمان مجانب من الآخر و أن بينهما تباعدا و تجانبا.

و ذلك على القول بكون الايمان عباره عن مجموع المعرفه و ما يتبعها من الأعمال الصالحه واضح، لأن الصدق على ذلك جزء للايمان و الكذب مضاد له فيكون مضادا للايمان، و أمّا على كونه عباره عن نفس المعرفه فلائذ الايمان من أعظم الفضائل المنجيه و الكذب من أخس الرذائل المهلكه و التباعد بين الفضيله و الرذيله و الانجاء و الاهلاك أيضا ظاهر.

كما أشار إلى ذلك و أوضحه بقوله: (الصادق على شفا منجاة و كرامه) أي على طرف من النجاه و الكرامه و مشارف عليهما أو على طرف من محلّ النجاه و قريب منها يكاد أن يقع فيها و في الكرامه الدينويه و الاخرويه (و الكاذب على شرف مهواه و مهانه) أي على مكان عال من الهوى و الهوان أو مشارف لمحلّ السقوط

و الدّله يكاد أن يسقط منها إلى الجحيم و يقع فى العذاب الأليم قال الشّاعر:

لا يكذب المرء إلا من مهاتته أو عاده السّوء أو من قلبه الأدب

لعفن جيفه كلب خير رايحه من كذبه المرء فى جدّ و فى لعب

ثمّ نهى عن الحسد بقوله: (و لا تحاسدوا) و هو من أعظم الموبقات على ما ستعرف تفصيلا فى التذنيب الآتى إنشاء الله، و علّله بقوله (فإنّ الحسد يأكل الايمان كما تأكل النّار الحطب) و هذا التعليل ممّا تظافرت الأخبار به عن النّبي صلّى الله عليه و آله و سلّم و أولاده المعصومين سلام الله عليهم.

و قد اتفق الأخبار ككلام علمائنا الأبرار على أنّ الحسد مضرّ بالنّفس و الجسد.

أمّا بالنّفس فقد قال الصادق عليه السّلام: الحاسد مضرّ بنفسه قبل أن يضرّ بالمحسود كابليس لعنه الله أوّرت بحسده له اللّعنه و لآدم عليه السّلام الاجتباء و الهدى و الرّفيع إلى محلّ حقايق العهد و الاصطفاء، فكن محسودا و لا تكن حاسدا، فإنّ ميزان الحاسد أبدا خفيف يثقل ميزان المحسود، و الرّزق مقسوم فما ذا ينفع الحسد الحاسد و ما ذا يضرّ المحسود الحسد؟ و قال العلماء: إنّ الحسد يذهل نفس الحاسد و يغرق فكره بالاهتمام بأمر المحسود حتّى لا يبقى له فراغ بتحصيل المنافع العائده إليها بل و يمحو ما حصلت لها من الملكات الخيريّه و الحسنات المنقوشه فى جوهرها بطول تعوّد الحسد و تمادى اشتغال الفكر فيه و كثره الحزن و الهّم، لأنّ نعم الله سبحانه على عباده غير معدوده، و فيوضاته غير متناهيه، فاذا كان حسد الحاسد على الخلق بتلك الآلاء و النعم دام عليه الهّم و الغمّ فيضيق وقته بل ينقطع عن اتيان الحسنات و يلقي نفسه فى المهلكات و هو معنى قولهم عليهم السّلام: إنّه يأكل الايمان كما تأكل النّار الحطب، أى يستأصله و يفنيه و يبطله مثل استيصال النّار للحطب و إفنائها له.

و أمّا بالجسد فقد قال أمير المؤمنين عليه السّلام فيما يرويه السيّد «ره» فى الكتاب:

و سرّه أنّ الحسود إذا دام عليه الحزن و الغمّ بتواتر الآلاء و النعم على المنعم أورت ذلك له طول السهر و تمادى الفكر و ضيق العيش و ضنك المعيشه و قلبه الراحه و مضيق الباحه، فينقطع عنه الابتهاج و يؤدى ذلك إلى فساد المزاج.

ثمّ نهى عن العداوه و البغضاء بقوله (و لا تباغضوا فأنّها الحالقه) أى البغضاء خصله مشؤمه كما أنّ المحبه و الالفه ميمونه، أو أنّها موجبه لقطيعه الرّحم، و على تفسير الخالقه بما تحلق الشّعرو تستأصله من موسى و نحوه كما فى شرحى المعتزلى و البحرانى و إن لم أجدّه فى كتب اللّغه فالكلام مبنى على الاستعاره، يعنى أنّها مستأصله للخلق أو للدين أو كليهما كما أنّ موسى مستأصله للشّعرو.

نعم يدلّ على تفسيرهما ما رواه الغزالى فى كتاب إحياء العلوم فى باب ذمّ الحسد عن رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم قال: و قال: دبّ إليكم داء الامم قبلكم الحسد و البغضاء و البغضه هى الحالقه لا أقول حالقه الشّعرو لكن حالقه الدين و الذى نفس محمّد بيده لا تدخلون الجنّه حتّى تؤمنوا، و لن تؤمنوا حتّى تحابّوا ألا أنبئكم بما يثبت ذلك لكم أفشوا السّلام بينكم.

و مثله فى الكافى باسناده عن مسمع بن عبد الملك عن أبى عبد الله عليه السّلام قال:

قال رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم فى حديث: ألا إنّ فى التباغض الحالقه لا أعنى حالقه الشّعرو لكن حالقه الدين.

و كيف كان فيدلّ على كراهه هذه الصّيفه و شؤمها و إيجابها للقطيعه و لاستيصال النفوس و الدين و الايمان أنّ نوع الانسان مدنىّ بالطبع يحتاج فى انتظام أمر معاشه و معاده إلى الاجتماع و الايتلاف و التعاون و التظافر، و كان أقوى أسباب الاجتماع و التعاون هو المودّه و المحبّيه و المؤاخاه، و لذلك آخا رسول الله صلّى الله عليه و آله بين الأصحاب و حتّى على الجمعه و الجماعه لتصفو الالفه و تخلص المحبّه، و نهى عن التباغض لما يستلزمه من التقاطع و عدم التعاون و تسلّط أيادى الحاسدين عليهم و تحكّم آراء المعاندين و أهوائهم فيهم، بل ربما ينجرّ إلى حسد بعضهم بعضا و بغى بعضهم على

بعض، فلا- تسلم لهم نعمه و لا- تصفو لهم لذّه، و لا- يكون لهم فراغ العباده، بل يكون بذلك بوارهم و هلاكهم فى الدنّيا و الآخره.

و لذلك ورد فى غير واحد من الأخبار النهى عنها و الحثّ على التّحابّ و الالفه.

مثل ما رواه الغزالى قال: قال رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم: سيصيب امتى داء الامم، قالوا: و ما داء الامم؟ قال عليه السّلام: الأشر و البطر و التكاثر و التّنافس فى الدنّيا و التّباعد و التّحاسد حتّى يكون البغى ثمّ الهرج.

و فى الكافى باسناده عن مالك بن أعين الجهنى عن أبى جعفر عليه السّلام قال: إنّ المؤمنين إذا التقيا فتصافحا أدخل الله عزّ و جلّ يده بين أيديهما و أقبل بوجهه على أشدهما حبّاً لصاحبه، فإذا أقبل الله بوجهه عليهما تحاتت عنهما الدّنوب كما يتحات الورق من الشّجر.

و عن جابر عن أبى جعفر عليه السّلام قال: قال رسول الله صلّى الله عليه و آله: من زار أخاه فى بيته قال الله عزّ و جلّ: أنت ضيفى و زائرى علىّ قراك و قد أوجبت لك الجنّه بحبك إياه.

و عن عدّه من أصحابنا عن أبى عبد الله عليه السّلام قال: قال أمير المؤمنين عليه السّلام:

المؤمن مألوف لا خير فيمن لا يالف و لا يؤلف.

و عن حبيب الخثعمى عن أبى عبد الله عليه السّلام قال: قال رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم فاضلكم أحسنكم أخلاقا الموطئون اكنافا الذين يألّفون و يؤلّفون و توطأ رحالهم.

و عن أبى بصير عن أبى عبد الله عليه السّلام قال: سمعته يقول: المتحابّون فى الله يوم القيامة على منابر من نور قد أضاء نور وجوههم و نور أجسادهم و نور منابرهم كلّ شىء حتى يعرفوا به فيقال: هؤلاء المتحابّون فى الله.

و عن سماعة بن مهران عن أبى عبد الله عليه السّلام قال: إنّ المسلمين يلتقيان فأفضلهما أشدهما حبّاً لصاحبه.

و عن أبى عبد الجارود عن أبى جعفر عليه السّلام قال: قال رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم: المتحابّون فى الله يوم القيامة على أرض زبرجده خضراء فى ظلّ عرشه عن يمينه و كلتا يديه

يمين، وجوههم أشدّ بياضا و أضوء من الشمس الطالعه، يغطهم بمنزلتهم كل ملك مقرب و كل نبي مرسل يقول الناس: من هؤلاء؟ فيقال: هؤلاء المتحابون في الله.

و عن أبي حمزه الثمالي عن علي بن الحسين عليهما السلام قال: إذا جمع الله الأولين و الآخرين فنادى مناد يسمع الناس فيقول: أين المتحابون في الله؟ قال: فيقوم عنق من الناس فيقال لهم: اذهبوا إلى الجنه بغير حساب، قال: فتلقّهم الملائكه فيقولون: إلى أين؟ فيقولون: إلى الجنه بغير حساب، قال: فيقولون: فأى ضرب أنتم من الناس؟ فيقولون: نحن المتحابون في الله، قال: فيقولون: و أى شيء كانت أعمالكم؟ قالوا: كنا نحب في الله و نبغض في الله قال عليه السلام: فيقولون: نعم أجر العاملين.

و عن جابر الجعفي عن أبي جعفر عليه السلام قال: إذا أردت أن تعلم أن فيك خيرا فانظر إلى قلبك، فان كان يحب أهل طاعه الله و يبغض أهل معصيته فففيك خير و الله يحبك، و إذا كان يبغض أهل طاعه الله و يحب أهل معصيته فليس فيك خير و الله يبغضك و المرء مع من أحب، هذا.

و بهذه الأخبار يعلم أن المقصود بالحبّ و البغض في الأخبار المطلقه الأمر بالأول و الناهيه عن الثاني هو حبّ المؤمن و بغضه، فيجب تقييد اطلاقها بذلك و إلاّ فقد علمت أن بغض المنافق و الكافر و العاصي مطلوب كحبّ المؤمن و بغضه منهي عنه كحبّهم، فالمدار في الحبّ و البغض على ما كان لله و في الله.

ثم إنّه تبّه على مفاسد طول الأمل و نهى عنه بقوله (و اعلموا أنّ) طول (الأمل) في الدنيا (يسهى العقل) و يغفله عمّا يجذب به إلى الله (و ينسى الذكر) أى يوجب نسيان ذكر الموت و الآخره و ما هو نافع فيها.

و ذلك لأنّ طويل الأمل لافتتانه بالدنيا و لذاتها و شهواتها و حبه لها و تمنّيه طول البقاء فيها يكون أوقاته مستغرقه في ذكرها و حديثها، و همته مصروفه إلى تهيه مقتضيات هواه، و نظره مقصورا في تحصيل مآربه و مناه، فيوجب ذلك غفله العقل و نسيان الذكر إذ من أحب شيئا كره الفكر فيما يضاؤه و يعانده و مضاده

العقل للهوى و ذكر الآخره لذكر الدّنيا واضح لاغبار عليها كما قد مضى مفضّلا فى شرح الخطبه الثانيه و الأربعين.

(فاكذبوا الأمل) بكثره ذكر الموت و دوام اخطاره بالبال فى الأيام و الليال، و ملاحظه أهوال المعاد و شدايد يوم التناد، فانّ ذلك يوجب ردّ الأمل و تكذيبه.

و إنّما سمى ردّ الأمل تكذيبا له، لأنّ النفس حال تمنّيها للمأمول تحكم حكما و هميا بنيله و إدراكه، فاذا رجعت إلى صرف العقل و جوّزت بحكمه إمكان نزول الأجل قبل بلوغ الأمل كان تجويزها ذلك مكذّبا لما جزم به الوهم من الأحكام وراذا له عن ذلك.

و علّل تكذيبه بقوله (فانه غرور و صاحبه مغرور) يعنى أنّ الأمل موجب للغرور و الغفله و لا أصل له و لا حقيقه إذ ربّ شىء تأمله النفس تنقطع دونه فهو فى الحقيقه و نفس الأمر:

«كسرابٍ بقیعہ یحسبہ الظمآن ماءً حتّٰی إذا جاءه لم یجدہ شیئا و وجد اللہ عنده فوفاه حسابہ و اللہ سریع الحساب».

تذنیان

الاول فى الكذب

و قد مرّ شطر من الكلام فى قبحه عقلا و شرعا مع طائفه من الأخبار الوارده فيه فى شرح الكلام الثالث و الثمانين، و أردنا هنا اشباع الكلام فيه و فى تفصيل أقسامه و أحكامه.

فأقول: إنّ الكذب من قبایح الذنوب و فواحش العيوب و يترتب عليه من المفسد الدّينيه و الدّنيويّه ما لا يحصى، مثل كونه خزّابا للايمان، و جلاّ بالسخط الرّحمن، و موجبا لاهراق الدّماء و انتهاب الأموال، و باعنا على تحليل الفرج

الحرام و تحريم فرج الحلال.

إذ من دنائه الكذب أنّه يردّ شهاده صاحبه و إن كان صادقاً، و من شرافه الصدق أنّه يقبل شهاده المتّصف به و إن كان كاذباً، و منشأ الكذب دنائه الهيمه و قلبه المروّه و غلبه الحرص و الخسه، و منشأ الصدق ارتفاع الهيمه و غلبه المروّه و كمال الفتوّه و الكذب شعار خلق، و مورد رنق، و أدب سيّء، و خلق ردّي، و عاده خسيسه، و صفه خبيثه، و قلّ ما يجلب به الالفه، و قلّ من ألفه إلّا أتلفه، و الصدق لباس بهيّ و جوهر درّي؛ و صفه و صيفه، و حاله شريفه، جالبه للافه، كاسبه للمودّه، خدمته القلوب بالمحبّه، لحظته العيون بالمهابه.

و كفى لقبحه شرعا لو لم يرد به خبر إلّا قول أمير المؤمنين في روايه الكافي عن أصبغ بن نباته عنه عليه السلام لا يجد عبد طعم الايمان حتى يترك الكذب هزله و جدله «جده ظ» و كيف بذلك و الأخبار الوارده فيه فوق حدّ الاستفاضه كما مضى سابقا.

و يزيد على ساير المعاصي بأن أصحاب الكباير ربّما يلحقهم الحياء و الخجل من سوء عملهم، و يرجعون عن عملهم القبيح و يتوبون عنه، و أمّا الكاذب فلا يستحيى من كذبه لكونه كثير الاستعمال و مأنوسا مرفوع القبح عن نظره، و من تعود نفسه بذلك قلّ أن يرتدع عنه.

و من هنا قيل رأيت شريب خمر نزع، و لصا أفلع، و صاحب فواحش ارتدع و ما رأيت كاذبا رجع.

إذا عرفت ذلك فنقول: إنّ الكذب على قسمين: شرعيّ و غير شرعيّ، و أعني بالشرعي ما يجوز في الشرع جوازا بالمعنى الأعم، و بالغير الشرعي خلافه و أعني به الحرام و

هو على قسمين جليّ و خفيّ

أما الجليّ فهو على قسمين

أحدهما الكذب في حقّ الناس

أو في حقّ نفسه أو غيرهما، بأن يقول: وعدني فلان كذا مع أنّه لم يعده بشيء أو يقول أعطيت فلانا كذا مع أنّه لم يعطه شيئا، أو أنّي عالم بكذا مع أنّه جاهل به، أو نحو ذلك.

ص: ١٤٣

و محصّيه أن يخبر عن نفسه أو عن الغير كائنا ما كان بخبر مخالف للواقع، و أكثر الأخبار الواردة فيه محمول على هذا القسم و يزيد شناعته بأن يكذب ثم يروج كذبه بالحلف بالله، و هو العدى بارز الله بالمحاربه و يمينه هذه تذر الديار بلاقع من أهلها و تثقل الرّحم و توجب انقطاع النّسل و تدخل النار و تبعث غضب الجبار كما ورد في غير واحد من الأخبار، و قد عقد في الوسائل بابا عليها.

و ثانيهما الكذب على الله و رسوله و الأئمه

قال تعالى:

«فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُوبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَ وَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ».

و من هذا القسم الأخبار الموضوعه و الأحاديث المجعوله في زمن النبي صلّى الله عليه و آله و بعده في زمن بنى اميه و بنى العباس لعنهم الله.

قال أمير المؤمنين عليه السّلام في روايه الكافى الطويله: و قد كذب على رسول الله صلّى الله عليه و آله في عهده حتّى قام خطيبا فقال: أيها الناس قد كثرت على الكذّابه فمن كذب على متعمدا فليتبوء مقعده من نار، هذا.

و أول من فتح باب هذا الكذب بعد النبي هم المتخلفون الثلاثة حيث إنهم قالوا إنّ النبي مات و لم يوص في الخلافه بشيء فاغتصبوا بذلك الخلافه و رووا حديثا مجعولا من النبي صلّى الله عليه و آله و سلّم فنهبوا حقّ فاطمه سلام الله عليها و غضبوا فدك و لحقهم التابعون و حدوا حدوهم.

و من عجيب ما روى أنّ علم الهدى (قده) وقع بينه و بين علماء العامه مناظره فانجزّ الكلام إلى الأخبار التي وضعوها في فضائل مشايخهم قال (ره): إنّ هذه الأخبار كلّها موضوعه فقالوا من يقدر أن يكذب على رسول الله صلّى الله عليه و آله؟ فقال لهم:

قد ورد في الروايه عنه أنه صلّى الله عليه و آله قال في حياته: ستكثر على الكذّابه بعد موتى

فمن كذب على متعمداً فليتبوء مقعده من النار، فهذا الحديث إما صدق أو كذب و على التقديرين يثبت المطلوب.

و كيف كان فأكثر من ابتلاء بهذا القسم من الكذب العلماء السوء، و يلحق به ما اعتاده الناس في محاوراتهم من أنهم يكذبون ثم يقولون: الله و رسوله أعلم.

روى في الوسائل من الكافي باسناده عن وهب بن عبد ربه عن أبي عبد الله عليه السلام قال: من قال: الله يعلم فيما لا يعلم اهتر ذلك عرشه إعظاماً له.

و عن أبان بن تغلب قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: إذا قال العبد: علم الله و كان كاذباً قال الله: و ما وجدت أحداً تكذب عليه غيري؟.

و هذا القسم من الكذب أعنى الكذب على الله و رسوله و الأئمة صلوات الله و سلامه عليهم ممياً ورد في الأخبار أنه ينقض الوضوء و الصوم.

أما نقضه الصوم فهو المشهور بين علمائنا الأخيار.

و أما نقضه الوضوء فليس بذلك، و حملها الشيخ قدس الله روحه على نقضه الفضل و الكمال و الوجه الذي يستحق به الثواب، و بعض من قال بإبطاله الصوم ربما عممه بكونه في الدنيا و الدين سواء كان في الأحكام أو في الفتاوى، و سواء أسنده إلى الله و إليهم عليه السلام أم لا، و سواء كان الإخبار بالقول أم بالكتابة أم بالإشارة و التفصيل في كتب الفقه.

و أما الكذب الخفى

فهو أن تخبر عن نفسك أو تخاطب ربك بما لا حقيقه له و لا أصل أو تقول شيئاً و أنت تعمل بخلافه مثل أن تقول: أستغفر الله و أتوب إليه فأنك تظهر التوبة و أنت غير راجع عن الخطيئة و لا قانع عن المعصية.

و لذلك روى عن ربيع بن خثيم أنه قال: لا تقل أستغفر الله و أتوب إليه، فانه كذب بل قل أستغفر الله و أسأله التوبة.

أو تقوم بين يدي ربك في كل يوم و ليله و تقرأ فاتحه الكتاب في صلواتك و أقله عشر مرات و تقول لربك الحمد و الشاء لك أيها المربي لنا الرحمن الرحيم

بنا المالِك لأمورنا فى يوم وفودنا عليك فنحن نخصك بالعباده لا نعبد سواك، فإننا لو رجعنا إلى أنفسنا و أنصفنا نعرف أننا كاذب فى ذلك المقال و خاطئ فى تلك الدعوى، و كيف نكون صادقا مع ما نحن عليه من إطاعه الشيطان و عبادته و انقياد أمره و نهيته و انفاذ حكمه و العمل بما يريد، و من إطاعه النفس الأمارة و القيام بما تهويه و تشتهيه مضافا إلى الزيا و الشرك الذى نخفيه.

و نعم ما قال ابن عباس فى تفسير قوله تعالى:

«لَا تَتَّخِذُوا إِلَهَيْنِ اثْنَيْنِ».

إنه تعالى نهاك عن الاثنين و أنت اتخذت الألف فما أقل حياؤك و قال تعالى:

«أَرَأَيْتَ مَنْ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ أَفَأَنْتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكَيْلًا».

فقد جعل سبحانه إرادته النفس و امتياتها الباطله إلهها، و إذا كان هذه حالنا فكيف يصح منا دعوى تخصيصه تعالى بالعباده، و كيف نجترى على مواجهته بذلك الخطاب الكاذب مع علمه بما فى الصدور و الضمائر و إحاطته بالبواطن و السراير، فكأنه ظننا أنه سبحانه أعجز من جميع الالهه حتى خصصناه بالكذب.

و مثله قولنا: إياك نستعين، على طريق الحصر فإننا إذا رجعنا إلى وجداننا و لاحظنا حالنا عرفنا أننا نستعين فى أمورنا من كل من سواه سبحانه نعم إذا آيسنا من الخلق رجعنا إلى الخالق فكيف نخصصه بالاستعانه و نطلب منه الاعانه و لو تأملنا فى هذا الكذب الخفى وجدناه أضرّ بأحوالنا من الكذب الجلى لمانعته من قبول الطاعات و من التأهيل للقيام على بساط المناجاه، و إيرائه الحسره و الندامه و ملامه النفس اللوامة يوم القيامة.

فوا حسرتاه على ما فرطنا فى جنب الله، و و أطول كربتاه على ما استخففنا فى عباده الله.

أَيُّهَا النَّفْسُ الْخَاطِئُ وَالْقَلْبُ الْجَاهِلُ الْقَاسِي بِأَنَّكَ لَوْ وَاجَهْتَ أَحَدًا مِنَ النَّاسِ وَقَلْتَ لَهُ: إِنِّي لَا أَتَرَدَّدُ إِلَّا إِلَى بَيْتِكَ، وَلَا تُثِقَ لِي إِلَّا- بِكَ، وَلَا- عَوْنٌ لِي سِوَاكَ، وَلَا رَجَاءٌ لِي غَيْرِكَ، وَلَا صَدِيقٌ لِي دُونَكَ، مَعَ عِلْمِكَ بِأَنَّهُ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَتَرَدَّدُ إِلَى كُلِّ أَحَدٍ وَتُثِقُ بِكُلِّ أَحَدٍ وَتَسْتَعِينُ مِنْ غَيْرِهِ أَكْثَرَ مِنَ التَّرَدُّدِ وَالْوَثُوقِ وَالِاسْتِعَانَةِ مِنْهُ، وَ لَكَ أَصْدِقَاءٌ كَثِيرُونَ سِوَاهُ، لِاسْتِحْيَاةٍ مِنْ عِنْدِكَ وَ كُنْتَ خَجَلًا مِنْ هَذَا الْكُذْبِ الَّذِي وَاجَهْتَهُ بِهِ وَ تَنَفَعْتَ مِنْ مَلَاقَاتِهِ وَ الْمَرَاجَعَةِ إِلَيْهِ إِلَّا بَعْدَ زَمَانٍ طَوِيلٍ وَ مَدَّةٍ مَطْوَالَةٍ وَ أَنْتَ هُنَا إِذْ كَانَ أَوَّلَ النَّهَارِ قَلْتَ إِيَّاكَ نَسْتَعِينُ، ثُمَّ إِذَا جَاءَ الظُّهْرُ قَلْتَ مِثْلَ ذَلِكَ، وَ هَكَذَا مَعَ أَنَّكَ تَعْمَلُ بَيْنَ هَذَيْنِ الْقَوْلَيْنِ وَ فِيهِمَا وَ بَعْدَهُمَا بِخِلَافِ مَا قَلْتَ وَ تَسْتَعِينُ الْخَلْقَ وَ تَأْمَلُهُمْ وَ تَرْجُو مِنْهُمْ.

أَفَلَا تَعْلَمُ أَنَّ مَنْ تَوَجَّهَ بِحَاجَتِهِ إِلَى الْخَلْقِ أَوْ جَعَلَهُ سَبَبَ نَجْحِهَا فَقَدْ تَعَرَّضَ لِلْحَرَمَانِ وَ اسْتَحَقَّ مِنْ عِنْدِهِ سَبْحَانَهُ الْخُسْرَانَ وَ فَوَاتِ الْإِحْسَانَ.

فَان شئت أن تعرف ذلك بعين اليقين فانظر إلى موسى بن عمران فإنه توسل بالفقر إلى الحق و قال:

«رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ».

فَقِيضَ اللَّهُ لَهُ شَعِيبًا عَلَيْهِ السَّلَامُ حَتَّى دَعَاهُ وَ آوَاهُ وَ زَوَّجَهُ بِنْتَهُ وَ أَعْطَاهُ الْعَصَا وَ الْيَدَ الْبَيْضَاءَ وَ بَلَغَ أَمْرَهُ إِلَى مَا بَلَغَ.

وَ انظُرْ إِلَى يُوسُفَ بْنِ يَعْقُوبَ كَيْفَ خَابَ حَيْثُ اسْتَعَانَ مِنَ الْمَخْلُوقِ.

«وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُ نَاجٍ مِنْهُمَا اذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ فَأَنسَاءُ الشَّيْطَانُ ذَكَرَ رَبَّهُ فَلَبِثَ فِي السَّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ».

رَوَى فِي الْكَافِي عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَنَّهُ قَرَأَ فِي بَعْضِ الْكُتُبِ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَقُولُ: وَ عَزَّتِي وَ جَلَالِي وَ مَجْدِي وَ ارْتِفَاعِي عَلَى عَرْشِي لِأَقْطَعَنَّ أَمَلَ كُلِّ مُؤْمِلٍ مِنَ النَّاسِ أَمَلَ غَيْرِي بِالْيَأْسِ، وَ لِأَكْسُوْنَهُ ثَوْبَ الْمَذَلَّةِ عِنْدَ النَّاسِ، وَ لَا نَحِيْنَهُ مِنْ

قربى، ولا بعدنه من و صلى أيؤمل غيرى فى الشدايد و الشدايد بيدى، و يرجو غيرى و يقرع بالكفر باب غيرى و بيدى مفاتيح الأبواب و هى مغلقه و بابى مفتوح لمن دعانى، فمن ذا الذى أملى لنوائبه فقطعته دونها، و من ذا الذى رجاني لعظيمه فقطعت رجائه منى، جعلت آمال عبادى عندى محفوظه فلم يرضوا بحفظى، و ملأت سماواتى ممن لا يمل من تسيحى، و أمرتهم أن لا يغلقوا الأبواب بينى و بين عبادى، فلم يثقوا بقولى ألم يعلم من طرفته نائبه من نوائبى أنه لا يملك كشفها أحد غيرى إلا من بعد إذنى، فمالى أراه لاهيا عنى أعطيته بجدوى ما لا يسألنى ثم انتزعتة عنه فلم يسألنى رده و سأل غيرى، أفيرانى أبدأ بالعطاء قبل المسأله ثم اسأل فلا أجيب سائلى أ بخیل أنا فيبخلنى عبدى، أو ليس الجود و الكرم لى؟ أو ليس العفو و الرحمه بيدى؟ أو ليس أنا محلّ الآمال فمن يقطعها دونى؟ أفلا يخشى المؤمنون أن يؤملوا غيرى؟ فلو أن أهل سماواتى و أهل أرضى أمّلوا جميعا ثم أعطيت كل واحد منهم مثل ما أمّل الجميع ما انتقص من ملكى مثقال ذره، و كيف ينقص ملكك أنا قيمه؟ فيا بؤسا للقانطين من رحمتى، و يا بؤسا لمن عصانى و لم يراقبنى هذا.

و بقى الكلام فى الكذب الشرعى و أعنى ما هو سايع فى الشرع المطهر و تحقيقه يحتاج إلى تمهيد مقدّمه و هى:

إننا قد حقّقنا فى الأصول أنّ الأحكام الشرعيه تابعه للمصالح و المفاسد الواقعيه و بينا هناك أنّ حكم الشارع المقدّس بوجوب شىء أو حرمة من جهه أنه أدرك فيه حسنا ملزما واقعيًا فحكم بوجوبه، أو قبحا ملزما واقعيًا فحكم بحرمة، خلافا للأشاعره القائلين بأنّ الحسن و القبح إنّما هو تابع للأمر و النهى و بأنّ الصيلاه مثلا إنّما هى حسنه لتعلّق الأمر بها و الكذب قبيح لتعلّق النهى عليه، و أنّه لو نهى الشارع عن الأولى و أمر بالثانى لكان الأولى قبيحه و الثانى حسنا، و قد حقّقنا بطلان هذا المذهب و فساد هذا القول فى الأصول بما لا مزيد عليه.

إذا عرفت ذلك فنقول: إنّ حرمة الكذب إنّما هى من أجل ما فيه من المفسده الواقعيه، كالضّرر على المخاطب أو غيره أو نحو ذلك ممّا قدّمنا، و أقلّ

درجات تلك المفسده هو إلقاء المخاطب في يدياء الجهاله و اعتقاده للشىء على خلاف ما هو عليه، فتلك المفسده فيه صارت مقتضيه لحرمة.

فلو فرضنا أنّ هذه المفسده الواقعيه كانت متعارضه بجهه حسن و مصلحه فى الظاهر متداركه بها تلك المفسده كالكذب المتضمّن لانجاء نفس محترمه من القتل مثلا ارتفعت الحرمة قطعاً، لانتفاء سببها.

و مثله المصلحه الواقعيه التى فى الصّدق، فانها اقتضت وجوبها، فلو فرضنا معارضتها لمفسده ظاهريه راجحه عليها كالصدق المتضمّن لقتل نبىّ مثلاً تبدّل حكم الوجوب فيه بالحرمة فيكون الصدق حينئذ حراماً.

ثم أقول: إنّ جهات المفسده الواقعيه فى الكذب لو كانت مساويه لجهات المصلحه الظاهريه فيه كان الكذب حينئذ مباحاً، لتساوى مقتضيات الحسن و القبح، و ذلك كالكذب فى الوعد للأهل و الأولاد على ما سيأتى فى الأخبار، و لو كانت جهه المفسده راجحه فهو حينئذ باق على حرمة.

و لو كانت جهه المصلحه راجحه فإما أن تكون ملزمه له فيكون حينئذ واجبا كالكذب و الخديعه فى الحرب توصيلاً إلى قتل الكافر الواجب؛ و إما أن لا تكون ملزمه فيكون حينئذ مستحباً كالكذب لاصلاح ذات البين.

و إذا ظهر لك ذلك فاعلم أنّه قد رخص لنا أهل البيت الأطهار سلام الله و صلواته عليهم ما تعاقب الليل و النهار فى بعض أقسام الكذب فى أخبارهم المأثوره و لا بأس بالاشارة إليها.

فأقول: روى ثقة الاسلام الكلينيّ فى الكافى عن محمّد بن يحيى عن أحمد بن محمّد بن عيسى عن أبى يحيى الواسطى عن بعض أصحابه عن أبى عبد الله عليه السلام قال:

الكلام ثلاثه: صدق و كذب و إصلاح بين الناس، قال: قيل له: جعلت فداك ما الاصلاح بين الناس؟ قال: تسمع من الرجل كلاماً يبلغه فيخبث نفسه فتلقاه فتقول قد سمعت من فلان قال فيك من الخير كذا و كذا خلاف ما سمعت منه.

و عن عليّ بن إبراهيم عن أبيه عن صفوان عن أبى مخلد السراج عن عيسى بن

حسان قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: كلّ كذب مسئول عنه صاحبه يوماً إلا كذباً في ثلاثه: رجل كاید في حربه فهو موضوع عنه، و رجل أصلح بين اثنين يلقى هذا بغير ما يلقى به هذا يريد بذلك الاصلاح بينهما، و رجل وعد أهله شيئاً و هو لا يريد أن يتمّ لهم.

بل المستفاد من الأخبار الأخر جواز الحلف باليمين الكاذبه لدفع الظالم عن نفسه أو ماله أو نفس أخيه المؤمن أو ماله.

مثل ما رواه في الوسائل عن الصدوق باسناده عن ابن بكير عن زراره قال:

قلت لأبي جعفر عليه السلام: نمّر بالمال على العشار فيطلبون منّا أن نحلف لهم فيخلّون سبيلنا و لا يرضون منّا إلا بذلك، قال عليه السلام فاحلف لهم فهو أحلى «أحلّ خ» من التمر و الرّبد، قال: و قال أبو عبد الله عليه السلام: التّقيه في كلّ ضروره و صاحبها أعلم بها حين تنزل.

و عنه باسناده عن الحلبيّ أنه سأل أبا عبد الله عليه السلام: عن الرّجل يحلف لصاحب العشور يحرز بذلك ماله، قال: نعم.

قال: و قال الصادق عليه السلام: اليمين على وجهين إلى أن قال: فأما الذي يوجر عليها الرّجل إذا حلف كاذباً و لم تلزمه الكافره فهو أن يحلف الرّجل في خلاص امرء مسلم أو خلاص ماله من متعدّد يتعدّد عليه من لصّ أو غيره.

و فيه عن الشّيخ باسناده عن السّكوني عن جعفر عن أبيه عن آباءه عن عليّ عليه السلام قال: قال رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم: احلف بالله كاذباً و نجّ أخاك من القتل.

إلى غيره مما رواه فيه و عقد عليه بابا، و الله الهادي و هو العاصم من هفوات الجنان و سقطات اللّسان.

الثاني في الحسد

و هو من أعضل الداء و أكبر المعاصي و أفسدها للقلب و جرح لا يبرء، و الكلام فيه في مقامات:

وقد عرّف بأنه انبعاث القوّه الشهويه إلى تمنى مال الغير و حاله التى هو عليها و زوالها عن ذلك الغير، و هو مستلزم لحركه القوّه الغضبيّه و عرّفه الغزالى فى احياء العلوم بأنه كراهه النعمه و حبّ زوالها من المنعم عليه، و يقابله الغبطه و هو أن لا- تحبّ زوال النعمه و لا- تكره وجودها و دوامها و لكن تشتهى لنفسك مثلها، و الثانى أعمّ من الأول لشموله ما لو أحبّ زوال النعمه عن المنعم عليه و إن كان لا يتمناها لنفسه، و هو ناش عن غايه خبث الطينه و سوء السيريره و أشدّ مما لو أحبّ زوالها عنه و انتقالها إليه فالحدّ الثانى أولى

الثانى فى الآيات و الأخبار الوارده فيه

فأقول قال سبحانه: «وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ».

فقد أمر نبيّه صلى الله عليه و آله بالاستعاذه من شرّ الحاسد بعد أن أمره بالاستعاذه من شرّ السّاحر فأنزله منزلته، و قال فى معرض التوييح:

«أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ» و قال: «إِنْ تَمَسَّسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَ إِنْ تُصِيبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِهَا».

فإنّ مسائتهم من إصابه الحسنه و فرحهم باصابه السيئه دليل على حسدهم و قال:

«وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ».

و فى الكافى عن داود الرقى قال: سمعت أبا عبد الله عليه السّلام يقول: اتّقوا الله و لا يحسد بعضكم بعضا إنّ عيسى بن مريم عليه السّلام كان من شرايعه السّيح فى البلاد فخرج فى بعض سيحه و معه رجل من أصحابه قصير و كان كثير اللّزوم لعيسى عليه السّلام فلما انتهى عيسى إلى البحر قال: بسم الله، بصّحه يقين منه فمشى على ظهر الماء، فقال الرّجل القصير حين نظر إلى عيسى عليه السّلام جازه: بسم الله بصّحه يقين منه

فمشى على الماء و لحق بعيسى عليه السّلام فدخل العجب بنفسه فقال: هذا عيسى عليه السّلام روح الله يمشى على الماء و أنا أمشى على الماء فما فضله عليّ قال: فرمس في الماء فاستغاث بعيسى عليه السّلام فتناوله من الماء فأخرجه ثمّ قال عليه السّلام له: ما قلت يا قصير.

قال: قلت: هذا روح الله يمشى على الماء و أنا أمشى على الماء فدخلني من ذلك عجب فقال له عيسى عليه السّلام: لقد وضعت نفسك في غير الموضع الذي وضعك الله فيه فمقتك الله على ما قلت فتب إلى الله عزّ و جلّ ممّا قلت قال عليه السّلام: فتاب الرّجل و عاد إلى مرتبته التي وضعه الله فيها فاتّقوا الله و لا يحسدنّ بعضكم بعضا.

و عن معاوية بن وهب قال: قال أبو عبد الله عليه السّلام آفة الدّين الحسد و العجب و الفخر.

و عن داود الرقيّ عن أبي عبد الله عليه السّلام قال: قال رسول الله صلّى الله عليه و آله وسلّم: قال الله تعالى لموسى بن عمران: لا- تحسدنّ النّاس على ما آتيتهم من فضلى و لا- تمدنّ عينيك إلى ذلك و لا تتبعه نفسك فإنّ الحاسد ساخط لنعمى صاد لقسمى الذى قسمت بين عبادى و من كان كذلك فلست منه و ليس منى.

و عن فضيل بن عياض عن أبي عبد الله عليه السّلام قال: إنّ المؤمن يغبط و لا يحسد و المناقق يحسد و لا يغبط.

و عن محمّد بن مسلم قال: قال أبو جعفر عليه السّلام: إنّ الرّجل ليأتى بأذنى بادره فيكفر و إنّ الحسد ليأكل الايمان كما تأكل النّار الحطب.

و فى الوسائل من المجالس مسندا عن أبي بصير قال: قال أبو عبد الله الصّيادق عليه السّلام أصول الكفر ثلاثة: الحرص، و الاستكبار، و الحسد.

و فى الأنوار النعمانيّة للسيد المحدّث الجزائرى قال رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم:

ستّه يدخلون النّار قبل الحساب بستّه: الأمراء بالجور، و العرب بالعصبيّة و الدّهاقين بالكبر، و التجار بالخيانة، و أهل الرّستاق بالجهالة، و العلماء بالحسد قال و فى حديث آخر إنّ الحسد عشره أجزاء منها تسعه بين العلماء و واحد فى النّاس و لهم من ذلك الجزء الحظّ الأوفر، و روى ما رواه أولا الغزاليّ فى

احياء العلوم عن النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ مِثْلَهُ إِلَى غَيْرِ هَذِهِ مِمَّا وَرَدَتْ فِيهِ.

و قد استفيد منها و من الآيات السابقة حرمة و كونه من أعظم الموبقات مضافا إلى اجماع علماء الاسلام عليه.

فان قلت: فكيف التوفيق بين هذه الأدلة و بين حديث رفع التسعة المعروف بين الفريقين، و المروى في الوسائل عن الصدوق في التوحيد و الخصال بسند صحيح عن حريز بن عبد الله عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم: رفع عن أمتي تسعة أشياء: الخطاء، و النسيان، و ما اكرهوا عليه، و ما لا يعلمون، و ما لا يطيقون و ما اضطروا إليه، و الحسد، و الطيره، و التفكير في الوسوسة في الخلق ما لم ينطقوا بشفه، فان المراد برفع تلك الأمور إقيا رفع جميع آثارها التي منها المؤاخذه عليها، أو رفع خصوص المؤاخذه، و على التقديرين فيدل على رفع المؤاخذه على الحسد و عدم كونه معصيه فينا في الأدلة السابقة.

قلت: قد جمع بينهما شيخنا العلامة المرتضى الأنصارى (قد) في الرسائل بحمله على ما لم يظهر الحاسد أثر حسده بلسان أو غيره بجعل عدم النطق باللسان قيده له.

قال (ره): و يؤيده تأخير الحسد عن الكل في مرفوعه الهندي عن أبي عبد الله عليه السلام المرويه في أواخر أبواب الكفر و الايمان من أصول الكافي قال:

قال رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم: وضع عن أمتي تسعة أشياء: الخطاء، و النسيان، و ما لا يعلمون و ما لا يطيقون، و ما اضطروا إليه، و ما استكروها عليه، و الطيره، و الوسوسة في التفكير في الخلق، و الحسد ما لم يظهر بلسان أو يد الحديث.

قال (ره): و لعل الاقتصار في النبوي الأول على قوله ما لم ينطق لكونه أدنى مراتب الاظهار.

قال: و روى ثلثه لا يسلم منها أحد: الطيره، و الحسد، و الظن، قيل: فما نصنع؟ قال: إذا تطيرت فامض، و إذا حسدت فلا تبغ، و إذا ظننت فلا تحقق، و البغي عبارته عن استعمال الحسد.

قال: ولأجل ذلك عدّ في الدّروس من الكبائر في باب الشّهادات إظهار الحسد لا نفسه، وفي الشرائع إنّ الحسد معصيه و كذا بغض المؤمن و التظاهر بذلك قاذح في العدالة، ثم قال: و الانصاف أنّ في كثير من أخبار الحسد إشاره إلى ذلك انتهى كلامه رفع مقامه.

أقول: أمّا استشهاده بكلام صاحب الشّريع ففيه ما لا يخفى لصراحتها في كون نفس الحسد معصيه، و كون التظاهر به قاذحا في العدالة إنّما هو لأجل كونه طريقا إليه لا من حيث موضوعيته فيه، و لعلّ ذلك أيضا مراد الشّهيد في الدّروس فانظر ما ذا ترى.

و أمّا ما قاله من أنّ في كثير من أخبار الحسد إشاره إلى ذلك فهو صحيح و من جمله تلك الأخبار، ما رواه في الوسائل من مجالس الشّيخ حسن ابن شيخنا الطوسي (ره) معننا عن عليّ بن جعفر عن أخيه موسى بن جعفر عن أبيه عن جدّه عليه السّلام قال: قال رسول الله صلّى الله عليه و آله ذات يوم لأصحابه: ألا إنّ قد دبّ اليكم داء الامم من قبلكم و هو الحسد ليس بحالق الشعر لكنه حالق الدّين و ينجي فيه أن يكفّ الانسان يده و يخزن لسانه و لا يكون ذا غمر على أخيه المؤمن.

قال صاحب الوسائل بعد روايته: و تقدّم ما يدلّ على العفو عن الحسد الذي لا يظهر أثره.

و فيه من الكافي باسناده عن حمزه بن حرمان عن أبي عبد الله عليه السّلام قال: ثلاثه لم ينج منها نبىّ فمن دونه: التّفكّر في الوسوسه في الخلق، و الطيره، و الحسد إلا أنّ المؤمن لا يستعمل حسده هذا.

و قال شيخنا السيّد قدّس الله روحه في مجلس الدّرس: الأقرب حمل رفع المؤاخذه على الحسد في حديث رفع التّسعه على ما كان من قبيل الخطرات القلبيّه الزائله بسرعه و حمل ما دلّ على حرمة و كونه من الكبائر على ما عداه ممّا اشتدّ و تأكّد.

و هى كثيره و حصرها الغزالي فى إحياء العلوم فى سبعة: العداوه، و التعزّز و التكبر، و التعجّب، و الخوف من فوت المقاصد المحبوه، و حبّ الرياسه، و خبث النفس.

أمّا العداوه و هى أشدّ الأسباب و معناها أن تكره النعمه على غيرك لكونه عدوّا لك و كونك مبغضا له فإنّ البغض إذا رسخ فى النفس يقتضى التشفّى و الانتقام و ربما يعجز المبغض عن أن يتشفّى بنفسه فيتمنى زوال النعمه من المبغوض و يكون زوالها منه موجبا لفرحه كما أنّه يفرح إذا ابتلى ببلية أو أصابته مصيبه و يكون ذلك تشفيا لخاطره، و قد وصف الله سبحانه الكفار بهذه الصّفه فى قوله:

«وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ قَدَ بَدَتِ الْبُغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَ مَا تُخْفَى صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ» و قوله: «إِنَّ تَمَسُّدِيكُمْ حَسِينَةٌ تَسُوهُمْ وَ إِنْ تُصِ بِكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِهَا».

و هذا القسم من الحسد ربما يفضى إلى القتال و الجدل و استغراق العمر فى إزاله النعمه بالحيل و السعايه و طلب أسباب زوالها على كلّ حال.

و أمّا التعزّز فهو أن يثقل عليه ترفع غيره عليه فاذا أصاب بعض نظرائه و أمثاله و لايه أو علما أو مالا خاف من تكبره عليه و هو يشقّ عليه ذلك و لا يسمح نفسه تحمّل ذلك فلا يرضى بكونه منعما عليه بتلك النعمه حذرا من ذلك، و محصّله الخوف من تفاخر الغير عليه لا حبّ تفاخره على الغير و ربما يرضى بمساواته له.

و أمّا التكبر فهو أن يكون فى طبعه أن يتكبر على الغير و يترفع عليه و يكون الغير منقادا له مطيعا لأمره و نهيه صاغرا عنده، فاذا نال نعمه خاف من عدم إطاعته و انقياده له و عدم إمكان ترفعه عليه كما كان أو ترفّعه إلى مقام يترفع هو عليه فيكون مطيعا بعد ما كان مطاعا، و متكبرا عليه بعد ما كان متكبرا،

و من هذا الباب كان حسد كفار قريش في حق النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ إِذَا قَالُوا كَيْفَ يَتَقَدَّمُ عَلَيْنَا غَلامٌ يَتِيمٌ وَ يَكُونُ رَسولاً عَلَيْنَا وَ نَكُونُ مَطِيعاً لَهُ كَمَا حَكَى اللهُ عَنْهُمْ بِقَوْلِهِ:

«وَ قَالُوا لَوْ لَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَيَّ رَجُلٍ مِّنَ الْقُرَيْيْتِينَ عَظِيمٍ» وَ أَرَادُوا بِذَلِكَ نَزولَهُ عَلَيَّ الوَلِيدِ بنِ المَغِيرَةِ لَعَنَهُ اللهُ أَوْ أَبِي مَسْعودِ عَرُوهِ بنِ مَسْعودِ الثَّقَفِيِّ أَوْ غَيْرِهِمَا لِأَجْلِ كَوْنِ هؤُلاءِ مِنْ رُؤَساءِ القَبائِلِ وَ ذَوِي الأَمْوالِ الجَسِيمَةِ وَ عَظِيمِ المَنْزِلَةِ عِنْدَهُمْ لا يَثْقُلُ عَلَيْهِمُ التَّواضِعُ وَ الطَّاعَةُ لَهُمْ كَمَا كانَ يَثْقُلُ عَلَيْهِمُ طَاعَتُهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ.

وَ أَمَّا التَّعَجُّبُ فَهُوَ أَنْ تَكُونَ النِّعْمَةُ عَظِيمَةً وَ المَنْصِبُ جَلِيلًا- فَيَتَعَجَّبُ مِنْ فَوْزِ مِثْلِهِ بِمِثْلِ تِلْكَ النِّعْمَةِ كَمَا حَكَى اللهُ سَبْحانَهُ عَنِ الأَمَمِ السَّابِقَةِ بِقَوْلِهِ.

إِذْ قَالُوا «ما أَنْتُمْ إِلاَّ بَشَرٌ مِثْلُنا» وَ قَالُوا «أَنْ تُؤْمِنُ لِبَشَرٍ مِثْلِنا» «وَ لَئِنْ أَطَعْتُمْ بَشَرًا مِثْلُكُمْ إِنَّكُمْ إِذاً لَخاسِرُونَ».

فَتَعَجَّبُوا مِنْ أَنْ يَفُوزَ بِرَبِّتِهِ الرِّسالَةَ وَ الوَحْيَ وَ الزَّلْفَى مِنْ اللهُ بِشَرِّ مِثْلِهِمْ فَحَسَدُوا وَ أَحَبُّوا زوالَ النُّبُوَّةِ عَنْهُمْ إِسْفاقاً مِنْ أَنْ يَفْضَلَ عَلَيْهِمْ مَنْ هُوَ مِثْلُهُمْ فِي البَشَرِيَّةِ وَ لَمْ يَكُنْ مَقْصودُهُمْ إِظْهَارَ كِبَرِهِ وَ لا طَلَبَ رِياسَةٍ وَ لا بَينَهُمْ سابِقَةٌ عداوَةٌ أَوْ نَحْوَ ذَلِكَ مِنْ سائِرِ أَسبابِ الحَسَدِ.

وَ أَمَّا الخَوْفُ مِنْ فُوتِ المَقاصِدِ العَظِيمَةِ فَهُوَ يَخْتَصُّ بِمُتَراحمينَ عَلَيَّ مَقْصودِ واحِدٍ، فَإِنَّ كِلْ واحِدَ مِنْهُما يَحْسَدُ صاحِبَهُ وَ يَريدُ انْفِرادَهُ بِذَلِكَ المَقْصودِ، وَ مِنْ هَذَا البابِ تَحاسدُ الضَّرَّاتِ فِي مَقاصِدِ الزَّواجِيهِ وَ تَحاسدُ الأِخوَةِ مِنْ أَجْلِ تَراحمِهِمْ عَلَيَّ نَيْلِ المَنْزِلَةِ فِي قَلْبِ الأَبوينَ لِلتَّوَصُّلِ إِلى مَقاصِدِ الكِرامَةِ وَ الشِّرافَةِ أَوْ المَمالِ وَ العِزَّةِ كَمَا وَقَعَ مِنْ إِخوَةِ يوسُفَ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي حَقِّهِ وَ مِنْ قايِلِ فِي حَقِّ هابِيلَ، وَ مِنْهُ إِضاً تَحاسدُ الواعِظينَ وَ التَّراثينَ وَ نَحوَهُما.

وَ أَمَّا حَبُّ الرِّياسَةِ فَمِنْشَأُهُ حَبُّ الإِختِصاصِ بِنِعْمَةٍ لا يشارِكُ فِيها غَيرَهُ، وَ حَبُّ

ثناء النَّاس له و فرحه بتفرّده بها، فإذا رأى مشاركا له فيها ساءه ذلك، و هو غالب في العلماء السّوء فإنّهم يحبّون أن يكونوا مرجعا للنّاس و ملجئا، و يكون تردّدهم إليهم و لا يرضون بمشاركه الغير لهم.

و من هذا الباب كان حسد علماء اليهود لرسول الله صلّى الله عليه و آله، فإنّهم كانوا ينكرون معرفته و لا يؤمنون به خيفة من أن تبطل رياستهم و استتباعهم مهما نسخ علمهم.

و منه أيضا كان حسد الخلفاء الثلاثة لأمير المؤمنين عليه السّلام مضافا إلى العداوه و البغضاء التي كانت فيهم و غير ذلك من الأسباب السابقة، إذ لا امتناع في اجتماع الأسباب المتعدّده.

و الفرق بين هذا القسم و سابقه اشتراط التّراحم على المقصود في السّابق دون ذلك، إذ ربّما ترى عالما أو صانعا يختصّ بفنّ مخصوص من العلم أو الصّيّناعه يمدحه النّاس بأنه فريد دهره و وحيد عصره في ذلك الفنّ أو الصّيّناعه، فإنّه لو سمع في أقصى البلاد بنظير له فيه لساءه ذلك و أحبّ موته أو زوال النّعمه عنه.

و أمّا خبث النّفس فالحسد بذلك خارج عن جميع الأقسام السّابقه، فإنّك ترى من النّاس من ليس غرضه في رياسه و لا تعزّز و لا تكبر إذا وصف عنده حال عبد من عباد الله فيما أنعم الله به عليه يشقّ عليه ذلك و إذا وصف له اضطراب أمور النّاس و إدبارهم يفرح بذلك، فهو دائما يحبّ الادبار لغيره و يبخل بنعم الله على عباده كأنّهم يأخذونها من ملكه و خزائنه، و ليس لذلك سبب ظاهر إلاّ خبث النّفس و شقائها و رذاله الطبع و دنائته و معالجته شديده إذ الحسد الثابت بساير الأسباب أسبابه عارضه يتصوّر زوالها و يرجى إزالته، و هذا ناش من خبث الطّينه و سوء السريه فيعسر زواله و إلى ذلك ينظر ما قيل.

كلّ العداوه قد ترجى إماتها(١) إلاّ عداوه من عاداتك من حسد

و هذه هي أسباب الحسد و قد يجتمع بعضها أو أكثرها أو جميعها في شخص فيشتدّ حسده و يتضاعف، و أكثر المحاسدات تجتمع فيها جملة من هذه الأسباب و قلّما

ص: ١٥٧

يتجرّد سبب واحد منها، نعوذ بالله من شرور النفس و شحّ الأنفس.

الرابع

فى بيان سبب كثره الحسد بين العلماء على ما أخبر به رسول الله صلّى الله عليه و آله من أنه عشره أجزاء منها تسعه بين العلماء و واحد فى الناس و لهم من ذلك الجزء الحظّ الأوفر.

فأقول: العلماء إمّا علماء الدّنيا أو علماء الآخرة، و المراد بالأوّل من كان غرضه من العلم هو الدّنيا و تحصيل رياستها و حبّ شهواتها و قنيتها و طلب الوقع فى قلوب الناس و ابتغاء إقبالهم إليه، و بالثانى هم العارفون بالله و الراغبون فى الآخرة و الزّاهدون فى الدّنيا المعرضون عنها.

و الحسد إنّما هو بين الطائفة الاولى، و سببه تراحمهم على غرض واحد إذ كلّ منهم يريد الفضل لنفسه دون صاحبه، و يتمنى الاشتهار و المرجعيته و الرّياسه و صداء النّعلين و نحو ذلك، و يريد ذلك بعينه غيره من أبناء جنسه فيتزاحمان على غرض واحد.

و من أجل التّراحم أيضا ينشأ الحسد بين أفراد جنس واحد و أبناء نوع واحد كالتاجر للتاجر، و الواعظ للواعظ، و البرّاز للبرّاز و هكذا، فإنّ الغالب أنّ البرّاز يحسد للبرّاز دون العطار و دون الواعظ، و العالم يحسد العالم دون الصّانع و لما ذكرناه ترى الحسد بين علماء بلده واحد أكثر مما بين علماء بلدين و ما بين البلدين القريبتين أكثر ممّا بين البلدين النائيتين لزياده التّراحم فى الأولى على الثانية، و منشأ ذلك كلّ هو حبّ الدّنيا، فإنّ الدّنيا هى التى تضيق على المتزاحمين.

و أمّا علماء الآخرة العارفون بالله و المبتهجون بمعرفته سبحانه فلا يكون بينهم تحاسد، لأنّ غرضهم هو الآخرة و مقصدهم هو المعرفة و لا ضيق فى شىء منهما كالدّنيا ألا ترى أنّ من أحبّ معرفته سبحانه و معرفه صفاته و أفعاله من عجائب ملكوت سمائه و أرضه لا يعادى و لا يبغض غيره ممّن كان يحبّ معرفه ذلك أيضا و ذلك لسعه

بحر المعرفة و عدم الضيق فيه، بل المعلوم الواحد يعلمه ألف ألف عالم و يفرح بمعرفته و يلتذ به و لا ينتقص لذّه أحدهم بسبب غيره، بل يحصل بكثره العارفين ثمره الافاده و الاستفاده و الانس و الصّحبه، و غرضهم إنّما هو تحصيل المنزله عند الله و الرّلى لديه و ما عند الله أعظم من أن يضيق على الطالبين و لا يسع الزّاعين، إذ البحر لا ينفد بالقطر، و الشّمس لا ينقص بالذّر، و ليس كمال الدّنيا إذا وقع فى يد أحد خلت عنه يد الآخر أو كجاهها إذا اتّصف به شخص حرم عنه غيره، إذا لجأه عباره عن ملك القلوب و مهما امتلاء قلب شخص بتعظيم عالم انصرف عن تعظيم الآخر أو نقص عنه لا محاله فيكون سببا للمحاسده.

و بالجمله فنعمه العارف و جتته معرفته التى هى صفة ذاته، و هو دائما يجنى ثمارها و يغتذى بفواكهها، و هى فاكهه غير مقطوعه و لا- ممنوعه بل قطفها دانيه و إن غمض العين الظاهره فروحه ترتع كلّ الأوقات فى جنّه عاليه و رياض زاهره و كثرتهم لا يوجب تحاسدهم بل كانوا كما قال ربّ العالمين:

«وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غَلٍّ إِخْوَانًا عَلَى سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ» و هذا حالهم و هم فى الدّنيا فما ظنّك بهم إذا انكشف عنهم الغطاء و شاهدوا المحبوب فى العقبى فأهل العرفان و اليقين برآء من الحسد فى الدّنيا و الآخره جميعا، بل الحسد من صفات المبعدين عن سعه عليين إلى ضيق سجين، و لذلك و سم به الشيطان اللّعين، حيث أظهر الحسد و البغضاء لما رأى اختصاص آدم بالخلافه و الاحتباء و لما دعى إلى السجود استكبر و أبى، و تمرّد و عصى، فاستحقّ الجحيم و قيل له:

«فَاخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ».

و إذا عرفت أنّ منشأ الحسد هو التّوارد على مقصود يضيق عن الوفاء لمن ابتغى فعليك بمقصد لا تراحم فيه أصلا و لذّه لانفاد لها و نعمه لا زحمه فيها و لا يوجد ذلك فى الدّنيا إلّا فى معرفه الحقّ تعالى و معرفه صفاته العلياء و إن لم تكن تشناق.

إلى ذلك و لا- تجد لذّه لذلك فأنت فى ذلك معذور لأنك فى يد هواك مغمور مقهور و الصبى لا يعرف لذّه الملك و السّـلطنه، و إنّما لذّته فى اللّهُ و اللّعبه، فإنّ هذه لذّه يختص بإدراكها الرّجال دون الصّبيان و الأطفال، و المعرفه مختصّه بأهل الكمال و هم الّذين لا غرض لهم إلّا اللّهُ و هم «رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَ لَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللّهِ».

و لا يشتاق إلى هذه اللّذّه غيرهم، لأنّ الشّوق بعد الذّوق، و من لم يذق لم يعرف و من لم يعرف لم يشتق، و من لم يشتق لم يطلب، و من لم يطلب لم يدرك، و من لم يدرك بقى مع المحرومين فى أسفل السّافلين.

«وَ مَنْ يَعِشْ عَن ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقِيضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ».

الخامس

فى معالجه الحسد الّذى هو من موبقات الذّنوب و من الأمراض العظيمة للقلوب، و الدّواء النّافع له هو أن تعرف أنّه مضرّ عليك فى الدّنيا و الدّين و غير مضرّ بالمحسود فى الدّنيا و الدّين، بل نافع له فيهما، و مهما عرفت هذا عن بصيره و كنت صديقا لنفسك شفيقا لها و لم تكن عدوّا و مبغضا لها فارقت الحسد لا محاله.

أمّا كونه مضرّا عليك فى الدّين فلما مرّ فى الأخبار السّابقه من كونه سببا لسخط الجبّار و آكلا للايمان أكل الحطب للنّار، بل الحاسد فى الحقيقه ساخط لقضاء اللّهُ و غضبان على قدر اللّهُ كاره للنّعم الّتى قسّمت بين عباد اللّهُ، و حسده فى الحقيقه اعتراض على الخالق فيما منحه على الخلاق و ايراد على الحكمه و جنايه على حدقه التّوحيد، و فيه متابعه الشّيطان اللّعين و أوليائه من الكفّار و المنافقين حيث إنّهُ حسد و قال:

أَسْجُدُ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ فَ «أَبَى وَ اسْتَكْبَرَ وَ كَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ»

و كذلك أولياؤه لم يزالوا حاسدين معاندين للمؤمنين، مبغضين لهم و بعداوتهم معلنين متألّمين بفرحهم و بتألّمهم مسرورين، فمن كان حاسدا فهو للشيطان و أوليائه قرين، و هو معهم فى أسفل السّافلين.

و أمّا كونه مضرّا عليك فى الدّنيا فلا تكتك تتألّم بحسدك فيها و تتعدّب به دائما و لا تزال فى همّ و غمّ، إذ نعم الله سبحانه فى الدّنيا فى حقّ البرّ و الفاجر و المؤمن و الكافر غير معدوده، و فيوضاته غير متناهيه و أنت كلّما رأيت تنعم المحسود بنعمه تألّمت و تأثّرت، فلا يحصل لك خلاص من الحزن و الألم لعدم انقطاع الآلاء و النعم، و لا يكون لك فراغ من الكفر و يطول عليك الهجود و السّهر فليطرق عليك النّصب و الآلام، و يتراكم عليك الأوصاب و الأسقام، لسرايه المرض من القلب إلى البدن و من الخلد إلى الجسد.

و لذلك قال أمير المؤمنين عليه السّلام: صحّح الجسد من قلّه الحسد، و قيل الحسد يضربّ بنفس الحاسد قبل إضراره بالمحسود.

و قد روى أنّ رجلا كان يغشى بعض الملوك فيقوم بحذاء الملك فيقول: أحسن إلى المحسن باحسانه فإنّ المسىء سيكفيكه إساءته، فحسده رجل على ذلك المقام و الكلام فسعى به إلى الملك فقال: إنّ هذا الذى يقوم بحذاءك و يقول ما يقول يزعم أنّ الملك أبخر، فقال الملك و كيف يصحّ ذلك عندى قال: تدعوه إليك فإنّه إذا دنا منك وضع يده على أنفه لئلا يشمّ ريح البخر فقال له: انصرف حتّى أنظر.

فخرج من عند الملك فدعى الرّجل إلى منزله فأطعمه طعاما فيه ثوم، فخرج الرّجل من عنده فقام بحذاء الملك على عادته فقال: أحسن إلى المحسن باحسانه فإنّ المسىء سيكفيكه إساءته، فقال له الملك: ادن منّى، فدنا منه فوضع يده على فيه حذرا من أن يشمّ الملك منه رايحه الثوم فقال الملك: ما أرى فلانا إلّا قد صدق و كان الملك لا يكتب بخطّه إلّا بجأيزه أوصله، فكتب له كتابا بخطّه إلى عامل من عمّاله:

إذا أتاك حامل كتابي هذا فاذبحه و اسلخه و حشّ جلده تبنا و ابعث به إليّ، فأخذ الكتاب و خرج، فلقاه الرّجل الذي سعى به فقال: ما هذا الكتاب؟ قال:

خطّ الملك لي بجايزه، فقال: هبه لي فوهبه له، فأخذه و مضى إلى العامل فقال العامل في كتابك أن أذبحك و أسلخك، قال: إنّ الكتاب ليس هو لي فالله الله في أمرى حتّى تراجع الملك، فقال: ليس لكتاب الملك مراجعه، فذبحه و سلخه و حشى جلده تبنا و بعث به.

ثمّ عاد الرّجل كعادته إلى الملك و قال مثل قوله، فتعجّب الملك و قال:

ما فعلت الكتاب؟ فقال لقاني فلان فاستوهبه منّي فوهبته له، قال الملك: إنّه ذكر لي أنّك تزعم أنّي أبخر، قال: ما قلت ذلك، قال: فلم وضعت يدك على فيك؟ قال: لأنّه أطعمني طعاما فيه ثوم فكرهت أن تشمّه، قال: صدقت ارجع إلي مكانك فقد كفاك المسىء إيسائه.

و أمّا عدم كونه مضرّاً بالمحسود في الدّنيا و الدّين فواضح.

أمّا الدّنيا فلأنّ النعمه لا تزول عنه بحسدك، بل ما قدره الله في حقّه من النعمه و الاقبال و من طيب العيش و حسن الحال لا بدّ أن يدوم إلى أجل معلوم، لا رادّ لحكمه و لا دافع لقضائه، إذ كلّ شيء عنده بمقدار، و لكلّ أجل كتاب و مهما لم تزل النعمه بالحسد لم يكن على المحسود ضرر.

و لعلك تقول: ليت النعمه كانت تزول عن المحسود بحسدى فهذا غايه الجهاله و السفاهه لأنّه بلاء تشتهيهِ أوّلا لنفسك، فإنّك أيضا لا تخلو من حاسد يحسدك فلو كانت النعمه تزول بالحسد للزم أن تنقطع عنك النعم و عن كلّ أحد بل يزول الايمان عن المؤمنين لأنّ الكفار حاسدون لهم في ذلك مجبّون ارتفاعه عنهم كما قال سبحانه:

«وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ».

و ان اشتھت أن تزول النعمه عن محسودك بحسدك و لا تزول عنك بحسد حاسدك، فهذا غايه الغباوه و الحماقه، لأن كل واحد من الحساد يشتهي الاختصاص بهذا الخاصيه فأى ترجيح لك على غيرك؟ فان قلت: سلمنا هذا كله و لكن ما تقول فيما رواه فى الكافى عن على بن إبراهيم عن أبيه عن التوفلى عن السكونى عن أبى عبد الله عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم: كاد الفقر أن يكون كفرا و كاد الحسد أن يغلب القدر، فانّ المستفاد من هذه الروايه أن الحسد له تأثير فى زوال النعمه.

قلت: هذه لا تكافىء الأدله السابقه، لعدم سلامه سندها و قلتها بالنسبه إليها، مع إمكان الجمع بينهما بأن يقال بتأثير الحسد فى الجملة كالعين الصائبه إلا أنه لا يوجب زوال النعمه بالمّرّه فيمكن أن يزول النعمه التى صارت سببا لحسد الحاسد عن المحسود ثم ينتقل المحسود إلى نعمه أخرى أشرف و أجل ممّا زالت منه، لما قد روى فى الأخبار من أنّ الرزق مقسوم، و من قوله صلى الله عليه و آله لن تموت نفس حتى تستكمل رزقها فاتقوا الله و أجملوا فى الطلب فتأمل.

و أما عدم كونه مضرًا بالمحسود فى الدين فواضح مستغن عن البيان.

و أما انتفاعه به فى الدين و الدنيا فظاهر أيضا.

أما الدين فلاّنه مظلوم من جهتك و أنت ظالم له و ميزانه ثقيل و ميزانك خفيف كما مرّ فى الأخبار، و أيضا فأنه بصبره و تحمّله على أذاك يفوز فوزا عظيما و يدرك ما أعدّ الله من عظيم الأجر للصّابرين كما يشهد به ما فى الوسائل عن الصّيدوق باسناده عن معاويه بن وهب عن الصّادق جعفر بن محمّد عليه السلام قال: اصبر على أعداء النعم فانّك لن تكافىء من عصى الله فيك بأفضل من أن تطيع الله فيه، و مثله روايه عمّار بن مروان عن أبى الحسن الأوّل عليه السلام و نحوهما أخبار اخر.

و أما انتفاعه به فى الدنيا فهو إنّ أهمّ أغراض الخلق مسائه الأعداء و ألذّ عيشهم أن يكون أعداؤهم معذّبين، و لا عذاب أشد ممّا أنت فيه من ألم الحسد

و غاية أمانى أعدائك أن يكونوا فى نعمه و أن تكون فى غمّ و حسره بسبيهم، و قد فعلت بنفسك ما هو مرادهم، و لذلك لا يشتهى عدوك موتك بل يشتهى طول حياتك لتنظر ما أنعم الله به عليه و ينقطع نياط قلبك حسدا كلما رأيت، و لذلك قيل:

لا مات أعداؤك بل خلدوا حتى يروا فيك الذى يكمد

لا زلت محسودا على نعمه فانما الكامل من يحسد

و إن شئت زياده وضوح إضرار الحاسد بنفسه و انتفاع المحسود بحسده فاختر ذلك بقصه يوسف عليه السلام و اخوته حيث حسدوه و قالوا:

اقتلوه «أو اطرحوه أرضاً يخل لكم وجه أبيكم» ف «ألقوه فى غيابت الجب» «و شروه بئمن بخس».

فأدرکه العناية الأزليّه و الرّحمه الالهيه و اعطى بمحسوديته الملك و المملكه و العزّ و السّيلطنه و ابتلوا بحاسديتهم بالفقر و الفاقه و الضّرّ و المسكنه حتى صاروا محتاجين إليه بسوء الأعمال فدخلوا عليه و نادوه بلسان الابتهاال:

«يا أيّها العزيزُ مسّنا و أهّلنا الضّرُّ» و سوء الحال «فأوف لنا الكيل و تصدّق علينا إنّ الله يجرى المتصدّقين» فاصبحوا بفضلهم مدعنين و عن علوّ شأنه مفسحين بقوله:

«تالله لقد آثرك الله علينا و إنّ كُنّا لخطيئين»... «و خرّوا له سجداً» بعد أن كانوا له حسدا و أنت أيّها الناقد البصير و الذّكيّ الخير إذا أحطت خبرا بما تلوناه عليك و عرفت مضارّ الحسد و مفسده فراقب الانصاف و جانب الاعتساف و لاحظ نفسك و امحض لها نصحك و لا تكسب لها الخساره فى الحال و لا تجلب لها الشقاوه فى المآل، و لا تبخس حظك عند الخالق، و لا تسقط وقعك من قلوب الخلايق، و نعمه المحسود دائمه شئت أم أبيت، باقيه كرهت أم رضيت، فلا تكن للشيطان

ولِيَا وَلَا لِنَفْسِكَ عَدُوًّا وَلَا لِلْمُؤْمِنِينَ خَصِيمًا، فَلَا تَفْتِ عَلَى نَفْسِكَ فَوَائِدَ الْمُحِبِّهِ، وَلَا تَحْرِمَهَا مِنْ مَنَافِعِ الْآلِفَةِ وَالْمَوْدَةِ، وَلَا تَوَقِّعْهَا فِي مَضَارِّ الْبَغْضَاءِ وَالْعِدَاوَةِ، أَمَا دَرَيْتَ فِي شَرْحِ هَذِهِ الْخُطْبَةِ أَنَّهَا حَالِقَةٌ لِلدِّينِ وَالْإِيمَانِ، سَاخِطَةٌ لِلرَّحْمَنِ، وَبِاللَّهِ أَسْتَعِذُّ مِنْ خَبْثِ النَّفْسِ وَشُرُورِ الْأَنْفَسِ، وَبِهِ أَعْتَصِمُ مِنْ مَكَايِدِ الشَّيْطَانِ وَمَوْبِقَاتِ الْإِيمَانِ، وَمِنْهُ التَّوْفِيقُ وَعَلَيْهِ التَّكْلَانُ وَهُوَ الْمُسْتَعَانُ.

الترجمه

از جمله خطب شریفه آن امام انامست که فرمود: بتحقیق که عالم است حق سبحانه و تعالی بسرّها و خبیر است بضمیرها، مر او راست احاطه بجمیع اشیاء از حیثیت علم و حفظ و غلبه بجمیع مخلوقات با قهر و سلطنت، و قوّه بهمۀ موجودات با کمال اقتدار و قدرت، پس باید عمل نماید عمل کننده از شما در آیام مهلت پیش از سرعت اجل او، و در زمان فراغت قبل از اشتغال او، و در زمان وسعت نفس زدن پیش از آنکه گرفته شود راه نفس او، و بایست مهیّا نماید از برای نفس خود توشۀ طاعات و از برای استواری قدم خود بر صراط، و باید توشه بردارد از سرای رحلت خود برای سرای اقامت خود.

پس بترسید از خدا ای بندگان خدا در آنچه که خواسته است از شما حفظ کردن آن را از کتاب خود، و در آنچه امانت نهاده پیش شما از حقوق خود، پس بدرستی خداوند عالم خلق نفرموده شما را بعثت، و فرو نگذاشته است شما را مهمل و نگذاشته است شما را در جهالت و کوری.

بتحقیق که بلند نموده است خبیرهای شما را، و عالم است عملهای شما را، و نوشته است اجلهای شما را، و نازل کرد بر شما کتاب را بجهه بیان هر شیء، و زندگانی داد در میان شما پیغمبر خود را زمانی چند تا آنکه کامل ساخت از برای او و از برای شما در آنچه که نازل فرموده بود از کتاب خود دین خود را که پسندیده بود از برای خود، و اعلام نمود بشما بزبان پیغمبر خود محبوب ها و مکروههای خود را از عملها و کارها و نواهی خود را و اوامر خود را.

پس القا کرد بسوی شما معذرت خود را در عقوبت شما، و أخذ نمود بر شما حجّت خود را، و پیش انداخت بسوی شما تهدید و وعید را، و ترسانید شما را پیش از عذاب شدید.

پس تدارك نمائید در بقیه روزگار خود و باز دارید در بقیه ایتام نفس خود را از عمل ناشایست، و متحمل باشید بمشقت عبادت پس بدرستی که آن بقیه ایام کم است در میان روزگار بسیار که مییابد از شما غفلت و بی خبری و مشغول شدن از پندگیری و رخصت ندهید نفسهای خود را تا این که ببرد شما را آن رخصتها در راههای ظالمان و ستمکاران، و مداهنه و مسامحه نمائید با فاسقان تا این که بیاورد شما را آن مداهنه بمعصیت.

ای بندگان خدا بدرستی که نصیحت کننده ترین خلق بر نفس سرکش خود اطاعت کننده ترین ایشانست پروردگار خود را، و بدرستی که فریب دهنده ترین خلق نفس خود را عاصی ترین ایشان است بر آفریدگار خود، و زیان کار کسی است که زیان رساند نفس خود را، و سودمند کسی است که سالم شود از برای او دین او، و صاحب سعادت آن کسی است که پند گیرد بحال غیر خود، و صاحب شقاوت آن کسی است که فریب خورد بهوا و غرور خود.

و بدانید که اندکی از ریا شرکست بخدا، و همنشینی اهل معصیت و هوا محل فراموشی ایمانست و مکان حضور شیطان، و کناره جوئی کنید از کذب و بهتان که آن بیگانه است از ایمان، راستگو بر کناره نجاتست و بزرگواری، و دروغ گو بر گوشه هوس است و خواری، و بر یکدیگر حسد مبرید، پس بدرستی که می خورد حسد دین را همچنان که می خورد آتش هیزم را.

بیت

هر که را پیشه بود حقد و حسد هرگز از آتش دوزخ نرهد

کینه از سینه خود بیرون کنزین عمل قدر و شرف افزون کن

بیخ حقد و حسد از دل بر کنبر فلک ساز چه عیسی مسکن

ص: ۱۶۶

و دشمنی نکنید بر یکدیگر پس بدرستی که عداوت تراشندۀ ایمان است و بدانید که آرزوی دور و دراز باعث سهو عقل می شود و سبب نسیان ذکر، پس تکذیب نمائید آرزوی خود را از جهت این که آمال و امانی دروغ است و فریب، و صاحب آن مغرور است و مفتون.

و من خطبه له علیه السلام و هی السادسة و الثمانون

اشاره

من المختار فی باب الخطب

و شرحها فی ضمن فصول:

الفصل الاول

اشاره

عباد الله إنّ من أحبّ عباد الله إليه عبدا أعانه الله على نفسه، فاستشعر الحزن و تجلبب الخوف، فزهر مصباح الهدى فى قلبه، و أعدّ القرى ليومه النازل به، فقرب على نفسه البعيد، و هوّن الشّدید، نظر فأبصر، و ذكر فاستكثر، و ارتوى من عذب فرات سهّلت له موارد، فشرّب نهلا، و سلك سبيلا جددا، قد خلع سراويل الشّهوات، و تخلى من الهموم إلاّ همّا واحدا انفرّد به، فخرج من صفه العمى و مشاركه أهل الهوى، و صار من مفاتيح أبواب الهدى و مغاليق أبواب الرّدى، قد أبصر طريقه، و سلك سبيله، و عرف مناره، و قطع غماره، و استمسك من العرى بأوثقها، و من الحبال بأمتنها، فهو من اليقين

ص: ١٦٧

على مثل ضوء الشمس، قد نصب نفسه لله سبحانه في أرفع الأمور، من إصدار كلّ وارد عليه، و تصيير كلّ فرع إلى أصله، مصباح ظلمات، كشاف عشوات، مفتاح مبهمات، دفاع معضلات، دليل فلوات، يقول فيفهم، و يسكت فيسلم، قد أخلص لله فاستخلصه، فهو من معادن دينه، و أوتاد أرضه، قد ألزم نفسه العدل، فكان أول عدله نفى الهوى عن نفسه، يصف الحقّ و يعمل به، و لا يدع للخير غايه إلا أمّها، و لا مظنّه إلا قصدها، قد أمكن الكتاب من زمامه، فهو قائده و إمامه، يحلّ حيث حلّ ثقله، و ينزل حيث كان منزله.

اللغة

(الشعار) من الثوب مايلى شعر الجسد و (الجلباب) القميص أو غيره ممّا مضى فى شرح الكلام الخامس و الستين و (زهر) الشىء يزهر من باب منع صفا لونه و أضاء و (القرى) من قرى الضيف من باب رمى قرى بالكسر و القصر و الفتح و المدّ أضافه، و فى المصباح قرى بالكسر و القصر و الاسم القراء بالفتح و المدّ و (فراة) الماء العذب و باللام اسم نهر معروف.

و (نهل) البعير نهلا من باب تعب شرب الشرب الأوّل حتّى روى و (الجدد) بالتحريك المستوى من الأرض و (السربال) القميص و (الغمار) بالكسر إما جمع الغمر كالغمور و هو الماء الكثير و معظم البحر أو جمع الغمره كالغمرات و هى الشده و الزحمه و (العرى) بالقصر مثل العروه من الدلو و الكوز و نحوهما مقبضها و (عشوات) بالتحريك جمع العشوه بالتثليث و هى الأمر الملتبس.

(و المعضلات) الشدائد و الأمور التى لا تهدي لوجهها من أعضل الأمر إذا

اشتدّ و (المعادن) جمع معدن كمجلس و هو محل الجواهر و (أمّه) أمّا من باب قتل قصده و (مظنه) الشيء المكان الذى يظنّ فيه وجوده و (الثقل) متاع المسافر و حشمه و الجمع أثقال كسبب و أسباب.

الاعراب

الفاء فى قوله فاستشعر الحزن عاطفه مشعره بسببيه ما قبلها لما بعدها كما فى قولك يقوم زيد فيغضب عمرو، و كذلك أكثر الفاءات بعدها، و قوله فهو من اليقين على مثل آه هو مبتداء و على مثل خبر له و من اليقين حال إمّا من المبتدأ و العامل فيه الخبر و هو مبنى على جواز الاختلاف بين عامل الحال و عامل صاحبه، و إمّا من الضمير المستكن فى الخبر فيتحد العاملان و إنّما قدّمت الحال على عاملها لتوسّعهم فى الظروف قالوا: و من ذلك البرّ الكثر بستين أى الكثر منه بستين فمنه حال و العامل فيه بستين.

و قوله عليه السّلام: مصباح ظلمات بالرفع خبر بعد خبر، و قوله فكان أوّل عدله نفى الهوى يجوز جعل أوّل اسما و نفى الهوى خبرا و بالعكس إلّا أنّ مقتضى الاعراب الموجود فى نسخ الكتاب هو الأوّل حيث اعراب الأوّل مرفوعا و النفى منصوبا و هو أيضا مقتضى الأصل.

المعنى

اعلم أنّ هذا الفصل من كلامه عليه السّلام مسوق بشرح حال المتّقين و بيان صفات العارفين الكمّلين من عباد الله الصّالحين، و فى الحقيقة و المعنى هو شرح لحال نفسه الشريف و حال أولاده المعصومين صلوات الله عليهم أجمعين، إذ الأوصاف الآتية لم تجمع إلّا فيهم و لم تشهد إلّا منهم.

و هم المتّصفون بالفناء فى الله و البقاء بالله، و المبتغون لمرضاه الله و هم أحبّ الناس إلى الله و الله أحبّ إليهم و أولى بهم من أنفسهم، فهم التّامون فى محبّته الله و المخلصون فى توحيد الله و المظهرون لأمر الله و نهيه و عباده المكرمون

الذَّهْنِ «لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ».

إذا عرفت هذا فأقول قوله عليه السّلام (إنّ من أحبّ عباد الله إليه عبدا أعانه الله على نفسه) أراد بمحبّته سبحانه له إفاضته الكمالات النفسانيه عليه المعدّه له بالقرب إليه تعالى و القبول بفضله و جوده، و يأتي في شرح المختار المأتين و الخامس و العشرين إنشاء الله تفصيل الكلام في معنى محبّته تعالى، و معنى إعانته له على نفسه اعانته جنود عقله على جنود جهله و تقويه عقله على قهر نفسه الأمّاره، فاذا قوى عقله و اعين له أتصف بأوصاف أشار عليه السّلام إليها.

أولها أنّه (استشعر الحزن) أى أتصف بالحزن و جعله ملازما له لزوم الشّعار للجسد، و إنّما صار محزوننا لما صدر منه في الأيام الماضيه من التفریط في جنب الله حيث لم يكتسب فيها من موجبات القرب و الاختصاص اضعاف ما اكتسبه (و) الثّاني انه (تجلّب الخوف) أى جعله لازما له لزوم الجلباب للبدن، و قد مضى تحقيق الكلام في الخوف و في أقسامه في شرح الخطبه الخامسه و السّبعين و الثّالث أنّه حيث أتصف بالحزن و الخوف (ف) استعدّ بذلك لأن (زهر مصباح الهدى في قلبه) أى أضاء أنوار المعارف الحقّه الالهيه في قلبه فصار سببا لاهتدائه و وصوله إلى مقام القرب.

(و) الرابع أنّه (أعدّ القرى ليومه التّازل به) شبّه يوم الموت و ما بعده بالضّيف المتوقّع نزوله و كما أنّ من توقّع نزول ضيف به يهيأ له قرى لبيض به وجهه عند الضيف و يكسب به المحمده منه و لا ينفعل منه عند نزوله، فكذلك الرّجل الموصوف لما توقّع نزول الموت و علم أنّه قادم لا- محاله أعدّ له من وظائف الطّاعات و العبادات ما يكون موجبا لبيض (لابيضاض خ) وجهه عند نزوله و اكتسابه المحمده و الثّناء، و ذلك أيضا من ثمرات الخوف المقدم ذكره و من شئونات.

و الخامس أنّه حيث أعدّ قرى ضيفه (فقرب على نفسه البعيد) و الظّاهر أنّ

المراد بالبعيد هو الموت الذى يراه الغافلون بعيدا و بتقريبه على نفسه هو مبادرته إليه و جعله له نصب عينيه و ترقبه له و عدم غفلته عنه صباحا و مساءً، لأنّه بعد ما هيّأ أسبابه و أعدّ القرى له لا يبالي أوقع على الموت أم وقع الموت عليه و أمّا ما ذكره الشّارح البحرانى من احتمال كون المراد بالبعيد هو رحمه الله البعيد عن مستحقّها، و بتقريبه تحسين العمل أو كون المراد به أمله الطّويل فى الدنيا و بتقريبه تقصير الأمل فمضافا إلى بعده فى نفسه غير ملايم لظاهر العطف بالفاء و إن أمكن توجيهه بتكلف.

(و) السادس أنّه (هوّن الشديد) يحتمل أن يكون المراد بالشديد شدايد الموت و دواهيه و ما يتلو ذلك، فيكون المراد بتهوينها تسهيلها بالأعمال الصّالحه و هو من ثمرات اعداده القرى للموت، و أن يكون المراد به شدايد الطاعات و كلفه المجاهدات و الرّياضيات، فيكون المراد بتهوينها تحملها و الصّبر لها و حبس النّفس عليها، و هو من فروع شروق مصباح الهدى فى قلبه.

و السابع أنّه (نظر فأبصر) أى تفكّر فى الملك و الملكوت فصار ذا معرفه و بصيره كما قال سبحانه:

«سَيُزِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَ فِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ» (و) الثامن أنّه (ذكر فاستكثر) أى ذكر الله فاستكثر من ذكره إذ بذكره تسكن النّفوس كما قال سبحانه:

«أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ».

و بكثره ذكره تنال المحمده و الثناء عند الله كما قال تعالى:

«رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَ لَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ» (و) التاسع أنه (ارتوى من عذب فرات سهلت له موارد) شبه عليه السّلام العلوم الحقه و المعارف الالهيه المفاضه على العارف بالماء الصّافى العذب الزّلال فاستعاره لها و رشّحه بذكر الارتواء كما أنّه استعار فى الكلام السابع عشر للعقايد

الباطله و الآراء الفاسده لفظ الآجن حيث قال عليه السلام فى ذكر أوصاف القضاء السوء:

حتى إذا ارتوى من آجن، و المراد بسهولة موارده عدم كونها ردغه و حله و هو كناية عن سرعه استعداده لقبول تلك العلوم المفاضه من محالها و مواردها أعنى الألواح السيامويه و ألسن الملائكه و لسان النبى صلى الله عليه و آله و سلم و الرّوع فى القلب و التّكث فى القلوب و نحوها إن كان المراد بالموصوف الأئمه عليهم السلام على ما قدّمنا، و النبى و الأئمه سلام الله عليه و عليهم إن كان المقصود به مطلق العارف هذا و قوله عليه السلام (فشرب نهلا) إشاره إلى أنّه لما شرب من العذب الفرات و ارتوى اكتفى بذلك و صار شربه الأوّل كافيا و لم يحتج بعده إلى الشّرب الثّانى لأنّه شرب من رحيق التحقيق و من عين التوفيق شربه لا ظمأ بعدها أبدا.

(و) العاشر أنّه (سلك سبيلا- جرداً) أى طريقاً مستويه عدلا مصونه عن طرفى الافراط و التفريط إذ اليمين و الشّمال مضلّه و الطريق الوسطى هى الجادّه الموصله لسالكها إلى خطيره القدس، و قد مضى تفصيلاً و تحقيقاً فى شرح الفصل الثّانى من الكلام السادس عشر فتذكر.

و الحادى عشر أنّه (قد خلق سراييل الشّهوات) أى نزع لباس الشّهوات و خلى نفسه منها لكونها موجه لصداء مرآت القلب مانعه عن انطباع صور الحقّ فيها.

(و) الثّانى عشر أنه قد (تخلّى من الهموم) أى هموم الدّنيا كلّها لكونها مجانيه للحقّ شاغله عنه (إلا همّاً واحداً انفراد به) و هو همّه بالوصول إلى مولاه الذى به لذّته و بالانفراد بذكره و مناجاته سروره و بهجته و بمطالعه جلاله و كبريائه شعفه و فرحته.

و الثّالث عشر أنّه حيثما تخلّى من الهموم و انحصر همّه فى الهمّ الواحد (فخرج به من صفه العمى و) عن (مشاركه أهل الهوى) أراد أنه باتّصافه بفضيله العلم و الحكمه خرج من صفه الجهاله و عن مشاركه أهل الهوى و الشّهوه لكون الاشتراك معهم موجباً للضّلاله، و إليه الإشاره بقوله سبحانه:

«وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ.»

(و) الرابع عشر أنه من أجل اتّصافه بالعلم والحكمة أيضا (صار من مفاتيح أبواب الهدى و مغاليق أبواب الزدى) فبه يفتح أبواب الرّشاد و الهدايه للمهتدين، و ينغلق أبواب الغوى و الضلاله للجاهلين، لكونه فاتحا لباب المعروف سادا لباب المنكر فنور وجوده يهتدى الجاهلون، و بكمال ذاته يرتدع الضالون.

و الخامس عشر أنه (قد أبصر طريقه و سلك سبيله) أى أبصر بنور بصيرته طريقه المأمور بسلوكها فسلوكها، و إلى هذا السبيل و الطريق أشير فى قوله:

«أَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ» و فى قوله: «وَمَنْ يُضَلِلِ اللَّهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ سَبِيلًا» كما مضى مشروحا فى شرح الفصل الثانى من الكلام السادس عشر فتذكر.

(و) السّيدس عشر أنه (عرف مناره) أصل المنار هو العلم المنصوب على الطّريق ليأمن به المارّه من الخروج عن الجاده فمن عرف مناره أمن الضلاله، و المراد به هنا هم أئمه الدّين العدينيهم أعلام اليقين، فالسالك إلى الله بقدمى الصّيدق و العرفان إذا عرفهم و لزمهم و أخذ بحجزتهم أمن من الضلال و وصل إلى حظيره القدس و الجلال التى هى منتهى الآمال، هذا إن كان الموصوف بالصّيفات مطلق العارف و إن كان المقصود به هم عليه السّلام حسبما أشرنا إليه سابقا فالمراد بالمنار هو النّبىّ صلّى الله عليه و آله و سلّم.

(و) السابع عشر أنه (قطع غماره) أشار بالغمار إلى ما كان مغمورا فيه من مشاق الدّنيا و همومها و التّألم بسبب فقدها و مجاذبه أهلها لها و تزاحمهم عليها، فإنّ العارف بمعزل عن ذلك و إنّما هو شأن الجاهلين الذين هم فى غمره ساهون.

(و) الثامن عشر أنه (استمسك من العرى بأوثقها و من الحبال بأمتنها) و المراد

بأوثق العرى و أمتن الحبال ما اشير إليها في سورة البقره بقوله:

«فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا انفِصَامَ لَهَا» و في سورة آل عمران بقوله: «وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا».

و قد فسّر العروه في الظاهر بالايمن و الحبل به و بالقرآن، و قد فسّر في الباطن بالولايه، روى في البحار من كنز جامع الفوائد و تأويل الآيات قال:

ذكر صاحب نهج الايمان في تأويل قوله:

«فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ» روى أبو عبد الله الحسين بن جبير في كتاب نخب المناقب لآل أبي طالب حديثا مسندا إلى الرضا عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه و آله: من أحب أن يستمسك بالعروه الوثقى فليستمسك بحب علي بن أبي طالب عليه السلام، و روى أيضا في الكتاب المذكور مسندا عن أبان بن تغلب عن جعفر بن محمد عليهما السلام قال: نحن حبل الله الذي قال الله تعالى:

«وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا».

و الأخبار في هذا المعنى متظافره.

و التاسع عشر أنه لما استمسك بالعروه الوثقى و الحبل الأمتن فترقى بذلك إلى أعلى مدارج العلم و العرفان (ف) كان (هو من اليقين على مثل ضوء الشمس) يعنى أنه رأى بعين اليقين الحقائق و شاهد دقائق الملك و الملكوت لا يختلجه في ذلك شك و وهم كما يرى بصره نور الشمس في الوضوح و الجلا.

و العشرون أنه لكمال ذاته (قد نصب نفسه) و عيّن لها (ل) أجل ابتغاء مرضات (الله سبحانه في أرفع الأمور من إصدار كل وارد عليه و تصيير كل فرع إلى أصله) أراد عليه السلام أنه لما كمل ذاته نصب نفسه لأرفع الأمور من هدايه الخلق و ارشادهم إلى

ما فيه رشادهم فقام باصدار الأجوبه عن كل ما ورد عليه من الأسئلة و نهض برّد كل فرع من فروع العلم إلى أصله المتشعب عنه، وفيه إشعار و تنبيه على جواز الاجتهاد و استنباط الأحكام الشرعيه الفرعيه عن أدلتها التفصيليه كما عليه بناء المجتهدين من أصحابنا، خلافا لأصحابنا الأخباريين و التفصيل معنون في الأصول.

و الحادى و العشرون أنه (مصباح ظلمات) يقتبس منه العالمون أنوار العلم و يهتدى به التائهون في ظلمات الجهل.

و الثانى و العشرون أنه (كشاف عشوات) يكشف به و يميز الأمور الملتبسه و فى بعض النسخ غشوات بالغين المعجمه فالمراد أنه يكشف النقاب عن وجه الحقّ.

و الثالث و العشرون أنه (مفتاح مبهمات) به يفتح أبواب الأحكام المبهمه المغلقه.

و الرابع و العشرون أنه (دفع معضلات) يعنى أنه يدفع الأعضاء عن المسائل المعضله الشرعيه و يرفع الاشكال عن الأحكام المشكله الأصليه و الفرعيه بكلامه الوافى و بيانه الشافى.

و الخامس و العشرون أنه (دليل فلوات) أراد عليه السّلام أنّ السّالك فى مسالك الفلوات كما لا يهتدى إليها إلاّ بدلاله الأدلاء الذين اعتادوا سلوكها و ضبطوا مراحلها و منازلها، فكذلك السّائر فى فلوات المعقولات الطالب لطى مراحلها الباغى للتّزول إلى ساحه الحقّ و الوصول إلى حظيره القدس لا يهتدى إليها و لا يمكنه التّزول فيها إلاّ بهدايه دليل هاد و إرشاد مرشد يرشد إلى الرشاد، و هو العارف المعتاد بسلوك تلك المسالك فمن لم يسلك بدلالته فهو ضالّ و هالك.

و السادس و العشرون أنه (يقول فيفهم و يسكت فيسلم) يعنى أنه يقول:

إذا اقتضت الحال فيفهم لمخاطبه المقال و يسكت فى مقام الشكوت فيسلم من عثرات اللسان.

و السابع و العشرون أنه (قد أخلص لله فاستخلصه) أى أخلص علمه لله و جعله خالصا عن شوب الرّياء و الشّرك على ما مضى فى شرح الفصل الرّابع من فصول الخطبه الأولى، و حيث إنه أخلص لله فاستخلصه الله و اختاره و اختصّه من بين أبناء جنسه بالرّضا عنه و إفاضه الكمالات عليه و إدنائه إلى مقام القدس.

و الثامن و العشرون أنه إذا اتّصف بالاخلاص و الاستخلاص (ف) صار (هو من معادن دينه و أوتاد أرضه) شبّهه عليه السّلام من حيث كونه محلاً للدين و مستقرّاً له بالمعدن الذى يستقرّ فيه الجوهر فكما أنّ المعدن يستخرج منه الجوهر و ينتزع منه، فكذلك الدّين الذى هو جوهر عقلائى يستفاد من ذلك الموصوف و يكتسب منه، و أمّا معنى كونه منأوتاد أرضهفهو أنّك قد عرفت فى شرح الفصل الثالث من فصول الخطبه الأولى أنه سبحانه و تدّ بالصّخور و الجبال ميدان أرضه و اضطرابه و أنت إذا أخذت بين مجامع هذا الكلام و ما تقدّم ظهر لك أنه عليه السّلام جعل الموصوف بمنزله جبل يكون و تدّاً للأرض مانعا لها عن الاضطراب، و هو إمّا جار على الحقيقه إن أراد بالموصوف نفسه الشّريف و من هو بمنزلته من أولاده المعصومين الّذين لولاهم لماجت الأرض بأهلها و ساخت، و إمّا على المجاز بأن يكون المراد به العموم فإنّ الرّجل الموصوف لما كان سببا لانتظام أمر الدّنيا و عدم اضطراب أحوال أهلها كان كالوتد للأرض فافهم.

و التاسع و العشرون أنه (قد ألزم نفسه العدل فكان أوّل عدله نفى الهوى عن نفسه) لما كان العداله ملكه تصدر بها عن النفس الأفعال الفاضله خلقا لا- تخلّقا و اصولها عباره عن الحكمه و العفّه و الشّجاعه، و ساير الفضائل فروعا لها و كان العارف قد أرضى نفسه بالعباده و غيرها حتّى حصل على هذه الفضائل الخلقية لا جرم كان بسعيه فى حصولها قد ألزم نفسه العدل.

قال الشّارح البحرانى: و لما كان العدل فى القوّه الشّهويه الّذى هو أن يصير عفيفا لا خامد الشّهوه و لا فاجرا أصعب (1) من العدل على ساير القوى لكثره

ص: ١٧٤

موارد الشهوه و ميلها بالانسان إلى طرف الافراط، و لذلك قال أكثر المناهي الواردة في الشريعة هي موارد الشهوه لا جرم (1) كان مقتضى المدح أن يبده بذكر نفي الهوى عن نفسه، و لأنّ السالك أول ما يبده في تكميل القوه العمليه باصلاح القوه الشهويه فيقف عند حدود الله و لا يتجاوزها في مأكول أو منكوح أو كسب و نحوه.

و الثلاثون أنّه (يصف الحقّ و يعمل به) أى يطابق فعله قوله و يوافق قوله عمله فإنّ من يأمر و لا يأتمر و ينهى و لا يزدجر لا يؤثّر وعظه و لا يثمر إرشاده فإنّ الموعظه إذا صدرت عن اللسان لا يتجاوز الآذان و إذا خرجت من القلب وقع في القلب، و قد ذمّ الله أقواما خالفت أفعالهم أقوالهم بقوله:

«يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ كَبِرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ».

(و) الحادى و الثلاثون أنّه (لا يدع للخير غايه إلا أمها و لا مظنه إلا قصدها) يعنى أنّ همته مقصوره على سلوك مسالك الخير و قصد مظانّ البرّ ليفوز غايته و يدرك نهايته.

و الثانى و الثلاثون أنّه (قد أمكن الكتاب) أى كتاب الله (من زمامه) أدى زمام نفسه إلى الكتاب و فوّضه إليه و مكّنه منه و هو كناية عن كونه منقادا له مطيعا لما اشتمل عليه من الأوامر و النواهي (فهو قائده و امامه) يقوده إلى الله و يأتمه في سلوك سبيل رضوان الله (يحلّ حيث حلّ ثقله و ينزل حيث كان منزله) قال الشارح البحرانى: استعار عليه السلام وصفى الحلول و النزول اللذين هما من صفات المسافر و كنى بحلولة حيث حلّ عن لزوم أثره و العمل بمقتضاه و متابعتة له في طريق سفره إلى الله بحيث لا ينفك عنه وجودا و عدما.

أقول: هذا إن كان المراد بالموصوف نفسه الشّريف و من حذا حذوه،

ص: ١٧٧

١- (١) جواب لما.

و أما إن ارید به مطلق العارف فالمراد بمحلّ القرآن و منزله هو بیت الرّسالة و الامامه أعنی مهبط الوحی و معدن الذکر، فیکون المقصود بحلول الموصوف و نزوله فيه كالقرآن کونه مقتدیا بالرّسول صلّی الله علیه و آله و سلّم و الأئمه مقتبسا لهداهم آخذاً بولايتهم صلوات الله و تحياته علیه و علیهم أجمعین.

الترجمه

از جمله خطب شریفه آن امام زمان و مقتدای عالمیان است در وصف حال متّقین فرموده که:

ای بندگان خدا بدرستی از محبوبترین بندگان خدا است بسوی او بنده که اعانت فرمود و غالب نمود خدای تعالی او را بر نفس خود پس شعار خود گردانید حزن را، و سرپوش خود نمود ترس را، پس روشن شد چراغ هدایت در قلب او، و مهیا نمود مهمانی را برای روزی که فرود آید باو؛ پس نزدیک گردانید بر نفس خود دور را که عبارتست از موت و احوال آخرت، و آسان نمود کار سخت را که عبارتست از کلفت و مشاقّ عبادت، نگاه کرد بدیده عبرت بملک و ملکوت، پس شد صاحب معرفت و بصیرت، و ذکر کرد خداوند را پس بسیار نمود از ذکر ربّ العزّت، و سیراب شد از آب خوش شیرین که آسان گردانیده شد از برای او موارد آن پس آشامید آبراً اول بار و سبقت نمود بر سایرین و محتاج نشد باشامیدن دویمین و سلوک کرد راه راست محفوظ از تفریط و افراط را.

بتحقیق که بر کند از خود پیراهن های شهوتها را، و خالی شد از همه همها و غمها مگر همّ واحدی که منفرد شده است باو که عبارتست از همّ وصول بقرب حق، پس بیرون آمد از صفت کوری و از مشارکت اهل هوا و غفلت، و گردید از کلیدهای درهای هدایت و از آلتهای بستن درهای هلاکت.

بتحقیق که دید راه صواب خود را و سلوک نمود در راه راست خود و شناخت نشان هدایت خود را از دلایل واضحات، و برید از خود آنچه فرو رفته بود در آن از شهوات، و چنگ زد از بندها بمحکم ترین آنها و از ریسمانها باستوارترین آنها

پس او از یقین بر مثال نور آفتابست در تابندگی و درخشندگی، پس نصب کرد نفس خود را از برای خداوند در بلندترین کارها که عبارت باشد از بازگردانیدن جواب هر وارد کننده سؤال بر او و از رد نمودن هر فرع از فروع علوم بسوی اصل خود چراغ تاریکیها است، کشف کننده امرهای مشتبه است، راهنمای بیابانها است سخن می گوید پس می فهماند، و ساکت می شود پس بسلامت می ماند.

بتحقیق که خالص نمود عبادت را از برای خدا پس خالص نمود خداوند او را از برای خود و برگزید او را با بنای جنس بافاضة فیوضات و کمالات، پس او از معدنهای دین خدا است و از میخهای زمین حق تعالی است.

بتحقیق که لازم گردانیده بر نفس خود عدل را پس هست اول عدالت او دور نمودن هوا و هوس از نفس خود، تعریف میکند حق را و عمل میکند بآن، ترک نمی نماید عمل خیر را هیچ غایتی مگر این که قصد میکند آن را، و نمی گذارد مظنه خیری مگر این که آهنگ می نماید آن را.

بتحقیق که متمکن ساخت کتاب الله المجید را از مهار خود، و جلو خود را بدست او واگذار نمود، پس کتاب عزیز قائد و پیشوای او است، حلول میکند هر جا که حلول میکند بار نفیس کتاب، و نزول می نماید هر مکانی که منزل نموده در آن کتاب، و الله أعلم بالصواب.

الفصل الثانی

اشاره

و آخر قد تسمى عالما و ليس به، فاقتبس جهائل من جهال، و أضاليل من ضلال، و نصب للناس أشرাকা من حبال غرور، و قول زور، قد حمل الكتاب على آرائه، و عطف الحق على أهوائه، يؤمن الناس من العظام، و يهون كبير الجرائم، يقول أف أف عند الشبهات

ص: ۱۷۹

و فيها وقع، و يقول أعتزل البدع و بينها اضطجع، فالصّوره صوره إنسان، و القلب قلب حيوان، لا يعرف باب الهدى فيتبعه، و لا باب العمى فيصدّ عنه، و ذلك ميّت الأحياء.

اللغه

(قد تسمى) تسمى بفتح التاء المشاه الفوقائيه قال فى القاموس تسمى بكذا و بالقوم و إليهم انتسب، و فى بعض النسخ يسمى بصيغه المضارع المجهول من باب فعل و هو الأظهر (الجهائل) جمع الجهاله كالعلائق و العلاقه و (الأضاليل) من الضلال جمع لا واحد له من لفظه و (ضلال) بضم الصاد جمع ضالّ كجاهل و جهال و عامر و عمّار و (الأشراك) جمع الشّرك محرّكه و هو ما يصطاد به و (الزّور) الكذب و مزخرف الكلام قال تعالى: و اجتنبوا قول الزّور و (ضجعت) ضجوعا من باب نفع وضعت جنبى بالأرض و اضطجعت مثله.

الاعراب

قوله: و آخر بالترّفص صفه لمحذوف معطوف على محلّ اسم أنّ السّابق فى أوّل الفصل السّابق، قوله: و ليس به، من زياده الباء فى الخير و اسم ليس ضمير مستتر، و اللّام فى الصوره و القلب إمّا عوض عن الضمير المضاف إليه كما هو مذهب الكوفيين و بعض البصريين أى صورته صورته إنسان و قلبه قلب حيوان و عليه خرج الكوفيون قوله سبحانه: فإنّ الجنّه هى المأوى، و المانعون يقولون فى مثل ذلك إنّ اللّام للعهد و الضمير محذوف أى الصوره له أو منه و قالوا فى الآيه:

هى المأوى له.

المعنى

اعلم أنّه لما شرح حال أحبّ العباد إلى الله سبحانه فى الفصل السّابق أردف ذلك بشرح حال المبعوضين عنده تعالى فقال (و آخر قد تسمى عالما و ليس به) أى و عبد آخر قد انتسب إلى أهل العلم و نسب نفسه إليهم و ليس هو بذلك أو سمّاه

ص: ١٨٠

العوام عالما (فاقتبس جهائل من جهال و أضاليل من ضلال) أى تعلم جهالات مركبه و عقايد باطله من أهل الجهاله و اكتسب الآراء الموجهه للانحراف عن قصد السبيل عن أهل الضلاله فحذا حذوهم و سلك سبيلهم و صار جاهلا ضالا مثلهم (و نصب للناس أشراكا من حبال غرور و قول زور) يعنى أنه يغتر الخلق بأقواله الباطله و أفعاله المزخرفه و يجذبهم بها إليه و يوقعهم فى شركه و حبالته كما يغتر الصياد الصيد يخدعه حتى يوقعه فى شركه الذى نصبه له (قد حمل الكتاب على آرائه) أراد عليه السلام أنه حمل كتاب الله على مقتضى رأيه و هواه، و ذلك لجهله بفحواه و معناه و قد قال رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم: من فسّر القرآن برأيه فليتبوء مقعده من النار، و كفى بكلامه عليه السلام شاهدا أن كلاً من الفرق المختلفه كالمشبهه و المجسمه و الكراميه و الأشعريه و المعتزله و غيرها على كثرتها قد تعلق فى إثبات مذهبها بالقرآن، فكلّ يأوله على رأيه و يخرجها على معتقده مع أن قول الكل باطل و تأويل الجميع فاسد. «وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَ الرّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَ مَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ».

و قوله عليه السلام (و عطف الحق على أهوائه) عطف تفسير و توضيح إذ الكتاب حقّ و ما فيه حقّ و من حمّله على رأيه فقد عطف الحق على هواه و جعل هواه حقاً بتأويل ما. «وَلَوْ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَاوَاتُ وَ الْأَرْضُ وَ مَنْ فِيهِنَّ» (يؤمن الناس من العظام و يهون) فى نظرهم (كبير الجرائم) بذكر الآيات الداله على الوعد و الأحاديث المحصّله للطمع و الرّجا كقوله تعالى:

«قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا»

وقوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: حَبَّ عَلَيَّ حَسَنُهُ لَا يَضُرُّ مَعَهَا سَيِّئُهُ، وَنَحْوَ ذَلِكَ وَ إِنَّمَا يَهْوَنُهَا فِي نَظَرِهِمْ وَ يُؤْمِنُهُمْ مِنْهَا اسْتِجْلَابًا لِقُلُوبِهِمْ وَ طَلِبًا لِلْوَقْعِ عِنْدَ الْجَهَالِ مِنَ الْأَمْرِ وَ أَرْبَابِ الْمَنَاصِبِ وَ نَحْوِهِمْ مِنَ الْمُنْهَمِكِينَ فِي الشَّهَوَاتِ وَ الْبَاغِينَ لِلذَّاتِ وَ الْمُقْتَحِمِينَ فِي الشَّبَهَاتِ وَ الْمُحَرِّمَاتِ الَّذِينَ لَا يَبَالُونَ فِي شَيْءٍ مِنْهَا طَمَعًا فِي أَنَّهُ سَبْحَانَهُ قَابِلُ التَّوْبَاتِ وَ غَافِرُ الْخَطِيئَاتِ وَ مَا حَيَّ السَّيِّئَاتِ. وَ هَذَا مِنْ تَسْوِيلَاتِ الشَّيْطَانِ اللَّعِينِ وَ تَدْلِيسَاتِ ذَلِكَ الْفَاسِقِ الْمُتَوَسِّمِ بِسَمِهِ الْعَالَمِ إِذْ الْخَوْفُ تَوَامُّ الرِّجَاءِ وَ الْوَعْدُ رَدْفُ الْوَعِيدِ، وَ هُوَ تَعَالَى قَهَّارٌ كَمَا أَنَّهُ غَفَّارٌ، فَالْإِلْزَامُ لِلْعَالَمِ أَنْ يَلَاحِظَ الْمَقَامَ وَ يَنْظُرَ مَوَاقِعَ الْكَلَامِ فَيُورِدُ أَدْلَهُ الرِّجَاءِ فِي مَجَالِسِ الْخَائِفِينَ، وَ آيَاتِ الْخَوْفِ فِي مَجَالِسِ الْأَمْنِينَ كَيَلَا يَأْسُ الْخَائِفُ مِنْ رُوحِ اللَّهِ وَ لَا يَأْمَنُ الْأَمْنُ مِنْ غَضَبِ اللَّهِ. (يَقُولُ أَقْفُ عِنْدَ الشَّبَهَاتِ) تَوْقِيًا وَ تَوَرَّعًا (وَ فِيهَا وَقَعُ) لَجْهَلِهِ بِهَا وَ غَفْلَتِهِ عَنْهَا وَ الْوُقُوفُ عِنْدَهَا فِرْعُ الْعِلْمِ (وَ يَقُولُ أَعْتَرَلُ الْبِدْعَ) الْمَخَالِفَةَ لِلْقَوَانِينِ الشَّرْعِيَّةِ (وَ بَيْنَهَا اضْطِجَعُ) لَجْهَلِهِ بِهَا أَيْضًا (فَالصُّورَةُ صُورَةُ إِنْسَانٍ) تَامَّ الْأَعْضَاءِ وَ الْأَرْكَانِ بِهَيِّ الْهَيْئَةِ عَذْبُ اللِّسَانِ (وَ الْقَلْبُ قَلْبُ حَيْوَانٍ) لَهُ أُذُنَانِ مُحْجُوبَانِ عَنِ إِدْرَاكِ حَقَائِقِ الْعِرْفَانِ.

وَ كَايِنُ تَرَى مِنْ صَامِتٍ لَكَ مَعْجِزِيَادَتُهُ أَوْ نَقْصُهُ فِي التَّكَلُّمِ

لِسَانِ الْفَتَى نَصْفٌ وَ نَصْفٌ فَوَادِهْفَلَمُ يَبْقَى إِلَّا صُورَةُ اللَّحْمِ وَ الدَّمِ

(لَا يَعْرِفُ بَابَ الْهُدَى فَيَتَّبِعُهُ وَ لَا بَابَ الْعَمَى فَيَصِدُّ عَنْهُ) يَعْنِي أَنَّهُ بِسَبَبِ جَهْلِهِ الْمَرْكَبَ لَا يَعْرِفُ قَانُونَ الْهُدَايَةِ إِلَى الرِّشَادِ فَيُلْزِمُهُ، وَ لَا وَاجِهَ الدَّخُولِ فِي الْبَاطِلِ فَيَتْرِكُهُ، وَ ذَلِكَ لِأَنَّ الْجَاهِلَ الْمَرْكَبَ لَمَّا أَحْدَدَ عَنِ سَبِيلِ اللَّهِ وَ اعْتَقَدَ بِخِلَافِ الْوَاقِعِ امْتَنَعَ مَعَ ذَلِكَ أَنْ يَعْرِفَ بَابَ الْهُدَى وَ مَبْدَأَ الدَّخُولِ إِلَيْهِ فَلَا يُمْكِنُ لَهُ اتِّبَاعُهُ، وَ لَمَّا اعْتَقَدَ أَنَّ مَا جَزَمَ بِهِ مِنَ الْبَاطِلِ هُوَ الْحَقُّ امْتَنَعَ مَعَهُ أَنْ يَعْرِفَ مَبْدَأَ دَخُولِهِ فِي الْجَهْلِ وَ هُوَ بَابُ الْعَمَى فَامْتَنَعَ مِنْهُ أَنْ يَصِدُّ عَنْهُ. (فَذَلِكَ مَيِّتُ الْأَحْيَاءِ) يَعْنِي أَنَّهُ مَيِّتٌ فِي سَلْكِ الْأَحْيَاءِ، وَ إِنَّمَا كَانَ مَيِّتًا

إذ المقصود بالحياه فى الحقيقه هو استكمال النفس و اكتساب الفضائل التى هى سبب السعاده الأبدية و العناية السرمديه، و لما كان الجاهل بمعزل عن ذلك فكان بمنزله الميت بل ميتا فى الحقيقه قال الشاعر:

ليس من مات فاستراح بميت إنما الميت ميت الأحياء

تنبيه

هذا الفصل من كلام الامام عليه آلاف التحية و السلام كاف فى ذم العلماء السوء و القدح عليهم و الطعن فيهم، و أعنى بالعلماء السوء المتصفين بالأوصاف المذكوره فى هذا الفصل، و هم العلماء الآخذون بالبدع و الآراء، و العاملون بالمقائيس و الأهواء، كعلماء العامه و قضاتها الذين لم يأخذوا العلم من يبايعه، و لم يتعلموا القرآن من أهله و استغنوا عن عتره النبى صلى الله عليه و آله و آله و حيث ضاق بهم المجال فى الوصول إلى حقيقه الحال اضطرّوا إلى الأخذ بالرأى و القياس ففسروا القرآن بأرائهم، و عطفوا الحق على أهوائهم، و عملوا فى مسائل الحلال و الحرام و الحدود و الأحكام بأقيستهم، فأبدعوا فى الدين، و غيروا شرع سيد المرسلين صلوات الله عليه و آله أجمعين هذا. و مثلهم فى استحقاق الذم و الطعن العلماء السوء منّا، و هم الذين تعلموا العلم من أهله، و أخذوه من أحاديث الأئمه، و رجعوا فى تفسير القرآن إلى تفسير خير الامه إلا أنهم لم يعملوا بعلمهم، و وصفوا الحق فخالف فعلهم قولهم، و هم علماء الدنيا الذين قصدهم من العلم التنعم بالدنيا و التوصل إلى الجاه و المنزله عند أهلها. و الآيات و الأخبار فى ذم هؤلاء و تشديد الأمر عليهم فوق حدّ الاحصاء و متجاوزة مرتبه الاستقصاء، و ينبغى أن نورد هنا شطرا منها ممّا يناسب المقام. فأقول: روى ثقه الاسلام الكلينى فى الكافى عن سليم بن قيس الهلالي قال:

سمعت أمير المؤمنين عليه السلام يقول: قال رسول الله صلى الله عليه و آله سلم: منهومان لا يشبعان: طالب

دنيا، و طالب علم، فمن اقتصر من الدنيا على ما أحلّ الله له سلم، و من تناولها من غير حلّها هلك إلا أن يتوب أو يراجع، و من أخذ العلم من أهله و عمل بعلمه نجا، و من أراد الدنيا فهي حظّها. و عن أبي خديجه عن أبي عبد الله عليه السّلام قال: من أراد الحديث لمنفعه الدنيا لم يكن له فى الآخرة نصيب، و من أراد به خير الآخرة أعطاه الله خير الدنيا والآخرة. و عن حفص بن غياث عن أبي عبد الله عليه السّلام قال: إذا رأيت العالم محبًا لدنياه فاتهموه على دينكم، فإنّ كلّ محبّ شىء يحوط ما أحبّ و قال عليه السّلام:

أوحى الله إلى داود عليه السّلام لا تجعل بينى و بينك عالما مفتونا بالدنيا فيصدّك عن طريق محبّتى، فإنّ أولئك قطاع طريق عبادى المریدين إلىّ، إنّ أدنى ما أنا صانع بهم أن أنزع حلاوه مناجاتى من قلوبهم. و عن ربيع بن عبد الله عمّن حدّثه عن أبي جعفر عليه السّلام قال: من طلب العلم ليباهى به العلماء أو يمارى به السّيفهء أو يصرف به وجه النّاس إليه فليتبوء مقعده من النّار، إنّ الرّياسه لا تصلح إلا لأهلها. و عن حفص بن غياث عن أبي عبد الله عليه السّلام قال: قال: يا حفص يغفر للجاهل سبعون ذنبا قبل أن يغفر للعالم ذنب واحد. و عن حفص أيضا قال: قال أبو عبد الله عليه السّلام: قال عيسى بن مريم عليه السّلام: ويل للعلماء السوء كيف تلظى عليهم النّار. و عن أبى بصير عن أبى جعفر عليه السّلام فى قوله تعالى:

«فَكُتِبُوا فِيهَا هُمْ وَالْغَاوُونَ». قال: هم قوم وصفوا عدلا بألسنتهم ثم خالفوه إلى غيره. و عن سليم بن قيس الهلالي قال: سمعت أمير المؤمنين عليه السّلام يحدث عن النّبىّ صلّى الله عليه و آله و سلّم أنّه قال فى كلام له: العلماء رجلان: رجل عالم أخذ بعلمه فهذا ناج، و عالم

تارك لعلمه فهذا هالك، و إنّ أهل النار ليتأذون من ريح العالم التارك لعلمه، و إنّ أشدّ أهل النار ندامه و حسره رجل دعا عبدا إلى الله فاستجاب له و قبل منه فأطاع الله فأدخله الله الجنة فأدخل الداعي النار بترك علمه و اتّباعه الهوى و طول الأمل، أمّا اتّباع الهوى فيصدّ عن الحق و أمّا طول الأمل فينسى الآخرة و عن عبد الله بن القاسم الجعفرى عن أبى عبد الله عليه السلام قال: إنّ العالم إذا لم يعمل بعلمه زلّت موعظته عن القلوب كما يزلّ المطر عن الصّفا. أقول: و نعم ما قيل فى هذا المعنى:

يا واعظ النّاس قد أصبحت متّهما إذ عبت منهم امورا أنت تأتيها

أصبحت تنصحهم بالوعظ مجتهدا فالموبقات لعمرى أنت جائها

تعيب دنيا و ناسا راغبين لها و أنت أكثر منهم رغبة فيها

و فيه عن على بن هاشم بن البريد عن أبيه قال: جاء رجل إلى على بن الحسين عليه السلام فسأله عن مسائل فأجاب ثمّ عاد ليسأل عن مثلها فقال على بن الحسين عليهما السلام:

مكتوب فى الانجيل لا- تطلبوا علم ما لا- تعلمون و لمّا تعملوا بما علمتم فإنّ العلم إذا لم يعمل به لم يزد صاحبه إلاّ كفرا و لم يزد من الله إلاّ بعدا. و عن المفضّل بن عمر عن أبى عبد الله عليه السّلام قال: قلت له: بم يعرف النّاجى؟ قال عليه السّلام: من كان فعله لقوله موافقا فاثبت له الشهاده، و من لم يكن فعله لقوله موافقا فإنّما ذلك مستودع. أقول: قال الشاعر:

لاتنه عن خلق و تأتي مثله عار عليك إذا فعلت عظيم

هذا و الأخبار العاميه فى ذلك الباب كثيره جدّا و قد أكثر أبو حامد الغزالي فى احياء العلوم من روايتها. ففيه قال صلّى الله عليه و آله و سلّم: إنّ أشدّ النّاس عذابا يوم القيامة عالم لم ينفعه الله بعلمه. و عنه صلّى الله عليه و آله أنّه قال: لا يكون المرء عالما حتّى يكون بعلمه عاملا، و قال: صلّى الله عليه و آله العلم علما علم على اللسان فذلك حجّه الله على خلقه و علم فى القلب فذلك العلم النّافع

وقال عليه السلام إنّ العالم ليعذب عذابا يطيف به أهل النار استعظاما لشده عذابه وقال اسامه بن زيد سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول يؤتى بالعالم يوم القيامة فيلقى في النار فتندلق أقتابه فيدور بها كما يدور الحمار بالرحى فيطيف به أهل النار فيقولون مالك؟ فيقول: كنت آمر بالخير ولا آتية، وأنهى عن الشر وآتية. وروى معاذ بن جبل موقوفا ورفوعا في روايه عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: من فتنه العالم أن يكون الكلام أحب إليه من الاستماع، وفي الكلام تنميق و زياده و لا- يؤمن على صاحبه الخطاء، وفي الصيحت سلامه و علم. و من العلماء من يخزن علمه فلا يحب أن يوجد عند غيره فذلك في الدرك الأول من النار، و من العلماء من يكون في علمه بمنزله السلطان إن ردّ عليه شيء من علمه أو تهوّن بشيء من حقه غضب، فذلك في الدرك الثاني من النار، و من العلماء من يجعل علمه و غرايب حديثه لأهل الشرف و اليسار و لا يرى أهل الحاجه له أهلا- فذلك في الدرك الثالث من النار، و من العلماء من ينصب نفسه للفتيا فيفتي بالخطاء و الله تعالى يبغض المتكلفين، فذلك في الدرك الرابع من النار، و من العلماء من يتكلم بكلام اليهود و النصارى ليعزز به علمه، فذلك في الدرك الخامس من النار، و من العلماء من يتخذ علمه مروّه و نيلا و ذكرا في الناس، فذلك في الدرك السادس من النار، و من العلماء من يستفزّه الزهو و العجب فان وعظ أنف، فذلك في الدرك السابع من النار، إلى غير هذه مما رواه فيه، و هي كافيه في الدلاله على عظم و زر العالم في معاصيه و كون عذابه أشدّ و حسرته أدوم. و سرّ ذلك أمران: الاول أنّ العالم إذا عصى يزلّ بعصيانه خلق كثير كما قيل:

إذا فسد العالم فسد العالم، فمن تناول شيئا من المحرّمات و قال للناس لا تتناولوه سخر به الناس و استهزؤوه و زاد حرصهم على ما نهوا عنه، فيقولون لو لا أنّه أطيّب شيء و ألذّه لما كان يستأثر به نفسه و يقدم عليه فيقتدى به الخلق في سوء عمله و يتبعونه فيلحق به مثل و زرهم، مضافا إلى و زر نفسه كما قال: من سنّ سيئه سيئه كان له مثل و زر من عمل بها. و عن أمير المؤمنين عليه السلام قصم ظهري رجلا: عالم متهتك، و جاهل متنسك

فالجاهل يغرّ الناس بتنسكه و العالم يغرّمم بتهتكه. و الثانى أنّ عصيان العالم مع اتّصافه بصفه العلم كاشف عن منتهى خبث طينته و سوء سريرته و غايه جرئته على مولاة، و ذلك بخلاف الجاهل فانه إمّا جاهل ساذج فلا تكليف فى حقّه إذ الجهل مانع من أن يتوجّه إليه حكم أو خطاب، فليس فى حقّه أمر و لا- نهى فلا- ثواب و لا- عقاب، و إمّا جاهل فى الجملة فليس له معرفه مثل المعرفه الّتى للعالم و لذلك جعل الله سبحانه ثواب المطيعات من نساء النّبىّ صلّى الله عليه و آله و العاصيات منهمّ ضعف ما لغيرهنّ، لكونهنّ عارفات عالمات بادراكهنّ حضور النّبىّ صلّى الله عليه و آله و صحبته كما قال عزّ من قائل:

«يا نساء النّبىّ من يأت منكنّ بفاحشه مبينه يضاعف لها العذاب ضعفين و كان ذلك على الله يسيراً و من يقنّت منكنّ لله و رسوله و تعمل صالحاً تؤتيها أجرها مرّتين و اعتدنا لها رزقاً كريماً» و قال سبحانه: «إنّ المنافقين فى الدرك الأسفل من النار». لأنهم جحدوا بعد العلم و جعل اليهود شرّاً من النصارى مع أنّهم ما جعلوا الله تعالى ولدا و لا قالوا: إنّ سبحانه ثالث ثلاثة إلّا أنّهم أنكروا بعد المعرفه إذ قال الله:

«يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ» و قال: «فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ» و فى سوره الجمعه: «مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَاراً بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَ اللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ». إذا ظهر لك أيها العالم ذلك فلا يغرّتك الشيطان و لا يصدّنك عن سبيل ربّك و لا ينبغى لك أن تعرّض نفسك للهوان و لغضب الرّحمن، و لا يجوز لك أن تؤثر

دنیاک علی آخرتک و لا أن تتبع هوی نفسک أو تأمر الناس بالبرّ و تنسی نفسک (۱)، أو تقول ما لا تفعل، فقد کبر مقتا عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون (۲) فالویل کلّ الویل لمن اتّبع هواه و باع آخرته بدنياه.

عجبت لمبتاع الضلالة بالهدیو من یشتری دنياه بالدین أعجب

و أعجب من هذین من باع دینهدنیا سواه فهو من ذین أعجب

الترجمه

و شخصی دیگری هست که نسبت داده شده بأهل علم و حال آنکه عالم نیست پس کسب نمود جهالتها را از جهال روزگار و ضالتهها را از گمراهان نابکار، و نصب نمود از جهه فریفتن مردم دامهای حیلها را از ریسمانهای فریب و از گفتار دروغ، بتحقیق که حمل کرده کتاب مجید را بر رأیهای باطل خود، و میل داده حق را بر آرزوهای عاطل خود، ایمن می گرداند مردم را از گناهان عظیم و آسان می گرداند جریمهای بزرگ را. می گوید که وقوف میکنم و باز می ایستم از شبیه ها و حال آنکه در آنها افتاده، و می گوید که اعتزال میکنم و کناره جوئی می نمایم از بدعتها و حال آنکه در میان آنها خواب کرده، پس صورت آن مثل صورت انسان است و قلب آن مثل قلب حیوان، پس نمی شناسد باب هدایت را تا پیروی کند آن را، و نه باب ضلالت را پس باز ایستد از آن، پس این شخص کذائی مرده زنده است چه متّصف است بجهل ابدی که موت است در صوره حیا.

الفصل الثالث

اشاره

فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ، وَ أَنَّى تُؤْفَكُونَ، وَ الْأَعْلَامُ قَائِمَةٌ، وَ الْآيَاتُ

ص: ۱۸۸

۱- (۱) قال تعالى أ تأمرون الناس بالبرّ و تنسون أنفسكم منه

۲- (۲) اقتباس من الآية.

واضح، و المنار منصوبه، فأين يتاه بكم، بل كيف تعمهون، و بينكم عتره نبيكم، و هم أزمه الحق، و أعلام الدين، و ألسنه الصّديق، فأنزلوهم بأحسن منازل القرآن، و ردوهم ورود الهيم العطاش، أيها الناس خذوها عن خاتم النبيين صلّى الله عليه و آله و سلّم إنه يموت من مات منّا و ليس بميت، و يبلى من بلى منّا و ليس ببال، فلا- تقولوا بما لا- تعرفون، فإنّ أكثر الحقّ فيما تنكرون، و أعذروا من لا- حجّه لكم عليه، و أنا هو، ألم أعمل فيكم بالثقل الأكبر، و أترك فيكم الثقل الأصغر، و ركزت فيكم رايه الإيمان، و وقفتكم على حدود الحلال و الحرام، و ألبستكم العافيه من عدلي، و فرشتكم المعروف من قولي و فعلي، و أريتكم كرائم الأخلاق من نفسى، فلا تستعملوا الرأى فيما لا يدرك قعره البصر، و لا يتغلغل إليه الفكر.

اللغه

(أفك) افكا كذب و افكه عنه صرفه و قلبه أو قلب رأيه و (المنار) العلم المنصوب فى الطريق ليهدى به الضّال و الموضع المرتفع الذى يوقد فى أعلاه النّار و (تاه) تيهها و تيهانا ضلّ و تحيروتاه فى الأرض ذهب متحيرا و منه قوله تعالى:

«يَتِيهُونَ فِي الْأَرْضِ».

أى يحارون و يضلّون و (عمه) فى طغيانه عمها من باب تعب إذا تردّد متحيرا قال سبحانه:

«فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ».

و رجل عمه و عامه أى متحير حائر عن الطريق و (ورد) البعير و غيره الماء وردا و ورودا بلغه و وافاه من غير دخول و قد يحصل دخول فيه و (الهميم) بالكسر الابل العطاش و (بلى) الثوب يبلى من باب رضى بلى بالكسر و القصر و بلاء بالضمّ و المدّ و (الثقل الأكبر) فى بعض نسخ الكتاب بكسر التاء و سكون القاف و (الثقل الأصغر) بالتحريك قال بعض شراح الحديث فى شرح قول النبىّ صلى الله عليه و آله إني تارك فيكم الثقلين كتاب الله و عترتي: إنه من الثقل سميا بذلك لكون العمل بهما ثقيلًا و الأ-كثر على أنه من الثقل محرّكه قال فى القاموس و الثقل محرّكه متاع المسافر و حشمه و كلّ شىء نفيس مصون، و منه الحديث إني تارك فيكم الثقلين آه و (ركزت الرمح) و نحوه ركزا من باب قتل أثبتة بالأرض فارتكز و (فرشت) البساط و غيره فرشًا من باب قتل و ضرب بسطته و (تغلغل) تغلغلا أسرع.

الاعراب

أين اسم استفهام سؤال عن المكان، و أنى توفكون بمعنى كيف كما فسّر به قوله «فَأْتُوا حَزَنُكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ».

و المقصود بالاستفهام التوبيخ، و الواو فى قوله عليه السّلام: و الأعلام قائمه للحال، و كذلك فى قوله و بينكم، و الفاء فى قوله فأنزلوهم فصيحته، و الضمير فى قوله خذوها راجع إلى ما يفهم من المقام من الفايده و الرّوايه و نحوهما على حدّ قوله: تورات بالحجاب و قوله أ لم أعمل إمّا استفهام تقريرى لما بعد النّفى أو إنكار إبطالىّ و هو الأظهر، و جمله أنه يموت آه بدل من مفعول خذوها، فإنّ المشهور جواز إبدال الظاهر من الضمير إذا كان غايبا.

المعنى

إشارة

اعلم أنّه عليه السّلام لما شرح فى الفصلين السابقين حال المتّقين و الفاسقين

ص: ١٩٠

و ذكر فى بيان صفات الفسّاق انهم أخذ و الجهاله و الضّلاله من الجهال و الضّلال عقب ذلك بالأمر بملازمه أئمه الدّين و
أعلام اليقين لكونهم القاده الهداه أدلاء على طريق النّجاه و كون لزومهم باعنا على التقوى و محصّيه لا للقربى و ويّخ المخاطبين
أولا بصدّهم عن الحقّ و ميلهم إلى الباطل و عدولهم عن أئمه الأنام عليهم الصّلاه و السّلام بقوله: (فأين تذهبون) أى أى طريق
تسلكون أبين من طريق الحقّ و هذه الجملة مأخوذه من قوله سبحانه فى سورة التكوير:

«و ما صاحبكم بمجنونٍ و لقد رآه بالافق المبينِ و ما هو على الغيب بضنينٍ و ما هو بقول شيطانٍ رجيمٍ فأين تذهبون إن هو إلا
ذكرٌ للعالمين لمن شاء منكم أن يستقيم.»

روى على بن إبراهيم فى تفسير هذه الآيه عن جعفر بن محمّد عليه السّلام قال: حدّثنا عبد الله بن موسى عن الحسن بن على بن
أبى حمزه عن أبيه عن أبى بصير عن أبى عبد الله عليه السّلام قال: قلت: قوله:

«و ما صاحبكم بمجنونٍ» قال: يعنى النّبىّ صلّى الله عليه و آله ما هو بمجنون فى نضبه أمير المؤمنين عليه السّلام علما للنّاس قلت
قوله:

«و ما هو على الغيب بضنينٍ» قال ما هو تبارك و تعالى على نبيّه بغيبه بضنين عليه قلت:

«و ما هو بقول شيطانٍ رجيمٍ» قال: كهنه الّذين كانوا فى قريش فنسب كلامهم إلى كلام الشّيطان الّذين كانوا معهم يتكلّمون
على ألسنتهم فقال: و ما هو بقول شيطان رجيم مثل أولئك قلت.

«فأين تذهبون إن هو إلا ذكرٌ للعالمين»

قال عليه السلام أين تذهبون في عليّ يعني ولايته أين تفرّون منها إن هو إلا ذكر للعالمين أخذ الله ميثاقه على ولايته قلت قوله: «لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ».

قال في طاعه عليّ و الأئمه عليه السّلام من بعده (و أنّي توفّكون) أي تصرفون عن عباده الله إلى عباده غيره و تقبلون عن طريق الهدى إلى سمت الضلاله و الرّدى كما قال تعالى في سورة الأنعام:

«إِنَّ اللَّهَ فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَى يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَ مُخْرِجُ الْمَيِّتِ مِنَ الْحَيِّ ذَلِكُمُ اللَّهُ فَانَّى تُؤْفَكُونَ» و في سورة الملائكه:

«يَا أَيُّهَا النَّاسُ اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرِ اللَّهِ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَ الْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَانَّى تُؤْفَكُونَ» و في سورة المؤمن:

«ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَانَّى تُؤْفَكُونَ كَذَلِكَ يُؤْفَكُ الَّذِينَ كَانُوا بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ».

قال الطبرسى في تفسير هذه الآيه أي الذي أظهر هذه الدلالات و أنعم بهذه النعم هو الله خالقكم و مالكم خالق كل شيء من السماوات و الأرض و ما بينهما لا يستحق العباده سواه فكيف تصرفون عن عبادته إلى عباده غيره مع وضوح الدلاله على توحيده هذا.

و لا يخفى عليك أنّ ما ذكرته في شرح هذه الفقره إنّما هو أخذنا بظاهر كلامه عليه السّلام و لكنّ الأظهر بمقتضى السّياق أنّه عليه السلام أراد بها توبيخ المخاطبين على العدول عنه فيكون معنى قوله: أنّي توفّكون أنّي تقبلون عنّي و عن ولايتي و ملازمتي.

و مثل ذلك قوله عليه السّلام (و الأعلام قائمه و الآيات واضحه و المنار منصوبه) فانه يجوز أن يراد به أعلام القدره و آيات المقدره و آثار التوحيد و منار التفريد و أدلّه الوجود من المهاده الموضوع و السّماء المرفوع و اختلاف اللّيل و النّهار و الفلك الجارى فى البحر الزّخار و المطر النّازل من السحاب الذى أحى به الأرض بعد موتها و بثّ فيها من الدّواب إلى غير هذه من دلائل التوحيد و الجلال و علائم الكمال و الجمال.

إلاّ أنّ الأظهر أنّ المراد بها هو أعلام الدّين و آيات اليقين و منار الهدى و أئمه الورى، و يشهد بذلك ما ورد فى حديث وصفهم عليه السّلام: جعلتهم أعلاما لعبادك و منارا فى بلادك أى هداه يهتدى بهم.

و يدلّ عليه الأخبار الوارده فى أنّهم عليه السّلام آيات الله و بيناته، مثل ما فى البحار من تفسير علىّ بن إبراهيم مسندا عن أبى حمزه قال: سألت أبا جعفر عليه السّلام عن قول الله عزّ و جلّ:

«الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا صُمٌّ وَ بُكْمٌ فِي الظُّلُمَاتِ مَنْ يَشَأُ اللَّهُ يُضِلَّهُ وَ مَنْ يَشَأُ يَجْعَلْهُ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ».

قال أبو جعفر عليه السّلام: نزلت فى الذين كذبوا فى أوصيائهم صمّ و بكم كما قال الله فى الظلمات من كان من ولد إبليس فأنه لا يصدق بالأوصياء و لا يؤمن بهم أبدا، و هم الذين أضلهم الله و من كان من ولد آدم عليه السّلام آمن بالأوصياء و هم على صراط مستقيم قال: و سمعته يقول: كذبوا بآياتنا كلّها فى بطن القرآن ان كذبوا بالأوصياء كلّهم، و منه فى قوله:

«وَ الَّذِينَ هُمْ عَنْ آيَاتِنَا غَافِلُونَ».

قال: أمير المؤمنين عليه السّلام و الأئمه صلوات الله عليهم، و الدليل على ذلك قول أمير المؤمنين عليه السّلام: ما لله آيه أكبر منى.

و منه باسناده عن داود بن كثير الرقى قال: سألت أبا عبد الله عليه السّلام عن قول الله:

«وَمَا تُغْنِي الْآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَنْ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ».

قال عليه السلام: الآيات الأئمة والنذر الأنبياء عليه السلام.

و منه عن أبيه عن ابن أبي عمير عن هشام عن أبي عبد الله عليه السلام فى قوله:

«إِنْ نَشَأْ نُزِّلَ عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ آيَةٌ فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ» قال تخضع رقابهم يعنى بنى أمية، وهى الصيحة من السماء باسم صاحب الأمر عليه السلام إلى غير ذلك مما ورد عنهم عليهم السلام فى تفسير الآيات القرآنية مما لا نطيل بروايتها، فقد ظهر بذلك كله أنهم المراد بالآيات الواضحة فىكون إطلاقها عليهم باعتبار أنهم علامات جليله واضحة لعظمه الله وقدرته و علمه و لطفه و رحمته.

فما آيه لله أكبر منهم فهم آيه من دونهم كل آيه

سرى سرهم فى الكائنات جميعها فمن سرهم لم يخل مثقال ذره

هذا و قوله (فأين يتاه بكم بل كيف تعمهون) تأكيد لقوله فأين تذهبون و أتى تؤفكون، فإنه لما سألهم عن إفكهم و ذهابهم و وبخهم عليه أكده بذلك مشيرا به إلى أن الإفك و الذهاب موجب لتيهم و تحيرهم و عمهم و ضلالتهم.

و أكد الجملة الحالية السابقة أعنى قوله: و الأعلام قائمه إلخ بقوله (و بينكم عتره نبيكم) مشيرا به إلى أنهم المراد بالأعلام و الآيات، و المراد بعتره النبي صلى الله عليه و آله و سلم الأئمة عليهم السلام.

و يدل عليه ما فى البحار من العيون و معانى الأخبار عن الهمداني عن علي بن أبيه عن ابن أبي عمير عن غياث بن إبراهيم عن الصادق عن آبائه عليهم السلام قال: سئل أمير المؤمنين عليه السلام عن معنى قول رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم: إني مخلف فيكم الثقلين كتاب الله و عترتي من العتره؟ فقال: أنا و الحسن و الحسين و الأئمة التسعة من ولد الحسين عليهم السلام تاسعهم مهديهم و قائمهم لا يفارقون كتاب الله و لا يفارقهم حتى يردوا على رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم حوضه.

و سيأتي في شرح الخطبه الثالثه و التسعين مزيد تحقيق في معنى العتره إنشاء الله (و هم أزمه الحق و ألسنه الصدق) يعنى أنهم عليهم السّلام القائدون يقودون الخلق إلى الحق كما تقاد النّاقه بالزمام إلى الطريق، و هم تراجمه الوحي كما أنّ اللسان ترجمان النفس و يدلّ على الأوّل وصفهم في فقرات الزياره الجامعه بقوله:

و قاده الأمم، يعنى أنهم عليهم السّلام قاده الأمم إلى معرفه الله و دينه يقودونهم بدعائهم و تعريفهم و أمرهم و ترغيبهم إلى المعرفه و الدّين، فمن أجاب قادوه إلى الجنه و من أناب ساقوه إلى النّار كما قال عليه السّلام: أنا قسيم الجنّه و النّار، و هو نعمه الله على الأبرار و نقمته على الفجّار.

و يدلّ على الثانى وصفهم عليهم السّلام في فقرات الزياره المذكوره بقوله: و تراجمه لوحيه، يعنى أنهم المؤدّون من الحقّ إلى الخلق فلا يخفى ما بين القرينتين في كلامه عليه السّلام من الحسن و اللّطف حيث إنّ محصّل معناهما أنهم عليهم السّلام دلائل للخلق على الحقّ و وسائط للحقّ إلى الخلق هذا.

و يجوز أن يكون المراد بقوله: و هم أزمه الحقّ أنّ زمام الحقّ بيدهم عليهم السّلام فيكون مساقه مساق قول رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم الحقّ مع عليّ و هو مع الحقّ أينما دار.

و من طرق الخاصه متواترا عن النّبى صلّى الله عليه و آله و الأئمه صلوات الله و سلامه عليه و عليهم: الحقّ مع الأئمه الاثنى عشر، و في فقرات الزياره الجامعه: و الحقّ معكم و فيكم و منكم و إليكم و أنتم أهله و معدنه.

و أن يكون المراد بقوله عليه السّلام و ألسنه الصدق أنهم لا يقولون إلّا صدقا و حقّا فيكون تصديقا لدعاء إبراهيم حيث إنّ دعا ربّه بما حكاه الله عنه بقوله في سوره الشعراء:

«وَ اجْعَلْ لِي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ».

أى اجعل صادقاً من ذريّتي يجد أصل ديني و يدعو النّاس إلى ما كنت أدعوهم إليه، فاستجاب الله دعوته و اصطفى من ذريّته محمّداً و آله صلوات الله و سلامه عليه

و عليهم و جعلهم لسان صدق له.

و يؤيد ذلك ما فى تفسير القمى عند قوله:

«وَاجْعَلْ لِي لِسَانَ صِدْقٍ».

قال: هو أمير المؤمنين عليه السلام و فى مجمع البيان فى تفسير قوله تعالى:

«يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ» قال الطبرسى أى اتقوا معاصى الله و اجتنبوا و كونوا مع الصادقين الذين يصدقون فى أخبارهم و لا يكذبون، و معناه كونوا على مذهب من يستعمل الصدق فى أقواله و أفعاله و صاحبوهم و رافقوهم و قد وصف الله الصادقين فى سورة البقرة بقوله:

«وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ» إلى قوله: «أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَ أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ».

فأمر سبحانه بالاعتداء بهؤلاء، و قيل: المراد بالصادقين هم الذين ذكرهم الله فى كتابه و هو قوله:

«رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَىٰ نَحْبَهُ».

يعنى حمزه بن عبد المطلب و جعفر بن أبى طالب.

«وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ» يعنى على بن أبى طالب عليه السلام.

و روى الكلينى عن أبى صالح عن ابن عباس قال: كونوا مع الصادقين مع على عليه السلام و أصحابه.

و روى جابر عن أبى جعفر عليه السلام فى قوله و كونوا مع الصادقين، قال: مع آل محمد سلام الله عليهم.

ثم إنّه عليه السلام بعد توصيف العتره الطاهره بأنهم أزمه الحقّ و ألسنه الصدق أمر بتعظيمهم و إجلالهم بقوله (فأنزلوهم بأحسن منازل القرآن) قال الشارح المعتزلى فى شرحه إنّه عليه السلام أمر المكلفين أن يحروا العتره فى إجلالها و إعظامها

و الانقياد و الطاعة لأوامرها مجرى القرآن.

و قال الشارح البحراني: اعلم أنّ للقرآن منازل: الاولى القلب و هو فيه بمنزلتين: إحداهما منزله الاكرام و التعظيم، و الثانيه منزله التصوّر فقط، الثالثه منزلته فى الوجود اللسانى بالتلاوه، الرابعه منزلته فى الدفاتر و الكتب، و أحسن منازلها هى الأولى فالمراد إذن الوصيه باكرامهم و محبتهم و تعظيمهم كما يكرم القرآن بالمحبته و التعظيم.

أقول: فعلى ما ذكره يكون معنى كلامه عليه السّلام أنزلوهم بأحسن المنازل التى كانت للقرآن، و الأظهر عندى أنّ معناه أنزلوهم بأحسن المنازل التى أثبتها القرآن لهم، فإنّ المنازل الثابته لهم عليهم السّلام بالآيات القرآنيه متفاوتة مختلفه فى العلوّ و الرفعه فأمر عليه السّلام بانزالهم بأحسن المنازل و أسنى المراتب، و هو بأن يستمسكوا بأظهر الآيات دلالة على رفعه شأنهم و علوّ مقامهم مثل قوله سبحانه:

«إِنَّمَا وَئِيكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ» الدّال على خلافتهم و ولايتهم (عليهم السلام) و قوله:

«إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً» الدّال على عصمتهم و طهارتهم و قوله: «قُلْ لَا أَسْئَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى» الدّال على ملازمتهم و مودّتهم روى الطبرسى فى مجمع البيان فى تفسير الآيه الأخيره من كتاب شواهد التنزيل مرفوعا إلى أبى أمامه الباهلى قال: قال رسول الله صلّى الله عليه و آله: إنّ الله خلق الأنبياء من أشجار شتى و خلقت أنا و على من شجره واحده فأنا أصلها و على فرعها

و الحسن و الحسين ثمارها و شيعتنا أوراقها، فمن تعلق بغصن من أغصانها نجا، و من زاغ هوى، و لو أنّ عبدا عبد الله بين الصفا و المروه ألف عام ثم ألف عام حتى يصير كالشئ البالى ثم لم يدرك محبتنا أكبه الله على منخريه فى النار ثم تلا: «قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى».

قال الطبرسى و روى زاذان عن على عليه السلام قال: فينا فى ال حم آيه لا يحفظ مودتنا إلا كل مؤمن ثم قرء هذه الآيه و إلى هذا أشار الكميت فى قوله:

وجدنا لكم فى آل حم آيه تأولها منا تقى و معرب

و فى البحار ذكر أبو حمزه الثمالى فى تفسيره حدثنى عثمان بن عمير عن سعيد بن جبير عن ابن عباس أنّ رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم حين قدم المدينة و استحکم الاسلام قالت الأنصار فيما بينهم: نأتى رسول الله فنقول له إنه تعروك امور فهذه أموالنا فاحكم فيها غير حرج و لا محذور عليك، فأتوه فى ذلك فنزل:

«قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى» فقرأها عليهم فقال تودون قرابتى من بعدى، فخرجوا من عنده مسلمين لقوله، فقال المنافقون: إنّ هذا الشىء افتراه فى مجلسه أراد بذلك أن يذلنا لقرابته من بعده فنزلت:

«أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا».

فأرسل إليهم فتلاها عليهم فبكوا و اشتد عليهم فأنزل الله:

«وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ» الآية.

فأرسل فى أثرهم فبشّرهم و قال: و يستجيب الله الذين آمنوا و هم الذين سلموا لقوله ثم قال سبحانه:

«وَمَنْ يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْنًا».

أى من فعل طاعه نزد له فى تلك الطاعه حسنا بأن نوجب له الثواب.

و ذكر أبو حمزه الثمالى عن السدى أنه قال: اقتراف الحسنه المودّه لآل محمّد صلّى الله عليه وآله وسلم و صحّ عن الحسن بن على عليه السلام أنه خطب الناس فقال فى خطبته: أنا من أهل البيت الذين افترض الله مودّتهم على كلّ مسلم فقال:

«قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ وَمَنْ يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْنًا».

فاقتراف الحسنه مودّتنا أهل البيت.

و روى اسماعيل بن عبد الخالق عن أبى عبد الله عليه السلام أنه قال: إنّها نزلت فينا أهل البيت أصحاب الكساء انتهى كلامه رفع مقامه.

و قال الفخر الرّازى فى التفسير الكبير نقل صاحب الكشاف عن النبىّ صلّى الله عليه وآله أنه قال: من مات على حبّ آل محمّد مات شهيداً، ألا- و من مات على حبّ آل محمّد مات مغفوراً له، ألا و من مات على حبّ آل محمّد مات تائباً، ألا و من مات على حبّ آل محمّد مات مؤمناً مستكمل الايمان، ألا و من مات على حبّ آل محمّد بشره ملك الموت بالجنّه ثم منكر و نكير، ألا و من مات على حبّ آل محمّد يزفّ إلى الجنّه كما يزفّ العروس إلى بيت زوجها، ألا و من مات على حبّ آل محمّد فتح له فى قبره بابان إلى الجنه، ألا- و من مات على حبّ آل محمّد جعل الله قبره مزار ملائكه الرّحمه، ألا و من مات على حبّ آل محمّد مات على السنّه و الجماعه.

ألا- و من مات على بغض آل محمّد جاء يوم القيامه مكتوباً بين عينيه آيس من رحمه الله، ألا و من مات على بغض آل محمّد مات كافراً، ألا و من مات على بغض آل محمّد لم يشمّ رائحه الجنّه، قال: هذا هو الذى رواه صاحب الكشاف.

و أنا أقول: آل محمّد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آله وَ سَلَّمَ هم الذين يؤول أمرهم إليه فكلّ من كان أمرهم إليه أشدّ و أكمل كانوا هم الآل و لا شكّ أنّ فاطمه و عليّا و الحسن و الحسين كان التعلّق بينهم و بين رسول الله أشدّ التعلّقات، و هذا كالمعلوم بالنقل المتواتر فوجب أن يكونوا هم الآل، و أيضا اختلف الناس في الآل فقليل هم الأقارب، و قيل هم امّته فان حملناه على القرابه فهم الآل و إن حملناه على الامّه الذين قبلوا دعوته فهم أيضا آل، فثبت أنّ على جميع التقديرات هم الآل و أمّا غيرهم فهل يدخلون تحت لفظ الآل فمختلف فيه.

قال: و روى صاحب الكشاف أنّه لما نزلت هذه الآية قيل يا رسول الله من قرابتك هؤلاء الذين وجبت علينا مودّتهم؟ فقال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آله وَ سَلَّمَ عليّ و فاطمه و ابناهما، فثبت أنّ هؤلاء الأربعة أقارب النّبى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آله وَ سَلَّمَ و إذا ثبت هذا وجب أن يكونوا مخصوصين بمزيد التعظيم و يدلّ عليه وجوه: الأوّل قوله تعالى «إلا المودّه في القربى» و الثّاني لا شكّ أنّ النّبى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آله وَ سَلَّمَ كان يحبّ فاطمه عليها السلام قال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آله وَ سَلَّمَ بضعه منى يؤذيني ما يؤذيها، و ثبت بالنقل المتواتر من محمّد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آله وَ سَلَّمَ أنّه كان يحبّ عليّا و الحسن و الحسين، و إذا ثبت ذلك وجب على كلّ الامّه مثله لقوله:

«وَ اتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ» و لقوله: «فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ» و لقوله: «قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ» و لقوله سبحانه: «لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ».

الثالث أنّ الدعاء للآل منصب عظيم و لذلك جعل هذا الدعاء خاتمه التشهد في الصلاه و هو قوله: اللهم صلّ على محمّد و على آل محمّد و ارحم محمّدا و آل محمّد، و هذا التعظيم لم يوجد في حقّ غير الآل فكلّ ذلك يدلّ على أن حبّ آل محمّد واجب، و قال الشافعي:

يا راكبا قف بالمحصّب من منى و اهتف بساكن خيفها و الناهض

سحرا إذا فاض الحجيج إلى منى فيضا كما نظم الفرات الفائض

إن كان رفضا حبّ آل محمّد فليشهد الثقلان أنّى رافضى

انتهى كلام الرازى خذله الله اقول: و لا يكاد ينقضى عجبى من هذا الناصب أنّه مع نقله تلك الأخبار المستفيضه المتفق عليها بين الفريقين و اقراره بهذه الفضائل للآل كيف يتعصّب فى حقّ أئمتّه و يرضى بخلافتهم و يذعن بامامتهم مع أنّ دلاله هذه الأخبار على كفرهم و شقاوتهم غير خفيّه إذ بغضهم لأهل بيت الرّسول فى حياته و بعد وفاته ظاهر، و أذاهم لبضعته فى إحراق بابها و إسقاط جنينها و غضب فدك منها واضح، و تسليطهم بنى اميّه و بنى أبى معيط على رقاب أهل البيت و ما جرى من الظلم و الجور بسبب ذلك عليهم عليهم السّلام غنى عن البيان، و إنّما أنطق الله لسانه على الحقّ إتماما للحجّه و إكمالا للبيّنه لئلا يقول يوم القيامة:

«إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ» وَ «مَنْ يُضَلِّلِ اللَّهَ فَلَا هَادِيَ لَهُ» «وَ مَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ».

ثمّ إنّ الشّارح المعتزلى قال فى شرح هذه الفقره أعنى قوله عليه السّلام: فأنزلوهم بأحسن منازل القرآن بعد كلامه الذى قدّمنا ذكره:

فان قلت: فهذا القول منه عليه السّلام يشعر بأنّ العتره معصومه فما قول أصحابكم فى ذلك؟ قلت: نصّ أبو محمّد بن مثنويه فى كتاب الكفايه على أنّ علينا عليه السّلام معصوم و إنّ لم يكن واجب العصمه و لا العصمه شرط فى الامامه لكن أدلّه التّصوص قد دلّت على عصمته و القطع على باطنه و نفسه و إنّ ذلك أمر اختصّ هو به دون غيره من الصّحابه، و الفرق ظاهر بين قولنا زيد معصوم و بين قولنا زيد واجب العصمه، لأنّه امام و من شرط الامام أن يكون معصوما فالاعتبار الأوّل مذهبنا و الاعتبار الثّانى

مذهب الاماميه انتهى كلامه هبط مقامه.

و فيه أنك قد عرفت في مقدمات شرح الخطبه الشقشقيه بما لا مزيد عليه و في غيرها أيضا أنّ العصمه شرط في الامامه، و محصل ما قلناه هناك: أنّ غير المعصوم لا يؤمن منه الخطأ و الضلال فكيف يأمنه الناس في ضلالتهم و خطائهم، و إن شئت زياده الاستبصار فارجع ثمه.

و أمّا قوله عليه السلام (و ردهم و ردد الهيم العطاش) فأشار به إلى اقتباس العلوم و اكتساب الأنوار منهم، فانهم (عليهم السلام) لما كانوا ينابيع العلوم و كان علمهم بمنزله العذب الفرات و كان الخلق محتاجين إليهم في ذلك حسن منه عليه السلام أن يأمرهم بورودهم و يشبهه و ردهم بورود الابل الظمان على الماء و هو نظير قوله سبحانه.

«فَسْتَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ».

قال الحارث سألت أمير المؤمنين عليه السلام عن هذه الآية قال: و الله إنا لنحن أهل الذكر نحن أهل العلم نحن معدن التأويل و التنزيل.

ثم إنه عليه السلام لما ذكر فضائل الآل و مناقبهم عقب ذلك و أكدّه بذكر منقبه أخرى و فضيله عظمى رواها عن رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم فقال (أيها الناس خذوها عن خاتم النبيين) و سيد المرسلين (صلى الله عليه و آله) أجمعين (أنه يموت من مات منا و ليس بميت و يبلى من بلى منا و ليس ببالي) اعلم أنّ هذا الحديث من مشكلات الأحاديث و متشابهاتها و قد اختلف في توجيهه أنظار الشراح و تأوله كلّ بما يقتضيه سليقته و مذاقه، و أعظمهم خطبا و أشدهم و هما الشارح البحراني مع فضله و ذكائه و براعته في علم الحكمه حسبما تطلع عليه و لا- غرو فيه فإنّ الحكمه بعيدة عن مذاق الأخبار و حاجبه من اقتباس الأنوار و الأسرار المودعه في كنوز أحاديث الأئمه الأطهار.

و أنا أتمسك في شرح المقام بحبل العناية الأزليه و أستمّد من الحضرة الالهيه و أتمسك بذيل أهل بيت العصمه و الطهاره، و أبين أولا جهه الاشكال و هو

أَنَّ كَلَامَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ بظَاهِرِهِ مُتَنَاقِضٌ حَيْثُ إِنَّهُ نَفَى الْمَوْتَ وَ الْبَلَاءَ عَنْهُمْ بَعْدَ إِثْبَاتِهَا عَلَيْهِمْ وَ الْإِجَابَ يَنَاقِضُ السَّلْبَ وَ السَّلْبَ لِلْإِجَابِ، وَ أَيْضًا أَنَّهُمْ عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَ السَّلَامُ هَلْ يَحْكُمُ بِمَوْتِهِمْ وَ بِلَاغِهِمْ فِي الْوَاقِعِ وَ نَفْسُ الْأَمْرِ عَلَى مَا هُوَ مُقْتَضَى الشَّرْطِ الْإِجَابِيِّ مِنَ الْقَضِيَّتَيْنِ أَوَّلًا- يَحْكُمُ بِشَيْءٍ مِنْهُمَا فِي حَقِّهِمْ عَلَى مَا يَقْتَضِيهِ الْجُزْءُ السَّلْبِيُّ مِنْهُمَا، فَأَقُولُ وَ بِاللَّهِ التَّوْفِيقُ: إِنَّ حَلَّ الْأَشْكَالِ فِي الْمَقَامِ مَوْقُوفٌ عَلَى تَحْقِيقِ الْكَلَامِ فِي كُلِّ مِنَ الْقَضِيَّتَيْنِ وَ بِهِ يَرْتَفَعُ التَّنَاقُضُ مِنَ الْبَيِّنِ.

فَأَمَّا الْقَضِيَّةُ الْأُولَى فَمَحْضُ الْقَوْلِ فِيهَا أَنَّ النَّبِيَّ وَ الْأئِمَّةَ صَلَوَاتُ اللَّهِ وَ سَلَامُهُ عَلَيْهِ وَ عَلَيْهِمْ إِلَّا الْحِجَّةَ الْمُنْتَظَرَةَ عَجَّلَ اللَّهُ فَرَجَهُ قَدْ انْتَقَلُوا مِنْ دَارِ الدُّنْيَا إِلَى دَارِ الْآخِرَةِ وَ خَرَجَتْ أَرْوَاحُهُمْ مِنْ أَبْدَانِهِمْ وَ جَرَى الْمَوْتُ عَلَيْهِمْ حَقِيقَةً كَمَا هُوَ نَصُّ الْجُزْءِ الْإِجَابِيِّ مِنْ هَذِهِ الْقَضِيَّةِ، وَ نَفَى الْمَوْتَ عَنْهُمْ إِنَّمَا هُوَ مِنْ مَفْتَرِيَّاتِ عَبْدِ اللَّهِ ابْنِ سَبَا وَ مِنْ حَذَا حَذْوِهِ مِنَ الْغَلَاةِ مُخَالَفَ لِاجْتِمَاعِ الْأَمَةِ وَ لِنَصِّ الْكِتَابِ وَ السُّنَنِ وَ قَدْ قَالَ سُبْحَانَهُ:

«إِنَّكَ مَيِّتٌ وَ إِنَّهُمْ مَيِّتُونَ» وَ قَالَ: «وَ مَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَ فَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ».

وَ أَمَّا سَلْبُ الْمَوْتِ عَنْهُمْ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ فِي الْجُزْءِ الثَّانِي مِنَ الْقَضِيَّةِ فَهُوَ مَحْمُولٌ عَلَى حَيَاتِهِمْ بِأَجْسَادِهِمُ الْمُثَالِيَّةِ كَمَا هُوَ مَذْهَبُ جَمْعٍ مِنْ أَصْحَابِنَا عَلَى مَا حَكَى عَنْهُمْ الطَّبْرَسِيُّ فِي مَجْمَعِ الْبَيَانِ فِي تَفْسِيرِ قَوْلِهِ:

«وَ لَا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ بَلْ أَحْيَاءٌ وَ لَكِنْ لَا تَشْعُرُونَ».

وَ إِلَيْهِ ذَهَبَ الْمُحَدِّثُ الْمَجْلِسِيُّ فِي كِتَابِ حَقِّ الْيَقِينِ وَ نَسَبَهُ فِيهِ عَلَى مَا بِيَالِي إِلَى الْمَفِيدِ (رِه).

وَ قَالَ فِي الْبَحَارِ فِي الْمَجْلَدِ الرَّابِعِ عَشَرَ مِنْهُ: وَ نَحْنُ لَا نُنْكِرُ الْأَجْسَادَ الْمُثَالِيَّةَ

و تعلق الأرواح بها بعد الموت بل نثتها لدلاله الأحاديث المعتره عليها، بل لا يبعد عندي وجودها قبل الموت أيضا فتعلق بها الأرواح في حال النوم و شبهه من الأحوال لضعف تعلقها بالأجساد الأصلية فيسير بها في عوالم الملك و الملكوت و لا أستبعد في الأرواح القويّه تعلقها بالأجساد المثاليه الكثيره، و تصرّفها في جميعها في حاله فلا يستبعد حضورهم عليهم السّلام في آن واحد عند جمع كثير من المحتضرين و غيرهم.

و قال (ره) في المجلد التاسع منه بعد نقله روايه البرسي في مشارق الأنوار استقبال أمير المؤمنين و حضوره جنازه نفسه في ظهر الكوفه عند تشييع الحسين عليهما السّلام لها:

و لا أردّ هذه الزوايه لورود الأخبار الكثيره الداله على ظهورهم عليهم السّلام بعد موتهم في أجسادهم المثاليه كما نقلنا عنه في شرح الكلام التاسع و السّتين، و لا بعد في ذلك أى في ثبوت الأجساد المثاليه لهم، فقد ثبت ذلك في حقّ المؤمنين الذينهم من فاضل طينتهم و أشعّه أنوارهم فكيف و هو عليه السّلام أمير المؤمنين و هو و أولاده المعصومون سادات أهل الايمان و اليقين بهم سعد من سعدو بولايتهم فاز من فاز و كلّ الكمالات فيهم و منهم و بهم و إليهم.

روى الكليني في الكافي باسناده عن القاسم بن محمّد عن الحسين بن أحمد عن يونس بن ظبيان قال: كنت عند أبي عبد الله عليه السّلام فقال: ما يقول الناس في أرواح المؤمنين؟ فقلت: يقولون تكون في حواصل طيور خضر في قناديل تحت العرش، فقال أبو عبد الله عليه السّلام: سبحان الله المؤمن أكرم على الله من أن يجعل روحه في حوصله طير، يا يونس إذا كان ذلك أتاه محمّد صلّى الله عليه و آله و سلّم و عليّ و فاطمه و الحسن و الحسين و الملائكه المقربون عليهم السّلام فاذا قبضه الله عزّ و جلّ صير تلك الروح في قالب كقالبه في الدّنيا فيأكلون و يشربون، فاذا قدم عليهم القادم عرفوه بتلك الصّوره التي كانت في الدّنيا.

و رواه في مجمع البيان عن تهذيب الأحكام للشيخ عن القاسم بن محمّد نحوه.

و في الكافي باسناده عن أبي بصير قال قلت لأبي عبد الله عليه السّلام: إنّا نتحدّث عن أرواح

المؤمنين أنها في حواصل طيور خضر ترعى في الجنة و تأوى إلى قناديل تحت العرش فقال عليه السلام: لا- إذن ما هي في حواصل طير، قلت: فأين هي؟ فقال عليه السلام في روضه كهيته الأجساد في الجنة.

و في مجمع البيان و الصافي من التهذيب عن أبي بصير قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن أرواح المؤمنين، فقال: في الجنة على صور أبدانهم لو رأيت لقلت فلان.

و كيف كان فلا غبار على ذلك، و إطباق المشايخ على القدح في يونس بن زبيان و نسبتهم له إلى الغلو و الكذب مع مدح بعضهم له و تلقى جمع منهم روايته هذه بالقبول و بنائهم على مضمونها مع اعتضادها بالروايات الاخر لا يقدر في روايته هذه و العمل عليها، هذا هو الذي يقتضيه النظر الجليل في توجيه سلب الموت عنهم (عليهم السلام).

و أما الذي يقتضيه النظر الدقيق فهو أن يقال بحياتهم بعد موتهم بأجسادهم الأصلية التي كانت في الدنيا، و لا غرو فيه بعد دلاله الأخبار المعتبره عليه.

مثل ما في الوسائل في باب كراهه الاشراف على قبر النبي صلى الله عليه و آله من فوق عن الكليني عن عدّه من أصحابنا عن أحمد بن محمد البرقي عن جعفر بن المثنى الخطيب قال: كنت بالمدينة و سقف المسجد الذي يشرف على القبر قد سقط، و الفعله يصعدون و ينزلون و نحن جماعه، فقلت لأصحابنا: من منكم له موعد يدخل على أبي عبد الله عليه السلام الليلة؟ فقال مهران بن أبي نصر: أنا، و قال إسماعيل بن عمّار الصيرفي: أنا فقلنا: سلاه عن الصعود لشرف على قبر النبي صلى الله عليه و آله و سلم، فلما كان من الغد لقيناها فاجتمعنا جميعا، فقال إسماعيل: قد سألتنا لكم عمّا ذكرتم فقال:

ما أحب لأحد منهم أن يعلوه فوقه و لا آمنه أن يرى منه شيئا يذهب منه بصره أو يراه قائما يصلى أو يراه مع بعض أزواجه.

و في البحار من المناقب لابن شهر آشوب عن عبد الله بن سليمان و زياد بن المنذر و الحسن العباس بن حريش كلهم عن أبي جعفر عليه السلام و أبان بن تغلب و معاوية ابن عمّار و أبو سعيد المكارى كلهم عن أبي عبد الله عليه السلام أنّ أمير المؤمنين عليه السلام لقي الأول فاحتج عليه ثم قال: أترضى برسول الله صلى الله عليه و آله بيني و بينك؟ فقال:

و كيف بذلك؟ فأخذ بيده فأتى به مسجد قبا فإذا رسول الله صَلَّى الله عليه وآله وسلم فيه فقضى له على الأول.

و فيه من إرشاد القلوب عن الصادق عليه السَّلام في حديث طويل ذكر فيه احتجاج أمير المؤمنين عليه السَّلام على أبي بكر بحديث الغدير وغيره فقال أبو بكر: لقد ذكرتني يا أمير المؤمنين أمرا لو يكون رسول الله صَلَّى الله عليه وآله وسلم شاهدا فأسمعه منه، فقال أمير المؤمنين:

الله ورسوله عليك من الشَّاهدين يا أبا بكر إذا رأيت رسول الله صَلَّى الله عليه وآله حيا و يقول لك إنك ظالم لى فى أخذ حقى الذى جعله الله لى و لرسوله دونك و دون المسلمين أ تسلّم هذا الأمر إلى و تخلع نفسك منه؟ فقال أبو بكر: يا أبا الحسن و هذا يكون أرى رسول الله صَلَّى الله عليه وآله حيا بعد موته يقول لى ذلك. فقال أمير المؤمنين: نعم يا أبا بكر، قال: فأرني ذلك إن كان حقا، فقال أمير المؤمنين عليه السَّلام: الله و رسوله عليك من الشَّاهدين إنك تفى بما قلت؟ قال أبو بكر: نعم فضرب أمير المؤمنين عليه السَّلام على يده و قال: تسعى معى نحو مسجد قبا فلما ورداه تقدّم أمير المؤمنين عليه السَّلام فدخل المسجد و أبو بكر من ورائه فاذا برسول الله صَلَّى الله عليه وآله وسلم فى قبله المسجد، فلما رآه أبو بكر سقط لوجهه كالمنغشى عليه فناده رسول الله صَلَّى الله عليه وآله وسلم: ارفع رأسك أيها الضليل المفتون، فرفع أبو بكر رأسه و قال: لئيبك يا رسول الله أحياء بعد الموت يا رسول الله؟ فقال صَلَّى الله عليه وآله وسلم: ويلك يا أبا بكر «إِنَّ الَّذِي أَخْيَاها لَمْخِي الْمَوْتى إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ» الحديث و نحوها أخبار اخر.

و أنت بعد ذلك لو سنحت بخاطرك سوانح الشبهات و خالجتك الشكوك و احتملت تأويل هذه الأخبار بالأجساد المثاليه و أردت أن يطمئن قلبك بجواز الحياه على الأجساد الأصلية فراجع إلى ما رواه فى البحار من المناقب عن أبان بن تغلب و الحسين بن معاوية و سليمان الجعفرى و إسماعيل بن عبد الله بن جعفر كلهم عن أبي عبد الله عليه السَّلام

قال: لما حضر رسول الله الممّاه دخل عليه عليّ عليه السّلام فأدخل رأسه معه ثم قال:

يا عليّ إذا أنا متّ فغسّلي و كفنّي ثمّ اقعدي و سائلي و اكتب و من تهذيب الأحكام فخذ بمجامع كفني ثمّ اسألني عما شئت فوالله لا تسألني عن شيء إلاّ أجبتك.

و رواه فيه من البصائر و الكافي و الخرائج عن الزينبي عن فضيل عن أبي عبد الله عليه السّلام مثله، و فيه و في روايه أبي عوانه باسناده قال عليّ عليه السّلام ففعلت فأنبأني بما هو كائن إلى يوم القيامة.

و في البحار أيضا من الخرائج عن إسماعيل بن عبد الله بن جعفر عن أبيه عليه السّلام قال: قال عليّ بن أبي طالب عليه السّلام: أمرني رسول الله صلّى الله عليه و آله إذا توفّي أن استسقى سبع قرب من بئر غرس فأغسله بها، فاذا غسلته و فرغت من غسله أخرجت من في البيت قال: فاذا اخرجتهم فضع فاك على فيّ ثمّ سلني عمّا هو كائن إلى أن تقوم الساعة من أمر الفتن، قال عليّ عليه السّلام: ففعلت ذلك فأنبأني بما يكون إلى أن تقوم الساعة، و ما من فئه تكون إلاّ و أنا أعرف أهل ضلالها من أهل حقّها.

و من الخرائج أيضا عن حفص بن البختري عن أبي عبد الله عليه السّلام قال: قال رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم لأمير المؤمنين: إذا أنا متّ فغسلني و كفنّي و ما املني عليك فاكتب قلت:

ففعل؟ قال: نعم.

و يزيد توضيحا لذلك الأخبار الواردة في كتب المقاتل من أنّ الرّأس الأطيب الأظهر الأنور للسّيد الشّهداء روي و جسمي له الفداء كان ينظر و يتحرّك و يتكلّم بعد قتله عليه السّلام فيكبّر تاره و يحوقل أخرى و يقرأ من القرآن آيه الكهف و غيرها على السّنان و يخبر عن ما سنع بخاطر ابن و كيده بالكوفه، إلى غير هذه ممّا شوهدت منه من المعجزات و الكرامات، أفيمكن لك أن تقول إنّ ذلك لم يكن رأسه الأصليّ و إنّما كان رأسه المثاليّ؟ فاذا جاز الحياه على الرّأس الذي هو جزء من البدن الشريف سلام الله عليه فكيف بالبدن تاممه.

و قد روي غير واحد من أرباب المقاتل المعتبره جلوس الجسد المذبوح عند وداع أهل بيته عليه السّلام له و معانقته لبنته الصغيره و وصيته إليها بأن يقول لشيعته:

شعنى ما إن شربتم ماء عذب فاذكرونى أو سمعتم بغريب أو شهيد فاندبونى

إلى آخر الأبيات التى خرجت من الحلقوم الشريف لعن الله قاتليه و ظالميه أبد الأبدين و دهر الدهارين.

فحاصل الكلام و فذلكه المرام أنى لا أمتع من تصرفات أرواحهم الكئيبه فى أجسادهم الأصلية كتصرفها فى الأجساد المثاليه على ما عليه أساطين العلماء باقدار من الله سبحانه و إفاضه منه الحياه عليهم بعد موتهم إظهارا لشرفهم و رفعتهم و كرامتهم و إتماما للحجّه فى بعض المقامات «لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَ يُحْيَى مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ».

و لا أرى مانعا من ذلك إلا ما فى المجلس التاسع عشر من كتاب أسرار الشهادات من أنّ القول بتعلق الأرواح بالأجساد الدنيويّه الأصلية قبل قيام الساعة أو قبل الرجعه مميّا قام الاجماع على بطلانه و لكنك خبير بما فيه إذ المسأله غير معنونه فى كلام الأصحاب فكيف يمكن دعوى الاجماع و بعد الغض عن ذلك غايته أنه إجماع منقول بخبر الواحد و هو على القول بحجّيته لا يكافؤ الأخبار المستفيضه الداله على خلافه.

و يؤيد ما ذكرته و يقربّه ما فى مجمع البيان فى تفسير الآيه السابقيه أعنى قوله:

«وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ بَلْ أحياءٌ» فانه بعد ما اشكل فى حياه الشهداء بقوله: فان قيل: فنحن نرى جثّه الشهداء مطروحه على الأرض لا تنصرف و لا يرى فيه شيء من علامات الأحياء، قال (ره) ما نصّ عبارته:

فالجواب أمّا على مذهب من يقول من أصحابنا أنّ الانسان هو النفس إنّ الله يجعل لهم أجساما كأجسامهم فى دار الدنيا يتنعمون فيها دون أجسامهم التى فى القبور فإنّ التعميم و العذاب إنما يحصل عنده إلى النفس التى هى الانسان المكلف

عنده دون الجثه إلى أن قال: فأمرًا على مذهب من قال من أصحابنا إنَّ الانسان هذه الجمل المشاهده و إنَّ الرّوح هو النّفس المتردّد في مخارق الحيوان و هو أجزاء الجوّ فالقول أنه يلطف أجزاء من الانسان لا يمكن أن يكون الحيّ حيًا بأقلّ مما يوصل إليها النّعيم و إن لم تكن تلك الجمله بكمالها، لأنّه لا- يعتبر الأطراف و أجزاء السّمن في كون الحيّ حيًا، فإنّ الحيّ لا يخرج بمفارقتها من كونه حيًا.

و ربّما قيل: بأنّ الجثّه يجوز ان يكون مطروحه في الصوره و لا- يكون ميته فتصل إليها اللّذات كما أنّ النّائم حيّ و تصل إليه اللّذات مع أنه لا يحسّ و لا يشعر بشيء من ذلك، فيرى في النوم ما يجد به السّرور و الالتذاذ حتّى يودّ أن يطول نومه فلا ينتبه.

و قد جاء في الحديث أنّه يفسح له مدّ بصره و يقال له نم نومه العروس، و قريب منه ما في التّفسير الكبير للفخر الرّازي حيث قال:

فان قيل: نحن نشاهد أجسادهم ميتة في القبور فكيف يصحّ ما ذهبتم إليه؟ قلنا: أما عندنا فالبنية ليست شرطًا في الحياه و لا امتناع في أن يعيد الله الحياه إلى كلّ واحد من تلك الدّرات و الأجزاء الصّغيره من غير حاجه إلى التركيب و التّأليف، و أمّا عند المعتزله فلا- يبعد أن يعيد الله إلى الأجزاء التي لا بدّ منها في ماهية الحيّ و لا يعتبر بالأطراف و يحتمل أيضا ان يحييهم إذا لم يشاهدوا.

و بالجمله فقد تقرّر ممّا ذكرنا جواز الحياه على الأبدان الأصليه في الجمله و ارتفع بعد ذلك في نظر ك بما نسبه الطبرسيّ إلى جمع من أصحابنا و الفخر الرّازي إلى المعتزله مع أنه لا يعبؤ باستبعاد العقول بعد دلاله نصّ الآيه و قيام الأخبار المستفيضه عليه هذا.

و أمّا القضيّه الثانيه أعنى قوله: و يبلى من بلى منّا و ليس ببالي، فقد ظهر تحقيق الكلام فيها مما سبق إذ بعد القول بحياه الأبدان على الوجه الذي قلناه

لا يتصوّر البلى لمنافاتها له، نعم لا ينافيها على الوجه الذى اختاره الأشاعره و الوجه الذى ذهب إليه المعتزله و جمع من أصحابنا على ما عرفت فى نقل كلامهم.

و يدلّ على ذلك أى على عدم البلى ظواهر الأخبار السابقه مضافه إلى ما فى الكافى عن عدّه من أصحابنا عن أحمد بن محمّد عن عليّ بن الحكم عن زياد بن أبى الجلال عن أبى عبد الله عليه السّلام قال: ما من نبىّ و لا وصىّ نبىّ يبقى فى الأرض أكثر من ثلاثه أيّام حتّى ترفع روحه و عظمه إلى السّماء و إنما يؤتى مواضع آثارهم و يبلغونهم من بعيد السّلام و يسمعونهم فى مواضع آثارهم من قريب.

و فى الوسائل عن الشيخ باسناده عن محمّد بن سنان عن المفضل بن عمر قال:

دخلت على أبى عبد الله عليه السّلام فقلت له: إنى اشتاق إلى الغزى فقال: ما شوقك إليه؟ فقلت: له إنى أحبّ أن أزور أمير المؤمنين عليه السّلام، فقال عليه السّلام: هل تعرف فضل زيارته؟ قلت: لا- إلا- أن تعرّفنى، فقال عليه السّلام: إذا زرت أمير المؤمنين عليه السّلام فاعلم أنّك زائر عظام آدم و بدن نوح و جسم عليّ بن أبى طالب عليه السّلام الحديث.

و ما فى شرح المعتزلى عن التّبيّ صلى الله عليه و آله أنّ الأرض لم تسلّط عليّ و أنها لا تأكل لى لحما و لا تشرب لى دما.

و فى الفقيه عن الصادق عليه السّلام إنّ الله عزّ و جلّ حرّم عظامنا على الأرض و حرّم لحومنا على الدّود أن يطعم منها شيئا.

و قال التّبيّ صلى الله عليه و آله و سلّم حياتى خير لكم و مماتى خير لكم، قالوا: يا رسول الله و كيف ذلك؟ قال عليه السّلام: أما حياتى فإنّ الله عزّ و جلّ يقول: و ما كان الله ليعذبهم و أنت فيهم، و أمّا مفارقتى إياكم فإنّ أعمالكم تعرض علىّ كلّ يوم فما كان من حسن استردت الله لكم و ما كان من قبيح استغفرت الله لكم، قالوا: و قد رحمت يا رسول الله صلى الله عليه و آله يعنون صرت رميما فقال عليه السّلام: كلاً إنّ الله تبارك و تعالى حرّم لحومنا على الأرض أن يطعم منها شيئا، هذا.

و مقتضى الجمع بين هذه الأخبار و الأخبار الدالّة على نقل عظام آدم عليه السّلام

إلى الغررى و عظام يوسف إلى الأرض المقدسه هو اختصاص حكم عدم البلى بهذه الشجره المباركه أعنى خاتم النبیین و أوصیائه المعصومین سلام الله عليهم أجمعین.

فان قلت: فاذا قلت بعدم البلى على ما يقتضيه قوله عليه السلام ليس ببال فكيف التوفيق بينه و بين قوله و يبلى من بلى منّا المقتضى لثبوت البلى؟ قلت: ذلك محمول على زعم أغلب الخلق فإن اسراء عالم الحواس من الناس لما زعموا أن الموت ملازم للبلى و قاسوا أولياء الله و عباده المصطفین بسائر الخلق و لم يعرفوا أنهم لا يقاس بهم أحد فأثبتوا البلى فى حقهم و لذلك عقب عليه السلام الايجاب بالسلب كما أن الله سبحانه ردّ حسابان الخلق و زعمهم لكون القتل مستلزما للموت فى سورة البقره بقوله:

«وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ بَلْ أَمْوَاتٌ بَلْ أَحْيَاءٌ وَ لَكِنْ لَا تَشْعُرُونَ» و فى سورة آل عمران بقوله: «لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ» فان قوله: «وَلَكِنْ لَا يَشْعُرُونَ».

فى الآيه الاولى دليل على أنهم لم يكن لهم شعور بحياتهم فاذا لم يكن لهم شعور بذلك فلا يكون لهم شعور بعدم البلى البتة من حيث الملازمه بينه و بين الموت فى نظرهم كمالزمه الموت للقتل عندهم، هذا.

و أما حمل البلى على بلى الأكفان فبعيد، و أبعد منه حمله على بلى الأبدان و حمل عدم البلى على عدمه للأرواح كما يظهر من شرح البحرانى حيث قال فى شرح هاتين الفقرتين ما نصّ عبارته: و إشارة النبى صلى الله عليه و آله بهذه الكلمه تقرير لقوله تعالى:

«وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ» الآية.

لما اتفقت عليه كلمه العلماء و نطقت به البراهين العقلية أن أولياء الله لا

يموتون و لا يبلون و إن بليت أجسادهم.

قال بعض الخائضين فيما لا- يعنيه: قوله: و يبلى من بلى منّا، نصّ جلى على أنّ أجساد الأولياء تبلى، و ذلك يخالف ما يعتقدّه الناس من أنّ أجسادهم باقيه إلى يوم القيامة.

قلت: الاعتقاد المذكور لبعض الناس إنّما نشأ من قول الرسول صلّى الله عليه و آله و سلّم فى قتلى بدر: زمّلوهم بكلوهم و دمائمهم فأنهم يحشرون يوم القيامة و أوداجهم تشخب دما، و قوله تعالى: و لا تحسبنّ الذين قتلوا، الآية و ليس و لا واحد منهما بدال على أنّ الأجساد لا تموت و لا تبلى.

أمّا الخبر فليس مقتضاه أنها تبقى صحيحه تشخب دما إلى يوم القيامة، بل ذلك ممّا يشهد ببطلانه الحسّ، بل يحمل على أنّها كما تعاد يوم القيامة تعاد مجروحه تشخب جراحها دما كهيتها يوم موتها.

و أمّا الآية فالذى أجمع عليه علماء المفسّرين أنّ الحياه المذكوره فيها هى حياه النفوس، و هو ظاهر فى سبب نزولها عن ابن عباس (رض) قال: قال رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم: لما اصيبت إخوانكم باحد جعل الله أرواحهم فى أجواف طيور خضر ترد أنهار الجنّه و تأكل من ثمارها و تأوى إلى قناديل من ذهب معلّقه فى ظلّ العرش، فلّمّا وجد و اطيب ماكلهم و مشربهم و مقيلهم قالوا من يبلغ إخواننا عنّا أنّا فى الجنّه نرزق لثلا يزهدوا فى الجهاد و لا يتكلّموا عند الحرب؟ فقال الله عزّ و جلّ: أنا ابّلغهم عنكم فنزلت: و لا تحسبنّ الذين قتلوا، الآية.

فاذن لا- منافاه بين كلامه عليه السّلام و ما ورد فى القرآن و الخبر، و مقصوده عليه السّلام بهذه الكلمه تقرير فضيلتهم و أنّهم أولياء باقون عند ربّهم فى ظلّ كرامته انتهى كلامه.

و قد تحصّل منه أنه (ره) يحمل الموت و البلى فى كلامه عليه السّلام على بلى الأجساد و موتها و يحمل عدم الموت و البلى فيه على حياه النفوس و الأرواح و بقائها و أنت

أما أولا فلأنّ القول ببلى أجساد الأئمه و موتها خلاف ما هو المستفاد من الأخبار المستفيضه السابقه.

و ثانيا أنّ الامام عليه السّلام إنّما أتى بالحديث النبويّ صلّى الله عليه وآله و سلّم إظهارا للرفعه و الكرامه و مقصوده عليه السّلام به المفاخره و بيان فضيله و منقبه مختصّه بهم عليه السّلام، و من المعلوم أنّ بقاء الأرواح مع بلى الأجساد ليس فضيله مخصوصه بأهل بيت الرساله بل هي جاريه في حقّ ساير الناس من المؤمنين و الكفّار، و قد مرّ في شرح الخطبه الثانيه و الثمانين أنّ أرواح المؤمنين في وادي السّلام و أرواح الكفّار في البرهوت، فأى معنى لحمل عدم البلى فيه على عدم بلى الأرواح، مع أنّ استعمال لفظ البلى و عدم البلى إنّما هو مصطلح في الأجساد و الأقسام دون الأرواح و هو واضح لا يخفى، بل الأرواح لا يتصوّر في حقّها البلى فلا معنى لنفى البلى عنها إلّا على وجه السالبه بانتفاء الموضوع و ثالثا قوله ره: قلت: الاعتقاد المذكور إنّما نشأ من قول الرسول صلّى الله عليه وآله و سلّم آه فيه أنّ سند الاعتقاد المذكور ليس منحصرًا فيما ذكره بل قد دلّ عليه ما قدّمناه من الأدلّه.

و رابعا أنّ دعوى اتّفاق المفسّرين على كون الحياه المذكوره في الآيه هي حياه النفوس ممنوعه، لما عرفت سابقا اختلاف المفسّرين فيها، فمنهم من يحملها على الحياه بالأجساد المثاليه، و منهم من يحملها على الحياه بالأبدان الأصليّه، و منهم من يحملها على حياه النفوس فكيف يمكن مع هذا الخلاف دعوى الاتفاق، و ما أبعد ما بين هذه الدّعوى و بين إنكار البعض حديث الأرواح مستدلّا بكون الروح عرضا لا يتنعم، فإنّ دعوى الشارح للاتفاق واقع في طرف الافراط كما أنّ انكار هذا البعض في جانب التفريط من حيث أنّ الروح جسم لطيف هوائى حسّاسه فعّاله و ليس عرضا كما توهمه فيجوز أن يتنعم و يلتذّ.

و خامسا أنّ الحديث الذى نقله عن ابن عباس فى مقام الاستظهار به قد عرفت ردّ الصادق عليه السّلام له فى روايتى يونس بن ظبيان و أبى بصير المتقدمين، و الله العالم بحقايق الامور، و المحصّل لما فى الصدور و أنّما أطببت الكلام فى المقام لكونه من مزالِق الأقدام محتاجا إلى كشف الحجاب عن المرام و قد وضح لك فيه ما اقتضت الأدلّه من الكتاب و السّينه و من الله سبحانه أسأل العصمه و السداد من الخطاء فى القول و الاعتقاد بمحمد و آله الأطهار الأمجاد.

ثمّ إنّ عليه السّلام لما ذكر مناقب آل العباء و من خصّه الله بالولاية و الولاء و أكّده بحديث سلب الموت و البلى و كان ذلك بعيدا عن مذاق العوام و أمرا عجيبا عند العقول و الأوهام و مظنه للردّ و الإنكار لا جرم أردفه بقوله (و لا تقولوا بما لا تعرفون فإنّ أكثر الحقّ فيما تنكرون) و هو نهى لهم عن القول فى حقّ العتره بما لا يعرفون و عن التسرّع إلى ردّ ما يستعجبون معللا بأنّ أكثر الحقّ فيما ينكرون و المقصود به أنّ صاحب الولاية لا يقاس بالناس إذ شئونات الولاية المطلقة بعيدة عن الوهم و القياس و إدراكات الخلق أغلبها مقصوره على عالم الحواس، و الجاهل ربما ينكر بداء جهالته الحقّ إذا خالف طبعه أو عجز عن إدراكه فهمه أو سبق إليه اعتقاده ضدّه بشبهه أو تقليد أو بما انقذ فى وهمه من شكّ و ترديد، فلا يجوز الخوض فى اللجاج و العناد بمجرد الاستغراب و الاستبعاد.

و قوله: (و اعدروا من لا حجّه لكم عليه و أنا هو)، إمّا من الاعذار بمعنى الانصاف من أعذر الرّجل إذا أنصف، أو من الاعذار بمعنى إثبات العذر و هو الانسب الأظهر، فالمقصود به على ذلك أنّه عليه السّلام كان مأمورا من الله سبحانه و من رسوله صلّى الله عليه و آله و سلّم بالابلاغ و التذكير و الانذار و التحذير، و قد بلغ و ذكّر و أنذر و حدّر، فكان له الحجّه على المخاطبين و ثبت له العذر فى مقام السؤال كما أنّ لله و كذلك لرسوله الحجّه على جميع الخلاق حيث احتجّ بما نهج و أعذر بما أنذر، و هذا بخلاف ما لو فرّط عليه السّلام و قصّر فى الابلاغ و التذكير فيكون حينئذ لهم الحجّه عليه و يثبت لهم العذر فيما يلحقهم من العذاب بأن يقولوا:

رَبَّنَا «إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ» و به جاهلین، فلا يجوز لك أن تؤاخذنا بما لم نعلم و تعذبنا بما لم نفهم، فطلب عليه السّلام منهم أن يثبتوا له العذر فيما يلحقهم من العذاب و نکال العقاب لا لأنفسهم حيث أوضح لهم المحجّج البيضاء و دلّهم على الطريقه الوسطى و هداهم إلى الشريعه الغراء.

كما أفصح عليه السّلام عن ذلك بقوله (ألم أعمل فيكم بالثقل الأكبر و أترك فيكم الثقل الأصغر) و هو استفهام تقريرى يقول عليه السّلام إنى قد عملت فيكم بكتاب الله و بما فيه من الحلال و الحرام و الحدود و الأحكام، و تركت فيكم عتره رسول الله صلى الله عليه و آله و حفظت وصيته بالاعزاز و الاكرام، و عبّر عنهما بالثقلين تبعا للحديث النبوى صلى الله عليه و آله المعروف بين الفريقين.

و إنما سمّيا بذلك إمّا لعظم خطرهما و جلاله قدرهما من الثقل و هو المتاع النفيس، و إمّا لكون العمل بهما ثقيلًا (1) و إمّا لأجل أنّ الثقل متاع المسافر و حشمه فكأنّه عليه السّلام لما شارف الانتقال إلى جوار ربّه تعالى جعل نفسه كالمسافر الذى ينتقل من منزل إلى منزل و جعل الكتاب و العتره كمتاعه و حشمه، لأنهما أخصّ الأشياء به، قاله الشارح المعتزلى.

و الأظهر ما قلناه إذ متاع المسافر و حشمه يكونان معه و لا يخلفان بعده، هذا.

و أمّا تسميه القرآن بالأكبر و العتره بالأصغر مع كون العتره أفضل من القرآن عندنا و كونهم قيمين له فقد قال الشارح البحرانى: أشار بكونه أكبر إلى أنّه الأصل المتّبع المقتدى به.

أقول: و ليس بشيء إذ العتره أيضا أصل متّبع مقتدى، و يحتمل أن يكون و صفه به من جهة أنّه لما كان معجزا للرساله و سندا لها و الولايه و أساسا للدين و سنادا للشرع المبين و لولاه لم يثبت رساله و لا شريعه و لا ولايه و لا دين و لا ايمان

ص: ٢١٥

١- (١) اى كان من الثقل

لا جرم وصفه به.

ويمكن استظهار ذلك مما رواه أبو سعيد الخدري قال: قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم إنني تارك فيكم الثقلين أحدهما أكبر من الآخر كتاب الله جبل ممدود من السماء إلى الأرض، وعترتي أهل بيتي لن يفترقا حتى يردا علي الحوض.

وأظهر منه ما في روايه أبي جعفر عليه السلام عن جابر بن عبد الله قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يا أيها الناس إنني تارك فيكم الثقلين: الثقل الأكبر والثقل الأصغر إن تمسكتم بهما لن تضلوا ولن تبدلوا، فأنى سألت الله اللطيف الخبير لا يفترقان حتى يردا علي الحوض فاعطيت، فقيل: فما الثقل الأكبر وما الثقل الأصغر؟ فقال: الثقل الأكبر كتاب الله عز وجل سبب طرفه بيد الله عز وجل وطرف بأيديكم والثقل الأصغر عترتي أهل بيتي.

ويمكن أن يقال: إن كتاب الله لما كان حججه على عموم الخلق من النبي صلى الله عليه وآله وسلم والأئمة عليه السلام وامتهم، وحججه العتره كانت مخصوصه بالأمه فقط جعله أكبر لذلك هذا.

وفي قوله عليه السلام ألم أعمل فيكم آه تعريض وإشعار بعدم عمل غيره به وهو كذلك.

ويوضحه ما في غايه المرام من تفسير علي بن إبراهيم قال حدثني أبي عن صفوان بن يحيى عن أبي الجارود عن عمران بن ميشم عن مالك بن ضميره عن أبي ذر (ره) قال: لما نزلت هذه الآية:

«يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ» قال رسول الله صلى الله عليه وآله ترد علي امتي يوم القيامة على خمس رايات:

فرايه مع عجل هذه الأمه فأسألهم ما فعلتم بالثقلين من بعدى: فيقولون:

أميا الأ-كبر فحرفناه ونبذناه وراء ظهورنا، وأميا الأصغر فعاديناه وأبغضناه وظلمناه فأقول: ردوا إلى النار ظمأ مظمئين مسوده وجوهكم.

ص: ٢١٤

ثم ترد على رايه مع فرعون هذه الامه فأقول لهم ما فعلتم بالثقلين من بعدى؟ فيقولون: أما الأكبر فحرّفناه و مزّقناه و خالفناه، و أما الأصغر فعاديناها و قاتلناه، فأقول: ردّوا إلى النار ظمأً مظمئين مسوّدّه و جوهكم.

ثم ترد على رايه هي مع سامريّ هذه الأمه فأقول لهم: ما فعلتم بالثقلين من بعدى؟ فيقولون: أما الأكبر فعصيناها و تركناها، و أما الأصغر فخذلناه و ضيعناه فأقول: ردّوا إلى النار ظمأً مظمئين مسوّدّه و جوهكم.

ثم ترد على رايه ذى الشديه مع أوّل الخوارج و آخرهم و أسألهم: ما فعلتم بالثقلين من بعدى؟ فيقولون: أما الأكبر فمزّقناه و برئنا منه و أما الأصغر فقاتلناه و قتلناه فأقول: ردّوا إلى النار ظمأً مظمئين مسوّدّه و جوهكم.

ثم ترد على رايه مع إمام المتّقين و سيّد المسلمين و قائد الغرّ المحجّلين و وصيّ رسول ربّ العالمين فأقول لهم: ما فعلتم بالثقلين من بعدى؟ فيقولون: أما الأكبر فاتبعناه و أطعناه، و أما الأصغر فأحببناه و واليناها و زرناها و نصرناها حتّى اهريقنا فيهم دمائنا، فأقول: ردّوا إلى الجنّه رواء مرويين مبيّضه و جوهكم ثم تلى رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم:

«يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌُ وَ تَسْوَدُّ وُجُوهٌُ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ وَ أَمَّا الَّذِينَ ابْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِي رَحْمَةِ اللَّهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ».

و قد أخذ السيّد إسماعيل الحميرى مضمون هذا الحديث فى أبيات من قصيدته المعروفه و هى هذه الأبيات:

و النَّاسَ يَوْمَ الْحَشْرِ رَايَاتِهِمْ خَمْسَ فَمِنْهَا هَالِكٌ أَرْبَعُ

فَرَايَهُ الْعَجَلَ وَ فَرَعُونَهَا وَ سَامِرَى الْأُمَّةِ الْمَشْنَعِ

وَ رَايَهُ يَقْدِمُهَا أَبْكُمْ عَبْدَ لَيْمٍ لَكَّعَ أَكْوَعِ

و رايه يقدمها نعثل لا يرد الله له مضجع

و رايه يقدمها حبر للزور و البهتان قد أبدع

و رايه يقدمها حيدر و وجهه كالشمس اذ تطلع

مولى له الجئه معموره و النار من إجلاله يفرغ

إمام صدق و له شيعه يرووا من الحوض و لم يمنعوا

بذاك جاء الوحي من ربنا يا شيعه الحق فلا تجزعوا

ثم قال عليه السلام (و ركزت فيكم رايه الايمان) شبه عليه السلام الايمان بالرايه لأنه يهتدى به إلى سلوك سبيل الحق كما يهتدى بالرايه أمام الجيش و نحوها، و ذكر الركن ترشيح للتشبيه و المقصود أنى أثبت فيكم الايمان (و وقفتكم على حدود الحلال و الحرام) أى جعلتكم واقفين عليهما مطلعين على جماتهما (و ألبستكم العافيه من عدلى) أراد بالعافيه السلامه من الظلم و من أذى الظالمين و استعار لفظ اللباس لها (و فرشتكم المعروف من قولى و فعلى) المعروف اسم لكل ما عرف من طاعه الله و التقرب إليه و الاحسان إلى الناس و كل ما يندب إليه الشرع من المحسنات و المقبحات، و إن شئت قلت: المعروف اسم لكل فعل يعرف حسنه بالشرع و العقل يقول عليه السلام: بسطت لكم بساط المعروف بالأقوال و الأفعال (و أريتكم كرايم الأخلاق من نفسى) أى أوضحتها لكم و شاهدتموها منى متكرره.

و قد سئل الصادق عليه السلام عن مكارم الأخلاق فقال عليه السلام العفو عمن ظلمك، وصله من قطعك، و إعطاء من حرمك، و قول الحق و لو على نفسك.

و فى حديث آخر فى الكافى عن الصادق عليه السلام قال إن الله عزّ و جلّ خصّ رسله بمكارم الأخلاق فامتحنوا أنفسكم فان كانت فيكم فاحمدوا الله و اعلموا أنّ ذلك من خير و إلاّ- تكن فيكم فاسألوا الله و ارغبوا إليه فيها فذكرها عشره: اليقين و القناعه، و الصبر، و الشكر، و الحلم، و حسن الخلق، و السخاء، و الغيره، و الشجاعه، و المروه و فى الديوان المنسوب إليه عليه السلام

إنّ المكارم أخلاق مطهره فالدين أولها و العقل ثانيها

و العلم ثالثها و الحلم رابعها و الجود خامسها و الفضل سادسها

و البرّ سابعها و الصّبر ثامنها و الشكر تاسعها و اللين باقيها

و النفس تعلم أنّي لا أصادقها و لست أرشد إلاّ حين أعصيتها

و كيف كان فكونه عليه السّلام مبدء مكارم الأخلاق و منشأ محاسن الآداب مما لا ريب فيه بل ذلك غنيّ عن البيان، و لا بأس بالاشارة إلى بعض ما ورد في حسن خلقه و بشره و حلمه و عفوه و إشفاقه و عطفه صلوات الله عليه تيمنا و توضيحا.

ففي البحار من مناقب ابن شهر آشوب عن مختار التّمار عن أبي مطر البصرى أنّ أمير المؤمنين مرّ بأصحاب التّمر فاذا هو بجاريه تبكى فقال: يا جاريه ما يبكيك؟ فقالت:

بعثنى مولاي بدرهم فابتعت من هذا تمرا فأتيتهم به فلم يرضوه فلمّا أتيت به أبي أن يقبله، قال عليه السّلام: يا عبد الله أنّها خادم ليس لها أمر فاردد إليها درهمها و خذ التمر، فقام إليه الرّجل فلكره فقال النّاس هذا أمير المؤمنين عليه السّلام فربا الرّجل و اصفرّ و أخذ التمر و ردّ إليها درهمها، ثمّ قال يا أمير المؤمنين ارض عنى فقال: ما أرضانى عنك أن أصلحت أمرك.

و فى فضائل أحمد إذا وفيت النّاس حقوقهم(١) و دعا غلاما له مرارا فلم يجبه فخرج فوجده على باب البيت فقال عليه السّلام: ما حملك على ترك إجابتى؟ قال: كسلت اجابتك و أمنت عقوبتك، فقال عليه السّلام الحمد لله الذى جعلنى ممّن تأمنه خلقه امض فأنت حرّ لوجه الله.

و جاءه أبو هريره و كان تكلمّ فيه و أسمعته فى اليوم الماضى و سأله حوائجه فقضىها فعاتبه أصحابه على ذلك فقال عليه السّلام: إنّى لأستحيى أن يغلب جهله علمى و ذنبه عفوى و مسألته جودى.

و لما ادرك عمرو بن عبدود لم يضربه فوقعوا فى علىّ فردّ عنه حذيفه فقال النّبىّ صلّى الله عليه و آله: مه يا حذيفه فإنّ عليّا سيذكر سبب وقفته ثمّ إنّه ضربه فلما جاء سأله النّبىّ عن ذلك فقال عليه السّلام: قد كان شتم بى و تفل فى وجهى فخشيت أن أضربه بحظّ نفسى فتركته حتّى سكن ما بى ثمّ قتلته فى الله.

ص: ٢١٩

١- (١) - كذا فى الاصل و لعل قوله: اذا وفيت الناس حقوقهم، من تتمه الخبر السابق المصحح (١)

و كان عليه السّلام بشره دايم و ثغره باسم غيث لمن رغب و غياث لمن ذهب مآل الآمل و شمال الأرامل يتعطف على رعيته و يتصرّف على مشيته و يكفّه بحجّته و تكفيه بمهجته.

و نظر إلى امرئه على كتفها قربه ماء فأخذ منها القربه فحملها إلى موضعها و سألها عن حالها فقالت بعث عليّ بن أبي طالب زوجي إلى بعض الثغور فقتل و ترك عليّ صبيانا يتامى و ليس عندي شيء فقد ألجأتني الضّروره إلى خدمه الناس، فانصرف عليه السّلام و بات ليلته قلقا فلما اصبح حمل زنبلا فيه طعام فقال بعضهم: أعطني أحمله عنك، فقال عليه السّلام: من يحمل و زرى عنّي يوم القيامة فأتى و قرع الباب فقالت من هذا؟ قال: أنا ذلك العبد الذي حمل معك القربه فافتحى فإنّ معي شيئا للصّبيان فقالت: رضى الله عنك و حكم بيني و بين عليّ بن أبي طالب، فدخل و قال: إنّي أحببت اكتساب الثواب فاخترى بين أن تعجنين و تخبزين و بين أن تعللين الصبيان لأخبز أنا فقالت أنا بالخبز أبصر و عليه أقدر و لكن شأنك و الصّبيان فعلمهم حتّى أفرغ من الخبز.

قال: فعمدت إلى الدّقيق فعجنه و عمد عليّ عليه السّلام إلى اللّحم فطبخه و جعل يلقم الصّبيان من اللّحم و التمر و غيره، فكلّما ناول الصّبيان من ذلك شيئا قال له: يا بنى اجعل عليّ بن أبي طالب في حلّ ممّا أمر في أمرك فلما اختمر العجين قالت:

يا عبد اللّهِ اسجر الثّور، فبادر عليه السّلام بسجّره فلما أشعله و لقح في وجهه يقول: ذق يا عليّ هذا جزء من ضيّع الأرامل و اليتامى، فرأته امرأه تعرفه عليه السّلام، فقالت:

ويحك هذا أمير المؤمنين عليه السّلام، قال: فبادرت المرأه و هى تقول و احيائى منك يا أمير المؤمنين، فقال عليه السّلام بل و احيائى منك يا أمه الله فيما قصرت في أمرك.

ثمّ إنّه عليه السّلام بعد ما أشار إلى جملة من فضايله و مناقبه أردفه بقوله: (فلا تستعملوا الرّأى فيما لا يدرك قعره البصر و لا يتغلغل) اى لا يسرع و لا يدخل (إليه الفكر) و المقصود بذلك النهى عن استعمال الرّأى فيما ذكره عليه السّلام من خصائص العتره الطّاهره و عجائب ما خصّهم الله به من الأنوار الباهره.

يقول عليه السّلام إنّ أمرنا صعب لا يهتدى إليه العقول و الأنظار، و لا تدرك قعره الأبصار، و لا تغلغل فيه الأفكار، فلا يجوز المبادره إلى ردّ ما تأبى عنه العقول و الأفهام فى حقّهم عليهم السّلام، فإنّ حديثهم صعب مستصعب لا يحتمله إلا ملك مقرب أو نبيّ مرسل أو عبد مؤمن امتحن الله قلبه للايمان.

تنبيه

لما كان هذا الفصل من كلامه عليه السّلام مسوقا لظهار مناقب الآل و مشتملا على فضائل العتره الطاهرين سلام الله عليهم أجمعين أحببت أن أورد هنا شطرا من كراماتهم و معجزاتهم و عجائب شئوناتهم المرويّه بالأسانيد الغريبه.

فمنها

ما فى المجلّد التاسع من البحار

وجاده فى بعض الكتب قال: حدّثنا محمّد بن زكريا العلا قال: حدّثنا محمد بن الحسن الصيّفار المعروف بابن المعافا عن وكيع عن زاذان عن سلمان الفارسى رضى الله عنه قال:

كنا مع مولانا أمير المؤمنين فقلت يا أمير المؤمنين أحبّ أن أرى من معجزاتك شيئا، قال صلوات الله عليه: أفعل إن شاء الله عزّ و جلّ، ثمّ قام و دخل منزله و خرج إلّى و تحته فرس أدهم و عليه قباء أبيض و قلنسوه بيضاء، ثمّ نادى يا قنبر اخرج إلّى ذلك الفرس فأخرج فرس آخر أدهم فقال عليه السّلام اركب يا با عبد الله.

قال سلمان: فركبته فاذا له جناحان ملتصقان إلى جنبه قال: فصاح به الامام صلوات الله عليه فتعلّق فى الهواء و كنت أسمع خفيف أجنحه الملائكه و تسييحها تحت العرش، ثمّ خطونا على ساحل بحر عجاج مغطمط (١) الأمواج فنظر إليه الامام شزرا فسكن البحر من غليانه فقلت له: يا مولاي سكن البحر من غليانه من نظرك إليه، فقال صلوات الله عليه: يا سلمان خشى أن أمر فيه بأمر.

ثمّ قبض على يدي و سار على وجه الماء و الفرسان تتبعان لا يقودهما أحد، فو الله ما ابتلت أقدامنا و لا حوافر الخيل.

ص: ٢٢١

قال سلمان: فعبّرنا ذلك البحر فدفعنا إلى جزيره كثيره الأشجار و الأثمار و الأطيار و الأنهار، و إذا شجره عظيمه بلا صدع و لا زهر فهزّها صلوات الله عليه بقضيب كان في يده فانشقت و خرج منها ناقة طولها ثمانون ذراعاً و عرضها أربعون ذراعاً و خلفها قلوب فقال صلوات الله عليه: ادن منها و اشرب من لبنها.

قال سلمان: فدنوت منها و شربت حتى رويت و كان لبنها أعذب من الشهد و ألين من الزبد و قد اكتفيت قال صلوات الله عليه: هذا حسن يا سلمان، فقلت:

مولاي حسن؛ فقال: صلوات الله عليه تريد أن اريك ما هو أحسن منه؟ قلت: نعم يا أمير المؤمنين.

قال سلمان: فنأدى مولاي أمير المؤمنين اخرجني يا حسناء قال: فخرجت ناقة طولها عشرون و مائه ذراع و عرضها ستون ذراعاً و رأسها من الياقوت الأحمر و صدرها من العنبر الأشهب و قوائمها من الزبرجد الأخضر و زمامها من الياقوت الأصفر و جنبها الأيمن من الذهب و جنبها الأيسر من الفضة و عرفها من اللؤلؤ الرطب فقال صلوات الله عليه يا سلمان اشرب من لبنها.

قال سلمان: فالتقت الصرع فاذا هي تحلب عسلاً صافياً مخلصاً، فقلت يا سيدي هذه لمن؟ قال عليه السلام: لك و لك و لسائر الشيعة من أوليائي، ثم قال ارجعي إلى الصيخره و رجعت من الوقت و ساربي في تلك الجزيره حتى ورد بي إلى شجره عظيمه عليها طعام يفوح منه رائحة المسك فاذا بطاير في صورته النسرة العظيم.

قال سلمان رضي الله عنه: فوثب ذلك الطائر فسلم عليه صلوات الله عليه و رجع إلى موضعه فقلت: يا أمير المؤمنين ما هذه المائدة؟ فقال عليه السلام: هذه منصوبه في هذا المكان للشيعة من موالئ إلى يوم القيامة فقلت: ما هذا الطائر؟ قال صلوات الله عليه: ملك موكل بها إلى يوم القيامة فقلت: وحده يا سيدي، فقال عليه السلام:

يجتاز به الخضر عليه السلام في كل يوم مره.

ثم قبض عليه السلام على يدي و سار إلى بحرثان فعبّرنا و إذا جزيره عظيمه فيها

قصر لبنه من ذهب و لبنه من فضه بيضاء شرفها من عقيق أصفر و على كل ركن من القصر سبعون صفا من الملائكة فأتوا و سلموا، ثم اذن لهم فرجعوا إلى مواضعهم.

قال سلمان رحمه الله تعالى: ثم دخل أمير المؤمنين عليه السلام القصر فاذا أشجار و أثمار و أنهار و أطيار و ألوان النبات فجعل الامام عليه السلام يمشى فيه حتى وصل إلى آخره فوقف عليه السلام على برکه كانت في البستان ثم صعد إلى قصر فاذا كرسي من الذهب الأحمر فجلس عليه صلوات الله عليه و أشرفنا على القصر فاذا بحر أسود يغطمط أمواجه كالجبال الراسيات، فنظر صلوات الله عليه شزرا فسكن من غليانه حتى كان كالمذنب.

فقلت: يا سيدي سكن البحر من غليانه لما نظرت إليه فقال عليه السلام خشى أن أمر فيه بأمر أتدرى يا سلمان أي بحر هذا؟ فقلت: لا يا سيدي، فقال:

هذا الذي غرق فيه فرعون و ملائه المذنبه حملها جناح جبرئيل عليه السلام ثم زجها في هذا البحر فهو يهوى لا يبلغ قراره إلى يوم القيامة.

فقلت يا أمير المؤمنين هل سرنا فرسخين؟ فقال عليه السلام: يا سلمان سرت خمسين ألف فرسخ و درت حول الدنيا عشر مرّات.

فقلت: يا سيدي و كيف هذا؟ قال عليه السلام إذا كان ذو القرنين طاف شرقها و غربها و بلغ إلى سدّ يأجوج و مأجوج فأنا يتعذر عليّ و أنا أمير المؤمنين و خليفه رب العالمين، يا سلمان أما قرأت قول الله عزّ و جلّ حيث يقول:

«عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا إِلَّا -مَنْ أَرْتَضَى مِنْ رُسُولٍ» فقلت: بلى يا أمير المؤمنين فقال عليه السلام: أنا ذلك المرتضى من الرسول الذي أظهره الله عزّ و جلّ على غيبه أنا العالم الربانيّ أنا الذي هوّن الله له الشدايد فطوى له البعيد.

قال سلمان رضى الله عنه: فسمعت صائحا يصيح في السماء أسمع الصوت و لا أرى الشخص و هو يقول: صدقت صدقت أنت الصادق المصدّق صلوات الله عليك.

قال: ثم نهض صلوات الله عليه فركب الفرس وركبت معه و صاح بهما فطارا في الهواء ثم خطونا على باب الكوفة هذا كله و قد مضى من الليل ثلاث ساعات.

فقال صلوات الله عليه لى: يا سلمان الويل كل الويل لمن لا يعرفنا حق معرفتنا و أنكر ولايتنا أيما أفضل محمد صلى الله عليه و آله و سلم أم سليمان عليه السلام؟ قلت: بل محمد صلى الله عليه و آله ثم قال عليه السلام: فهذا آصف بن برخيا قدر أن يحمل عرش بلقيس من فارس بطرفه و عنده علم من الكتاب و لا أفعل أنا ذلك و عندي مائة كتاب و أربعة و عشرون كتابا أنزل الله تعالى على شيث بن آدم عليه السلام خمسين صحيفه، و على إدريس النبي عليه السلام ثلاثين صحيفه، و على إبراهيم عليه السلام عشرين صحيفه، و التوراه، و الانجيل، و الزبور و الفرقان.

فقلت: صدقت يا أمير المؤمنين هكذا يكون الامام صلوات الله عليه، فقال عليه السلام إن الشاك في أمورنا و علومنا كالمتمترى في معرفتنا و حقوقنا، قد فرض الله عز و جل في كتابه في غير موضع، و بين فيه ما وجب العمل به، و هو غير مكشوف.

و منها

ما فيه أيضا من الكتاب المذكور

قال: روى الاصمعي بن نباته قال: كنت يوما مع مولانا أمير المؤمنين عليه السلام إذ دخل عليه نفر من أصحابه منهم أبو موسى الأشعري و عبد الله بن مسعود و أنس بن مالك و أبو هريره و المغيرة بن شعبه و حذيفه ابن اليمان و غيرهم، فقالوا: يا أمير المؤمنين أرنا شيئا من معجزاتك التي خصك الله بها.

فقال عليه السلام: ما أنتم و ذلك و ما سؤلكم عما لا ترضون به؟ و الله تعالى يقول و عزّتى و جلالى و ارتفاع مكانى إننى لا اعدّب أحدا من خلقى إلا بحججه و برهان و علم و بيان، لأنّ رحمتى سبقت غضبى و كتبت الرحمه على فأنا الرّاحم الرّحيم و الودود العلى، و أنا المّنان العظيم، و أنا العزيز الكريم، فاذا أرسلت رسولا- أعطيته برهانا و أنزلت عليه كتابا فمن آمن بى و برسولى فأولئك هم المفلحون الفائزون

و من كفر بى و برسولى فأولئك هم الحاسرون الذين استحقوا عذابى؛ فقالوا:

يا أمير المؤمنين نحن آمنّا بالله و برسوله و توكلنا عليه.

فقال على عليه السّلام اللهم اشهد على ما يقولون و أنا العليم الخبير بما يفعلون، ثمّ قال: قوموا على اسم الله و بركاته، قال: فقمنا معه حتّى أتى بالجبانه و لم يكن فى ذلك الموضع ماء قال: فنظرنا فاذا روضه خضراء ذات ماء، و إذا فى الروضه غدردان و فى الغدردان حيتان، فقلنا و الله إنّها لدلاله الامامه فأرنا غيرها يا أمير المؤمنين و إلّا قد أدركنا بعض ما أردنا.

فقال عليه السّلام: حسبى الله و نعم الوكيل ثمّ أشار عليه السّلام بيده العليا نحو الجبانه فاذا قصور كثيره مكّله بالدّرّ و الياقوت و الجواهر و أبوابها من الرّبرجد الأخضر و إذا فى القصور حور و غلمان و أنهار و أشجار و طيور و نبات كثير، فبقينا متحيرين متعجبين و إذا وصايف و جوارى و ولدان و غلمان كاللؤلؤ المكنون فقالوا: يا أمير المؤمنين لقد اشتدّ شوقنا إليك و إلى شيعتك و أوليائك، فأوما إليهم بالسّكون.

ثمّ ركض الأرض برجله عليه السّلام فانفلقت الأرض من منبر من ياقوت أحمر فارتقى إليه فحمد الله و أثنى عليه و صلّى على نبيه صلّى الله عليه و آله.

ثمّ قال عليه السّلام: عمّضوا أعينكم فغمضنا أعيننا فسمعنا حفيف أجنحه الملائكه بالتّسبيح و التّهليل و التّحميد و التعظيم و التقديس، ثمّ قاموا بين يديه قالوا: مرنا بأمرك يا أمير المؤمنين و خليفه ربّ العالمين صلوات الله عليك.

فقال عليه السّلام يا ملائكه ربّى ائتوني بابليس الأبالسه و فرعون الفراعنه قال: فو الله ما كان بأسرع من طرفه عين حتّى أحضروه عنده فقال عليه السّلام: ارفعوا أعينكم، قال: فرفعنا أعيننا و نحن لا نستطيع أن ننظر إليه من شعاع نور الملائكه، فقلنا: يا أمير المؤمنين الله الله فى أبصارنا فما ننظر شيئاً البته و سمعنا صلصلة السّلاسل و اصطكاك الاغلال و هبت ريح عظيمه فقالت الملائكه يا خليفه الله زد الملعون لعنه و ضاعف عليه العذاب فقلنا يا أمير المؤمنين الله الله فى أبصارنا و مسامعنا فو الله ما نقدر على احتمال هذا السّر و القدر قال: فلمّا

جرّه بين يديه قام وقال واويلاه من ظلم آل محمّد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ و اويلاه من اجترأى عليهم ثم قال: يا سيدي ارحمني فاني لا- أحتمل هذا العذاب فقال عليه السّلام: لا- رحمك الله و لا- غفر لك أيها الرجس النّجس الخبيث المخبث الشّيطان.

ثم التفت عليه السّلام إلينا وقال: تعرفون هذا باسمه و حسبه؟ قلنا: نعم يا أمير المؤمنين فقال: سلوه حتّى يخبركم من هو، فقالوا: من أنت؟ فقال: أنا إبليس الأبالسه و فرعون هذه الأمه، أنا الّذى جحدت سيدي و مولاي أمير المؤمنين و خليفه ربّ العالمين و أنكرت آياته و معجزاته.

ثم قال أمير المؤمنين: غمّضوا أعينكم فغمضنا، فتكلّم عليه السّلام بكلام أخفى فاذا نحن فى الموضوع الذى كنا فيه لا قصور و لا ماء و لا غدران و لا أشجار.

قال الاصبغ بن نباته رضى الله عنه: و الّذى أكرمنى بما رأيت من تلك الدلائل و المعجزات ما تفرّق القوم حتّى ارتابوا و شكّوا و قال بعضهم: سحر و كهانه و افك فقال أمير المؤمنين: إنّ بنى إسرائيل لم يعاقبوا و لم يمسخوا إلاّ بعد ما سألوا الآيات و الدّلالات فقد حلّت عقوبه الله بهم و الآن حلّت لعنته فيكم و عقوبته عليكم، قال الأصبغ بن نباته رضى الله عنه: إننى أيقنت أنّ العقوبه حلّت بتكذيبهم الدّلالات و المعجزات.

و منها

ما فى المجلد السّابع من البحار

من كتاب الاختصاص عن ابن أبى الخطاب عن موسى بن سعدان عن حفص الأبيض التمار قال: دخلت على أبى عبد الله عليه السّلام أيام قتل المعلّى بن خنيس و صلبه (ره) فقال عليه السّلام: يا حفص إننى أمرت لمعلّى بن خنيس بأمر فخالفتنى فابتلى بالحديد:

إننى نظرت إليه يوما و هو كئيب حزين فقلت مالك يا معلّى كأنك ذكرت أهلك و مالك و عيالك؟ فقال: أجل فقلت: ادن منى فدنى منى فمسحت وجهه فقلت: أين تراك؟ فقال: أرانى فى بيتى هذا زوجتى و هؤلاء ولدى فتركته حتّى تملأ منهم و استترت منه حتّى نال ما ينال الرّجل من أهله.

ثم قلت له: ادن مني، فمسحت وجهه فقلت أين تراك؟ فقال: أراني معك بالمدينة وهذا بيتك فقلت له: يا معلى إن لنا حديثاً من حفظه علينا حفظه الله عليه دينه و دنياه، يا معلى لا تكونوا اسراء في أيدي الناس بحديثنا إن شاءوا منوا عليكم و إن شاءوا قتلوكم، يا معلى إن من كتم الصَّعب من حديثنا جعله الله نورا بين عينيه و رزقه الله العزّه في النَّاس، و من أذاع الصَّعب من حديثنا لم يمت حتّى يعضه السَّلاح أو يموت بخيل، يا معلى فأنت مقتول فاستعدّ.

و منها

ما فيه من الخرائج

قال: روى أبو القاسم بن قولويه عن محمّد بن يعقوب عن محمّد بن إدريس عن محمّد بن حسان عن عليّ بن خالد قال: كنت بالعسكر فبلغني أنّ هناك رجلاً محبوساً أتى من ناحية الشام مكبولاً و قالوا: إنّه تبتاً، فأتيت الباب و داريت البوابين حتّى وصلت إليه فاذا رجل له فهم و عقل فقلت له: ما قصّتك؟ قال:

إنّي كنت بالشَّام أعبد الله في الموضع الذي يقال إنّه نصب فيه رأس الحسين عليه السَّلام، فبينما أنا ذات ليلة في موضعي مقبل على المحراب أذكر الله إذ نظرت شخصاً بين يدي فنظرت إليه، فقال لي: قم، فقمتم معه فمشى بي قليلاً فاذا أنا في مسجد الكوفة قال: أتعرف هذا المسجد؟ قلت: نعم هذا مسجد الكوفة فصلى و صلّيت معه ثم خرج و خرجت معه فمشى بي قليلاً و إذا نحن بمسجد الرّسول صلى الله عليه و آله و سلّم، فسلم على رسول الله صلى الله عليه و آله و سلّم و سلّمت و صلّيت معه، ثم خرج و خرجت معه فمشى بي قليلاً و إذا نحن بمكّه و طاف بالبيت فطفتم معه فخرج و مشى بي قليلاً فاذا أنا في موضعي الذي كنت أعبد الله فيه بالشَّام و غاب الشخص عن عيني فتعجّبت ممّا رأيت.

فلما كان في العام المقبل رأيت ذلك الشخص فاستبشرت به و دعاني فأجبتّه و فعل كما فعل في العام الأوّل فلما أراد مفارقتي بالشَّام قلت: سألتك بالذي أقدرك على ما رأيت من أنت؟ قال:

أنا محمّد بن عليّ بن موسى بن جعفر، فحدّثت من كان يصير إليّ بخبره

ص: ٢٢٧

فرقى ذلك إلى محمّد بن عبد الملك الزيات فبعث إلى فاجلدني و كبلني في الحديد و حملني إلى العراق و حبست كما ترى و ادعى على المحال فقلت: أرفع عنك القصة إليه؟ قال: ارفع فكتبت عنه قصّيته شرحت امره فيها و دفعتها إلى الزيات فوقّع في ظهرها: قل للذي أخرجك من الشّام في ليله إلى الكوفة إلى المدينة إلى مكة أن يخرجك من حبسى.

قال عليّ بن خالد: فغمّنى ذلك من أمره و رققت له و انصرفت محزونا فلّما أصبحت باكرت الحبس لاعلمه بالحال و أمره بالصبر و العزاء فوجدت الجند و الحراس و صاحب السجن و خلقا كثيرا من النّاس يهرعون، فسألته عنهم و عن الحال فقيل إنّ المحمول من الشام المتنبى فقد البارحة من الحبس فلا يدرى خسف به الأرض أو اختطفته الطير و كان هذا المرسل أعنى عليّ بن خالد زيديّا فقال بالامامه، و حسن اعتقاده.

و منها

حديث البساط المعروف

و رويته من نسخه قديمه عندي قال الزّاوى: خبر من خزانة مولانا مفترض الطاعة على الخلق أجمعين أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السّلام.

حدّثنا أبو عبد الله بن زكريّا عن ابن جوهر بن الأسود عن محمّد بن سابغ يرفعه إلى سلمان الفارسي (رض) أنّه قال:

كنا جلوسا عند مولانا أمير المؤمنين عليه السّلام ذات يوم أنا و ولديه الحسن و الحسين عليهما السّلام و محمّد بن حنفيه و محمّد بن أبي بكر و عمّار بن ياسر و مقداد بن أسود الكندي فاذا التفت إليه الحسن عليه السّلام و قال: يا أمير المؤمنين إنّ سليمان بن داود قال: فهب لي من لدنك ملكا لا ينبغي لأحد من النّاس و أعطاه الله تعالى ذلك، فهل ملكت شيئا من ملك سليمان؟ فقال له أمير المؤمنين: و الذي فلق الحبه و برء التّسمه لقد ملك أبو ك ملكا لا يملك أحد قبله و لا بعده، فقال الحسن عليه السّلام: إنّنا نحبّ أن ننظر مما ملكه الله إيّاك من الملكوت ليزداد النّاس إيمانهم.

فقال عليه السّلام: نعم وكرامه وقام و صلى ركعتين ثم ذهب إلى صحن داره و نحن نراه، فمدّ يده نحو المغرب حتّى بان لنا من كفه سحابه و هو يمدّها حتّى أوقفها على الدّار، و إلى جانب تلك السحابه سحابه أخرى، ثم أشار إلى ريح و قال اهبطى الينا أيّتها الرّيح فو الله العظيم لقد رأينا السّحاب و الرّيح قد هبطا يقولان:

نشهد أن لا إله إلاّ الله وحده لا شريك له و نشهد أنّ محمّدا عبده و رسوله و نشهد أنّك وصيّ رسول كريم محمّد رسول الله و أنت وليه، من شكّ فيك فقد هلك و من تمسّك بك فقد سلك سبيل النّجاه.

ثم تطاطات السّحابتان حتّى صارتا كأنهما بساطان و راثتهما كالمسك الأذفر فقال لنا أمير المؤمنين عليه السّلام: اجلسوا على الغمام فجلسنا و أخذنا مواضعنا.

ثم قال سلمان: إنّ أمير المؤمنين قال: أيّتها الرّيح ارفعي، فرفعتنا رفعا رفيعا فاذا نحن و أمير المؤمنين فى تلك على كرسيّ من نور و عليه ثوبان أصفران و على رأسه تاج من ياقوته صفراء و فى رجليه شراك من ياقوت يتلألأ و فى يده خاتم من درّه بيضاء يكاد نور وجهه يذهب الأبصار.

فقال له: يا أبتاه إنّ سليمان بن داود كان يطاع بخاتمه و أمير المؤمنين عليه السّلام بما ذا يطاع؟ فقال عليه السّلام يا ولدى أنا وجه الله، و عين الله، و لسان الله، و أنا وليّ الله، و أنا نور الله، و أنا كنز الله فى الأرض، و أنا القدره المقدّره، و أنا الجنّه و النّار، و أنا سيّد الفريقين.

يا ولدى أتحبّ أن اريك خاتم سليمان بن داود؟ قال: نعم، فأدخل يده تحت ثيابه و استخرج خاتما عليه فصّ من ياقوت مكتوب عليها أربعه أسطر، و قال:

هذا و الله خاتم سليمان بن داود.

قال سلمان: فبقينا متعجّبا من ذلك فقال عليه السّلام من أىّ تعجبون و ما هذا العجب إنّى لأريناكم اليوم ما لم يره أحد قبلى إلى بعدى.

فقال الحسن عليه السّلام: يا أمير المؤمنين إنّنا نحبّ أن ترينا يأجوج و مأجوج و السّد فقال عليه السّلام: للرّيح سيرى، فقال سلمان: فو الله لّمّا سمعت الرّيح قوله دخلت تلك

السَّحَابِ وَرَفَعْنَا إِلَى الْهَوَاءِ حَتَّى أَتَيْنَا إِلَى جَبَلٍ شَامِخٍ فِي الْهَوَاءِ وَعَلَيْهِ شَجْرُهُ جَافُهُ وَتَسَاقُطُ أَوْرَاقُهَا فَقُلْنَا: مَا بَالُ هَذِهِ الشَّجْرَةِ قَدْ جَفَّتْ وَمَاتَتْ، قَالَ: سَلَوْهَا فَانْهَارَتْ فَخَبَّرْنَا فَقَالَ الْحَسَنُ عَلَيْهِ السَّلَامُ: مَا بَالُكَ أَتَيْتَ الشَّجْرَةَ قَدْ حَلَّ بِكَ مَا نَرَاهُ مِنْكَ؟ فَمَا أَجَابَتْ، فَقَالَ لَهَا أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ: بِحَقِّي عَلَيْكَ أَتَيْتَ الشَّجْرَةَ أَجِبْهُمْ.

قال سلمان: فو الله لقد سمعناها و هي تقول لبيك لبيك يا وصي رسول الله و خليفته من بعده حقاً، فقال للحسن: يا با محمد إن أباك أمير المؤمنين يجيئني في كل ليلة و يسبح عندي لله عز و جل و يستظل بي فاذا فرغ من تسبيحه جائته غمامه بيضاء تفوح منها مسك و عليها كرسى فيجلس عليها ثم يسير به فلا أراه إلى وقته ذلك، و كان يتعاهدني كل ليلة و كنت أعيش من رائحته فقطعني منذ أربعين ليلة لم أعرف له خبراً و الذي تراه مني ممّا أنكرته من فقدته و الغمّ و الحزن فاسأله يا سيدي حتى يتعاهدني بجلوسه عندي فقد عشت من رائحته في هذا الوقت و بنظري إليه، قال: فبقينا متعجبين من ذلك فقام عليه السلام و مسح يده المباركة عليها قال سلمان: و الله الذي نفسي بيده لقد سمعت لها أنينا و أنا أراه و هي تخضر حتى أنبتت ورقاً و أنثرت بقدرة الله عز و جل و بركاته عليه السلام، فأكلنا فكانت أحلى من السكر، فقلنا: يا أمير المؤمنين هذا عجب فقال عليه السلام الذي ترون بعدها أعجب ثم عاد عليه السلام إلى موضعه و قال للريح: سيري بنا، فدخلت الريح تحت السحابة و رفعتنا حتى رأينا الدنيا بمثل دور الرأس و رأينا في الهواء ملكاً رأسه تحت الشمس و رجلاه في قعر البحور و يده في المغرب و الأخرى في المشرق فلما خبرنا به قال: لا إله إلا الله وحده لا شريك له و أشهد أن محمداً عبده و رسوله و أنك وصيه حقاً لا شك فيك و من شك فيك فهو كافر.

فقلنا: يا أمير المؤمنين من هذا الملك و ما بال يده في المغرب و أخرى في المشرق؟ فقال عليه السلام أنا أقمته باذن الله ههنا و كلته بظلمات الليل و ضوء النهار و لا يزال كذلك إلى يوم القيامة و إنني أدبر أمر الدنيا و أصنع ما أريد باذن الله و أمره و اعمال الخلائق إليّ و أنا أدفعها إلى الله عز و جل.

ثم سار بنا حتى وقفنا على أجوج و مأجوج؛ فقال عليه السّلام للريح اهبطي تحت هذا الجبل و أشار بيده إلى جبل شامخ إلى قرب السّد ارتفاعه مدّ البصر و إذا به سواد كانه قطعه ليله يفور منه دخان فقال عليه السّلام: يا با محمّد أنا صاحب هذا السّد على هؤلاء العبد.

فقال سلمان: فرأيتهم ثلاثة أصناف: صنف طوله مائة و عشرون ذراعا من عرض ستّين ذراعا، و الصّنف الثّاني طوله مائة و سبعون ذراعا من عرض ثمانين ذراعا، و الصّنف الثّالث أحدهم يفرش اذنه تحته و الأخرى فوقه.

ثمّ قال للريح: سيرى بنا إلى قاف فسارت بنا إلى جبل من ياقوته خضراء و هو محيط بالدّنيا و عليه ملك في صورته بنى آدم و هذا الموكل بقاف فلما نزل الملك إلى أمير المؤمنين عليه السّلام قال تريد أن تسألني أن آذن لك فقد أذنت فأسرع الملك و قال: بسم الله الرّحمن الرّحيم ثمّ طار.

قال سلمان و طفنا في ذلك حتى انتهينا إلى شجرة جافه من الشجرة الأولى فقلنا: يا أمير المؤمنين ما بال هذه الشجرة قد ماتت؟ فقال سلوها قال الحسن عليه السّلام: و قمت و دنوت أنا و أبي عليه السّلام و قلت لها اقسمت عليك بحقّ أمير المؤمنين أن تخبرينا ما بالك و أنت في هذا المكان قال سلمان: فكلمت بلسان طلق و هي تقول:

يا با محمّد إنّي كنت أفتخر على الأشجار فصارت الأشجار تفتخر عليّ و ذلك أنّ أباك كان يجيئني في كلّ ليله عند الثّلاث الأوّل من اللّيل يستظلّ بي ساعه ثمّ يأتيه فرس أدهم فيركبه و يمضى فلا- أراه إلى وقته و كنت أعيش من رائحته و أفتخر به فقطعني منذ أربعين ليله فغمّني ذلك فصرت كما ترى.

فقلنا: يا أمير المؤمنين اسأل الله في ردّها كما كانت فمسح يده المباركه ثمّ قال: يا شاه شاهان فسمعنا لها أنينا و هي تقول أشهد أنّك أمين هذه الأمّه و وصّى رسول الله من تمسّك بك فقد نجا و من خالفك فقد غوى، ثمّ اخضرت و اورقت فجلسنا تحتها و هي خضره نصره.

فقلنا اين ذهب هذا الملك الموكل بقاف؟ قال عليه السّلام: إلى زياره الملك الموكل

على ظلمات الليل و ضوء النهار فقلنا يا أمير المؤمنين ما يزالون عن مواضعهم إلا باذنك؟ فقال عليه السلام: و الذى رفع السماء
بغير عمد ما أظن أحدا يزول عن موضعه بغير إذنى إلا احترق.

فقلنا: يا أمير المؤمنين كنت معنا جالسا فى منزلك فأى وقت كنت فى قاف؟ فقال عليه السلام لنا: غمضوا أعينكم فغمضناها ثم
قال عليه السلام: افتحوها، ففتحنها فاذا نحن قد بلغنا مكه، فقال عليه السلام: لقد بلغنا و لم يشعر أحد فكذلك كنت بقاف و لم
يشعر أحد منكم.

فقلنا: يا أمير المؤمنين هذا العجب من وصى رسول الله فقال: و الله إننى أملك من الملكوت ما لو عاينتموه لقلتم أنت أنت،
و أنا أنا و أنا عبد الله مخلوق من الخلاق آكل و أشرب.

ثم أتينا إلى روضه نضره كأنها من رياض الجنة فاذا نحن بشاب يصلّى بين قبرين، فقلنا يا أمير المؤمنين من هذا الشاب؟ فقال
أخى صالح و هذان قبر أبويه يعبد الله بينهما، فلما نظر إلينا صالح أتى إلى أمير المؤمنين عليه السلام و هو يبكى، فلما فرغ من
بكائه فقلنا ممّا تبكى؟ فقال: إن أمير المؤمنين كان يمرّ بى كلّ يوم عند الصّبح و كنت آنس به و أزداد فى العباده فقطعنى منذ
أربعين يوما فأهمّنى ذلك و لم أملك من شدّه شوقى إليه و أصابنى ما تراه، فقلنا: يا أمير المؤمنين هذا هو العجب من كلّ ما
رأينا أنت معنا فى كلّ يوم و تأتى إلى هذا الفتى.

فقال عليه السلام: أتحبّون أن ارينكم سليمان بن داود؟ فقلنا: نعم، فقام عليه السلام و قمنا معه فمشينا حتى دخلنا إلى بستان لم نر
قطّ مثله و فيه من جميع الفاكهه و الأنهار تجرى و الأطيّار تتغنّى، فلما نظرت الأطيّار إلى أمير المؤمنين عليه السلام جعلت تظللّ
على رأسه.

فاذا نحن بسرير عليه شابّ ملقى على ظهره و ليس فى يده خاتم و عند رأسه ثعبان و عند رجله ثعبان فلما نظرا إلى أمير
المؤمنين عليه السلام انكبا على قدميه يمرغان و جوههما على التراب ثم صارا كالتراب فقلنا:

يا أمير المؤمنين هذا هو سليمان؟ قال: نعم و هذا خاتمه ثم اخرج من يده الخاتم و جعله فى يد سليمان ثم قال: قم يا سليمان باذن من يحيى العظام و هى رميم و هو الله الذى لا إله إلا هو الحى القيوم القهار رب السماوات و الأرضين ربى و رب آبائنا الأولين.

قال سلمان: فسمعنا سليمان يقول: أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له و أشهد أن محمدا عبده و رسوله أرسله بالهدى و دين الحق ليظهره على الدين كله و لو كره المشركون، و أشهد أنك وصى رسول الله الأمين الهادى، و إننى سألت ربى عز و جل أن أكون من شيعتك و لو لا ذلك ما ملكت شيئا.

قال سلمان: فلما سمعت ذلك و ثبت و قبلت أقدام أمير المؤمنين عليه السلام ثم نام سليمان و قمنا ندور فى قاف فسألته ما وراء قاف؟ فقال عليه السلام وراءه أربعين دنيا كل دنيا مثل الدنيا التى جئنا أربعين مره، فقلت له: يا أمير المؤمنين كيف علمك بذلك؟ قال عليه السلام: كعلمى بهذه الدنيا و من فيها و بطرف السماوات و الأرضين.

يا سلمان كتبت على الليل فأظلم، و على النهار فأضاء، أنا المحنة الواقعة على الأعداء الطامه الكبرى، أسماؤنا كتبت على العرش حتى استند، و على السماوات فقامت، و كتبت على الأرض فسكنت، و على الرياح فذرت، و على البرق فلمع، و على النور فسطع، و على الرعد فخشع، و أسماؤنا مكتوبه على جبهه اسرافيل الذى جناحه فى المشرق و المغرب و هو يقول: سبوح قدوس رب الملائكه و الروح.

ثم قال عليه السلام لى اغمضوا أعينكم فغمضنا ثم قال عليه السلام: افتحوها ففتحنا فاذا نحن بمدينة لم نر أكبر منها و إذا الأسواق بايره و أهلها قوم لم نر أطول منهم خلقا كل واحد كالنخله، فقلنا من هؤلاء القوم فما رأينا أعظم منهم خلقا؟ قال عليه السلام:

هؤلاء قوم عاد و هم كفار لا يؤمنون بيوم الميعاد و بمحمد صلى الله عليه و آله و سلم، فأحببت أن ارينكم إياهم فى هذا الموضع و لقد مضيت بقدره الله تعالى، و اقتلعت مدينتهم و هى مداين الشرق و أتيتكم بها و أنتم لا تشعرون، و أحببت أن أقاتل بين يديكم.

ثمّ دنا منهم فدعاهم إلى الايمان فأبوا فحمل عليه السّلام عليهم و حملوا عليه و نحن نراهم و لا يرونا فتباعد عنهم و دنا منا فمسح يده عليه السّلام على أبداننا و قلوبنا و قال:

ثبتوا على الايمان ثمّ مشى إليهم و دعاهم ثانيه إلى الايمان و نحن نراهم فأبوا ثمّ زعق زعقه.

قال سلمان: فوالله نفسي بيده لقد ظننت أنّ الأرض قد انقلبت و الجبال قد تدكدكت و رأيتهم صرعى كأعجاز نخل خاويه قال: لا اضعف ايمانكم.

قال لنا أتحبون أن ارينكم ما هو أعجب من هذا؛ فقلنا: يا أمير المؤمنين مالنا قوه و الحمد لله الذي هدانا لهذا و ما كنا لنهتدى لو لا أن هدانا الله، فعلى من لا يؤمن بك لعنه الله و لعنه الملائكه و النّاس أجمعين.

ثمّ صاح عليه السّلام بالغمامه فاذا هي قد أقبلت فقال اجلسوا على السحابه فجلسنا و جلس هو على الأخرى ثمّ تكلم بما لم نفهمه فما استتمّ كلامه حتّى طارت بنا فى الهواء، ثمّ رفعتنا حتى رأينا الدّنيا مثل دور الدراهم ثمّ حططنا دار أمير المؤمنين على عليه السّلام فى أقلّ من طرفه عين و أنزلنا و المؤذّن يؤذّن للظّهر و كنا مضيينا عند طلوع الشمس، فقلنا هذا هو العجب كنا فى قاف و قطعنا و رجعنا فى خمس ساعات، فقال أمير المؤمنين لو أردت أطوف بكم الدّنيا و جميع السماوات و الأرض فى أقلّ من مدّ البصر لفعلت بقدره الله تعالى و جلاله و برکه رسوله صلّى الله عليه و آله و سلّم و أنا وصيّيه و لكنّ أكثر النّاس لا يعلمون.

فقال سلمان: قلنا: لعن الله من جحدك و غضب حقّك و ضاعف عليهم العذاب الأليم و جعلنا ممّن لا يفارق منك ساعه فى الدّنيا و الآخره بمحمّد و آله عليهم السّلام.

أقول: و رواه المحدث العلامة المجلسى طاب ثراه فى المجلّد السابع من البحار من كتاب المحتضر للشيخ حسن بن سليمان من كتاب منهج التحقيق إلى سوء الطريق لبعض علماء الاماميه باسناده عن سلمان الفارسى نحو ما روينا و قال بعد ما أورده:

أقول: هذا خبر غريب لم نره في الاصول التي عندنا و لا نردّها و نردّ علمها إليهم عليهم السّلام،

و منها

ما في المجلد الثامن من البحار

من كتاب المحتضر عن بعض العلماء في كتابه عن جابر بن عبد الله الأنصاري قال: إنّ أمير المؤمنين كان يخرج في كلّ جمعه ظاهر المدينة و لا يعلم أحد أين يمضى، قال فبقى على ذلك برهه من الزّمان، فلما كان في بعض الليالي قال عمر بن الخطاب: لا بدّ من أن أخرج و ابصر أين يمضى علىّ بن أبي طالب عليه السّلام.

قال: فقعد له عند باب المدينة حتى خرج و مضى على عادته فتبعه عمر و كان كلّما وضع علىّ عليه السّلام قدمه في موضع وضع عمر رجله مكانها، فما كان إلّا قليلا حتى وصل إلى بلده عظيمه ذات نخل و شجر و مياه غزيره ثمّ إنّ أمير المؤمنين عليه السّلام دخل إلى حديقته بها ماء جار فتوضّأ و وقف بين النخل يصلّي إلى أن مضى من الليل أكثره.

و أمّا عمر فأنّه نام فلما قضى أمير المؤمنين عليه السّلام وطره من الصّلاه عاد و رجع إلى المدينة حتى وقف خلف رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم و صلى معه الفجر فانتبه عمر فلم يجد أمير المؤمنين في موضعه فلما أصبح رأى موضعا لا يعرفه و قوما لا يعرفهم و لا يعرفونه فوقف على رجل منهم.

فقال له الرجل: من أنت و من أين أنت؟ فقال عمر: من يثرب مدينة رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم فقال له الرجل: يا شيخ تأمل أمرك و ابصر ما تقول فقال: هذا الذي أقوله لك قال الرجل: متى خرجت من المدينة؟ قال: البارحة قال له: اسكت لا يسمع الناس منك فتقتل أو يقولون هذا مجنون، فقال: الذي أقول حقّ.

فقال له الرجل: حدّثني كيف حالك و مجيئك إلى ههنا؟ فقال عمر:

كان علىّ بن أبي طالب في كلّ ليله جمعه يخرج من المدينة و لا نعلم أين يمضى فلما كان في هذه الليله تبعته و قلت اريد أن أبصر أين يمضى فوصلنا إلى ههنا فوقف

ص: ٢٣٥

یصلی و نمت و لا أدری ما صنع.

فقال له الرجل: ادخل هذه المدينة و أبصر الناس و اقطع أيامك إلى ليله الجمعة فما لك أن يحملك إلى الموضع الذي جئت منه إلا الرجل الذي جاء بك، فبيننا و بين المدينة أزيد من مسيره سنتين فاذا رأينا من يرى المدينة و رأى رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم تبرك به و نزوره و فى بعض الاحيان نرى من أتى بك فتقول أنت قد جئتك فى بعض ليله من المدينة.

فدخل عمر إلى المدينة فرأى الناس كلهم يلعنون ظالمى أهل بيت محمّد صلى الله عليه و آله و سلم و يسمّونهم بأسمائهم واحدا واحدا و كل صاحب صناعه يقول ذلك و هو على صناعته، فلما سمع عمر ذلك ضاقت عليه الأرض بما رحبت و طالت عليه الأيام.

حتى جاء ليله الجمعة فمضى إلى ذلك المكان فوصل أمير المؤمنين عليه السلام إليه على عادته فكان عمر يترقبه حتى مضى معظم الليل و فرغ من صلاته و همّ بالرجوع فتبعه عمر حتى و صلا الفجر المدينة، فدخل أمير المؤمنين عليه السلام المسجد و صلى خلف رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم و صلى عمر أيضا ثم التفت النبي إلى عمر فقال: يا عمر أين كنت اسبوعا لا نراك عندنا فقال عمر: يا رسول الله كان من شأنى كذا و كذا و قصّ عليه ما جرى له فقال النبي صلى الله عليه و آله و سلم لا تنس ما شاهدت بنظر ك فلما سأله من سأله عن ذلك فقال نفذ في سحر بنى هاشم.

قال المجلسى (ره) أقول: هذا حديث غريب لم أراه إلا فى الكتاب المذكور، هذا.

و غرايب شؤوناتهم عليهم السلام متجاوزة عن حدّ الاحصاء و لو أردت ذكر يسير من كثير لصار كتابا كبير الحجم و فيما أوردته كفايه للمستبصر و هدايه للمهتدى، و الله العالم الخبير بمقامات حججه و أوليائه الكرام عليهم الصلاه و السلام.

الترجمه

پس کدام راه می روید ای مردمان گمراه، و کجا بازگردانیده می شوید ای خلق تباه، و حال آنکه علامات هدایت برپا است، و آیات قدرت روشن و هویداست و مغارهای بلند پایه بجهت هدایت مرکوز و منصوبست، پس کجا حیران گردانیده می شوید در تباهی، بلکه چگونه متردد می باشید در گمراهی و حال آنکه در میان

شما است اهل بیت پیغمبر شما و ایشان زمامهای حق اند و زبانهای صدق، پس نازل نمائید ایشان را در نیکوترین منزلهای قرآن، و وارد شوید بایشان مثل وارد شدن شتران عطشان بآب فرات و روان.

ای مردمان اخذ نمائید این روایت را از حضرت خاتم الأنبياء عليه التحيه و الثناء، بدرستی که می میرد کسی که مرد از ما و حال آنکه مرده نیست بحقیقت و می پوسد آنکه پوسیده از ما و حال آنکه پوسیده نیست در واقع، پس قائل نشوید بچیزی که معرفت ندارید بآن زیرا که اکثر حق در آن چیز است که شما انکار می نمائید آنرا و معذور دارید شخصی را که حجت نیست شما را بر او و منم آن شخص.

آیا عمل نکردم در میان شما بار بار گران بزرگتر که عبارت است از قرآن، و آیا نگذاشتم در میان شما بار گران کوچکتر که عبارتست از عترت سید البشر، و مرکوز ساختم در میان شما رایت ایمان و اسلام را، و واقف گردانیدم شما را بحدود حلال و حرام، و پوشانیدم بشما لباس عافیت را از عدل و انصاف خود، و گسترانیدم از برای شما بساط امر معروفرا از گفتار و کردار خود، و بنمودم بشما خلقهای پسندیده از نفس خود، پس استعمال نکنید رأی های خود را در آنچه که درک نمی نماید نهایت آنرا بصر، و سرعت نمی تواند کند بسوی آن فکرهای ارباب فکر و نظر، و آن عبارتست از مقامات نورانیه ائمه اَنام عليهم الصلاه و السلام.

الفصل الرابع

اشاره

منها حتى يظن الظان ان الدنيا معقوله على بنى أمية، تمنحهم درها، و توردهم صفوها، و لا- يرفع عن هذه الامه سوطها و لا سيفها، و كذب الظان لذلك، بل هي مجة من لذيد العيش يتطعمونها برهه، ثم يلفظونها جمله.

ص: ۲۳۷

(عقلت) البعير عقلا من باب ضرب حبسته بعقال و (منح) زيد عمرا يمنح من باب منع أعطاه و منه المنحه بالكسر و هى الشاه أو النّياقه المعاده للبنها و (الدّر) فى الأصل اللبن ثم استعمل فى كلّ خير و نفع و منه قولهم: لله درّه و (مَجّ) الشّراب من فيه محبّبا قذفه و رماه و انمَجّيت نقطه من القلم ترششت، و المَجّه فى النسخ بفتح الميم و الأنسب أن يكون بالضمّ و هو على ما فى القاموس نقط العسل على الحجاره و (البرهه) مدّه من الزّمان لها طول.

الاعراب

حتّى لانتهاه الغايه و قد حذف المعنّيا و ترك ذكره فى الكتاب، و الواو فى قوله: و كذب الظّان حاله، و جمله يتطعمونها فى محلّ الرفع صفه لمجّه.

المعنى

اعلم أنّ المستفاد من شرح المعتزلى أنّ هذه الخطبه ملتقطه من خطبه طويله حذف السيّد منها كثيرا و لم أعر بعد على تمامها، و هذا الفصل من جمله أخباره الغيبية مسوق لبيان حال بنى أمّيه لعنهم الله و ابتلاء الخلق بهم، و لعلّ ما قبل هذا الفصل أنّه:

يليكّم و لاه سوء يتمادون فى الطّغيان و الغفله، و يكون النّاس بهم فى طول عناء و شدّه (حتّى يظنّ الظّانّ أنّ الدّنيا معقوله على بنى أمّيه) أى محبوسه فى أيديهم لا- تتجاوز عنهم إلى غيرهم كالناقه المحبوسه بالعقال (تمنحهم درّها و توردهم صفوها) أى تعطيهم منفعتها و تبذلهم صافى فوايدها كما أنّ المنحه تعطى لبنها لحالبها و تبذله له (و لا يرفع عن هذه الامه سوطها و لا سيفها) أى لا- يرفع عن الامه عذاب الدّنيا بهم و تجوّز بلفظ السوط و السّيف عن القتل و الاستيصال و العذاب لكونهما آلتين لهما (و كذب الظّانّ لذلك) فى ظنّه و زعمه (بل هى مجّه من

لذيذ العيش) اى حقيره قليله كالريقه التى تمسح من الفم (يتطعمونها برهه) من الزمان و يلتذون بها مدّه ملكهم و امارتهم) ثم يلفظونها جمله) اى يرمونها بكليتها و هو كناية عن زوالها عنهم بالمره.

اقول: و قد كان الأمر على ما أخبر به الامام عليه السّلام فانّ بنى اميه قد تسلطوا على العباد، و تملكوا البلاد، و نهبوا الأموال، و قتلوا الرّجال، و أراقوا دماء الشّيعه بكلّ بلده، و قطعوا الأيدي و الأرجل على الظّنه، و لم يخرج عليهم خارج إلّا و ظفروا عليه و قهروه، و لم يبق لانه ملكهم قائم إلّا و غلبوا عليه و قتلوه، حتّى ظنّ الناس أنّ الدّنيا معقوله عليهم، و سلطتها دائمه فى حقّهم، فأذن الله فى هلاكهم و أراد زوال ملكهم فاختلفت كلمتهم و تضعع أمرهم فزالت دولتهم:

«كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ» و قد كانت مدّه ملك السّلطنه ألف شهر على ما أخبر الله به نبيّه صلّى الله عليه و آله.

كما قال الصادق عليه السّلام فى روايه الكافى: أرى رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم فى منامه أنّ بنى أميه يصعدون على منبره من بعده و يضلّون النّاس عن الصراط القهقرى فأصبح كئيبا حزينا قال عليه السّلام: فهبط عليه جبرئيل فقال: يا رسول الله ما لى أراك كئيبا حزينا قال: يا جبرئيل إنى رأيت بنى أميه فى ليلتى هذه يصعدون منبرى يضلّون النّاس عن الصّراط القهقرى، فقال: و الذى بعثك بالحقّ نبيا إنى ما اطلعت فخرج إلى السّماء فلم يلبث أن نزل عليه بآى من القرآن يونسه بها:

قال «أَفَرَأَيْتَ إِنْ مَتَّعْنَاهُمْ سِنِينَ ثُمَّ جَاءَهُمْ مَا كَانُوا يُوعَدُونَ مَا أَغْنَى عَنْهُمْ مَا كَانُوا يُمْتَعُونَ» و أنزل عليه: «إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلِهِ الْقُدْرَ وَ مَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقُدْرِ لَيْلَةُ الْقُدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ».

الترجمه

این فصل متضمن اخبار از ابتلاء اهل روزگار به بنی امیّه کجرفتار و زوال ملک از آن طایفه بدکردار است می فرماید:

تا این که گمان میکند گمان کننده این که دنیا محبوس است و مربوط به بنی امیه در حالتی که نشان می دهد بایشان منفعت خود را، و وارد میکند ایشان را بآب صافی خود، و رفع نمی شود از این امت تازیانه دنیا و نه شمشیر آن و حال آنکه دروغ گفت گمان برنده آن یعنی ظن او بدوام دولت بنی امیه فاسد است بلکه آن دولت ایشان چیز قلیل و حقیری است از لذت زندگانی بمنزله آبی که از دهن می اندازند، ملتذ میشوند با آن زمانی پس بیندازند آنرا بالمرّه چون انداختن لقمه از دهان، و این کنایه است از زوال ملک ایشان بالکلیه.

و من خطبه له علیه السلام و هی السابعة و الثمانون

اشاره

من المختار فی باب الخطب

و هی مرویه فی کتاب الرّوضه من الکافی باختلاف کثیر تطلع علیه إنشاء الله بعد الفراغ من شرح ما آورده السید (ره) فی الکتاب و هو قوله علیه السلام:

أما بعد فإنّ الله سبحانه لم يقصم جنّارى دهر قطُّ إلاّ بعد تمهیل و رخاء، و لم يجبر عظم أحد من الامم إلاّ بعد أزل و بلاء، و فی دون ما استقبلتم من عتب، و استدبرتم من خطب معتبر، و ما كلّ ذی قلب بلیب، و لا كلّ ذی سمع بسمیع، و لا كلّ ذی ناظر

ببصير، فيا عجا و ما لى لا أعجب من خطاء هذه الفرق على اختلاف حججها فى دينها، لا يقتصون أثر نبى، و لا يقتدون بعمل وصى، لا يؤمنون ببغيب، و لا يعفون عن عيب، يعملون فى الشبهات، و يسرون فى الشهوات، المعروف فيهم ما عرفوا، و المنكر عندهم ما أنكروا، مفزعهم فى المعضلات إلى أنفسهم، و تعويلهم فى المبهمات على آرائهم، كأن كل امرىء منهم إمام نفسه، قد أخذ منها فيما يرى بعرى و ثقات و أسباب محكمات.

اللغة

(قصمه) يقصمه من باب ضرب كسره و ابانه أو كسره و ان لم بين و (الجبار) كل عات و (مهله) تمهिला أخله و (رخى) العيش و رخو بالياء و الواو رخاوه من باب تعب و قرب إذا اتسع فهو رخی على وزن فعيل و الرخا اسم منه، و فى بعض النسخ الارجاء بالجيم من باب الافعال و هو التأخير فيكون عطفه على التمهيل من باب التوضيح و التفسير و (جبرت) العظم جبرا من باب قتل أصلحته و (الأزل) الضيق و الشده و (العتب) بالسكون الموجد و يروى بفتح التاء و هو الشده و الأمر الكريه و (الخطب) الأمر المعظم كما فى قوله: فما خطبك يا سامرى، و يروى من خصب بالصاد المهمله و هو السعه و رخاء العيش.

و فى بعض النسخ استقبلتم من خطب و استدبرتم من عتب، و فى بعض النسخ فيا عجبى بالاضافه إلى ياء المتكلم (يقتصون) و ما بعده من الأفعال فى بعض النسخ بصيغه المذكر باعتبار المعنى و فى بعضها بصيغه التأنيث باعتبار ملاحظه لفظ الفرقه و عود الضمير فيها إليها و (عف) يعف من باب ضرب عفا و عفافا و عفافه بفتحهن

و عَفَّه بالكسر فهو عَفٌّ و عفيف كَفَّ عما لا يحلَّ و امتنع عنه.

و فى بعض النسخ يعفون بسكون العين و التخفيف من العفو و هو الفصح و ترك عقوبه المستحق و (المعضلات) فى النسخ بفتح الضاد و كذلك فى الخطبه السابقه و المضبوط فى القاموس و الأوقيانوس بصيغه الفاعل و هى الشدائد من أعضل الأمر إذا اشتدَّو (العري) جمع العروه كمدية و مدى و هو ما يستمسك به الشئ و منه عروه الكوز لمقبضه و اذنه و (السبب) الحبل و ما يتوصّل به إلى الاستعلاء «الغير ظ» ثم استعير لكلّ شئ يتوصّل به الى أمر من الأمور.

الاعراب

قطّ من ظروف الزّمان و معناه الوقت الماضى عموما و لا يستعمل إلاّ بمعنى أبدا و الغالب استعماله فى الماضى المنفى و قد يستعمل بدون النّفى لفظا و معنى، نحو كنت أراه قطّ أى دائما و قد استعمل بدونه لفظا لا معنى، نحو هل رأيت الذّئب قطّ و هو مبنى لأنّ بعض لغاته على وضع الحروف و بنائه على الضّمّ حملا على أخيه عوض لأنّ عوض للمستقبل المنفى و هو للماضى المنفى و بنى عوض على الضّمّ لانقطاعه عن الاضافه كقبل و بعد قال الرّضى: الأولى أن يقال بنى لتضمّنه لام الاستغراق لزوما لاستغراقه جميع الماضى بخلاف أبدا فليس الاستغراق لازما لمعناه، ألا ترى إلى قولهم: طال الأبد على أبد، و دون ظرف مبنى على الفتح يقال هذا دون ذلك أى أقرب منه، و منه المثل دونه خرط القتاد، و عجا إما منصوب على النداء و التنوين عوض عن المضاف إليه أى يا عجبى احضر، أو منتصب على المصدر أى يا نفس أعجب عجا، و ما استفهاميه و من خطأ إما متعلّق بعجا أو أعجب على سبيل التنازع، و على اختلاف إما بمعنى اللّام كما فى قوله:

«وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَاكُمْ».

فتكون عله للخطاء، و إما بمعنى مع كما فى قوله تعالى:

«وَيُطْعَمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ».

بناء على عود الضمير في حبه إلى الطعام دون الله سبحانه، و يحتمل أن يكون للاستعلاء المجازى و المتعلق محذوف و التقدير من خطأ هذه الفرق مبتدا على اختلاف حججها، و فى دينها متعلق بالخطأ، و جملة لا يقتضون استيناف بيانى مسوق لبيان جهه الخطأ أو جهه الاختلاف على سبيل منع الخلوة فافهم جيّدا، و تحتمل الحاليه و الأوّل أظهر، و كانّ كلّ امرء من حروف المشبّهه و فى بعض النسخ بحذفها و اسقاطها، قال الشارح المعتزلى و هو حسن أقول: بل اثباتها أحسن و يظهر وجهه بالتأمل.

المعنى

إشارة

اعلم أنّ مقصوده عليه السّلام بهذه الخطبه توبيخ النّاس و ذمّهم على اختلافهم فى الدّين و عدولهم عن الامام المبين و استبدادهم بالآراء و اعتمادهم على الأهواء فمهّد عليه السّلام أوّلا مقدّمه متضمّنه للتّخويف و التّحذير و التّنبيه و التّذكير و قال:

(أمّا بعد) حمد الله و الثّناء عليه و الصلاه على رسوله و آله (فانّ) عاده (الله سبحانه) قد جرت فى القرون الخاليه و الامم الماضيه على أنّه (لم يقصم حبارى دهر قط) و لم يكسر عظام أحد منهم و لم يهلكهم (إلاّ بعد تمهيل و رخاء) أفلم تر أولاد سبا فلقد آتاهم الله سوابغ الآلاء و روافغ النّعماء و كان لهم فى مسكنهم جنتان.

«كُلُوا مِنْ رِزْقِ رَبِّكُمْ وَ اشْكُرُوا لَهُ بَلَدَهُ طَيِّبَةً وَ رَبُّ غَفُورٌ فَاعْرَضُوا».

فأرسل عليهم سيل العرم و مزّقهم بما كفروا كلّ ممزّق.

«إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ».

أ و لم تر إلى شدّاد بن عاد كيف بنى:

«إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ...» «وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَادِ» الذي طغى في البلاد و من حذا حذوهما ممن ملك الرقاب و تسلط على العباد فأكثر فيهم الفساد.

«فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ» «إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُولِي الْأَبْصَارِ».

و مقصوده عليه السّلام بهذا الكلام إنذار من قصده بالافهام من أهل زمانه و تحذيرهم من الانغماس في الغفلة و الافتتان بالرّخاء و الدّعة و الاغترار ببضاضه الشّبَاب و غضاره الصّحة كيلا يلحقهم ما لحق من قبلهم و لا يأخذهم ربّهم بسوء فعلهم فيكونوا عبره لمن بعدهم (و لم يجبر عظم أحد من الامم) و لم يظهرهم على عدوّهم (إلاّ بعد أزل و بلاء) و ضيق و عنا.

و تصديق ذلك في الامم الماضيه بما وقع لبنى اسرائيل من فرعون حيث جعلهم في الأرض شيعا يذبح أبنائهم و يستحيى نسائهم و فيه بلاء مبين فلما تمّت البليّه و عظمت الرزيه جبر الله كسرهم و شدّ أزرهم و أغرق فرعون و جنوده أجمعين و منّ على الذين استضعفوا في الأرض و جعلهم أئمه و جعلهم الوارثين.

و في الأمه المرحومه بما وقع يوم الأ-حزاب عند اجتماع العرب الأ-تراب إذ زاغت الأبصار و بلغت القلوب الحناجر و ابتلى المؤمنون و زلزلوا زلزالا- شديدا و قالوا هذا ما وعدنا الله و رسوله و صدق الله و رسوله و ما زادهم إلاّ إيمانا و تسليما و قال المنافقون ما وعدنا الله و رسوله إلاّ غرورا فلما ابتلوا بذاك و أيقنوا بالقتل و الهلاك أنعم الله عليهم و أعانهم بريح و جنود لم يروها و كان الله قويا عزيزا.

و في هذا الكلام تنبيه على الثبات و الصبر و رجاء الظفر و النّصر و عدم اليأس من روح الله و القنوط من رحمه الله عند ضيق المسالك و التقحّم في المهالك، هذا.

و يحتمل أن يكون مقصوده عليه السّلام بالفقره الأولى أعنى قوله: لم يقصم جبارى

دهراه الاشاره إلى مآل حال معاويه و أمثاله من جبايره دهره عليه السّلام و الباغين عليه من طلحه و الزّبير و من حذا حذوهما من العتاه، و التنبيه على أنّ الله يقصم ظهرهم و يكسر صولتهم و يسلبهم ملكهم و دولتهم و إن طالت مدّتهم و شوكتهم كما قال تعالى:

«أَفَرَأَيْتَ إِنْ مَتَّعْنَاهُمْ سِنِينَ ثُمَّ جَاءَهُمْ مَا كَانُوا يُوعَدُونَ مَا أَغْنَىٰ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يُمْتَعُونَ.»

و بالفقره الثانيه أعنى قوله و لم يجبر عظم أحدها تسلى هم أصحابه و كأبتهم بالوهن و الضعف و الضنك و الضيق الذى أصابهم من المتخلفين و معاويه و أصحابه و حثهم على الاتفاق و الايتلاف و تحذيرهم من التفرق و الاختلاف، إذ فى الاجتماع رجاء النّصره و الاختلاف مظنه المغلوبيه.

و يؤيد هذا الاحتمال فى الفقرتين و يعاضده التأمّل فى ساير فقرات الخطبه على روايه الرّوضه الآتيه (و فى دون ما استقبلتم من عتب و استدبرتم من خطب معتبر) يحتمل أن يكون المراد بالعتب الذى استقبلوه عتابه عليه السّلام و موجدته عليهم بتشتت الآراء و تفرّق الأهواء، و هو على روايه العتب بسكون التّياء، و بالخطب الذى استدبروه الامور المعظمه و الملاحم التى وقعت بعد رسول الله صلى الله عليه و آله و سلّم يوم السّقيفه و يوم الشورى و يوم الدّار و أن يكون المراد بالعتب الشدائد و الكرايه التى أصابتهم من المتخلفين و هو على روايه العتب بفتح التّياء و بالخطب الأهوال التى كانوا يرونها من المشركين فى بدء الاسلام حيث كانوا قليلين و كان المشركون كثيرين فأيدهم الله بنصره بالتأليف بين قلوب المؤمنين و أظهرهم على الكافرين.

(و) كيف كان فهو عليه السّلام يقول: إنّ فيما استقبلتم و استدبرتم من الامور المفيده للاتّعاظ و الاعتبار لعبره لأولى الفهم و العقل و الذكاء، و موعظه لذوى الأبصار و الأسماع، و إنّما يتذكر اولو الألباب، و يعتبر السّميع البصير المميّز للقشر من اللّباب، لأنّهم

المنتفعون بالعبر و الحائزون قصب السبق في مضمار الاعتبار بصحيح النظر إذ (ما كل ذي قلب بليب و لا كل ذي سمع بسمع و لا كل ذي ناظر ببصير) فرب قوم لهم أرجل لا يمشون بها، و لهم أيدي لا يبطشون بها، و لهم عقول لا يفقهون بها، و لهم آذان لا يسمعون بها، و لهم أعين لا يبصرون بها، و في ذلك تحريص على الاعتناظ و الاعتبار و ترغيب في الازدجار و الازكار (فيا عجباً و ما لي لا- أعجب من خطاء هذه الفرق على اختلاف حججها) و أدلتها (في دينها) تعجب عليه السلام من اختلاف الفرق و خطائهم في الدين و افتراقهم في شرع سيد المرسلين اعتماداً منهم على أدلتهم المتشتمة و حججهم المختلفه، و اتكالا- على اصولهم التي أصلوها و قواعدهم التي فصلوها، و استبداداً منهم بعقولهم الفاسده و آرائهم الكاسده.

و بين عليه السلام جهه الخطاء و الاختلاف بأنهم (لا- يقتضون أثر نبى) لأنهم لو اقتضوه و أتبعوه لما اختلفوا إذ ما جاء به النبى صلى الله عليه و آله و سلم واحد و شرعه واحد و كتابه واحد فلو اقتفوه لا تفقوا و أصابوا حسبما مرّ توضيحه في الكلام الثامن عشر و شرحه (و لا يقتدون بعمل وصى) إذ الوصى مقتد في عمله بالنبى صلى الله عليه و آله و سلم فلو اقتدوا به لكانوا مقتدين بالنبى و به مهتدين و لم يكن هناك اختلاف و خطاء حسبما عرفت آنفاً و حيث اختلفوا علم أنهم كانوا تاركين اثره غير مقتدين عمله و يوضح ذلك ما في غايه المرام من أمالى الشيخ مسندا عن المجاشعى عن الرضا عن آباءه عليه السلام قال: سمعت علياً عليه السلام يقول لرأس اليهود: على كم افتقرتم؟ فقال: على كذا و كذا فرقه، فقال علي عليه السلام: كذبت، ثم أقبل على الناس و قال: و الله لو ثبت لى الوساده لقضيت بين أهل التوراه بتوراتهم و بين أهل الانجيل بإنجيلهم و بين أهل القرآن بقرآنهم، افتقرت اليهود على أحد و سبعين فرقه سبعون منها فى النار و واحده ناجيه فى الجنة و هى التى أتبع يوشع بن نون و وصى موسى، و افتقرت النصارى على اثنتين و سبعين فرقه إحدى و سبعون فرقه فى النار و واحده فى الجنة و هى التى أتبع شمعون و وصى عيسى (عليه السلام)، و تفرق هذه الامه على ثلاث

و سبعين اثنتان و سبعون فرقه فى النار و واحده فى الجنة و هى التى اتبعت وصى محمد صلى الله عليه و آله و سلم و ضرب بيده على صدره ثم قال عليه السلام ثلاث عشره فرقه من الثلاث و سبعين فرقه كلها تتحلل مودتى و حبى واحده منها فى الجنة و هم النمط الأوسط و اثنتا عشره فى النار.

و (لا يؤمنون بغيب) المراد بالغيب إمّا القرآن الذى يصدق بعضه بعضا.

«وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا» و إمّا مطلق ما غاب من الحواس من توحيد الله و نبوه الأنبياء و ولايه الأوصياء و الرجعه و البعث و الحساب و الجنة و النار و ساير الأمور التى يلزم الإيمان بها ممّا لا يعرف بالمشاهده و إنّما يعرف بالبراهين و الأدله التى نصبها الله عليه، و على أى تقدير فانتفاء الايمان بالغيب أيضا من أسباب اختلاف الفرق و جهات خطائها فى المذاهب إذ لو كانوا يؤمنون بالغيب و به مدعين لكانوا مهتدين إلى الحقّ و الصواب فى كلّ باب فان:

«هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ» و «ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَ مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ».

(و لا يعفون عن عيب) إذ ملكه العفاف و الوقوف عند المحرّمات و الشبهات مانعه عن الاستبداد بالآراء التى نشأت منها الفرقه و الاختلاف موجب للتحقق عن الحقّ و الاهتداء إلى صوب الصواب، و حيث لم يكن لهم عفاف و حايطه فى الدين لم يبالوا فى أى واد يهيمون، و على روايه لا- يعفون بالتخفيف فالمراد به عدم العفو عن عيوب الناس، و على هذه الروايه فهو من فروع الخطاء فى الدين إذ العفو عن عيوب المذنبين من صفات المتّقين و المصيبين من المؤمنين كما شهد به الكتاب المبين:

«وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَ جَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَ الْأَرْضُ»

«أَعَدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاطِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ».

(يعملون في الشبهات) أى لا يقفون فى ما اشتبه عليهم أمره و لا يبحثون عن وجه الحق فيه بل يعملون فيه بما أدى هواهم إليه و إليه الاشاره فى قوله تعالى:

«وَالَّذِينَ كَسَبُوا السَّيِّئَاتِ جَزَاءُ سَيِّئَةٍ بِمِثْلِهَا وَتَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ مَا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ» و فى قوله: «هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا».

روى فى الوسائل من تفسير على بن إبراهيم عن أبى الجارود عن أبى جعفر عليه السلام فى تفسير الآيه الأولى قال عليه السلام: هؤلاء أهل البدع و الشبهات و الشهوات يسود الله و جوههم يوم يلقونه.

و عنه عن أبى جعفر عليه السلام فى تفسير الآيه الثانيه قال: هم التصارى و القسيسون و الزهبان و أهل الشبهات و الأهواء من أهل القبله و الحروريه و أهل البدع.

(و يسيرون فى الشهوات) لما لاحظ عليه السلام ميل طباعهم إلى اللذات الدنيويه و انهماكهم فى الشهوات النفسانيه قاطعين مراحل الأوقات بالتلذذ بتلك اللذات و الشهوات لا جرم جعل الشهوات بمنزله طرق مسلوكة و جعل اشتغالهم بها بمنزله السير فى تلك الطرق (المعروف فيهم ما عرفو) ه بعقولهم الفاسده و إن لم يكن معروفًا فى الشريعة (و المنكر عندهم ما أنكروا) ه بأرائهم الكاسده و إن لم يكن منكرًا فى الحقيقه (مفزعهم فى المعضلات إلى أنفسهم) دون الأئمه الذين يهدون بالحق و به يعدلون (و تعويلهم فى المبهمات على آرائهم) دون أهل الذكر الذين أمر بسؤالهم بقوله:

«فَسَلُّوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ» (كان كل امرئ منهم امام نفسه) و كأن دليل كل واحد منهم رأيه و هواه (قد أخذ منها فيما يرى) و يظن (بعرى و ثقات) لا انفصام لها (و اسباب محكمات) لا يضل من تمسك بها و إنما مثلهم في ذلك:

«كَمَثَلِ الْعَنْكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنْكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ» «و تِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ»

تكملة

هذه الخطبة مروية في كتاب الزوضه من الكافي باختلاف كثير عن أحمد بن محمد الكوفي عن جعفر بن عبد الله المحمدي عن أبي روح فرج بن قره عن جعفر بن عبد الله عن مسعده بن صدقه عن أبي عبد الله عليه السلام قال خطب أمير المؤمنين عليه السلام بالمدينة فحمد الله فأثنى عليه و صلى على النبي صلى الله عليه و آله ثم قال عليه السلام:

أما بعد فإن الله تبارك و تعالى لم يقصم جباري دهر إلا من بعد تمهيل و رخاء، و لم يجبر كسر عظم من الامم إلا بعد أزل و بلاء، أيها الناس في دون ما استقبلتم من خطب و استدبرتم من خطب معتبر، و ما كل ذي قلب بلييب، و لا كل ذي سمع بسميع، و لا كل ذي ناظر عين ببصير.

عباد الله أحسنوا فيما يعينكم النظر فيه ثم انظروا إلى عرصات من قد أفاده الله بعلمه كانوا على سته من آل فرعون أهل جنات و عيون و زروع و مقام كريم، ثم انظروا بما ختم الله لهم من الضره و السرور و الأمر و النهي و لمن صبر منكم العاقبه في الجنان و الله مخلدون و لله عاقبه الأمور.

فيا عجبا و ما لي لا أعجب من خطأ هذه الفرق على اختلاف حججها في دينها لا يقتفون أثر نبي و لا يقتدون بعمل وصي و لا يؤمنون بغيب و لا- يعفون عن عيب، المعروف فيهم ما عرفوا، و المنكر عندهم ما أنكروا، و كل امرئ منهم امام نفسه و اخذ منها فيما يرى بعري و ثيقات و أسباب محكمات فلا يزالون بجور و لم «لن - خ ل»

يزدادوا إلاّ خطأ لا ينالون تقرباً و لن يزدادوا إلاّ بعدا من الله عزّ و جلّ انس بعضهم ببعض و تصديق بعضهم لبعض، كلّ ذلك وحشه مما ورث النّبىّ الأّمى صلّى الله عليه و آله و سلّم و نفورا ممّا أدّى إليهم من أخبار فاطر السّماوات و الأرض.

أهل حسرات و كهوف شبّهات، و أهل عشوات و ضلاله و ريبه، من وكله الله إلى نفسه و رأيه فهو مأمون عند من يجهله غير المتّمهم عند من لا يعرفه، فما أشبه هؤلاء بأنعام قد غاب عنها رعاؤها.

و وا أسفا من فعلات شيعتى من بعد قرب مودّتها اليوم كيف يستدلّ بعدى بعضها بعضا، و كيف يقتل بعضها بعضا، المتشثته غدا عن الأصل النّازله بالفرع المؤمله الفتح من غير جهه، كلّ حزب منهم آخذ بغصن أينما مال الغصن مال معه.

إنّ الله و له الحمد سيجمع هؤلاء لشّرّ يوم لبنى أمّيه كما يجمع قرع الخريف يؤلّف بينهم ثمّ يجعلهم ركاما كركام السّحاب، ثمّ يفتح لهم أبوابا يسيلون من مستثارهم كسيل الجتّين سيل العرم، حيث بعث عليهم فاره فلم يثبت عليه اكّمه و لم يردّ سننه رضّ طود يذعدهم الله فى بطون أوديه ثمّ يسلكهم ينابيع فى الأرض يأخذ بهم من قوم حقوق قوم، و يمكّن من قوم لديار قوم، تشريدا لبني امّيه، و لكيلا يغتصبوا ما غصبوا، يضعضع الله بهم ركنا و ينقض الله بهم طىّ الجنادل من ارم و يملاء منهم بطنان الزّيتون.

فو الذى فلق الحبه و برء النسمة ليكوننّ ذلك و كأنى أسمع صهيل خيلهم و طمطمه رجالهم و أيم الله ليدوبنّ ما فى أيديهم بعد العلوّ و التّمكين فى البلاد كما تذوب الالیه على النّار، من مات منهم مات ضالّا و الله عزّ و جلّ يقضى منهم من درج و يتوب الله عزّ و جلّ على من تاب، و لعلّ الله يجمع شيعتى بعد التّشتت لشّرّ يوم لهؤلاء، و ليس لأحد على الله عزّ ذكره الخيره بل لله الخيره و الأمر جميعا أيّها النّاس إنّ المتتحلين للامامه من غير أهلها كثير و لو لم تتخاذلوا عن مرّ

الحقّ و لم تهنوا عن توهين الباطل لم يتشجّع عليكم من ليس مثلكم، و لم يقوم من قوى عليكم على هضم الطاعة و ازوائها عن أهلها، لكن تهتم كما تاهت بنو اسرائيل على عهد موسى عليه السلام، و لعمرى ليضاعفنّ عليكم البتّه بعدى أضعاف ما تاهت بنو اسرائيل و لعمرى أن لو قد استكملتم من بعدى مدّه سلطان بنى اميّه لقد اجتمعتم على سلطان الداعى إلى الضلاله و أحييتم الباطل و خلّقتم الحقّ وراء ظهوركم، و قطعتم الأذنى من أهل بدر و وصلتكم الأ بعد من أبناء الحرب لرسول الله.

و لعمرى أن لو قد ذاب ما فى أيديهم لدنا التمحيص للجزاء و قرب الوعد و انقضت المدّه و بدا لكم النجم ذو الذنب من قبل المشرق، و لاح لكم القمر المنير، فاذا كان ذلك فراجعوا التوبه و اعلموا أنّكم ان اتبعتم طالع المشرق سلك بكم مناهج الرسول صلى الله عليه و آله و سلّم فتداوitem من العمى و الصيمم و البكم، و كفيتم مؤنه الطلب و التعسّف و نبذتم الثقل الفادح من الأعناق، و لا يبعد الله إلا من أبى و ظلم و اعتسف و أخذ ما ليس له «و سَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ». هذا.

و رواها المفيد فى الارشاد عن مسعده بن صدقه عن أبى عبد الله عليه السلام إلى قوله بل لله الخيره و الأمر جميعا باختلاف كثير و زيادات كثيره على روايه الروضه، و روى قوله عليه السلام لو لم تتخاذلوا عن نصره الحقّ إلى آخر روايه الروضه فى ضمن خطبه اخرى رواها عن مسعده عن أبى عبد الله عليه السلام عن أمير المؤمنين عليه السلام قال انه خطبها بالكوفه و بينها و بين روايه الروضه أيضا اختلاف كثير من أراد الاطلاع فليراجع الارشاد.

توضيح

«العرصات» جمع العرصه و هى كلّ بقعه من الدّور واسعها ليس فيها بناء «أفاده الله بعلمه» فى بعض النسخ بالفاء من أفدت المال أعطيته و فى بعضها بالقاف

من أفاده خيلاً أعطاه ليقودها و لعلّ المعنى أنه أعطاه الله زينه الحياه الدنيا مع علمه بحاله بحسب اقتضاء حكمته و مقتضى عدالته
كما قال فى سورة هود عليه السلام:

«مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَ زَيَّنَّا نُوفًا لِلْإِيمَانِ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَ هُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ أُولَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ»
الآية.

و المراد بمن أفاده الله هو المتخلفون الغاصبون للخلافه، و فى روايه الارشاد أباده بدل أفاده و هو الأنسب و عليه فالصّ مير فى
بعلمه راجع إلى من اى كان علمه سببا للهلاكه «و السنّه» الطريقه اى كانوا على طريقه من طرايق آل فرعون و «أهل جنات»
بالكسر عطف بيان لآل فرعون.

و قوله «فى الجنان» متعلّق بقوله مخلمدون، و القسم معترض بين الظرف و متعلّقه «فلا- يزالون بجور» الباء إمّا بمعنى فى أو
للمصاحبه و الملايسه «كلّ ذلك» بالنّصب مفعول به للفعل المحذوف و «وحشّه» مفعول له اى ارتكبوا كلّ ذلك وحشه.

و المراد بما ورث النبيّ صلّى الله عليه و آله و سلّم ما ورثه آله المعصومين من الخلافه و الولايه «و الفاطر» المخترع «أهل
حسرات» خبر محذوف المبتدأ اى هم أهل حسرات فى الآخره و «الكهوف» جمع كهف و هو الغار الواسع فى الجبل، و فى
بعض النسخ كفوف شبّهات و هو جمع كف و الكلام جار على الاستعاره و النّاقه «العشواء» لا تبصر امامها و «من و كله الله» مبتدا
و خبره «فهو مأمون» و كله إلى نفسه تركه إليها، و فى هذا كلّ تعريض على الخلفاء كما لا يخفى «و الرّعا» بكسر الرّاء جمع
الرّاعى و «الفعلاّت» جمع الفعله و هى العاده «المتشّته» إمّا بالجرّ صفه لشيئته و إمّا بالرفع على أنّه خبر حذف مبتدئه اى هم
المتشّته.

و لعلّ المراد بتشّتهم عن الأصل و نزولهم بالفرع ما صدر من بعض الشيعه كالزّيديه و الافطحيه و الاسماعيليه و نحوهم حيث
عدلوا عن الامام الأصل و تعلّقوا بالفرع و أملوا الفتح من غير جهه فأخطئوا و «القرع» محرّكه قطع من السحاب

و الواحده قزعه و «الزكام» الأول بالضم من الزكم و هو جمع شىء فوق آخر، و الثانى بالفتح و هو السحاب المتراكم و «المستثار» محل الاستثارة من الثور و هو الهيجان و الوثوب و نهوض القطا و الجراد.

و «سيل العرم» جمع عرمة كفرحه و هو سدّ يعترض به الوادى جمع عرم او هو جمع بلا- واحدا و هو الاحباس تبني في البادية الأودية و الجرد الذكر و المطر الشديد و واد و بكلّ فسر قوله تعالى سيل العرم و «الاكمه» كالقصبه التلّ الصغير و «لم يردّ سننه» من سنّ الماء صبّها أو من سنّ الطريقه سارها و «الرض» هنا الحجاره و «الطود» الجبل أو عظيمه و «ذعذع» المال و غيره فرقّه و بدّده و «ضعضه» هدمه حتّى الأرض و «ينقض الله» من النقض بالضاد المعجمه.

و لعلّه عليه السلام كنى ب «طى الجنادل من ارم» القصور و البساتين المشرفه المطويّه بالحجارات المسنّده التى كانت لبنى اميّه و «بطنان الزيتون» كناية عن الشّام كما فى قوله تعالى و التين و الزيتون و «الطمطمه» العجمه فى اللسان و «درج» يدرج من باب قعد و سمع درجا و دروجا مشى و «المنتحلين للامامه» المدّعين لها لنفسه و هو لغيره و «من غير أهلها» بيان للمنتحلين و «ازوائها عن أهلها» اى صرفها و طيها عنه و «التمحيص» بالصاد المهمله الابتلاء.

و اعلم أنّ هذه الخطبه الشّريفه متضمّنه لجملة من الأخبار الغيبيّه و فقراتها الأخيره من قبيل المتشابهات و علمها موكول إليهم عليهم السّلام إذ أهل البيت أدري بما فيه إلاّ أنا نورد فى تفسيرها على سبيل الاحتمال ما أورده الخليل القزوينى فى شرحه على الروضه بتغيير يسير منّا، فأقول:

لعلّ مراده عليه السلام بقوله مع أنّ الله و له الحمد - اه أنّه سبحانه يجمع هذه الفرق المختلفه على اختلافهم لاستيصال بنى اميّه و هو شرّ يوم لهم و قد كان ذلك فى سنه اثنتين و ثلاثين و مائه حسبما أخبر عليه السلام به حيث انقضت سلطنه بنى اميّه لعنهم الله لظهور دوله العباسيّه و اجتماع الجنود من خراسان على أبى مسلم المروزيّ لكن

دفعوا الفاسد بالأفسد.

و شبه عليه السلام اجتماعهم باجتماع سحاب الخريف المتراكم يقول عليه السلام:

إنَّ الله يفتح لهم بعد اجتماعهم أبوابا يهيجون من مكانهم، كسيل الجنتين اللتين كانتا لأولاد سبا، و هو سيل العرم حيث بعث الله الجرذ و هو الفاره الكبيره على السيد الذى كان لهم فقلع الصيخر منهم و خرب السيد فسال الماء و غشيهم السيل و خرب دور اولاد سبا و قصورهم و بساتينهم و لم يثبت عليه التلال و لم يرده أحجار الجبال.

و كذلك هؤلاء يخرجون على كثرتهم و احتشامهم لاستيصال بنى اميه و تخريب الدور و القصور منهم من مستثارهم و هو خراسان و قد وقع ذلك على ما أخبر عليه السلام حيث اجتمع الجيش و اتفقوا على أبى مسلم المروزى و جعلوه أميراً لهم و توجّهوا نحو مروان الحمار و هو آخر خلفاء بنى اميه.

و قوله عليه السلام يدعذعهم الله - اه إشارة إلى تفرّقهم فى الأودية و كونهم كتائب مختلفه يسلكون فيها سلوكك الينابيع فى الأرض و جريانها فيها.

يأخذ بهم من قوم حقوق قوم - اه أى يأخذ الله بنى العباس من بنى اميه حقوق بنى هاشم و يقاصّ بهم منهم و يجزيهم بهم جزاء ما ظلموا فى حق آل محمّد صلّى الله عليه و آله و إن لم يصل الحق إليهم و يمكن بهم عليهم السلام لقوم من بنى العباس فى ديار قوم من بنى اميه كلّ ذلك طردا لبنى اميه و ابعادا لهم، و لكيلا يغتصبوا ما غصبوا من بنى هاشم و بنى عباس و غيرهم يهدم الله بهم أركان بنى اميه و يكسر بهم قصورهم المسنده المطويه بالأحجار التى كانت بالشام و يملاء من جيوشهم بلاد الشام.

فو الله الفالق البارى أنّ ذلك لكائن لا محاله و كأنى أسمع أصوات خيولهم و طمطمه رجالهم، أى كلماتهم العجميه و ذلك أنّ لسانهم كان لسان العجم.

و قوله عليه السلام: و أيم الله ليدوبنّ اه بيان لحال بنى العباس بعد القهر و الغلبه يقول عليه السلام: إنهم بعد العلوّ و التمكن فى البلاد و قوام الأمر و تمام السلطنه ينقرضون و يفنون كما تفنى و تذوب الاليه على النار، و قد كان ذلك فى سنه

خمسین و ستمائه حیث قتل المستعصم و هو آخر خلفاء العباسیہ علی یدھلا کو و یحتمل أن یكون إشاره إلى حال بنی امیہ.

و قوله علیہ السّلام: و اللّٰه عزّ و جلّ یفضی منهم من درج، فی النسخ بالفاء و الظاهر أن یكون تحریفا و یكون بالقاف أى اللّٰه یمیت من سعی من بنی امیہ فیكون کنایه عن أنّ من أراد الخروج منهم یقتله اللّٰه، و فی بعض النسخ و إلى اللّٰه یقضی و هو الصحیح أى و إلى اللّٰه ینتهی منهم من درج فیكون کنایه عن ما ذکرنا و إشاره إلى أنّ من تاب منهم تاب ضالا و أمره إلى اللّٰه یعدّبه کیف یشاء و یتوب علی من تاب کمعاویہ بن یزید و نحوه من بنی امیہ.

و لعلّ اللّٰه یجمع شیعتی بعد التشتت، لعلّہ إشاره إلى ظهور دوله الحقه القائمیة و لا یلزم اتّصالها بملکهم.

و لیس لأحدّ إلى قوله - جمیعا إشاره إلى كون هذه الأمور سهلا بیّد اللّٰه سبحانه إذ هو القاهر القادر فوق عباده و هو المختار الفعّال لما یشاء لیس لأحد معه الاختیار و هو علی کلّ شیء قدير.

و قوله علیہ السّلام أيّها النّاس اه إشاره إلى اغتصاب الخلافه و توییح لهم علی التناقل و التخاذل یقول علیہ السّلام: إنّ المدّعين للخلافه من الدّین لم یكونوا أهلا لها کثیر و لو لم یکن منکم التّخاذل یوم السّقیفه و الشوری عن إقامة الحقّ و الوهن عن توهین الباطل لم یجسر علیکم أحد و لم یقدر علی غلبه الطّاعه و صرفها عن أهلها و لکنکم تحیرتم بعد رسول اللّٰه صلّی اللّٰه علیہ و آله و سلّم کما تحیرت بنو إسرائيل علی عهد موسى بن عمران علیہ السّلام و لیكوننّ تحیرکم بعدی أضعاف ما تحیرت بنو إسرائيل.

و قوله: لقد اجتمعتم علی سلطان الدّاعی إلى الضّلاله، أراد به اجتماعهم علی بنی العیّاس و دعائهم إلى الضّلاله لترویجهم مذهب الزنادقه.

و قطعتم الادنی من أهل بدر، أراد به أولاده المعصومین علیهم السّلام حیث إنّ الظفر

فى بدر لم يكن إلا بأبيهم سلام الله عليه و كان أقرب الناس إلى رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم و كذلك أولاده عليهم السلام.

و وصلتكم الآ- بعد من أبناء الحرب - اه أراد به بنى العباس حيث أنّ أباهم كان من جملة المحاربين لرسول الله صلى الله عليه و آله و سلم فى غزوه بدر ثمّ تاب و أسلم و المراد بقطع الأولين و وصل الآخرين أخذهم بنى العباس خلفاء لهم دون الأئمة عليهم السلام.

ثمّ قال: و لعمري أن لو قد ذاب ما فى أيديهم، أى أيدي بنى امية و هو الشام و ما والاها و أشار عليه السّلام بذوبانها إلى قتل وليد بن يزيد بن عبد الملك بن مروان لعنهم الله و اختلاف أهل الشام و اضطراب دوله بنى امية و قد كان ذلك فى السنه ست و عشرين و مائه و امتدّت سلطنتهم بعد ذلك إلى ستّ سنين بمنتهى التزلزل و الاضطراب و لذلك قال عليه السّلام لمدنى التمحيص للجزاء، أى قرب ابتلائهم بجزاء أعمالهم و ذلك بقتل الاحياء منهم و إخراج الأموات منهم من القبور كما هو فى السّير مشهور و فى الكتب مسطور.

و انقضت المدّه، أراد به المدّه المقدّره لبنى اميه و كانت ألف شهر.

و بدا لكم النجم ذو الذنب، أراد به أبا مسلم المروزى حيث خرج من خراسان و هو من بلاد المشرق مع جنوده نحو الشّام و تسميته بالنجم لكونه كالنجم يرمى به الشياطين من بنى امية و توصيفه بذى الذنب لكون ظهوره لانتصار بنى العباس دون آل محمّد سلام الله عليهم.

و لا-ح لكم القمر المنير، أراد به أبا الحسن علىّ بن موسى الرضا عليه و على آبائه آلاف التّحيه و الثّناء فقد طلع فى المشرق و انتشر أنوار علمه فى الآفاق ثمّ غاب هناك بغدر المأمون الملعون.

فاذا كان ذلك، أى ذوبان ما فى أيديهم أو انقضاء المدّه أو طلوع القمر المنير، فراجعوا التوبه.

ثمّ قال عليه السّلام: و اعلموا أنّكم إن اتّبعتم طالع المشرق، أراد به القمر المنير

سلك بكم منهج الطريقه البيضاء و الصيراط المستقيم، فتداوitem من الضلاله و الغوايه و كفيتم مؤنه طلب العلم من غير مظانه، و سلمتم من التعسف و الأخذ على غير الطريق المستقيم، و نبذتم ثقل استنباط التكاليف الشرعيه. من اعناقكم حيث أنكم تأخذونها من أهلها فيكيفكم مؤنتها و لا يبعد الله من رحمته إلا من أبى من قبول الحق و ظلم أهل الحق و أخذ على غير الطريق و انتحل ما ليس له بحق.

«و سَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ» هذا.

و بنحو ما قلناه فى شرح هذا الحديث الشريف فسّره المحدث العلامة المجلسى ره فى البحار إلا أنه خالفنا فى شرح الفقرات الأخيره حيث قال: قوله عليه السّلام: لو قد ذاب ما فى أيديهم أى ذهب ملك بنى العباس، لدنى التمحيص للجزاء أى قرب قيام القائم عليه السّلام و فيه التمحيص و الابتلاء ليجزى الكافرين و يعدّ بهم فى الدّنيا، و قرب الوعد أى وعد الفرج، و انقضت المدّه أى قرب انقضاء مدّه أهل الباطل، و النجم ذو الذنب من علامات ظهور القائم عليه السّلام، و المراد بالقمر المنير القائم عليه السّلام، و كذا طالع المشرق إذ مكه شرقيه بالنسبه إلى المدينه، أو لأنّ اجتماع العساكر إليه عليه السّلام و توجّهه إلى فتح البلاد من الكوفه و هى كالشقيه بالنسبه إلى الحرمين و لا يبعد أن يكون ذكر القمر ترشيحا للاستعاره أى القمر الطالع من مشرقه.

و الثقل الفادح الدّيون المثقله و المضالم أو بيعه أهل الجور و طاعتهم و ظلمهم إلا من أبى أى من طاعه القائم عليه السّلام أو الرّب تعالى، و اعتسف أى مال عن طريق الحقّ إلى غيره أو ظلم على غيره انتهى كلامه فيكون هذه الفقرات على ما ذكره أيضا إشاره إلى ظهور دوله الحقّه و الله العالم.

الترجمه

این خطبه شریفه متضمن توبیخ و مذمت خلق است بجهت اختلاف ایشان در

ص: ۲۵۷

دین و تشّت آراءشان در احکام شرع مبین و عدول ایشان از تمسک حبل المنین که عبارتست از امام زمان و زمین می فرماید:

أما بعد از حمد و ثنای الهی و صلوات بر حضرت. رسالت پناهی پس بدرستی که خداوند تعالی نشکست هرگز گردنکشان روزگار را مگر بعد از مهلت و وسعت در حیات، و اصلاح نفرموده است استخوان شکسته احدی را از امتهای پیغمبران مگر بعد از شدّت و تنگی و امتحان، و در نزد آنچه استقبال نمودید از ملامت و عتاب من و استدبار کردید از أهوال و کارهای بزرگ زمن عبرتست صاحب عبرت و بصیرت را، و نیست هر صاحب قلب عاقل و دانا، و نه هر صاحب گوش سمیع و شنوا و نه هر صاحب نظر بصیر و بینا.

پس ای نفس تعجب کن و چیست مرا که تعجب نکنم از خطای این فرقه‌های بی ادب بر اختلاف حجتهای ایشان در دین و مذهب که متابعت نمی کنند بر اثر خیر البشر، و اقتدا نمی نمایند بر عمل وصی پیغمبر، ایمان نمی آورند بغیب، و عفت نمی ورزند از گناه و عیب، عمل میکنند در شبهها، و سیر می نمایند در شهوتها، معروف در میان ایشان چیزی است که خود شناخته اند او را بمیل طبیعت، و منکر نزد ایشان چیز است که خود انکار کرده اند آنرا نه بمقتضای شریعت.

مرجع ایشان در شداید بنفس خودشان است نه بر ائمه، و اعتماد ایشان در مبهمات برأی خودشان است نه بعترت خیر البشر، گویا هر مردی از ایشان امام و مقتدای خودش هست در دین، بتحقیق که تمسک نموده است از نفس خود در چیزی که ظن میکند به بندهای استوار و ریسمانهای محکم تابدار، یعنی اعتقادش اینست آنچه اخذ نموده است آنرا از نفس خود در احکام در استحکام مانند حکم الهی است.

من المختار في باب الخطب

و أول فقراتها مروية في الكافي و في ديباجه تفسير علي بن إبراهيم القمي أيضا باختلاف تطلع عليه.

أرسله علي حين فتره من الرسل، و طول هجعه من الامم، و اعتزام من الفتن، و انتشار من الامور، و تَلَطَّ من الحروب، و الدنيا كاسفه النور، ظاهره الغرور، علي حين اصفرار من ورقها، و إياس من ثمرها، و اغورار من مائها، قد درست منار الهدى، و ظهرت أعلام الردى، فهي متهجمه لأهلها، عابسه في وجه طالبها، ثمرتها الفتنة، و طعامها الجيفه، و شعارها الخوف، و دثارها السيف، فاعتبروا عباد الله و اذكروا تيك التي آباؤكم و إخوانكم بها مرتنون، و عليها محاسبون، و لعمري ما تقادمت بكم و لا بهم العهود، و لا- خلت فيما بينكم و بينهم الأحقاب و القرون، و ما أنتم اليوم من يوم كنتم في أصلا بهم ببعيد، و الله ما أسمعهم الرسول شيئا إلاّ وها أنا ذا اليوم مسمعكموه، و ما أسمعكم اليوم بدون أسمعهم بالأمس، و لا شقت لهم الأبصار، و لا جعلت لهم الأفئده في ذلك الأوان إلاّ- و قد أعطيتم مثلها في هذا الزمان، و و الله ما بصرتم بعدهم شيئا جهلوه، و لا أصفيتم به و حرموه، و لقد نزلت بكم البليه جاثلا خطامها، رخوا بطانها،

فلا يَغْرَنَكُم ما أصبح فيه أهل الغرور، فإنّما هو ظلّ ممدود إلى أجل معدود.

اللغة

(الفترة) ما بين الرّسولين من رسل الله و (الهجعة) بفتح الها و سكون الجيم النومه ليلا من الهجوع بالضم كالجلسه من الجلوس و (الاعتزام) العزم من اعتزمه و عليه و تعزم أراد فعله و قطع عليه و يروى و اعتزام بالراء المهمله من عرام الجيش بالضم كغراب حدّتهم و شدّتهم و كثرتهم و العرام من الرّجل الشراسه و الاذى و (التلظى) التلهب و (كسف) الشمس و القمر كسو فاذهب نورهما و احتجبا و (اغورّ) الماء اغورارا كاحمرّ و تغورّ ذهب فى الأرض و اغورّت الشمس غابت قال سبحانه:

«قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْرًا فَمَنْ يَأْتِيكُمْ بِمَاءٍ مَعِينٍ».

أى صار مائكم غائرا (فهى متهجمه) من هجم عليه هجوما انتهى إليه بغته و هجم البيت انهدم و فى بعض النسخ متجهّمه بتقديم الجيم على الهاء من تجهّمه فلان استقبله بوجه كريبه، و بهما روى بيت الصيّد يقيه الطاهره سلام الله عليها و على أبيها و بعلها و بينها عند غضب فدك:

تهجمتنا رجال و استخفّ بنا لّمّا فقدت و كلّ الأرض مغتصب

و (الأحقاب) جمع حقب بضم الحاء و القاف و بسكون القاف أيضا ثمانون سنه أو أكثر و قيل الدهر و قيل السنه و قيل السنون و (القرون) جمع القرن قال الفيروز آبادى أربعون سنه أو عشره أو عشرون أو ثلاثون أو خمسون أو ستون أو سبعون أو ثمانون أو مائه أو مائه و عشرون (و لا أصفيتيم) على البناء للمفعول من باب الافعال، قال سبحانه:

«أَفَأَصْفَاكُمْ رَبُّكُم بِالْبَنِينَ».

أى آثركم و (جائلا خطامها) أى مضطربا غير مستقرّ من الجولان و الخطام من الدّابه بالخاء المعجمه و الطاء المهمله مقدم أنفها و فمها، و يطلق على الزمام، و هو المراد هنا باعتبار أنه يقع على الفم أو الأنف و ما يليه، و منه الحديث كان خطام جمله عليه السّلام ليف و (البطان) حزام القتب يقال أبطن البعير أى سدّ بطانه.

الاعراب

على حين فتره للاستعلاء المجازى، و جمله و الدّنيا كاسفه التّور، منصوبه المحلّ على الحالّيه من ضمير أرسله، و على حين اصفرار ظرف مستقرّ خبر ثان للدّنيا و يحتمل الحال أيضا و جمله قد درست حال أيضا، و لعمري جمله قسميه، و قوله و ما أنتم اليوم ما حجازيه عامله عمل ليس، و أنتم اسمها و ببعيد خبرها زيد فيه الباء كما تزداد فى خبر ليس مطّردا، و اليوم متعلّق به، و كذلك من يوم و جمله جهلوه صفة لشيئا.

و جمله و حرموه حال من ضمير به و فيه دليل على عدم لزوم قد فى الجملة الحالّيه الماضويه المثبتة كما عليه جمهور علماء الأديبه، اللّهمّ إلّا- أن يقال: إنّ الجملة فى معنى النفي إذ مقصوده عليه السّلام نفي الاصفاء عن المخاطبين و المحروميه عن الغائبين معا و لذلك جىء بالواو و الضمير، و الفاء فى قوله فلا يغزّركم فصيحته

المعنى

اشاره

اعلم أنّ مقصوده عليه السّلام بهذه الخطبه هو التذكير و الموعظه و التّنبيه عن نوم الغفله و التحذير من الغرور و الفتنة، و مهّد أوّلا مقدّمه متضمّنه للاشاره إلى حاله النّاس حين البعثه و أيام الفتره و أنّه سبحانه أرسل إليهم رسولا يزكّيهم و يعلّمهم الكتاب و الحكمه و آثرهم بتلك النّعمه العظيمه و الموهبه الجسيمه بعد ما كانوا فى شدّه الابتلاء و المحنه و منتهى الاضطراب و الخشيه و سوء الحال و الكابه، ليتذكّر السّامعون بتلك النّعمه العظمى و المنحه الكبرى فيشكروا لله و يلازموا طاعه الله و يسلكوا سبيل الله سبحانه فقال عليه السّلام:

(أرسله) أى محمّدا صلّى الله عليه و آله و سلّم (على حين فتره من الرّسل) أى على حين سكون

و انقطاع من الرّسل و ذلك أنّ الرسل إلى وقت رفع عيسى كانت متواتره و بعد رفعه (عليه السلام) انقطع الوحي و الرّسالة خمسمائه سنه على ما فى بعض روايات أصحابنا أو ستّمأه سنه كما عن البخارى عن سلمان، و الأوّل أشهر و أقوى و يأتى حديث آخر فى ذلك إنشاء الله فى شرح الفصل السّادس من الخطبه المأه و الحاديه و التسعين و هى الخطبه المعروفه بالقاصعه ثمّ بعث الله محمّدا صلّى الله عليه و آله و إنّما قيد عليه السّلام نعمه الإرسال و الانزال بتلك الحال و ما يتلوها من الأحوال بيانا للواقع و إظهارا لجلاله تلك النعمه و جزاله تلك الموهبه حسبما أشرنا إليه فإنّ النعمه يتزايد قدرها بحسب تزايد منافعها، و لا ريب أنّ خلوّ الزمان عن الرّسول يستلزم ظهور الفساد و الشّرور و انتشار البغى و الفجور و كثره الهرج و المرج، و تلك أحوال مذمومه و أفعال مشئومه توجب تبدّل النّظام و اختلال الأحكام و الانهماك فى الجهالات و التورّط فى الضّلالات و لحوق الدّم بهم بمقدار ما يلحقهم من المدح فى حال الطاعه و القيام بوظايف العباده المتفرّعه على وجود الدليل و بعث الرّسول صلّى الله عليه و آله و سلّم (و طول هجعه من الامم) استعار لفظ الهجعه التى هى عبارته من التّوم فى اللّيل لانغماسهم فى ظلمه الجهاله و الضّلاله، و رشحها بذكر الطول الذى هو من ملايمات المستعار منه على حدّ قوله:

«أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوا الضَّلَالَهَ بِالْهُدَى فَمَا رَبِحَتْ تِجَارَتُهُمْ».

(و اعترام من الفتن) نسبه الاعترام إلى الفتن مجاز كنى به عن وقوعها بينهم كأنّها قاصده لهم مريده إيّاهم و على روايه الاعترام بالزّاء المهمله فالمراد كثرتها و شدّتها و تأذى الناس بها (و انتشار من الأمور) أى تفرّق امور الخلق فى معاشهم و عدم جريانها على قانون منتظم (و تلظّ من الحروب) شبه الحرب بالنّار فى الافساد و الاهلاك و أسند إليها التلظّى الذى هو الاشتعال و الالتهاب على سبيل الاستعاره و كنى به عن هيجانها و ثورانها أيام الفتره ففى الكلام استعاره مكّتيه و تخيلتيه

(و الدّنيا كاسفه النّور) استعار النور للعلم المقتبس من الأنبياء و الحجج بشباهه أنّ كلّاً منهما سبب لهدايه الأنام في الضّلاله و الظلام، و رشّحها بذكر الكسف الذى من ملايمات النّور و أراد به عدم وجود هذا النّور في ذلك الزمان (ظاهره الغرور) أراد ظهور اغترار النّاس بها و شيوع افتتانهم بشهواتها و لذاتها (على حين اصفرار من ورقها و اياس من ثمرها و اغورار من مائها) شبّه عليه السّلام الدنيا بشجره مثمره مورقه في اشتغالها على ما تشتهيهِ الأنفس و تلذّ الأعين على سبيل الاستعاره بالكنايه و ذكر الورق و الثمر و الماء تخييل. و إثبات الاصفرار و الاياس و الاغورار ترشيح، و أراد بتلك الترشيحات بيان خلوّ الدنيا يومئذ عن آثار العلم و الهدايه و ما يوجب السعاده في البدايه و النهايه.

و يمكن جعله مركّباً من استعارات متعدّده و يكون المراد بيان خلوّ الدنيا حينئذ من الأمن و الرّفاهيه و المنافع الدنيويه ليكون ما يذكر بعده تأسيساً.

و توضيح ذلك الوجه ما ذكره الشارح البحرانى حيث قال استعار لفظ الثمره و الورق لمتاعها و زينتها و لفظ الاصفرار لتغيّر تلك الزينه عن العرب في ذلك الوقت و عدم طراوه عيشهم اذا و خشونه مطاعمهم كما يذهب حسن الشّجره باصفرار ورقها فلا يلتذّ بالنظر إليها، و عنيبالاياس من ثمرها انقطاع مآل العرب اذا من الملك و الدّوله و ما يستلزمه من الحصول على طيبات الدّنيا.

و كذلك استعار لفظ الماء لموادّ متاع الدّنيا و طرق لذّاتها و لفظ الاغورار لعدم تلك الموادّ من ضعف التجارات و المكاسب و عدم التملّك للأمصار و كلّ ذلك لعدم النظام العدلى بينهم و كلّها استعارات بالكنايه و وجه الاستعاره الاولى أنّ الورق كما أنّه زينه الشّجر و به كماله كذلك لذّات الدّنيا و زينتها، و وجه الثانيه أنّ الثمر كما أنّه مقصود الشجره غالباً و غايتها كذلك متاع الدّنيا و الانتفاع به هو مقصودها المطلوب منها لأكثر الخلق، و وجه الثالثه أنّ الماء كما أنّه مادّه الشجره و به حياتها و قيامها في الوجود

كذلك موادّ تلك اللذات هي المكاسب و التجارات و الصّيناعات، و قد كانت العرب خاليه من ذلك و وجوه باقى الاستعارات ظاهره.

(قد درست منار الهدى) كناية عن فقدان حجج الدين و انتفاء أدلّه الحقّ (و ظهرت أعلام الرّدى) كناية عن غلبه أدلّه الباطل و ظهور أئمّه الضّلال (فهى متهجّمه لأهلها) أى داخله عليهم عنفا لكونها غير موافقه لرضاهم أو منهدمه عليهم غير باقيه فى حقّهم أو ملاقيه لهم بوجه كريبه و هو على روايه متجهّمه بتقديم الجيم على الهاء (عابسه فى وجه طالبها) أراد به عدم حصول بغيه الطالبين منها كما لا تحصل من الرّجل المنقبض الوجه الذى يلوى بشرته قال سبحانه:

«عَبَسَ وَ تَوَلَّى أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَى».

(ثمرتها الفتنة) أى الضّلال عن طريق الحقّ و التيه فى ظلمه الباطل و فيه استعاره مكنيه و تخيليه حيث شبّه الدنيا بشجره مثمره و أثبت الثمره لها و جعل ثمرتها الفتنة إمّا من باب التهكم أو من حيث إنّ الثمره كما أنّها الغايه المقصوده من الشجره فكذلك غايه الدّنيا عند أهلها هى الفتنة و الضّلال (و طعامها الجيفه) يحتمل أن يكون المراد بالجيفه الميتة و الحيوان الغير المزكى ممّا كان العرب يأكلها فى أيام الفتره حتى حرّمها الآيه الشريفه أعنى قوله:

«حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَ الدَّمُ وَ لَحْمُ الْخِنْزِيرِ وَ مَا أَهَلَ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ وَ الْمُنْخَنِقَةُ وَ الْمَوْقُودَةُ».

أى المضروبه بالخشب حتى تموت و يبقى الدّم فيها فيكون أطيب كما زعمه المجوس «وَ الْمَيْتَرْدِيَةُ» أى التى تردّت من علوّ فماتت و قد مرّ فى شرح الخطبه السّادسه و العشرين أنّ أكثر طعام العرب كان الخشب و الخبائث، و يجوز أن يراد بالجيفه الاعمّ من ذلك أعنى مطلق ما لا- يحلّ فى الشريعه المطهّره سواء كان من قبيل الخبائث و الميتات أو من قبيل الأموال المغصوبه المأخوذه بالنّهب

و الغاره و السّيرقه و نحوها على ما جرت عليه عادة العرب و كانت دابا لهم (و شعارها الخوف و دثارها السّيف) الشّعار ما يلي شعر الجسد من الثّياب و الدّثار ما فوق الشّعار من الأثواب و مناسبه الخوف بالشّعار و السّيف بالدّثار غير خفيّه على ذوى الأنظار.

ثمّ إنّه بعد ما مهّد المقدّمه الشريفه و فرغ من بيان حاله العرب فى أيّام الفتره شرع فى الموعظه و النّصيحه بقوله:(فاعتبروا عباد الله) بما كانت عليه الاخوان و الآباء و الأقربان و الأقران (و اذكروا تيك) الأعمال القبيحه و الأحوال الذميمة (التي آباءكم و اخوانكم بها مرتهنون) و محبوسون و عليها محاسبون و مأخوذون.

ثمّ اشار عليه السّلام إلى تقارب الأزمان و تشابه الأحوال بين الماضين و الغابرين بقوله:(و لعمرى ما تقادمت بكم و لا بهم العهود) حتّى تغفلوا (و لا- خلت فيما بينكم و بينهم الأحقاب و القرون) حتّى تذهلوا (و ما أنتم اليوم من يوم كنتم فى أصلا بهم ببعيد) حتّى تنسوا و لا تعتبروا فلکم اليوم بالقوم اعتبار و فيما جرت عليهم تبصره و تذكار.

(و الله ما أسمعهم الرّسول شيئاً إلّا و ها أنا ذا مسمعكموه) فليس لكم علىّ حجّه بعدم الابلاغ و الاسماع (و ما إسماعكم اليوم بدون إسماعهم بالأمس) فليس لكم معذره بالوقر فى الآذان و الأسماع (و لا شقت لهم الأبصار) المبصره (و لا جعلت لهم الأفتده) المتدبّره (فى ذلك الأوان إلّا و قد أعطيتم مثلها فى هذا الزّمان) فلا يمكن لكم أن تقولوا إنّنا كنّا فى عمى من هذا و كنّا به جاهلين، و لا أن تعتذروا بأنّه لم يجعل لنا أفتده و كنّا منه غافلين.

(و والله ما بصّيرتم بعدهم شيئاً جهلوه) بل علّموا ما علّمتم (و لا اصفيتم) و اوثرتم (به و حرموه) بل منحوا ما بذلتم فلم يبق بينكم و بينهم فرق فى شىء من الحالات و كنتم مثلهم فى جميع الجهات فإذا انتفى الفارق فما بالكم لا تسمعون و لا تبصرون

و لا تفهمون و لا تدكرون، و قد اسمع اسلافكم فسمعوا، و بصروا فتبصروا و ذكروا فتذكروا و عمروا فنعموا، و علموا ففهموا.

ثم حذرهم و أندرهم بإشراف الابتلاء و المحنة و نزول البليه بقوله (و لقد نزلت بكم البليه) لعله أراد بها فتنه معاويه و دوله بنى أميه (جانلا- خطامها رخواً بطانها) استعاره بالكنايه عن خطرها و صعوبه حال من يعتمد عليها و يركن إليها كما أنّ من ركن إلى الثاقه التي جال خطامها و لم تستقر في وجهها و انفها و ارتخى حزامها فركبها كان في معرض الشقوط و الهلاك.

ثم أردف ذلك بالتهى عن الاغترار بالدنيا فقال (و لا- يغرنكم ما أصبح فيه أهل الغرور) من الاغترار بزخارفها و لذاتها و الانهماك في شهواتها و طبيباتها بظن دوامها و ثباتها (فإنما هو ظل ممدود إلى أجل) محدود (معدود) بينا ترونه سابغا حتى قلص و زيدا حتى نقص.

تكملة

قد اشرنا سابقا إلى أنّ أوّل فقرات هذه الخطبه مرويه في الكافي باختلاف لما هنا فأحببت أن اوردها على ما هود يدنا في الشرح فأقول:

روى الكليني عن محمد بن يحيى عن بعض أصحابه عن هارون بن مسلم عن مسعده بن صدقه عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام أيها الناس إنّ الله تبارك و تعالى أرسل إليكم الرسول صلى الله عليه و آله و سلم، و أنزل عليه الكتاب و أنتم اميون عن الكتاب و من أنزله و عن الرسول و من أرسله على حين فتره من الرسل، و طول هجعه من الأمم، و انبساط من الجهل، و اعتراض من الفتنة، و انتقاض عن المبرم، و عمى عن الحق، و اعتساف من الجور، و امتحاق من الدين، و تلمظ من الحروب، على حين اصفرار من رياض جنات الدنيا، و يبس من اغصانها، و انتشار من ورقها، و اياس من ثمرها، و اغرور من مائها.

قد درست أعلام الهدى، و ظهرت أعلام الردى، فالدنيا متهمه «متجهمه ح» في وجوه أهلها؛ مكفهرة مدبره غير مقبله، ثمرتها الفتنة، و طعامها الجيفه،

و ثمارها الخوف، و دثارها السيف، و مزّتم كلّ ممزّق، و قد أعمت عيون أهلها، و أظلمت عليها أيامها، قد قطعوا أرحامهم، و سفكوا دمائهم، و دفنوا في التراب المؤؤده بينهم من أولادهم، يجتاز دونهم طيب العيش و رفاهيه خفوض الدّنيا، لا يرجون من الله ثوابا، و لا يخافون و الله منه عقابا.

حيّهم أعمى نجس، و ميّتهم في النار مبلس، فجاءهم صلّى الله عليه و آله و سلّم بنسخه ما في الصحف الأولى و تصديق الذي بين يديه و تفصيل الحلال من ريب الحرام، ذلك القرآن فاستنطقوه و لن ينطق لكم اخبركم عنه أنّ فيه علم ما مضى و علم ما يأتي إلى يوم القيامة و حكم ما بينكم و بيان ما أصبحتم فيه تختلفون، فلو سألتموني عنه لعلمتكم.

و رواه عليّ بن إبراهيم القمي أيضا في ديباجه تفسيره نحوه و لقلّه موارد الاختلاف لم نطل بروايتها.

بيان

قال في النهايه: إنا امّه اميّه لا نكتب و لا نحسب أراد أنّهم على أصل ولاده امّهم لم يتعلّموا الكتاب و الحساب فهم على جبلّتهم الأولى، و قيل: الأمّي الذي لا يكتب و منه الحديث بعثت إلى أمّه أميّه قيل للعرب: أميون لأنّ الكتابه كانت فيهم عزيزه أو عديمه انتهى.

قال بعض شراح الحديث و لعلّ المراد هنا من لا- يعرف الكتابه و الخط و العلم و المعارف و ضمن معنى ما يعدى كالتوم و الغفله، و قوله: و اعتراض من الفتنه يحتمل أن يكون عروضها و انتشارها في الآفاق، قوله: و انتقاض عن المبرم المحكم و قد أشار به إلى ما كان الخلق على من استحكام أمورهم بمتابعه الأنبياء و أراد بانتقاضه فساد.

و المكفهرّ من الوجوه من اكفهرّ على وزن اقشعرّ القليل اللحم العليظ الذي لا يستحيى و المتعبّس، قوله: مزّتم كلّ ممزّق التفات من الغيبه إلى الخطاب و الممزّق مصدر بمعنى التمزيق و هو التفريق و التّقطيع، و المراد به تفرّقهم في

البلدان للخوف أو تفرّقهم في الأديان والآراء، و الموءوده البنت المدفونه حيّه و كانوا يفعلون ذلك في الجاهليّه بيناتهم لخوف الاملاق أو العار كما قال سبحانه:

«وَ إِذَا الْمَوْؤُودَةُ سُئِلَتْ بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ.»

يجتاز دونهم طيب العيش و رفاهيّه خوفض الدّنيا، يجتاز بالجيم و الزاء المعجمه من الاجتياز و هو المرور و التجاوز، و الرفاهيه السعه في المعاش، و الخفوض جمع الخفض و هي الدعه و الرّاحه أي يمرّ طيب العيش و الرّفاهيه التي هي خفض الدّنيا أو في خفوضها متجاوزا عنهم من غير تلبّث عندهم، قوله: أعمى نجس بالتّون و الجيم و في بعض النسخ بالحاء المهمله من النّحوسه و المبلس من الابلاس و هو الاياس من رحمه الله و منه سمّى ابليس، قوله: بما في الصّحف الاولى أي التوراه و الانجيل و الزبور و غيرها من الكتب المنزله و هو المراد بالذي بين يديه كما قال تعالى:

«مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ وَ آتِينَاهُ الْإِنْجِيلَ.»

و قوله: فاستنطقوه الأمر للتعجير، و ساير الفقرات واضحه ممّا قدّمنا.

الترجمه

از جمله خطب شريفه آن حضرتست كه متضمّن ميباشد بعثت حضرت خاتم رسالت را در ايام فترت و بيان حالت خلق را در ايام جاهليت و مشتمل است به موعظه و نصيحت و تنبيه از نوم غفلت و جهالت مي فرمايد:

فرستاد حق سبحانه و تعالى پيغمبر آخر الزّمان را در حين فتور و انقطاع از پيغمبران، و در زمان درازي خواب غفلت از امتان، و در هنگام عزم از فتنه ها، و در وقت انتشار از كارها، و در حين اشتعال از نائره حروب و كارزارها، و در حالتی كه دنيا منكسف بود نور او، ظاهر بود غرور او، ثابت بود بر زردی بر ك خود، و مأیوسی از ثمر خود، و فرو رفتن آب خود، بتحقيق كه مندرس شده بود علم های هدايت، و ظاهر گشته بود نشانهای ضلالت.

پس دنیا هجوم آورنده بود بر اهل خود، و عبوس بود در روی طالبان خود، میوه او فتنه بود، و طعام او جیفه، و پوشش او ترس بود از دشمنان، و لباس بیرونی او شمشیر بزان، پس عبرت بردارید ای بندگان خدا و یاد آورید آن حالت را که بود پدران شما و برادران شما بسبب آن حالت مرهون و محبوس، و بجهت آن محاسب و مأخوذ، و قسم بزندگانی خود که دیر نشده است بشما و نه بایشان عهدها و زمانها، و نگذشته است در ما بین شما و ایشان روزگاریها و قرنهای، و نیستید شما امروز از روزی که بودید در پشت های ایشان دور، یعنی مدتی نیست که شما در اصلااب آباء خود بودید ایشان با سایر خویشان از شما مفارقت کردند و شما هم در اندک زمانی بایشان ملحق خواهید شد.

بخدا سوگند که نشنوانید بشما رسول خدا علیه التّحیه و الثّناء چیزی را مگر این که من شنواننده ام بشما آنرا، و نیست سمعهای شما امروز کم از سمع های ایشان دیروز، و شکافته نشد ایشان را دیده ها، و گردانیده نشد ایشان را قلبها در آن زمان مگر این که عطا شدید شما مثل آنرا در این زمان.

و بخدا قسم که نموده نشدید شما بعد از ایشان چیزی را که ایشان جاهل آن بوده باشند، و برگزیده نشدید بچیزی در حالتی که ایشان محروم بوده باشند از او، و بتحقیق که فرود آمد بشما بلاها در حالتی که جولان کننده است مهار آن، سست بی ثبات است تنک آن، پس مغرور نسازد شما را آنچه که صباح کرد در آن اهل غرور و ارباب شرور، پس اینست و جز این نیست که آن دنیا سایه ایست کشیده شده تا مدت شمرده شده، مشحون بانواع قصور و محتوی بکمال ضعف و فتور.

و من خطبه له علیه السّلام و هی التاسعه و الثمانون

اشاره

من المختار فی باب الخطب

الحمد لله المعروف من غیر رؤیه، و الخالق من غیر روّیه الذی،

ص: ۲۶۹

لم يزل قائماً دائماً، إذ لا سماء ذات أبراج، ولا حجب ذات أرتاج، ولا ليل داج، ولا بحر ساج، ولا جبل ذو فجاج، ولا فجاج ذو اعوجاج، ولا أرض ذات مهاد، ولا خلق ذو اعتماد، ذلك مبتدع الخلق و وارثه، وإله الخلق و رازقه، و الشمس و القمر دائبان فى مرضاته، يبلان كل جديد، و يقربان كل بعيد، قسم أرزاقهم، و أحصى آثارهم و أعمالهم و عدد أنفاسهم و خائنه أعينهم و ما تخفى صدورهم من الضمير، و مستقرهم و مستودعهم من الأرحام و الظهور، إلى أن تتناهى بهم الغايات، هو الذى اشتدت نقمته على أعدائه فى سعه رحمته، و اتسعت رحمته لأولياءه فى شدة نقمته، قاهر من عازيه، و مدمر من شاقه، و مذل من ناواه، و غالب من عاداه، من توكل عليه كفاه، و من سأله أعطاه، و من أقرضه قضاه، و من شكره جزاه، عباد الله زنوا أنفسكم من قبل أن توزنوا و حاسبوها من قبل أن تحاسبوا، و تنفسوا قبل ضيق الخناق، و انقادوا قبل عنف السياق، و اعلموا أنه من لم يعن على نفسه حتى يكون له منها واعظ و زاجر، لم يكن له من غيرها زاجر و لا واعظ.

اللغة

(الزوييه) من روات فى الأمر أى تفكرت فيه و أصلها رؤيته و استعمالها فى لسان العرب بغير همز و مثلها بريه و (الأبراج) جمع البرج كالأركان و الزكن لفظا و معنى و (الارتاج) إما مصدر باب الأفعال من ارتج الباب أغلقه أو جمع الرّج محرّكه

قال الشارح المعتزلي: و يبعد روايه من رواه ذات ارتاج لأنّ فعلا قلّ أن يجمع على أفعال «انتهى» و أراد به أن ارتاج على تقدير جمعيته واحده رتاج و جمعه عليه قليل، و فيه أنه يرتفع الاستبعاد بجعله جمعا للرتج حسبما قلنا و هو كثير.

و (دجى) اللّيل دجوا و دجوا أظلم فهو داج و ليله داجيه و (سجى) البحر سجوا سكن و (الفجاج) جمع الفجّ فهو الطريق الواسع بين جبلين و (المهاد) الفراش و (عازه) معازه غالبه قال سبحانه: و عزّنى فى الخطاب أى غلبنى و (دمّره) تدميرا أهلكه و (شاقّه) مشاقّه و شقاقا خالفه و عاداه و(ناواه)أى عاداه و اللفظه مهموزه و إنما لينها لملاحظه السّجع و أصلها من النواء و هو التّهوض لأنّ كلّ المتعادين ينهض إلى قتال الآخر و (العسف) بالضمّ ضدّ الرفق.

الاعراب

قوله: إذ لا- سماء إذ ظرف للزمان الماضى و ملازم للاضافه إلى الجمل، و لا بمعنى ليس، و سماء اسمها و خبرها محذوف منصوبا على الاعمال كما هو مذهب أهل الحجاز، أو سماء مرفوع على الابتداء و خبره موجود بالرفع على الاهمال و هو مذهب بنى تميم و الأوّل أقوى، و جملة و الشّمس و القمره مستأنفه، و جملة ييليان فى محلّ النّصب على الحال من ضمير دائبان، و عدد أنفاسهم فى بعض النسخ بجزّ أنفاسهم على إضافه العدد إليها و كونه اسما فيكون عطفا على آثارهم و فى بعضها بنصبها على كونه مفعولا لعدد و جعله فعلا مجزّدا من باب قتل أو مزيدا من باب التفعيل أى أحصى أنفاسهم و على هذا فتكون الجملة معطوفه على الجملة السّابقه، و خائنه بالنّصب عطف على آثارهم أو أنفاسهم على الاحتمال الثّانى أو عدد على الاحتمال الأوّل، و كذلك مستقرّهم و مستودعهم، و من الأرحام و الظهور متعلّق بالمستقرّ و المستودع على إرادته التّكرار و قوله: حتّى يكون قيد للمنفى أعنى يعن دون النفى.

ص: ٢٧١

أعلم أنه عليه السلام صدّر هذه الخطبة الشريفة بجمله من الصِّفات الجمالية والجلالية الالهية، و ذيلها بالموعظة و النصيحة و الحثّ على التزوّد و الاستعداد للآخرة فقال عليه السلام: (الحمد لله المعروف من غير رؤيه) يعنى أنه سبحانه معروف بدلائل الملك و الملكوت و آثار القدره و الجبروت و مدرك بحقايق الايمان من غير رؤيه و مشاهده بالعيان، لكونها من لواحق الامكان كما مرّ توضيحا و تحقيقا فى شرح الخطبه التاسعه و الأربعين (و الخالق من غير رويه) أراد أنه تعالى خالق للأشياء بنفس قدرته التامه الكامله غير محتاج فى خلقها إلى رويه و فكره كما يحتاج إليها نوع الانسان فى إيجاد شىء، و ذلك انّ فايده القوه المفكره تحصيل المطالب المجهوله من المبادئ المعلومه و الجهل محال على الله سبحانه (الذى لم يزل قائما دائما) أمّا دوامه سبحانه فلأنّ وجوب الوجود يستحيل عليه العدم فى الأزل و الأبد، و أمّا قيامه فالمراد به إما الدوام و البقاء و إما القيام بأمور العالم و القيمومه على كلّ شىء بمراعاه حاله و درجه كماله و الحافظ لكلّ شىء و المدبّر لأمره أو الرقيب على كلّ شىء و الحافظ عليه و به فسّر قوله سبحانه:

«أَفَمَنْ هُوَ قَائِمٌ عَلَى كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ» و الأول أنسب بقوله (إذ لا سماء ذات أبراج) لأنّ القيمومه بالمعنى الأول من صفات الذات و بالمعنى الثانى من صفات الفعل و بعد السّماء و وجود العالم لأنّه إذا لم يكن العالم مخلوقا بعد لم يصدق عليه أنه قائم بأمره إلا بالقوه لا بالفعل فافهم و المراد بالابراج إمّا الأركان كما هى معناها فى اللغه و إمّا ما فسّر به قوله تعالى:

«وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ».

و لهم فى تفسيره ثلاثه أقوال: أحدها أنها هى البروج الاثنا عشر التى فيها عجيب الحكمه إذ سير الشمس فيها و مصالح العالم السفلى مرتبطه بسير الشمس

و ثانيها أن البروج هي منازل القمر و ثالثها أنّها هي عظام الكواكب سمّيت بروجاً لظهورها و سيأتي تفصيل الكلام في ذلك في شرح الفصل الرابع من الخطبه الآتية (و لا حجب ذات ارتاج) أي ذات أبواب أو ذات أغلاق.

و اعلم أنّه قد كثر في الأخبار العاميه و الخاصيه ذكر الحجب و السّرادقات و تضافرت الأخبار في وجودها و من جمله تلك الروايات روايه الحسن البكري التي تقدّمت في التذييل الأول من تذييلات الفصل الثامن من فصول الخطبه الأولى.

و منها ما في البحار من الدّر المنثور للسيوطي عن سهل بن سعد و عبد الله بن عمر قالا: قال رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم: دون الله سبعون ألف حجاب من نور و ظلمه ما يسمع من نفس من حسن تلك الحجب إلّا زهقت نفسه.

و منها ما فيه عن شرح النهج للكيدري عن النّبىّ صلّى الله عليه و آله و سلّم في حديث المعراج قال: فخرجت من صدره المنتهى حتّى وصلت إلى حجاب من حجب العزّه ثمّ إلى حجاب آخر حتّى قطعت سبعين حجاباً و أنا على البراق و بين كلّ حجاب و حجاب مسيره خمسمائه سنه إلى أن قال: و رأيت في علّين بحارا و أنوارا و حجابا غيرها لو لا تلك لاحترق كلّ ما تحت العرش من نور العرش.

قال: و في الحديث أنّ جبرئيل عليه السّلام: قال: لله دون العرش سبعون حجاباً لو دنونا من أحدها لاحترقتنا سبحات وجه ربّنا.

أقول: قال النوويّ في المحكّي عن شرح صحيح مسلم: سبحات بضم السّين و الباء أي نوره و أراد بالوجه الدّات، و قال في البحار: سبحات الله جلاله و عظّمته و هي في الأصل جمع سبحه، و قيل: أضواء وجهه، و قيل: سبحات الوجه محاسنه لأنك إذا رأيت الوجه الحسن قلت سبحان الله هذا.

و الأخبار في هذا المعنى كثيره روى شطرا منها في البحار و قال بعد روايتها:

و التحقيق أنّ لتلك الأخبار ظهراً و بطناً و كلاهما حقّ.

فأما ظهرها فإنّه سبحانه كما خلق العرش و الكرسي مع عدم احتياجه إليهما كذلك

خلق عندهما حجباً و أستارا و سرادقات، و حشاها من أنواره الغريبه المخلوقه له ليظهر لمن يشاهدها من الملائكه و بعض النبيين و لمن يسمعا من غيرهم عظمه قدرته و جلاله هيبته وسعه فيضه و رحمته، و لعلّ اختلاف الأعداد باعتبار أنّ في بعض الاطلاقات اعتبرت الأنواع، و في بعضها الأصناف و الأشخاص أو ضمّ بعضها إلى بعض في بعض التعبيرات أو اكتفى بذكر بعضها في بعض الروايات.

و أمّا بطنها فلأنّ الحجب المانع عن وصول الخلق إلى معرفه كنه ذاته و صفاته سبحانه امور كثيره:

منها ما يرجع إلى نقص المخلوق و قواه و مداركه بسبب الامكان و الافتقار و الاحتياج و الحدوث و ما يتبع ذلك من جهات النقص و العجز و هي الحجب الظلمانيه.

و منها ما يرجع إلى نوريته و تجرّده و تقدّسه و وجوب وجوده و كمال عظمته و جلاله و ساير ما يتبع ذلك و هي الحجب النورانيه و ارتفاع تلك الحجب بنوعيه محال، فلو ارتفعت لم يبق بغير ذات الحق شيء، أو المراد بكشفها رفعها في الجملة بالتخلّي عن الصفات الشهوانيه و الأخلاق الحيوانيه و التخلّق بالأخلاق الرّبانيه بكثرة العبادات و الرّياضات و المجاهدات و ممارسه العلوم الحقه، فترتفع الحجب بينه و بين الله سبحانه في الجملة فيحرق ما يظهر عليهم من أنوار جلاله تعيّناتهم و إراداتهم و شهواتهم فيرون بعين اليقين كما له سبحانه و نقصهم، و بقائه و فنائهم، و عزّه، و ذلّهم، و غناه و افتقارهم، بل يرون وجودهم المستعار في جنب وجوده الكامل عدما، و قدرتهم الناقصه في جنب قدرته الكامله عجزا بل يتخلّون عن إرادتهم و علمهم و قدرتهم فيتصرّف فيهم إرادته و قدرته و علمه سبحانه، فلا يشاءون إلاّ أن يشاء الله، و لا يريدون سوى ما أراد الله، و يتصرّفون في الأشياء بقدره الله، فيحيون الموتى و يردّون الشمس و يشقّون القمر كما قال أمير المؤمنين عليه السّلام: ما قلعت باب خبير بقوّه جسمانيه بل بقوّه ربانيه، و المعنى الذي يمكن فهمه و لا ينافي أصول الدّين من الفناء في الله و البقاء بالله هو هذا المعنى.

و بعبارة اخرى الحجب التورانيه الموانع التي للعبد عن الوصول إلى قربه و غايه ما يمكنه من معرفته سبحانه من جهة العبادات كالزّياء و العجب و السّيمعه و أشباهها و الظلمانيه ما يحجبه من المعاصي عن الوصول إليه، فاذا ارتفعت تلك الحجب تجلّى الله له في قلبه و أحرق محبّته ما سواه حتّى نفسه عن نفسه، و كلّ ذلك لا- يوجب عدم الايمان بظواهرها، إلّا- بمعارضه نصوص صحيحه صريحه صارفه عنها، و أوّل الالحاد سلوك التّأويل من غير دليل و الله الهادي إلى سواء السّبيل، انتهى كلامه رفع مقامه هذا.

و الأشبه أن يراد بقوله عليه السّلام: و لا حجب ذات ارتاج المعاني الظاهره لها و إن أمكن إرادته معانيها الباطنه في الجملة، و أما احتمال أن يراد بالحجب السّماوات كما في شرحي المعتزلي و البحراني فبعيد مع سبق قوله عليه السّلام إذ لا سماء ذات ابراج (و لا ليل داغ) اى مظلم (و لا بحر ساج) اى ساكن (و لا جبل ذو فجاج و لا فجّ ذو اعوجاج) و هو مأخوذ من قوله سبحانه:

«وَاللّٰهُ جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ بِسَاطًا لِتَسْكُنُوا مِنْهَا سُبُلًا فِجَاجًا» أي طرقا واسعه، و قيل: طرقا مختلفه عن ابن عبّاس، و قيل: سبلا في الصّحارى و فجاجا في الجبال (و لا أرض ذات مهاد) و هو مأخوذ من قوله سبحانه:

«وَالأَرْضَ فَرَشْنَاهَا فَنِعْمَ المَاهِدُونَ» أي مهّداها ليستقرّوا عليها فنعم الماهدون نحن، و في سورة النّباء.

«أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهَادًا» أي وطا و قرارا و مهينا للتصرّف فيه من غير أذّيّه، و المصدر بمعنى المفعول أو الحمل على المبالغه أو المعنى ذات مهاد (و لا خلق ذو اعتماد) أي صاحب قوّه و بطش.

(ذلك) المتّصف بالصفّات الأزليّه و الموصوف بأوصاف السّر مدّيّه (مبتدع

الخلق) و مخترعه على غير مثال سبق أو موجوده من العدم المحض (و وارثه) الباقي بعد فناءه (و إله الخلق) و معبوده (و رازقه) بجميل آلائه و جزيل نعمائه (و الشمس و القمر دائبان فى مرضاته) هو مأخوذ من قوله سبحانه:

«وَسَيَخْرُجُ لَكُمْ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ دَائِبَيْنِ» و أصل الدئب هو مرور الشئ فى العمل على عادته مطّرداً أراد عليه السلام أنّ الشمس و القمر يدأبان فى سيرهما و إنارتتهما و تأثيرهما فى إزالة الظلمه و فى إصلاح النبات و الحيوان على ما فيه رضاؤه سبحانه و يقتضيه حكمته البالغه و يرتضيه تدبيره التام الكامل (يبليان كلّ جديد و يقربان كلّ بعيد) نسبه إبلاء الجديد و تقرب البعيد إليهما باعتبار كون حركاتهما من الأسباب المعده لحدوث الحوادث فى هذا العالم و فيهما تنبيه على وجوب التجافى عن الدنيا و الاستعداد للآخره، و إشاره إلى أنّ ما يتجدّد و يحدث من لذات الدنيا و زخارفها فهو فى معرض البلى و الزوال و أنّ ما يستبعده أهل الغفله من الموت و الفناء قريب إليه و إن كان بعيداً فى نظره (قسّم أرزاقهم) بينهم على وفق ما جرى عليه قلم التقدير و كتبه يد التدبير فى الكتاب المكنون و اللوح المحفوظ كما قال سبحانه:

«نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا».

(و أحصى آثارهم و أعمالهم) و إحصائهما كناية عن العلم بهما كما قال سبحانه:

«وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَارَهُمْ» أى ما قدّموا من الأعمال و ما سنّوه بعدهم حسنه كانت أو قبيحه و منه:

«عَلِمَتْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ» و قيل آثارهم أى أقدامهم فى الأرض و أراد مشيهم إلى العباده و خطاهم إلى المساجد (و عدد أنفاسهم و خائنه أعينهم و ما تخفى صدورهم من الضمير) و هو اقتباس من قوله تعالى:

«يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ» قال في مجمع البيان: أى خيانتها وهى مسارقه النظر إلى ما لا يحل النظر إليه والخائنه مصدر كما أنّ الكاذبه واللاغيه بمعنى الكذب واللغو وقيل إنّ تقديره يعلم الأعين الخائنه، وقيل هو الرمز بالعين وفيه أقوال اخر (و مستقرهم و مستودعهم من الأرحام و الظهور) وفيه ملامحه إلى قوله سبحانه:

«وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ».

أى يعلم موضع قرارها و الموضع الذى أودعها فيه من أرحام الأمهات و أصلاب الآباء و ظهورهم، و يعلم كلّ أحوالهم من حين ابتدائهم (إلى أن تنهاى بهم الغايات) و يقف كلّ عند غايته المكتوبه من خير أو شرّ (هو الذى اشتدّت نعمته على أعدائه فى سعه رحمته و اتسعت رحمته لأوليائه فى شدّه نعمته) لا يخفى ما فى هذه القرينه من حسن المقابله.

قال الشارح البحرانى: و أشار بذلك إلى كمال ذاته بالنسبه إلى ملوك الدنيا مثلا، فإنّ أحدهم فى حاله غضبه على عدوّه لا يتسع لرحمه و لا- رحمه غيره، و كذلك فى رحمته لأوليائه لا يجتمع معها غضبه عليهم؛ و لما ثبت أنه تعالى هو الغنى المطلق المنزه عن صفات المخلوقين و أنّه المعطى لكلّ قابل ما يستحقّه من غير توقّف فى وجوده على أمر من ذاته، و كان أعداء الله مستعدّون ببعدهم عنه لقبول سخطه و شدّه نعمته فى الآخرة، لا جرم أولاهم ذلك و ان كانوا فى الدّنيا فى سعه رحمته و شمول نعمته، و كذلك أولياؤه لما استعدّ و القبول رحمته و شمول نعمته أفاضها عليهم فهم فى حظيره قدسه على غايه من البهجه و السّعاده و ضروب الكرامه و إن كانوا بأجسادهم فى ضروب من العذاب و شقاوه الفقر و الضنك فى الدّنيا، و ذلك لا يملكه إلاّ حلیم لا يشغله غضب عن رحمته، عدل حكيم لا تمنعه رحمته عن انزال

عقوبته سبحانه ليس إلا هو.

(قاهر من عازره) أى غالبه و عتى عن أمره كفرعون إذ قال أنا ربكم الأعلى فأخذه الله نكال الآخرة و الأولى و غيره من العتاه و الطغاه، حيث قصم الله سبحانه ظهرهم و كسر عظمهم و قهرهم بالموت و الازلال، و أنزل عليهم شديد النكال (و مدمر من شاقه) أى مهلك من كان مشاقا له و منحرفا عن طريق الهدى إلى سمت الردى (و مدل من ناواه) يجعله محتاجا إلى غيره (و غالب من عاداه) أى المستولى عليه بقهره (من توكل عليه كفاه) كما قال فى كتابه العزيز:

«وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ» أى الكافى له يكفيه أمر دنياه و آخرته (و من سأله أعطاه) إذ لا- تفنى خزائنه السؤال، و لا تدخل عليها نقص و لا زوال.

و فى الحديث القدسى: يا عبادى لو أنّ أولكم و آخركم و انسكم و جنكم قاموا فى صعيد واحد فسألونى فأعطيت كل إنسان مسألته ما نقص ذلك ممّا عندى شيئا إلا كما ينقص المحيط إذا دخل البحر.

أى لا- ينقص شيئا و إنما ضرب المثل بالمحيط و البحر لأنه و إن كان يرجع شىء قليل محسوس لكن لقلته بالنسبه إلى أعظم المرئيات عيانا لا يرى و لا يعد شيئا فكأنه لم ينقص منه شىء.

(و من أقرضه قضاءه) أى من أنفق ماله فى سبيله و طاعته أعطاه الله عوض ما انفق و إنما سمى الانفاق قرضا تلتفا للدعاء إلى فعله و تأكيدا للجزاء عليه، فإنّ القرض يوجب الجزاء و هو مأخوذ من قوله سبحانه فى سورة البقره:

«مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْصُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ».

روى الطبرسى عن الصادق عليه السلام أنه قال: لما نزلت هذه الآيه:

«مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِنْهَا».

قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: رَبِّ زِدْنِي فَأَنْزَلَ اللهُ:

«مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا» فقال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: زِدْنِي فَأَنْزَلَ اللهُ سبحانه:

«مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً».

و الكثير عند الله لا يحصى.

قال الكلبي في سبب نزول هذه الآية: إِنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ قَالَ: مَنْ تَصَدَّقَ بِصَدَقَةٍ فَلَهُ مِثْلُهَا فِي الْجَنَّةِ، فَقَالَ أَبُو الدَّحْدَاحِ الْأَنْصَارِيُّ وَاسْمُهُ عَمْرُو بْنُ الدَّحْدَاحِ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ لِي حَدِيقَتَيْنِ إِنْ تَصَدَّقْتُ بِأَحَدِيهِمَا فَاِنَّ لِي مِثْلِيهَا فِي الْجَنَّةِ. قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: وَ أُمُّ الدَّحْدَاحِ مَعِيَ؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: وَالصَّبِيه مَعِيَ؟ قَالَ: نَعَمْ، فَتَصَدَّقْ بِأَفْضَلِ حَدِيقَتِهِ فَدَفَعَهَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ فَتَزَلَّتِ الْآيَةُ فَضَاعَفَ اللَّهُ لَهُ صَدَقَتَهُ أَلْفَى أَلْفٍ، وَ ذَلِكَ قَوْلُهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً قَالَ: فَرَجَعَ أَبُو الدَّحْدَاحِ فَوَجَدَ أُمَّ الدَّحْدَاحِ وَالصَّبِيه فِي الْحَدِيقَةِ الَّتِي جَعَلَهَا صَدَقَةً فَقَامَ عَلَى بَابِ الْحَدِيقَةِ وَ تَحَرَّجَ أَنْ يَدْخُلَهَا فَنَادَى يَا أُمَّ الدَّحْدَاحِ، قَالَتْ: لِيَبِّكَ يَا أبا الدَّحْدَاحِ، قَالَ إِنِّي جَعَلْتُ حَدِيقَتِي هَذِهِ صَدَقَةً وَ اشْتَرَيْتُ مِثْلِيهَا فِي الْجَنَّةِ وَ أُمَّ الدَّحْدَاحِ مَعِيَ وَ الصَّبِيه مَعِيَ قَالَتْ: بَارَكَ اللَّهُ لَكَ فِيمَا اشْتَرَيْتَ وَ فِيمَا اشْتَرَيْتَ فَخَرَجُوا مِنْهَا وَ أَسْلَمُوا الْحَدِيقَةَ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ النَّبِيُّ: كَمْ مِنْ نَخْلَةٍ مَتَدَلَّ عَذُوقُهَا لِأَبِي الدَّحْدَاحِ فِي الْجَنَّةِ.

و في منهج الصادقين قال النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: كَمْ مِنْ عَذُوقٍ (١) رَوَّاحٍ وَ دَارِ فَيَاحٍ فِي الْجَنَّةِ لِأَبِي الدَّحْدَاحِ.

(و من شكره جزاه) أي من اعترف بنعمته سبحانه و فعل ما يجب فعله من الطاعة و ترك ما يجب تركه من المعصية أعطاه الله سبحانه بشكره الجزاء الجميل

ص: ٢٧٩

١- (١) العذوق بالفتحة النخلة بحملها و رواح الشجر العظيم بورق و دار الفياح أي دار السعة منه.

ثم إنه بعد ما ذكر جملة من النعوت الجلالية و الصفات الجمالية لله سبحانه أردف ذلك بالعظة و النصيحة فقال: (عباد الله زونا أنفسكم من قبل أن توزنوا) أى زونها فى الدنيا قبل الوزن فى الآخرة فأما الوزن فى الدنيا فهو اعتبار الأعمال و ضبطها بميزان العدل أى مراعاة الاستقامة على حاق الوسط المصون من طرفى التفريط و الافراط، فإن اليمين و الشمال مضله و الطريق الوسطى هى الجادة، و أما الوزن الأخرى فقد أشير إليه فى قوله سبحانه:

«وَالْوِزْنَ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ وَ مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَظْلِمُونَ».

قال الطبرسى فى معناه قيل: إن الوزن عبارة عن العدل فى الآخرة و أنه لا ظلم فيها و قيل: إن الله ينصب ميزانا له لسان و كفتان يوم القيامة فيوزن به أعمال العباد الحسنات و السيئات، ثم اختلفوا فى كيفية الوزن لأن الأعمال أعراض لا يجوز وزنها فقيل: توزن صحايف الأعمال، و قيل: يظهر علامات الحسنات و السيئات فى الكفتين فيراها الانسان، و قيل: تظهر الحسنات فى صورته حسنه و السيئات فى صورته سيئه، و قيل: توزن نفس المؤمن و نفس الكافر، و قيل: المراد بالوزن ظهور مقدار المؤمن فى العظم و مقدار الكافر فى الذل كما قال سبحانه:

«فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا».

(و حاسبوها من قبل أن تحاسبوا) أى حاسبوها فى الدنيا قبل المحاسبه فى الآخرة أما المحاسبه الاخرى فقد مر فى شرح الكلام الحادى و الثمانين تحقيق الكلام فيها و أما المحاسبه الدنيوية فهى عبارة عن ضبط الانسان على نفسه أعمالها الخيرية و الشرية ليزكيها بما ينبغى لها و يعاقبها على فعل ما لا ينبغى و ستطلع على مزيد

توضيح لها في ضمن الأخبار الآتية (و تنفسوا قبل ضيق الخناق) و هو استعاره لانتهاز الفرصه للعمل قبل تعذره بطول الأجل و تعلق حبال الموت و انشاب أظفار المتيه و الفوت (و انقادوا) لأوامر الله سبحانه و نواهيه (قبل عنف السياق) أى قبل السوق العنيف و هو سوق ملك الموت بالجدبه المكربه التي تقدمت الاشاره إليها في شرح الفصل السابع من فصول الخطبه الثانيه و الثمانين.

(و اعلموا أنه من لم يعن على نفسه حتى يكون له منها واعظ و زاجر لم يكن له من غيرها زاجر و لا واعظ) يعنى من لم يعنه الله سبحانه على نفسه حتى يجعل له منها واعظا و زاجرا لم ينفعه الزجر و الوعظ من غيرها.

و المراد باعانه الله له أن يعدد نفسه الناطقه لقبول الخيرات و يؤيدها على نفسه الأثاره بالسوء حتى تكون مقهوره عندها فيحصل له الاستعداد لقبول المواعظ و الزواجر و يكمل له الانتفاع بها.

روى في الوسائل عن محمد بن إدريس في السيراء نقلا من كتاب المشيخه للحسن بن محبوب عن أبى حمزه الثمالى قال: كان على بن الحسين عليهما السلام يقول:

ابن آدم إنك لا تزال بخير ما كان لك واعظ من نفسك، و ما كانت المحاسبه من هممتك، و ما كان الخوف لك شعارا و الحزن لك دثارا، ابن آدم إنك ميت و مبعوث و موقوف بين يدي الله عز و جل فأعد جوابا.

ابقاظ في ذكر نبذ من الاخبار الوارده في محاسبه النفس

و بيان كيفيه المحاسبه فأقول:

روى في الوسائل من الكافي باسناده عن إبراهيم بن عمر اليماني عن أبى الحسن الماضى عليه السلام قال: ليس منّا من لم يحاسب نفسه فى كلّ يوم، فان عمل حسنا استزاد الله و إن عمل سيئا استغفر الله منه و تاب إليه.

و من الخصال و معانى الأخبار للصدوق مسندا عن عطا عن أبى ذر «ره» فى حديث قال: قلت: يا رسول الله فما كانت صحف إبراهيم؟ قال صلى الله عليه و آله و سلم: كانت أمثالا كلّها أيها الملك المبتلى المغرور إننى لم ابعثك لتجمع الدنيا بعضها على بعض،

و لكن بعثتك لتردّ عنيّ دعوه المظلوم فاني لا أردّها و إن كانت من كافر، و على العاقل ما لم يكن مغلوبا أن تكون له ساعات: ساعه يناجى فيها ربّه، و ساعه يحاسب فيها نفسه، و ساعه يتفكّر فيها صنع الله إليه، و ساعه يخلو فيها بحظّ نفسه من الحلال فإنّ هذه الساعه عون لتلك الساعات و استجمام للقلوب و تفرغ لها.

و من مجالس الشيخ باسناده عن أبي ذر «ره» في وصيّه النبيّ صلى الله عليه و آله و سلّم أنه قال:

يا أبا ذر حاسب نفسك قبل أن تحاسب فإنّه أهون لحاسبك غدا، وزن نفسك قبل أن توزن، و تجهّز للعرض الأكبر يوم تعرض لا تخفى على الله خافيه إلى أن قال:

يا أبا ذر لا يكون الرّجل من المتّقين حتّى يحاسب نفسه أشدّ من محاسبه الشريك شريكه فيعلم من أين مطعمه و من أين مشربه و من أين ملبسه من حلال أو من حرام، يا أبا ذر من لم يبال من أين اكتسب المال لم يبال الله من أين أدخله النّار.

و من تفسير العسكري عن آبائه عن عليّ عن النبيّ سلام الله عليه و عليهم قال عليه السّلام: أكيس الكيسين من حاسب نفسه و عمل لما بعد الموت، فقال رجل يا أمير المؤمنين كيف يحاسب نفسه؟ قال: إذا أصبح ثمّ أمسى رجع إلى نفسه و قال: يا نفس إنّ هذا يوم مضى عليك لا يعود إليك أبدا و الله يسألك عنه بما أفنيتَه فما الذي عملت فيه أذكرت الله أم حمدته أفضيت حوائج مؤمن فيه أنفست عنه كربه أحفظته بظهر الغيب في أهله و ولده أحفظته بعد الموت في مخلفيه أكففت عن غيبه أخ مؤمن أعنت مسلما ما الذي صنعت فيه؟ فيذكر ما كان منه فان ذكر أنه جرى منه خير حمد الله و كبره على توفيقه، و إن ذكر معصيه أو تقصيرا استغفر الله و عزم على ترك معاودته.

و عن عليّ بن موسى بن طاوس في كتاب محاسبه النفس قال: و رأيت في كتاب مسعده بن زياد من اصول الشيعة فيما رواه عن الصادق عليه السّلام عن أبيه قال:

اللّيل إذا أقبل نادى مناد بصوت يسمعه الخلاق إلا الثقلين يابن آدم إنّي خلق جديد إنّي على ما فيّ شهيد فخذ منّي فاني لو طلعت الشّمس لم أرجع إلى الدّنيا و لم تزد فيّ من حسنه و لم تستعب فيّ من سيئه، و كذلك يقول النّهار إذا أدبر اللّيل، و بالله التّوفيق.

از جمله خطب شریفه آن امام اَنام است علیه الصَّلاه و السَّلام که فاتحه اش متضمَّن است بعض صفات کمالیه الهیه را و خاتمه اش مشتمل است بر موعظه و نصیحت می فرماید:

حمد و ثنا خداوند معبود بحقی را سزاست که شناخته شده است بی حسّ و بصر، و خلق نموده بی فکر و نظر، آن چنان پروردگاری که دایم است با لذات و متصف است ببقا و ثبات در وقتی که نبود هیچ آسمان صاحب برجها، و نه حجابهای صاحب درها، و نه شب تاریک، و نه بحر ساکن غیر متحرک، و نه کوهی که صاحب راههای فراخ است، و نه راههای فراخ که متصف است باعوجاج و کجی، و نه زمینی که صاحب فرش است و قرار، و نه خلقی که صاحب قوتست و اقتدار.

این ذات موصوف بصفات کمالات آفریننده خلاق است و وارث ایشان، و معبود مخلوقاتست و رزق دهنده ایشان، و آفتاب تابنده و ماه درخشنده حرکت کننده اند بعبادت مستمره بر طبق رضای او در حالتی که فانی میکنند هر جدید را، و نزدیک می نمایند هر بعید را، قسمت فرموده است روزی های خلق را، و شمرده است اثرها و عملهای ایشان را، و تعداد نموده نفسهای ایشان را، و عالم است بخیانتهای چشمهای ایشان و به آن چه پنهان میکند سینه های ایشان از آنچه که در دل می گیرند از قصد عصیان و غیر آن، و دانا است بقرارگاه و محلّ ودیعه ایشان از ارحام ما دران و أصلاب پدران تا آنکه بنهایت می رسد ایشان را غایتها، یعنی خبیر است بجمع احوال و اعمال ایشان از ابتداء تا انتهاء.

آن خداوندی که شدید است عقوبت او بر اعداء خود در وسعت رحمت او، و وسعت دارد رحمت او بر اولیاء خود در شدت عقوبت او، قهر کننده کسیست که غلبگی جوید بر او، و هلاک کننده کسیست که نزاع کند با او، و ذلیل کننده کسی است که عناد ورزد با او، و غلبه کننده کسیست که عداوت نماید او را، هر که توکل

کرد بر او کفایت نمود او را، و هر کس سؤال کرد از او عطا فرمود او را، و هر که قرض داد باو و مال خود را در راه او صرف نمود عوض داد باو، و هر که شکرانه نعمت او را بجا آورد جزای خیر داد باو.

ای بندگان خدا بسنجید نفسهای خود را بمیزان عدل در دنیا پیش از آنکه سنجیده شوید بمیزان عمل در آخرت، و محاسبه کنید با نفسهای خود پیش از آنکه بمقام محاسبه آورده شوید در قیامت، و نفس زنید و فرصت غنیمت شمارید پیش از تنگ شدن گلو، و مطیع و منقاد باشید پیش از رانده شدن با مشقت بسوی آخرت.

و بدانید آن کسی که اعانت فرموده نشده بر نفس خود تا آنکه باشد او را از آن نفس پند دهنده، و زجر کننده نیست او را از غیر نفس او زجر کننده و نه پند دهنده، یعنی کسی که اعانت نفرموده باشد خداوند او را بر غلبه نفس امّاره او تا این که مستعد و قابل شود بر قبول موعظه و نصیحت از پیش خود، ثمری نمی بخشد او را موعظه و نصیحت دیگران، و الله أعلم.

و من خطبه له علیه السلام تعرف بخطبه الاشباح و هی

اشاره

التسعون من المختار فی باب الخطب

و هی من خطبه المشهوره روی بعض فقراتها المحدثه العلامة المجلسی (ره) فی البحار من کتاب مطالب السؤل لمحّید بن طلحه الشافعی، و رواها الصدوق فی التّوحد مسندا باختصار و اختلاف کثیر لما آورده السید (ره) فی الکتاب.

قال: حدّثنی علی بن أحمد بن محمّد بن عمران الدّقاق ره، قال: حدّثنا محمّد بن أبی عبد الله الکوفی، قال: حدّثنا محمّد بن إسماعیل البرمکی، قال: حدّثنی علی بن العباس، قال: حدّثنی إسماعیل بن مهران الکوفی عن إسماعیل بن إسحاق الجهنی عن فرج بن فروه عن مسعده بن صدقه قال: سمعت أبا عبد الله علیه السّلام یخطب علی المنبر بالکوفه إذ قام إلیه رجل فقال: یا أمیر المؤمنین صف لنا ربّک تبارک و تعالی لتزداد له حبّا و به معرفه، فغضب أمیر المؤمنین و نادى:

الصَّلاة (١) جامعہ فاجتمع النَّاسُ حَتَّى غَصَّ المسجدُ بأهله ثمَّ قام متغيِّر اللَّون فقال: الحمد لله إلى آخر ما رواه هذا، و شرح ما أورده السيّد ره هنا في ضمن فصول:

الفصل الاول

اشاره

قال السيّد ره: و هي من جلايل خطبه عليه السّلام و كان سأله سائل أن يصف الله له حتّى كأنّه يره عيانا، فغضب عليه السّلام لذلك:

الحمد لله الّذى لا يفره المنع و الجمود، و لا يكديه الإعطاء و الجود. إذ كلّ معط منتقص سواه، و كلّ مانع مذموم ما خلاه، هو المَنَّان بفوائد النّعم، و عوائد المزيد و القسم، عياله الخلق، ضمن أرزاقهم، و قدّر أقواتهم و نهج سبيل الرّاعيين إليه، و الطّالبيين ما لديه، و ليس بما سئل بأجود منه بما لم يسئل، الأوّل الّذى لم يكن له قبل فيكون شيء قبله، و الآخر الّذى ليس له بعد فيكون شيء بعده، و الرّادع أناسيّ الأبصار عن أن تناله أو تدركه، ما اختلف عليه دهر فيختلف منه الحال، و لا كان في مكان فيجوز عليه الانتقال، و لو وهب ما تنفّست عنه معادن الجبال، و ضحكت عنه أصداف البحار من فلزّ اللّجين و العقيان، و نثاره الدّرّ و حصيد المرجان، ما أثر ذلك في جوده، و لا أنفد سعه ما عنده، و لكان عنده من ذخاير الأنعام، ما لا تنفده مطالب الأنام،

ص: ٢٨٥

١- (١) منصوب بفعل المضمر اى احضروا الصلاه و جامعہ حال و غصّ المسجد اى امتلاء فهو غاصّ بأهله، منه

لأنه الجواد الذي لا يغيضه سؤال السائلين، ولا يبخله إلحاح الملحّين.

اللغة

(الأشباح) جمع الشّبح وهو الشّخص كالأَسباب والسبب و (وفر) الشىء يفر من باب وعد وفورا تمّ و كمل، و وفرته وفرا من باب وعد أيضا أتمته و أكملته يتعدّى و لا يتعدّى والمصدر فارق و (أكدى) الرّجل إذا بخل أو قلّ خيره أو قلل عطائه قال سبحانه:

«وَ أَعْطَى قَلِيلًا وَ أَكْدَى».

و أصله كدى كرمى و منه أرض كدائه بطيئه الانبات و (الأناسى) جمع الانسان و هو المثل الذى يرى فى سواد العين و (الأصداف) جمع الصدف بالتحريك و هو غشاء الدّر و (الفلز) بكسر الفاء و اللام و تشديد الزاء و كعتلّ قال فى القاموس: نحاس أبيض تجعل منه القدور المفرغه أو خبث الحديد أو الحجارة أو جواهر الأرض كلّها أو ما ينفيه الكير من كلّ ما يذاب منها و (العقيان) الذهب الخالص و يقال هو ما ينبت نباتا و ليس ممّا يحصل من الحجارة و (نثاره) الدّر ما تناثر منه.

قال الشّارح المعتزلى: و تأتي فعالة تاره للجيد المختار و تاره للشاقط المتروك فالأول نحو الخلاصه و الثانى نحو القلامه و (الدّر) جمع الدرّه و هى اللؤلؤه العظيمه و (غاض) الماء نقص و غاضه الله كأغاضه أنقصه يتعدّى بنفسه و بالهمز و (أبخلته) وجدته بخيلا.

الاعراب

قوله عليه السّلام: و كلّ مانع مذموم ما خلاه الأصل فى خلا أنه لازم يتعدّى إلى المفعول بمن نحو خلت الدار من الانيس، و قد تضمن معنى جاوز فيتعدّى بنفسه كقولهم افعل هذا و خلاك ذمّ أى جاوزك.

قال الرّضى: و الزموها هذا التضمن فى باب الاستثناء فيكون ما بعدها فى صوره المستثنى بالآ التى هى أمّ الباب و لهذا الغرض التزموا إضمار فاعله إلى أن

قال: و فاعل خلا عند النحاہ بعضہم، و فیہ نظر لأن المقصود فی جائئى القوم خلا زیدا أن زیدا لم یکن معہم أصلاً و لا یلزم من مجاوزہ بعض القوم إیاءہ و خلّو بعضہم منه مجاوزہ الكلّ و خلّو الكلّ، و الأولى أن یضمّر فیہ ضمیر راجعا إلى مصدر الفعل المتقدّم أى جائئى القوم خلا مجیئہم زیدا، کقولہ تعالیٰ:

«إِعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى».

فیكون مفسر الضمیر سیاق القول هذا.

و ما فیہ مصدریہ و لذلك التزم انتصاب ما بعده لأنّ ماء المصدریہ تدخل علی الفعلیہ غالباً، و الاسمیہ قليلاً و لیس بعدها اسمیہ فتعین الفعلیہ فتعین أن یكون فعلاً فوجب النصب و المضاف محذوف أى وقت ما خلا مجیئہم زیدا، و ذلك أنّ الحین كثيرا ما یحذف مع ماء المصدریہ نحو: ما ذرّ شارق و نحوه ذکر ذلك كلّ نجم الأئمہ الرضیّ (ره).

قال: و جوّز الجرّمى الجرّ بعد ما خلا و ما عدا علی أنّ ما زایدہ، و لم یثبت انتهى.

أقول: حمل ما علی الزیادہ فی کلام الامام علیہ السّلام علی تقدیر ثبوته أقرب إلى المعنى كما لا یخفى، و حملها علی المصدریہ محتاج إلى التکلّف كما هو غیر خفیّ علی الفطن العارف، و اضافہ الفوائد إلى النعم بیانیہ، و فی قوله و عوائد المزیّد من قبیل إضافہ الموصوف إلى الصفہ، و القسم عطف علی العوائد، و جملة ضمن فی محل النصب علی الحالیہ من ضمیر عیالہ

المعنى

اعلم أنّ هذه الخطبه الشریفه كما ذكره السيد (ره) من جلائل خطبه علیہ السّلام و مشاہرها و تسمى بخطبه الأشباح لاشتمالها علی ذکر الأشباح و الأشخاص من الملائکة و کیفیہ خلقهم و بیان أقسامهم، و لعلّ غضبه علیہ السّلام علی السائل من أجل أنّ غرض السائل كان وصفه تعالیٰ بصفات الأجسام و زعمه جواز معرفته سبحانہ

بالاكتناه كما يشهد به قوله: كأنه يراه عيانا، فغضب عليه السلام لذلك و تغيّر لونه لأجل ذلك و وصفه بأوصاف العزّ و الكمال و صفات الجبروت و الجلال فقال:

(الحمد لله الذى لا- يفره المنع و الجمود) أى لا- يوجب وفور ماله المنع و الامساك (و لا يكديه الاعطاء و الجود) أى لا يقلل اعطائه البذل و الاحسان يقول عليه السّلام إنه سبحانه ليس كملوك الدنيا يتزيد بالامساك و ينقص بالانفاق إذ مقدوراته سبحانه غير متناهيه و ما عنده لا يدخله نقص و لافناء، بل يدخلان الفانى المحدود و يشهد به ما مرّ فى شرح الخطبه السابقه من الحديث القدسى: يا عبادى لو أنّ أولكم و آخركم و انسكم و جنكم قاموا فى صعيد واحد فسألونى فأعطيت كلّ انسان مسأله ما نقص ذلك مما عندى شيئا إلاّ كما ينقص المحيط إذا دخل البحر أى لا ينقص شيئا.

و إلى ما ذكرنا أشار عليه السّلام بقوله:(إذ كلّ معط منتقص سواه) و بحار فضله لا- ينقص بالافضال، و خزائن كرمه لا تقلّ بالانعام و النوال.

و لما تبه عليه السّلام على عدم إمكان دخول النقصان فى بحر فضله وجوده أردف ذلك بنفى لحوق الدّم بمنعه على وجوده بقوله:(و كلّ مانع مذموم ما خلاه) و ذلك لأنّ كلّ مانع غيره إنما يمنع لخوف الضيق و المسكنه و خشيه الفقر و الفاقه أو بخل نفسه الاماره، فحرى أن يلحقه المذمّه و الملامه و أمّا الله القدّوس السبحان فلما كان منزلها عن صفات النقصان؛ و محالا أن يلحقه طوارى الامكان، فليس منعه لضيق أو بخل، و إنما يمنع بمقتضا حكمه بالغه و داعى مصلحه خفيه أو ظاهره، فمنعه فى الحقيقه عين الفضل و الاحسان و العطاء و الامتنان.

كما ورد فى الحديث القدسى: إنّ من عبادى من لا- يصلحه إلاّ- الفقر و لو أغنيته لأفسده ذلك و فى حديث آخر: و إنّ من عبادى المؤمنين لعبادا لا- يصلح لهم أمر دينهم إلاّ بالفاقه و المسكنه و القسم فى أبدانهم فأبلوهم بالفاقه و المسكنه و القسم فصلح

إليهم أمر دينهم و أنا أعلم بما يصلح عليه أمر دين عبادى المؤمنين (هو المنان بفوائد النعم) أى كثير الانعام على العباد و المعطى لهم ابتداء من غير سبق سؤال، و به فسره الفيروز آبادى.

و يدلّ عليه ما رواه الطريحي قال: و فى حديث علىّ عليه السّلام و قد سئل عن الحنّان و المنّان فقال: الحنّان هو الذى يقبل على من أعرض عنه، و المنّان هو الذى يبدء بالتّوال قبل السؤال.

و بذلك ظهر أنّ جعل المنّان مبالغه فى المنّه و إظهار الاصطناع كما فى شرح البحرانى ممّا لا وجه له بل هو تفسير بالرأى فى مقابله النصّ، و لا بأس بذكر كلامه لتوضيح مرامه.

قال فى شرح هذه الفقرة: المنه تذكير المنعم للمنع عليه بنعمته و التناول عليه بها كقوله تعالى:

«يا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ» فى غير موضع من كتابه و هى صفه مدح للحقّ سبحانه و إن كان صفه ذمّ لخلقه.

و السّبب الفارق أنّ كلّ منعم سواه يحتمل أن يتوقّع لنعمته جزاء و يستفيد كما لا يعود إليه ممّا أفاده، و أيسره توقّع الذكر و يقبح ممّن يعامل بنعمته و يتوقّع جزاء أن يمنّ بها لما يستلزمه المن من التّناول و الكبر و توقّع الجزاء و الحاجه إليه مع التّناول و الكبر ممّا لا يجتمعان فى العرف، إذ التّناول و الكبر إنّما يليقان بالغنى عن ثمره ما تناول به إلى آخر ما ذكره.

أقول: أمّا قبح الامتنان من المخلوق ممّا لا ريب فيه، لكونه ناشئاً من حسّه النّفس و دنائه الهّمّه و لذلك مدح الله سبحانه عباده المتّقين بما حكى عنهم بقوله:

«إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُوراً» كما أنه لا ريب فى جوازه على الله سبحانه، و يدلّ عليه صريح الكتاب و السنّه، و أمّا جعل المنّان من أسمائه سبحانه بذلك المعنى فلا دليل عليه، بل الدليل قائم على

خلافه حسبما عرفت، مع أنّ إرادته هذا المعنى فى هذا المقام أعنى كلام الامام عليه السّلام على فرض ثبوت أصله ممّا يأبى عنه الذوق السّليم و الطبع المستقيم إذ المعنى الذى ذكرنا أولى بالتمدّح منه كما لا يخفى، هذا.

و ما أبعد ما بين ما ذكره الشّارح و ما ذهب إليه السيّد عليخان شارح الصحيفه السّجادية من نفى جواز المنه على الله رأسا كعدم جوازه على الخلق حيث قال فى شرح دعاء طلب الحوائج عند شرح قوله عليه السّلام: يا من لا يبيع نعمه بالأثمان، و يا من لا يكدر عطاياه بالامتنان: الامتنان افتعال من المنّ و هو إظهار الاصطناع و اعتداد الصنائع كان تقول: ألم أعطك كذا، ألم أحسن إليك، ألم أعنك؟ و هو تعبير يكدر المعروف و ينغصه فلهذا نهى الشّارع عنه بقوله:

«لَا تُبْطِلُوا صِدْقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى».

و من هنا قيل: سيّان من منح النائل و منّ، و من منع السائل و ضنّ، و المراد بنفى تكديره تعالى عطاياه بالامتنان نفى الامتنان عنه رأسا فهو من باب نفى الشىء بلازمه أى لا امتنان فلا تكدير.

ثمّ لما كان الامتنان بالمعنى المذكور ذيله ناشئه عن دنائه النفس و صغر الهمة و استعظام النعمه و الاحسان كان تعالى منزّه عن الامتنان، لأنّ كلّ نعمه من نعمه تعالى و إن عظمت و كلّ عطيه من عطاياه و إن جلت بالنسبه إلى العبد المعطى و المنعم عليه فهى حقيره بالنسبه إلى عظمته جلت قدرته، و شأنه تعالى أجلّ من أن يكون لها عنده موقع فيمنّ بها و يعتدّ بها على من أعطاه و أنعم عليه، و قول بعض العلماء إنّ المنّه بالمعنى المذكور صفة مدح للحقّ سبحانه و إن كان صفة ذمّ للمخلوق ليس بشىء و عبارته الدّعاء تشهد ببطلانه، انتهى.

أقول: و الانصاف أنّ نفى الامتنان عنه سبحانه رأسا لا وجه له مع نصّ الآيه الشّريفه أعنى قوله:

«يَمُنُونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلِمُوا قُلْ لَا تَمُنُوا عَلَيَّ إِسْلَامَكُمْ بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ» بخلافه (1) و دلالة الآيات الواردة في مقام الامتنان عليه بل المنفَى عنه هو الامتنان المتصوّر في الخلاق.

بيان ذلك أنّ الامتنان من المنعم على المنعم عليه تارة يكون لاراده مكافاه الأنعام و طلب العوض من الثواب الآجل و الثناء العاجل، و بعبارة أخرى لتوقّع منفعه عايدته على المنعم بانعامه، و أخرى إرادته تذكّر المنعم عليه للنعمه و استعداده بذلك لقبول نعمه اخرى و تحصيل منفعه ثانيه من دون أن يكون للمنعم فيه تحصيل فايده و اكتساب منفعه لنفسه أصلا.

فالامتنان على الوجه الأوّل هو القبيح و إليه يعود منه الخلاق، و أمّا الثاني فلا قبح فيه أصلا بل هو حسن يشهد به الوجدان فلا غبار على جوازه على الله سبحانه و على ما حقّقتة فمعنى قوله عليه السّلام: يا من لا يكدر عطاياه بالامتنان: أنّ امتنانه لا يوجب التكدّر كما يوجب امتنانه غيره إذ غرضه تعالى منه ليس إلاّ محض التّفضل و التّطول و إيصال نعمه أخرى إلى الممتنّ عليه، و غرض غيره منه تحصيل منفعه لنفسه فممتته يكشف عن عدم خلوص إحسانه و كونه مشوبا بالاغراض النّفسانية، و على ذلك فالمنفَى في كلام الامام عليه السّلام هو التكدير لا أصل الامتنان و إلاّ امتنع الجمع بينه و بين الادلّة الدالّة على الامتنان و يكون مناقضا صريحا لها، فافهم و اغتنم، و الله العالم.

و قوله (و عوائد المزيد و القسم) قال البحراني: أي معتادهما، و هو سهو إذ العوائد جمع العايدته لا العاده حتّى يكون بمعنى المعتاد، و العائده كما في القاموس المعروف و الصّله و العطف و المنفعه، و المزيد مصدر إما بمعنى الفاعل أو المفعول

ص: ٢٩١

وإضافه العايدة إليه من باب إضافه الموصوف إلى صفته لا بالعكس كما هو لازم ما فسّره البحراني، والمراد أنه سبحانه مَنَّ على العباد بصلاته و عطوفاته الزائده أو المزيد وقسمه المقدره.

(عياله الخلق ضمن أرزاقهم وقدر أقاتهم) لما كان عيال الرّجل عباره عن يموونه و ينفق عليه و يصلح حاله استعار لفظه للخلايق بالنسبه إلى ربّهم لخلقهم لهم و تربيته في حقّهم و إصلاحه حالهم في المعاش و المعاد.

قال البحراني: و استعار لفظ الصّمان لما وجب في الحكمة الالهيه من وجود ما لا بدّ منه في تدبير إصلاح حالهم من الأوقات و الأرزاق و تقدير أقاتهم إعطاء كلّ ما كتب له في اللّوح المحفوظ من زائد و ناقص، انتهى، و هذا هو المشار إليه بقوله سبحانه:

«نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا».

و اعلم أنّ الرزق في اللّغه هو العطاء و يطلق على النصيب المعطى، و أمّا في العرف فقالت الأشاعره هو مطلق ما ينتفع به حيّ مباحا كان أو حراما بالتغذّي أو غيره، و ذهب أصحابنا كالمعتزله إلى أنه ما صحّ انتفاع الحيوان به و ليس لأحد منعه منه فلا يكون الحرام رزقا، لأنّ الله سبحانه منع من الانتفاع به و أمر بالزّجر عنه و لا بأس بذكر أدلّه الطرفين ليّتضح الحقّ من البين.

فأقول: استدللّ الأشاعره بما رووه عن صفوان بن اميّه قال: كنّا عند رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم إذ جاء عمر بن قرّه فقال: يا رسول الله إنّ الله كتب عليّ الشّقوه فلا أرزق إلّا من دفي (1) بكفى فأذن لي في الغناء، فقال صلّى الله عليه و آله و سلّم لا آذن لك و لا كرامه و لا نعمه كذبت أي عدوّ الله و الله لقد رزقك الله حلالا طيبا، فاخترت ما حرّم الله عليك مكان ما أحلّ الله لك من حلاله، و بقوله تعالى:

ص: ٢٩٢

«وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا».

تقريب الاستدلال ما ذكره الفخر الرازي في التفسير الكبير حيث قال: تعلق أصحابنا بهذه الآية في إثبات أنّ الرزق قد يكون حراما قالوا: لأنه ثبت أنّ إيصال الرزق إلى كلّ حيوان واجب على الله تعالى بحسب الوعد و بحسب الاستحقاق، و الله تعالى لا يخلّ بالواجب، ثمّ قد نرى انسانا لا يأكل من الحلال طول عمره فلو لم يكن الحرام رزقا لكان الله تعالى ما أوصل رزقه إليه فيكون تعالى قد أخلّ بالواجب و ذلك محال، فعلمنا أنّ الحرام قد يكون رزقا.

و اجيب عن الأوّل تاره بالطعن في السّند، و أخرى بأنّه على تقدير صحّته لا بدّ من تأويله بأنّ إطلاق الرزق على الحرام فيه لمشاكله قوله فلا- أرانى ارزق، على حدّ قوله: و مكروا و مكر الله، و باب المشاكله و إن كان نوعا من المجاز لكنه واسع كثير الورود في الكتاب و السنه معروف الاستعمال في نظم البلغاء و نثرهم فلا بدّ من المصير إليه جمعا بين الأدلّه.

و عن الثّاني بمنع وجود مادّه النقص إذ لا نسلم وجود حيوان لا يرزق إلاّ بالحرام مدّه عمره، أمّا غير الانسان فواضح إذ لا يتصوّر بالنسبه إليه حلّ و لا حرمة.

أمّا الانسان فلائنه في أيام الصّيبا و عدم التّكليف لا يتّصف ما يأكله بالحرمة كعدم اتصافه بالاباحه، بل هو كالحیوان في عدم اتصاف أفعاله بشيء من الأحكام الخمسه.

و أمّا بعد البلوغ فلائنه بعد ما كان الرزق أعمّ من الغذاء باتفاق المعتزله و الأشاعره يشمل التنفّس في الهوا و معلوم أنه مباح في حقّه قطعا فلم يوجد حيوان لا يرزق إلاّ بالحرام طول عمره، و يوضحه أنه لو مات انسان قبل أن يأكل شيئا حلالا أو حراما لزم أن يكون غير مرزوق فما هو جواب الأشاعره فهو جوابنا.

و استدللّ المعتزله على المذهب المختار بقوله سبحانه:

«وَمَا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ» حيث مدحهم بانفاقهم من رزقه فلا بد أن يكون الرزق حلالا إذ الانفاق من الحرام بمعزل عن إيجاب المدح.

أقول: ولا يخفى ما فيه: إذ يجوز جعل من تبعيضه فيكون معنى الآية أنهم ينفقون بعض ما رزقهم الله، و مدحهم بذلك يستلزم أن يكون ما أنفقوه حلالا و لا يستلزم أن يكون جميع ما رزقهم الله حلالا، و هو واضح.

و استدللّ بعض أصحابنا بما رواها العامه و الخاصه من خطبته صلى الله عليه و آله و سلم في حجّه الوداع و هي صريحه غير قابله للتأويل. و رواها الكلينيّ باسناده إلى الامام أبي جعفر محمد بن عليّ الباقر عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم في حجّه الوداع: ألا إنّ الرّوح الأمين نفث في روعى أنه لا تموت نفس حتّى تستكمل رزقها، فاتّقوا الله و أجملوا في الطلب و لا يحملنكم استبطاء شيء من الرّزق أن تطلبوه بشيء من معصية الله، فإنّ الله تعالى قسّم الأرزاق بين خلقه حلالا و لم يقسمها حراما، فمن اتقى الله و صبر أتاه رزقه من حلّه، و من هتك حجاب ستر الله و عجل و أخذ من غير حلّه قصّ به من رزقه الحلال و حوسب عليه يوم القيامة، هذا.

و بقى الكلام فى أنّ الرزق هل يقبل الزيادة و النقصان بالسّعى و عدمه ظاهر بعض الأخبار العدم، و هو ما رواه فى الكافى باسناده إلى أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال:

أيّها النّاس اعلموا أنّ كمال الدّين طلب العلم و العمل به ألا- و إنّ طلب العلم أوجب عليكم من طلب المال إنّ المال مقسوم مضمون لكم قد قسّمه عادل بينكم و ضمنه و سيفى لكم، و العلم مخزون عند أهله و قد امرتم بطلبه من أهله فاطلبوه.

و فى دعاء الصّحيفه السجديه على صاحبها آلاف الصّلاه و السّلام و التّحيه جعل لكلّ روح منهم قوتا معلوما مقسوما من رزقه لا ينقص من زاده ناقص و لا يزيد من نقص منهم زائد، يعنى أنّ من زاد الله رزقه منهم لا ينقصه ناقص، و من نقصه سبحانه

لا- يزيده زايد، و تقديم المفعول فى الفقرتين لمزيد الاعتناء ببيان فعله من الزيادة و النقصان و هو نصّ فى أنّ غيره تعالى لا يستطيع أن يتصرّف فى الرزق المقسوم بالزيادة و النقص.

و فى روايه اخرى: إنّ أرزاقكم تطلبكم كما تطلبكم آجالكم فلن تفوتوا الأرزاق كما لم تفوتوا الآجال.

و المستفاد من الأدلّه الاخر مدخليه الطلب و السّعى فيها، مثل ما رواه فى الوسائل من كنز الفوائد للكراچكى قال: قال أمير المؤمنين عليه السّلام: الدّنيا دول فاطلب حظك منها بأجمل الطلب.

و فيه عن شيخنا الطوسى قدّس الله روحه باسناده عن على بن عبد العزيز قال:

قال أبو عبد الله عليه السّلام: ما فعل عمر بن مسلم؟ قلت: جعلت فداك أقبل على العباده و ترك التجاره، فقال: ويحه أما علم أنّ تارك الطلب لا يستجاب له دعوه، إنّ قوما من أصحاب رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم لما نزلت:

«وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ.»

أغلقوا الأبواب و أقبلوا على العباده و قالوا: قد كفينا، فبلغ ذلك النّبىّ صلّى الله عليه و آله و سلّم فأرسل اليهم فقال: ما حملكم على ما صنعتم؟ فقالوا: يا رسول الله تكفّل الله لنا بأرزاقنا فأقبلنا على العباده، فقال: إنّ من فعل ذلك لم يستجب له عليكم بالطلب.

و عن الكلينى باسناده عن عمر بن يزيد قال: قال أبو عبد الله عليه السّلام: أرأيت لو أنّ رجلا دخل بيته و أغلق بابه أ كان يسقط عليه شىء من السّماء؟ و عن أحمد بن فهد فى عدّه الدّاعى عن عمر بن يزيد عن أبى عبد الله عليه السّلام قال:

إنى لأركب فى الحاجه التى كفانيها الله، ما أركب فيها إلّا لالتماس أن يرانى الله اضحى فى طلب الحلال أما تسمع قول الله عزّ و جلّ:

«فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ»

أرأيت لو أنّ رجلاً دخل بيتاً و طين عليه بابه و قال: رزقي ينزل عليّ كايّن يكون هذا أما أنّه يكون أحد الثلاثة الذين لا يستجاب لهم دعوه، قلت: من هؤلاء؟ قال عليه السّلام: رجل عنده المرأه فيدعو عليها فلا يستجاب له، لأنّ عصمتها في يده و لو شاء أن يخلّي سبيلها، و الرّجل يكون له الحقّ على الرجل فلا يشهد عليه فيجحد حقّه فيدعو عليه فلا يستجاب له لأنّه ترك ما امر به، و الرجل يكون عنده الشّيء فيجلس في بيته فلا ينتشر و لا يطلب و لا يلتمس الرّزق حتّى يأكله فيدعو فلا يستجاب له، و بمعناها روايات اخر.

و يمكن الجمع بينها و بين الأخبار السّابقه بجعل الرزق على قسمين:

أحدهما ما ليس للطلب و السعى مدخله فيه، و الثاني ما لا ينال إلا بالطلب فيحمل الأخبار السّابقه على القسم الأوّل، و الأدلّه الأخيره على القسم الثاني.

و يشهد على هذا الجمع ما رواه في الوسائل من مقنعه المفيد قال: قال الصادق عليه السّلام: الرزق مقسوم على ضربين: أحدهما و اصل إلى صاحبه و إن لم يطلبه، و الآخر معلّق بطلبه فالذى قسّم للعبد على كلّ حال آتية و إن لم يسع له و الذى قسّم له بالسّعى فينبغى أن يلتمسه من جوهه و هو ما أحله الله دون غيره، فان طلبه من جهه الحرام فوجده حسب عليه برزقه و حوسب به.

(و نهج سبيل الراغبين إليه و الطالبين ما لديه) كما قال سبحانه:

«لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَ مِنْهَاجاً».

أراد أنّه تعالى أوضح السبيل للراغبين إلى النظر إلى وجهه الكريم، و الطالبين لما عنده من الفوز العظيم بما وضعه لهم من الشرع القويم و الدين المستقيم (و ليس بما سئل بأجود منه بما لم يسأل) تنزيه له سبحانه عن صفات الخلق فإنهم يتحركون بالسؤال و تهزهم الطلبات فيكونون بما سألهم السائل أجود منهم بما لم يسألوا، لكونه أسهل عندهم و أقرب إلى الانجاح، إذ السائل لا يسأل ما ليس في وسع المسئول عنه و ما هو أعزّ عنده و لذلك كانوا بما سئلوا أجود، و أما الله تبارك و تعالى

فليس في عموم جوده و خزانه كرمه تفاوت بين المسئول و غير المسئول.

بيان ذلك على ما حَقَّقَه الشَّارِحُ البَحْرَانِي (ره) أنَّ فيضان ما صدر عنه سبحانه له اعتباران:

أحدهما بالنظر إلى جوده، و هو من تلك الجبهه غير مختلف في جميع الموجودات بل نسبتها إليه على سواء بذلك الاعتبار فلا يقال: هو بكذا أجود منه بكذا و إلا لاستلزم ذلك أن يكون ببعض الأشياء أبخل أو إليها أحوج فيلزمه النقصان تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً.

الثاني بالنظر إلى الممكن نفسه، و الاختلاف الواقع في القرب و البعد إلى جوده إنما هو من تلك الجبهه فكلّ ممكن كان أتم استعداداً و أقبل للوجود و أقلّ شرطاً و معانداً كان أقرب إلى جوده.

إذا عرفت ذلك ظهر لك أنّ السائل إن حصل له ما سأله من الله دون ما لم يسأل فليس حرمانه مما لم يسأل لعزّته عند الله، و ليس بينه و بين المسئول بالنسبه إلى جوده تفاوت، بل إنّما خصّ بالمسئول لوجوب و جوده له عند تمام قبوله له بسؤاله دون ما لم يسأله و لو سأل ما لم يسأله و استحقّ وجوده لما كان في الجود الالهي بخل به و لا منع في حقه، و ان عظم خطره و جلّ قدره و لم يكن له أثر نقصان في خزائن ملكه و عموم جوده.

(الأوّل الذي لم يكن له قبل فيكون شيء قبله، و الآخر الذي ليس له بعد فيكون شيء بعده) قد سبق في شرح الخطبه الرابعه و الستين معنى أوليته و آخريته تعالى و ظهر لك هناك أن أوليته لا ينافي آخريته، و آخريته لا ينافي أوليته و نزيد هنا بيانا و نقول: إنّ الأشياء في سلسله الوجود بدايه و نهايه منتهيه إليه سبحانه، فهو أوّل الأشياء و آخرها ليس شيء قبله و لا شيء بعده.

قال النيسابورى في تفسيره: معنى الأول و الآخر أنه أوّل في ترتيب الوجود و آخر إذا عكس الترتيب، فانه ينطبق على السلسله المترتبه من العلل إلى المعلولات و من الأشرف إلى الأخسّ و على الاخذ من الوحده إلى الكثره مما يلي الأزل

إلى ما يلي الأبد و مما يلي المحيط إلى ما يقرب من المركز، فهو تعالى أوّل بالترتيب الطبيعي و آخر بالترتيب المنعكس، انتهى.

و مراده بالترتيب المنعكس أنّ الأشياء إذا نسبت إلى أسبابها وقفت عنده، و ذلك أنّك إذا نظرت إلى وجود شيء و فتشت عن سببه ثمّ عن سبب سببه و هكذا فتنتهى بالآخره إليه تعالى، لأنّه آخر ما ينحلّ إليه اجتماع أسباب الشئ، فظهر بذلك أن كونه أوّلا- و آخرًا إنّما هو بالنظر إلى ذاته المقدّس لا- باعتبار تقدّمه زمانا و تأخّره زمانا، لكون الزمان متأخرا عنه تعالى إذ هو من لواحق الحركة المتأخّره عن الجسم المتأخّر عن علته، فلا يلحقه القبليّه و البعديّه الزمانيه فضلا أن تسبق عليه أو تلحق به، فلم يكن شيء قبله و لا بعده لا من الزمانيات و لا من غيرها.

و ذكر الشّارح المعتزلي في المقام وجها آخر و هو أن يكون المراد أنه الذي لم يكن محدثا أي موجودا قد سبقه عدم فيقال إنه مسبوق بشيء من الأشياء اما المؤثر فيه او الزمان المقدم عليه و أنه ليس بذات يمكن فناؤها و عدمها فيما لا يزال فيقال إنه ينقضى و ينصرف فيكون بعده شيء من الأشياء الزمان أو غيره.

(و الرادع اناسيّ الأبصار عن أن تناله أو تدركه) أراد به امتناع رؤيته سبحانه لكونه تعالى منزها عن الجهة و المكان، و البصره لا تتعلق إلّا بما كان فيهما و قد تقدّم تفصيل ذلك و تحقيقه بما لا مزيد عليه في شرح الخطبه التاسعه و الأربعين و هذا اللفظ و إن كان بظاهره يعطى مذهب الأشاعره من أنّ الله يجوز إداركه و رؤيته و لكنه خلق في الأبصار مانعا عن إدراكه، إلّا أنّه لا بدّ من تأويله و حمله على ما ذكرنا بعد قيام الأدلّه القاطعه من العقل و النقل على استحاله إدراكه من حيث ذاته.

(ما اختلف عليه دهر فيختلف منه الحال) أراد بذلك كونه منزها عن لحوق الزمان و عن التغيّرات الجاربه على الزمانيات فإنّ مبدء التغيّرات و الاختلاف في الأحوال هو الزمان، فلما كان متعاليا عن الزمان كان منزها عن اختلاف الحالات الذي هو من لواحق الامكان.

و يوضح ذلك ما رواه في الكافي بإسناده عن ابن أبي يعفور قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله عزّ وجلّ: «هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ».

و قلت: أمّا الأوّل فقد عرفناه، و أمّا الآخر فبيّن لنا تفسيره، فقال: إنه ليس شيء إلاّ يبىد أو يتغيّر أو يدخله التغيّر و الزوال أو ينتقل من لون إلى لون و من هيئته إلى هيئته و من صفه إلى صفه و من زياده إلى نقصان و من نقصان إلى زياده إلاّ ربّ العالمين فإنّه لم يزل و لا- يزال بحاله واحده، هو الأوّل قبل كلّ شيء و هو الآخر على ما لم يزل، و لا يختلف عليه الصفات و الأسماء كما تختلف على غيره مثل الانسان الذى يكون ترابا مرّه، و مرّه لحما و دما و مرّه رفاتا و رميما، و كالبسر الذى يكون مرّه بلحا(1)، و مرّه بسرا، و مرّه تمرا، فتتبدّل عليه الأسماء و الصّفات و الله عزّ و جلّ بخلاف ذلك.

(و لا- كان فى مكان فيجوز عليه الانتقال) أراد بذلك تزيهه عن الكون فى المكان لاستلزامه الافتقار الذى هو من صفات الامكان و إذا لم يكن فى مكان فلا يجوز عليه الانتقال منه إلى غيره، إذ جواز الانتقال انما هو من شأن ذى المكان بل:

«هُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهُ وَ فِي الْأَرْضِ إِلَهُ».

و نسبه جميع الأمكنه إليه تعالى على سواء:

وَ هُوَ «يَعْلَمُ سِرِّكُمْ وَ جَهْرَكُمْ» «وَ هُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ».

و قد مرّ تحقيق ذلك فى شرح الفصل الخامس و السادس من فصول الخطبه الأولى فتذكر.

(و لو وهب ما تنفّست عنه معادن الجبال و ضحكت عنه أصداف البحار من

ص: ٢٩٩

١- (١) البلح بالتحريك قبل البسر منه.

فلزّ اللّجين و العقيان و نثاره الدّر و حصيد المرجان ما أثر ذلك في جوده) أشار عليه السّلام بذلك إلى سعه جوده سبحانه و عموم كرمه و كمال قدرته و عدم تناهى مقدوراته، و لا يخفى ما فيه من فخامه اللفظ مع عظم المعنى، حيث إنه عليه السّلام شبّه المعادن بحيوان يتنفس فيخرج من جوفه الهواء، و كذلك المعادن يخرج من بطونها الفلزات، ثمّ شبّه الأصداف بانسان يضحك و أثبت لها الضّحك بملاحظه أنّ الصّدف أوّل ما ينشقّ و يفتح و يبدو منه اللؤلؤ يشبه بغم الانسان الضاحك و اللؤلؤ فيه يشبه بالاسنان و اللّحمه فيه تشبه اللّسان في رقّه طرفه و لطافته.

و لما ذكر ما يخرج من المعادن و الأصداف مجملا فيّبل بقوله: من فلزّ اللّجين و العقيان، و هو تفسير لما يخرج من معادن الجبال و إنما خصّهما بالذكر مع عدم الاختصاص لأنّهما أعظم ما يتنافس فيه المتنافسون و يغتنمه أبناء الزمان، و لا عبره بالنحاس و الرّصاص و نحوهما في جنبهما.

وبقوله: و نثاره الدّر و حصيد المرجان، و هو بيان لما يخرج من الأصداف و الدّر كبار اللؤلؤ و المرجان صغاره و لصغره شبّهه عليه السّلام بالحبّ الحصيد و ربما يطلق المرجان على الخرز الأحمر المعروف قال الشاعر:

أدمى لها المرجان صفحه خدّه و بكى عليها اللؤلؤ المكنون

هو خرز يخرج من البحر أيضا، و ربما فسّر به قوله:

«مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَا يَبْغِيَانِ»... «يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللَّوْلُؤُ وَ الْمَرْجَانُ».

و لكنه ليس مرادا في كلام الامام عليه السّلام و لا يمكن حمله عليه كما هو ظاهر.

و كيف كان فالمقصود أنه سبحانه لو بذل جميع ما في الأرض من الكنوز و المعادن البرّيه و البحريه لأحد لم يؤثر ذلك في جوده (و لا أنفد سعه ما عنده) من خزائن كرمه (و لكان عنده من ذخائر الأنعام ما لا تنفده مطالب الأنام) و ذلك لعدم إمكان إحصاء ما عنده بعدّ، و عدم وقوفه و انتهائه إلى حدّ (لأنه الجواد الذي

لا- یغیضه سؤال السَّائِلین و لا- یبخله الحاح الملَّحین) یعنی لا- یوجب سؤال السَّائِلین علی کثرته نقصاناً فی جوده و لا- إصرار المصْرِّین بخلا- فی کرمه، لأنَّ البخل و النقصان من توابع المزاج و لو احق الامکان، و هو منزَّه عن ذلك بالضروره و العیان، بل عنده نیل السُّؤالات و إنجاح الحاجات، و ما یسأله السائلون علی کثرته یشیر فی جوده، و ما یشتهبه الطالبون علی خطره حقیر فی وسعه و کرمه لا یضیق عن سؤال أحد، و یده بالعطاء أعلى من کل ید.

الترجمه

از جمله خطب آن حضرتست که معروف است بخطبه اشباح، و این از خطبه های جلیله او است و بود سؤال نمود سائلی از او این که وصف کند پروردگار عالم را از برای او باندازه که گویا آنرا آشکارا می بیند پس غضب کرد آن حضرت از این جهه و فرمود:

حمد و ثنا خدائی را سزااست که بسیار نمی گرداند مال او را منع و امساک نمودن، و کم نمی گرداند عطاء او را بذل و بخشش کردن از جهت این که هر عطا کننده کم کننده است مال خود را سوی او، و هر منع نماینده مذموم است غیر از حضرت او سبحانه.

او است بسیار احسان کننده بفواید نعمتها و بمنفعتهای زایده و قسمت‌های مقدره، عیال او است مخلوقات، ضامن شده است بروزیهای ایشان و مقدر فرموده است قوت‌های ایشان را، واضح نموده است راه راغبان را بسوی خود و راه طالبان را به آن چه نزد او است، و نیست او به آن چه که سؤال کرده شده با جودتر از او به آن چه که درخواست شده.

أولی است که نیست او را پیش تا این که باشد چیزی قبل از او، و آخری است که نیست او را بعد تا این که شود چیزی پس از آن، منع کننده است مردمک های دیده ها را از این که برسد بذات او یا درک نماید او را، مختلف نشده است بر او روزگار پس مختلف شود از او حال، و نبوده است در مکان تا جایز باشد بر

و اگر ببخشد آنچه که نفس کشیده است از او معدنهای کوهها و خندیده است از او صدفهای دریاها که عبارت باشد از گداخته نقره و طلا- و از پاشیده درّ در دیدهٔ مرجان، اثر نمی کند این همه در جود واجب الوجود، و تمام نمی سازد وسعت آنچه را که نزد او است، و هر آینه هست نزد او از ذخیرهای نعمت ها آن قدری که بپایان نمی رساند آنرا مطلوبهای خلایق از جهت آنکه او است جواد و بخشنده که ناقص نمی نماید جود او را سؤال سؤال کننده ها، و بخیل نمی سازد او را اصرار و مبالغه نمودن مبالغه کننده ها.

الفصل الثانی

اشاره

فانظر أيتها السائل فما دلّك القرآن عليه من صفته فائتمّ به، و استضيء بنور هدايته، و ما كلّك الشيطان علمه ممّا ليس في الكتاب عليك فرضه، و لا في سنّه النبيّ صلّى الله عليه و آله و سلّم و أئمه الهدى أثره، فكل علمه إلى الله سبحانه، فإنّ ذلك منتهى حقّ الله عليك، و اعلم أنّ الرّاسخين في العلم هم الذين أغناهم عن اقتحام السّدود المضروبه دون الغيوب، الإقرار بجمله ما جهلوا تفسيره من الغيب المحجوب، فمدح الله اعترافهم بالعجز عن تناول ما لم يحيطوا به علماء، و سمى تركهم التعمّق فيما لم يكلفهم البحث عن كنهه رسوخا، فاقصر على ذلك، و لا تقدّر عظمه الله سبحانه على قدر عقلك، فتكون من الهالكين.

هو القادر العَلى إذا ارتمت الأوهام لتدرك منقطع قدرته، و حاول الفكر المبرّء من خطرات الوسوس أن يقع عليه فى عمىقات غىوب ملكوته، و تولّعت القلوب إله لتجرى فى كىفئته صفاته، و غمضت مداخل العقول فى حىث لا- تبلغه الصّىفات لتنال علم ذاته، ردعها و هى تجوب مهاوى سدف الغىوب، متخلّصه إله سبحانه فرجعت إذ جبهت معترفه بأنّه لا ىنال بجور الاعتراف كنه معرفته، و لا تخطر ببال أولى الرؤىات خاطره من تقدىر جلال عزّته، العلى ابتدع الخلق على غير مثال امثله، و لا مقدار احتذى عليه، من خالق معبود كان قبله، و أرانا من ملكوت قدرته و عجاىب ما نطقت به آثار حكمته و اعتراف الحاجه من الخلق إله أن ىقىمها بمسالك قوّته، ما دلّنا باضطرار قىام الحجّه له على معرفته، و ظهرت فى البدائع التى أحدثها آثار صنعته، و أعلام حكمته، فصار كلّ ما خلق حجّه له، و دلىلا عليه، و إن كان خلقا صامتا فحجّته بالتدبىر ناطقه، و دلّالته على المبدع قائمه. و أشهد أنّ من شئبهك بتباىن أعضاء خلقك، و تلاحم حقاق مفاصلهم المحتجبه لتدبىر حكمتك، لم ىعقد غىب ضمىره على معرفتك، و لم ىباشر قلبه الىمىن «الىقىن خ» بأنّه لا ندّ لك، و كأنّه لم ىسمع تبرّء التابعىن

من المتبوعين، إذ يقولون: «تَاللَّهِ إِن كُنَّا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ إِذْ نُسَوِّكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ» كذب العادلون بك إذ شبّهوك بأصنامهم، ونحلوك حليه المخلوقين بأوهامهم، وجزّأوك تجزئه المجسّمات بخواطرهم، وقدّروك على الخلقه المختلفه القوى بقرائح عقولهم، وأشهد أنّ من ساواك بشيء من خلقك فقد عدل بك، والعادل بك كافر بما تنزلت به محكمات آياتك، ونطقت عنه شواهد حجج بيناتك، وأنك أنت الله العليّ لم تتناه في العقول فتكون في مهب فكرها مكيفا، ولا في روّيات خواطرها فتكون محدودا مصرّفا.

اللغه

(رسخ) في العلم يرسخ من باب منع رسوخا إذا ثبت فيه و (الاقترام) الدخول في الشيء مغالبه و بشده من غير رويّه و (السدد) جمع السده كغرف و غرفه و هي كالسدّ قيغه فوق باب الدار ليقبها من المطر، و قيل: هي الباب نفسه و منه حديث أمّ سلمه أنّها قالت لعائشه لما أرادت الخروج إلى البصره إنّك سده بين رسول الله و بين امّته فمتى اصيب ذلك الباب شيء فقد دخل على رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم في حريمه.

و (التعمق) في الأمر المبالغه لطلب أقصى غايته و (ارتمى) القوم بالنبل اي تراموا و (خطرات الوسواس) ما تقع في البال و في بعض النسخ خطر الوسواس و هو بسكون الطاء الهاجس (1) كالخاطر و (تولّته) القلوب إليه أصابها الوله

ص: ٣٠٤

١- (١) - هجس الشيء في صدره خطر بياله أو هو أن يحدث نفسه في صدره مثل الوسواس.

و هو بالتحريك التحير أو ذهاب العقل و (غمض) الحق غموضا من باب قعد خفى مأخذه و غمض بالضم لغه و (علم ذاته) قال الشارح المعتزلى: أنكر قوم جواز إطلاق الذات على الله سبحانه لأنها لفظه تأنيث و البارى سبحانه منزّه عن الأسماء و الصيغيات المؤنثه، و أجاز آخرون إطلاقها عليه و استعمالها فيه لوجهين: أحدهما أنها جاءت فى الشعر القديم قال جنيب الصخار عند صلبه:

و ذلك فى ذات الاله و ان يشاء يبارك على أوصال شلو(١) موزع(٢)

و يروى ممرغ أى مفزق و قال النابغه:

محلّتهم ذات الاله و دينهم قديم فما يخشون غير العواقب

و الثانى أنها لفظه اصطلاحيه لأنها على مؤنث لكنها تستعمل ارتجالا- فى مسماها الذى عبر عنه بها أرباب النظر الالهى كما استعملوا لفظ الجوهر و العرض فى غير ما كان أهل اللغه يستعملونها فيه.

و (جاء) الأرض يجوبها جوبا قطعها و (المهاوى) جمع المهواه و هى ما بين الجبلين و (السيدف) جمع السدفة و هى الظلمه و (جبهه) كمنعه ضرب جبهته و ردّها و (عسف) عن الطريق مال و عدل كاعتسف و تعسف أو خبط على غير هدايه و (المثال) المقدار يقال: هذا على مثاله أى على؟؟؟؟اره و صفه الشىء يقال هذا على مثال ذاك أى على صفته و (امتثله) و تمثّل به أى اقتداه و اتّبعه يقال: امتثل طريقته إذا تبعها فلم يعدها و (حذا) النعل بالنعل أى قطعها و قدرها عليها و حذا حذو زيد إذا فعل فعله.

و (المسالك) ما يمسك به و (التلاحم) كالتحام التلائم و الالتئام لفظا و معنى يقال: تلاحم الجرح و التحم للبرء إذا التأم و (الحقاق) جمع حقه يقال: إنه لنزع الحقاق أى منازع فى صغار الأشياء مأخوذ من حقاق العرْفُ (٣) و هى صغاره

ص: ٣٠٥

١- (١) الشلو العضو و الجسد من كلشئء، ق

٢- (٢) موزع اى مقسم

٣- (٣) بيشه زار.

و (المحتجبه) بصيغه المفعول المستتره أى المستوره و فى أكثر النسخ بصيغه الفاعل أى المتخذة لأنفسها حجبا ففائده الافتعال الاتحاد و (اليمين) إما بمعنى القوه أو بمعنى القسم و فى بعض النسخ اليقين بدله و هو أظهر إلا أن الأول أبلغ كما تطلع عليه و (التهد) المثل و (العادلون بك) من العدل و هو المثل و النظر و منه: عدلوا بالله، أى أشركوا و جعلوا له مثلا و (النحله) النسبه بالباطل و منه انتحال المبطلين و (الخلقه) بالكسر الفطره كالخلق.

الاعراب

الاقرار بالضمّ فاعل أغناهم، و علما منصوب على التمييز، و رسوخا مفعول ثان لسمى، و ردعها جواب اذا ارتمت، و جمله و هى تجوب فى محل نصب على الحال و العامل ردع، و متخلّصه حال أيضا إما من مفعول ردع أو فاعل تجوب، و معترفه حال من فاعل رجعت، و من خالق متعلّق بمقدّر صفه بمقدار أى صادر من خالق أو مأخوذ من خالق.

و جمله و أرانا عطف على ابتداع، و اعتراف بالجرّ عطف على عجائب، و إلى أن متعلّق بالحاجه، و ما دلّنا مفعول ثان لأرانا، و جمله و ظهرت عطف على ابتداع أيضا، و لم يعقد بالبناء على الفاعل خبران، و غيب ضميره بالنصب مفعوله، و فى بعض النسخ بالبناء على المفعول فيكون غيب ضميره بالرفع سادا مسدّ الفاعل و الباء فى قوله بما تنزلت سببيه.

المعنى

إشارة

اعلم أنه عليه السّلام لما حمد الله سبحانه و أثنى عليه فى الفصل السابق بما يليق ذاته تعالى من صفات الجمال و نعوت الجلال، عقبه بهذا الفصل المتضمّن لتنبية السائل على خطائه فى سؤاله الناشى عن توهمه جواز معرفه الله سبحانه على وجه تكون بمنزله الرّؤيه بالعيان، و لما كان ذلك محالا فى حقّ الله القدّوس السّبوح السّيبحان أوجب ذلك السؤال غضبه و تغير لونه عليه السّلام كما تقدّم ذكره سابقا.

و هذا الفصل مشتمل على مقاصد ثلاثه.

المقصد الاول

متضمّن لتأديب السائل و لسائر الناس من الحاضرين و الغائبين في وصفهم لله سبحانه و لتعليمهم كيفيه السلوك في مدح الله و الثناء عليه بما هو أهله، و للنهي عن التعمق و الخوض في ذات الله و صفاته، و التكلف فيها بما فوق الاستطاعه، و الخطاب فيه و إن كان مخصوصا بالسائل إلا أنه عام لجميع الناس، إذا عبره بعموم الغرض لا بخصوص الخطاب و المخاطب و لذلك نادى: الصلاه جامعه و قصد اجتماع الناس.

و كيف كان و إلى ما ذكرنا تبه بقوله:(فانظر أيها السائل فما ذلك القرآن عليه من صفته فانتتم به و استضىء بنور هدايته) أمر عليه السلام بالرجوع إلى القرآن الكريم و الكتاب الحكيم و الاقتداء به و الاستضاءه بأنوار هدايته و الأخذ بأوصاف القدس و الجلال و نعوت العظمه و الكمال المدرجه فيه، فانه أدل دليل و أوضح سبيل و هو كلام الحق سبحانه و هو أعلم بصفاته من غيره فما وصف به فيه نفسه فهو الحق أحق أن يتبع، و ما نزه ذاته عنه فهو الباطل ينبغي تنزيهه منه.

«إِنَّهُ لَقَوْلٌ فَضْلٌ وَ مَا هُوَ بِالْهَزْلِ».

و قد دلت الآيات الكريمه على أنه تعالى ربّ، رحمان، رحيم، شهيد، عليم، حكيم، قادر، قاهر، قديم، خالق، رازق، كريم، سميع، بصير، خبير، غفور، شكور، مجير، عزيز، متكبر، جبار، قوى، منتقم، قهار، إلى غير هذه ممّا فيها من الأسماء الحسنی و الأمثال العليا، و قد تضمّنت مضافا إلى ذلك أنه «لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ» و «لَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا» و «لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ» فان هذه الآيات الثلاث نصّ في عدم إمكان معرفته حقّ المعرفه و عدم جواز إدراكه

ص: ٣٠٧

بالأبصار و بمشاهده العيان أما الايه الاولى فظاهره و أما الثانيه فلأنّ كلّ من أبصر شيئاً فقد أحاط به علماً لا خلاف لأحد فيه و أما الثالثه فلأنّ الابصار عباره عن حصول صوره الشئ في حسّ البصر فما لا مثل له لا يمكن حصول صورته في الحسّ و حيث إنه ليس كمثل شئ امتنع تعلق الأبصار به فظهر من كلّ ذلك بطلان ما توهمه السائل.

و نظير إرشاده عليه السلام للسائل إلى الرجوع إلى القرآن و الائتمام به إرشاد أبي الحسن الرضا عليه السلام لأبي هاشم الجعفرى إلى الرجوع إليه و الأخذ به على ما رواه فى الكافى عن محمّد بن يحيى عن أحمد بن محمّد عن أبي هاشم الجعفرى عن أبي الحسن الرضا عليه السلام قال: سألته عن الله هل يوصف؟ فقال عليه السلام: أما تقرأ القرآن؟ قلت: بلى، قال: أما تقرأ قوله تعالى:

«لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَ هُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ».

قال: فتعرفون الأبصار؟ قلت: بلى، قال: ما هى؟ قلت: أبصار العيون قال عليه السلام: إنّ أوهام القلوب أكبر من أبصار العيون، فهو لا يدركه الأوهام و هو يدرك الأوهام.

فإنّ السائل لما استفهم عن جواز وصفه تعالى بالرؤيه أراد عليه السلام التنبيه و الارشاد له على نفى الرؤيه مطلقاً عنه تعالى بآيه القرآن، و لما ظهر من حال السائل أنه قرء القرآن و قرء قوله تعالى: لا تدركه الأبصار، و لم يعرف من الأبصار إلّا أبصار العيون عرّفه عليه السلام أنّ أوهام القلوب أكبر و أقوى فى باب الادراك من أبصار العيون، لسعه دائره الاولى و قصور دائره الثانيه من حيث إنّ الوهم رئيس الحواس الظاهره و الباطنه و مستخدمها و مستعملها، كما أنّ القلب أعنى العقل رئيس الوهم و مخدومه، فالأولى أن يكون معنى الآيه لا تدركه الأوهام ليدلّ على نفى الادراك مطلقاً إذ كلّ ما يدركه الوهم لا يدركه البصر بخلاف العكس.

و فى الكافى باسناده عن عبد الرحيم بن عتيك القصير قال: كتبت على يدى عبد الملك بن أعين إلى أبى عبد الله عليه السلام: إنّ قوما بالعراق يصفون الله تعالى

بالصوره و التخطيط، فان رأيت جعلنى الله فداك أن تكتب إلى بالمذهب الصحيح من التوحيد؟ فكتب إلى: سألت رحمك الله عن التوحيد و ما ذهب إليه من قبلك فتعالى الله الذى ليس كمثل شىء و هو السميع البصير، تعالى عما يصفه الواصفون المشبهون لله بخلقه المفترين على الله، فاعلم رحمك الله أن المذهب الصحيح فى التوحيد ما نزل به القرآن من صفات الله تعالى، فانف عن الله تعالى البطلان و التشبيه فلا نفى و لا تشبيه هو الله الثابت الموجود تعالى عما يصفه الواصفون و لا تعدوا القرآن فتضلوا بعد البيان.

قال صدر المتألهين: فى شرح الحديث: قوله عليه السلام: فانف عن الله البطلان و التشبيه أمر بنفى التعطيل و التشبيه فان جماعه ارادوا تنزيه الله عن مشابهه المخلوقات فوقوا فى التعطيل و نفى الصفات رأسا و جماعه اخرى ارادوا أن يصفوه بصفاته العليا و أسمائه الحسنى فأثبتوا له صفات زايده على ذاته فشبهوه بخلقه فأكثر الناس إلا القليل النادر منهم بين المعطل و المشبه.

قوله عليه السلام: فلا نفى و لا تشبيه، أى يجب على المسلم أن لا يقول بنفى الصفات و لا باثباتها على وجه التشبيه، و قوله: هو الله الثابت الموجود، إشاره إلى نفى التعطيل و البطلان، و قوله تعالى عما يصفه الواصفون إشاره إلى نفى التشبيه، فإن الواصفين هم الذين يصفون الله بصفات زايده و يقال لهم: الصفاتيه و كل من أثبت لله صفه زايده فهو مشبه لا محاله.

و قوله عليه السلام: فلا تعدوا القرآن فتضلوا بعد البيان، أى فلا تجاوزوا ما فى القرآن بأن تنفوا عن الله ما ورد فى القرآن حتى تقعوا فى ضلاله التعطيل و الله يقول:

«لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ» أو تثبتو الله من الصفات ما يجب التنزيه عنها حتى تقعوا فى زيغ التشبيه و الله يقول:

«سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ» هذا.

و لما أمر عليه السّلام بالرجوع إلى القرآن و الاقتداء به و الاستضائه بأنواره و الأخذ بما ورد فيه من صفات الحقّ تعالى شأنه و تقدّس ذاته أردفه بقوله: (و ما كلّفك الشّيطان علمه ممّا ليس فى الكتاب عليك فرضه و لا فى سنّة النّبىّ صلى الله عليه و آله و سلّم و أئمة الهدى أثره فكل علمه إلى الله سبحانه فإنّ ذلك منتهى حقّ الله عليك) و مراده عليه السّلام بذلك المنع من تكلف ما لم يفرض علمه على المكلفين، و الرّدع عن الخوض فيما لم يثبت وجوب معرفته على العباد فى الكتاب المبين، و لا فى سنّة النّبىّ الأمين و أئمة الدّين سلام الله عليهم أجمعين معلّلاً بأنّ منتهى حقّ الله على العباد أن يقولوا بما دلّ عليه القرآن، و يصفوه بالأوصاف الثّابتة فى الفرقان، و ينتهوا عما رفع علمه عنهم و يكلّوا علمه و يفوضوه إلى الله السّبحان مشيراً إلى أن تكلف ما يزيد على ذلك من تكليفات الشّيطان اللّعين و تدليساته و وساوسه ليضلّ به عن النهج القويم و الصّراط المستقيم.

و ان شئت توضيح ذلك فأقول: إنّ الكتاب الكريم قد دلّ على أنّه سبحانه عالم و أنّه بكلّ شىء محيط، فيجب لنا الاذعان بذلك و عقد القلب عليه، و أمّا البحث عن كيفيته علمه و أنّه على أىّ نحو هو فلا يجب علينا، و ربما يؤدّى التعمق فيه إلى الضّلال كما ضلّ فيه كثير من الحكماء.

فمنهم من تحيّر فى معرفته فنفاه رأساً، و منهم من ضاق به الخناق إلى الاطلاق فنفى علمه بالجزئيات، و منهم من قرّره على وجه أوجب القول بكون الذات فاعلاً و قابلاً و بكونه متّصفاً بصفات غير سلبية و لا اضافية إلى غير ذلك من المفاسد التى نشأت من كثره البحث فيه على ما مرّ تفصيلاً فى تنبيه الفصل السّابع من فصول الخطبه الاولى.

و كذلك قد ورد فى القرآن أنّه تعالى خالق الأشياء و مبدعها، فيجب لنا الاعتقاد به و ليس بفرض علينا أن نتكلّف البحث فى كيفيته الخلقه حتّى نقع فى

الضلال البعيد كما وقع فيه الفلاسفة المثبتة للعقولات العشره المبتنيه على ما ذهبوا إليه من أنّ الواحد لا يصدر منه إلا الواحد، فإنهم لما ذهبوا إلى أنّ الواحد لا يصدر منه إلا الواحد ألجأهم ذلك واضطّرهم إلى القول بالعقولات مع أنه مخالف لاصول الشريعة و لم يرد به كتاب ولا سنه.

و هكذا البحث و التعمق في ساير الصفات، و مثله البحث في متشابهات الآيات مثل قوله سبحانه:

«الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى» و قوله: «وَجُودٌ يَوْمَئِذٍ نَاصِرَةٌ إِلَى رَبِّهَا نَاطِرَةٌ» «وَجَاءَ رَبُّكَ وَ الْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا».

و غير ذلك، فالواجب في كلّ ذلك و كول علمه إلى الله سبحانه و رده عليه كما أبان عنه الكتاب العزيز في سوره آل عمران حيث قال:

«هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَ ابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَ مَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَ مَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ».

روى أبو بصير عن أبي عبد الله عليه السلام قال: سمعته يقول: إنّ القرآن زاجر و آمر يأمر بالجنه و يزجر عن النار و فيه محكم و متشابه، فأما المحكم فيؤمن به و يعمل به و يدين به و أما المتشابه فيؤمن به و لا يعمل به و هو قول الله:

«فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ» الآية هذا.

(و اعلم أنّ الراسخين في العلم هم الذين أغناهم عن اقتحام السدود المضروبه دون الغيوب الاقرار بجمله ما جهلوا تفسيره من الغيب المحجوب) يعني أنّ

الرّاسخين فى العلم إذا وصلوا إلى المتشابهات و إلى ما جهلوا كشف القناع و الغطاء عنها وقفوا عندها و اعترفوا بها إجمالاً كما حكى الله عنهم بقوله:

«يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا».

و لا يتعدّون عن ذلك حتى يقتحموا فى المهالك.

فان قلت: من المراد بالرّاسخين فى العلم و ما المراد بالغيب المحجوب و ما ذا أراد عليه السّلام بالسّد المضرّوبه دون الغيوب؟ قلت: أما الرّاسخون فى العلم فهم الثابتون فيه و الضابطون له كأئمه الدّين و أولياء اليقين الحاملين لأسرار التّبوه و أعباء الولاية و بعض خواصّهم المقتبسين من أنوار الهدايه و المهتدين بنور الامامه.

و أمّا المراد بالغيب المحجوب فهو ما غاب عن الخلق علمه و خفى مأخذه إما لعدم الاستعداد و القابليّته و قصور الطيّعه عن الإدراك كذات الله و صفاته الدّائيه، و إمّا لاقتضاء الحكمه و المصلحه للاخفاء، كعلم السّاعه و ما فى الأرحام و نحوهما ممّا حجب الله علمه عن العباد، و من ذلك القبيل الآيات المتشابهه.

و أمّا المراد بالسّد المضرّوبه فهى الحجب المانع من الوصول إلى الغيب، و هى بالنسبه إلى الغيب المحجوب بها على قسمين:

احدهما ما هى قابله للارتفاع إمّا بالرياضيات و المجاهدات كما يحصل للبعض فيعرف ضمائر بعض العباد و يطلع على بعض المخبيات و يخبر عن بعض المغيبات، و إمّا بتعليم من الله سبحانه كما كان فى حق الأنبياء و الأولياء فإنّ عمده معجزاتهم كانت من قبيل معرفتهم بالغيب و إخبارهم من المغيبات، و إليه الاشاره فى قوله تعالى:

«وَ عِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ».

يعنى أنّه عالم بكلّ شىء من مبتدئات الامور و عواقبها، و أنّه الذى يفتح باب العلم و يرفع الحجاب عن الغيب لمن يريد من الأنبياء و الأولياء، لأنّه لا يعلم الغيب

سواه، ولا يقدر أحد أن يفتح باب العلم به للعباد إلا الله، وقال سبحانه:

«عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا إِلَّا مَنِ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ» أراد أن من ارتضاه و اختاره للنبوة و الرسالة فإنه يطلع على ما شاء من غيبه على حسب ما يراه من المصلحة.

و عن الخرائج عن الرضا عليه السلام فى تفسير هذه الآية فرسول الله عند الله مرتضى، و نحن ورثه ذلك الرسول الذى اطلع الله على ما يشاء من غيبه فعلمنا ما كان و ما يكون إلى يوم القيامة.

و من هذا الباب معرفتهم بالمشابهات و علمهم بتأويلها بسبب تعليمه تعالى بوحي أو الهام، و لا منافاه بين إقرارهم بجمله ما جهلوا تفسيره منها من تلقاء أنفسهم و وكول ذلك إلى ربهم كما حكاها الله و حكاها عليه السلام عن الراسخين و بين معرفتهم الحاصلة بتعليمه سبحانه بل ربما يشير إليه قوله سبحانه:

«قُلْ لَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَ لَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَ لَا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ إِنِ اتَّبَعُ إِلَّا مَا يُوحَى إِلَيَّ» فافهم جيدا.

القسم الثانى ما هى غير قابله للارتفاع كحجب النور المانعه من الوصول إلى الحق و الاكتناه فى ذاته.

بيان ذلك: أن الله سبحانه متجل لذاته بذاته و محتجب عن مخلوقاته، و احتجابه ليس لخفاء ذاته بل لشده نوره و غايه ظهوره و كمال ذاته، فغايه ظهوره أوجب بطونه، و شده نوره أوجب اختفائه و احتجابه، من حيث قصور عقول البشر عن إدراكه كمثل نور الشمس و بصر الخفاش على ما حققناه فى شرح الخطبه الرابعه و الستين، و على هذا فلا سبيل إلى معرفه الحق سبحانه إلا بواسطه صفاته السلبيه و الاضافيه، و لا نهايه لهذه الصفات و لمراتبها، فالعبد لا يزال

يكون مترقياً فيها فان وصل إلى درجه و بقى فيها كان استغراقه فى مشاهده تلك الدرجه حجاباً له عن الترقى إلى ما فوقها.

و لما كان لا نهايه لهذه الدرجات كان العبد دائماً فى السير و الانتقال بحسب قوه عقله و استعداد ذاته إلى أن يبلغ إلى مقام عجز عن الترقى إلى ما فوقه، و يقصر عن إدراكه، و هذا شأن الراسخين السالكين فى مقام السيّلوك بقدمى العرفان المترقين فى مقام المعرفه من مرتبه إلى مرتبه حتّى يقصروا عن الترقى إلى ما فوقها فيغنيهم حينئذ عن اقتحام السدد المضروبه اعترافهم بجمله ما جهلوا تفسيره على ما أشار إليه الامام عليه السّلام (فمدح الله اعترافهم بالعجز عن تناول ما لم يحيطوا به علما و سمى تركهم التعمق فيما لم يكلفهم البحث عن كنهه رسوخاً).

عجز الواصفون عن صفتك اعتصام الورى بمغفرتك

تب علينا فأننا بشر ما عرفناك حق معرفتك

(فاقتصر) أيها السائل (على ذلك) أى على ما دلّ عليه الكتاب العزيز من صفته (و لا تقدّر عظمه الله سبحانه على قدر عقلك فتكون من الهالكين) الذين اعتقدوا أنّ عقلهم قدره سبحانه و أحاط به علماً، و صغّروا عظمته سبحانه بحسب عقلهم الضعيف مع أنّ عظمته تعالى أجلّ و أعظم من أن يضبطها عقل بشرى، و إنما منشأ ذلك الحكم لمن حصل له هو الوهم الحاكم لمثليه الله لمدركاته من الأجسام و الجسمانيات، و ذلك فى الحقيقه كفر لاعتقاد غير الصانع صانعا، و ضلال عن طريق معرفه الله، مستلزم للهلاك الدائم، و الخزى العظيم.

المقصد الثانى

متضمن للتنبيه على عجز العقول عن الاكتناه فى ذاته تعالى و عن معرفتها به حقّ المعرفه، و لبيان أنّ حقّها و حظّها الاستدلال عليه بآيات العظمه و آثار الصنع و القدره و دلائل الملك و الملكوت.

اما الاول فهو قوله:(هو القادر الذى إذا ارتمت الأوهام لتدرك منقطع

قدرته و حاول الفكر المبرء من خطرات الوسواس ان يقع عليه فى عميقات غيوب ملكوته و تولّعت القلوب إليه لتجرى فى كفيّته صفاته و غمضت مداخل العقول فى حيث لا- تبلغه الصّيفات لتنال علم ذاته ردعها) و هذه الجملة أعنى قوله عليه السّلام إذا ارتمت إلى الآخر شرطيه متصله متعدده المقدم متّحده التّالى و هو ردعها، و هى بمنزله شرطيات متعدده.

و المقصود بذلك أنّ الأوهام إذا ترامت و استرسلت مجده فى التفتيش عن منتهى قدرته، نكصت عن ذلك، لأنّ قدرته تعالى متعلّق بجميع المقدورات لا نهايه له حتّى يبلغ الأوهام إلى غايته و منتهاه.

و إنّ الفكر الصافى الخالى عن وساوس الشّيطان و شوائب الأوهام إذا قصد أن يقع على ذاته و يستثبتها بكلّ ما ينبغى لها من الكمالات فى عميقات مغيبات عزّته و سلطانه و مملكته، كلّ و حسر لقصوره عن إدراك ما لا نهايه له.

و أنّ القلوب إذا اشتدّ شوقها إليه و تولّعت نحوه لتقف على كفيّته صفاته عجزت، و ذلك لأنّ صفاته كذاته قديمه و الكيف مهيه امكانيه مفتقره إلى الجعل حادثه و هو سبحانه منزّه عن كونه محلاً للحوادث فليس لذاته و صفاته كفيّته حتّى يقف عليها العقول و لذلك قال أبو عبد الله عليه السّلام: و كيف أصفه بالكيف و هو الذى كيف الكيف حتّى صار كيفاً، فعرف الكيف بما كيف لنا من الكيف.

و أنّ العقول إذا غمضت مداخلها أى خفيت مواقع دخولها فى دقائق العلوم النّظريه الالهيه بحيث لا توصف لدقتها طالبه ان تعلم حقيقه ذاته انقطعت و أعت لقصور العقول عن الوصول إلى حقيقه ما ليس بذى حدّ و لا تركيب.

و محصّل الكلام أنّ هذه القوى التى هى أعظم المشاعر الانسانيه لو حاولت التعمّق و الاستقصاء فى معرفه ذات الله الأعلى و صفاته الحسنى و أرادت الخوض فى بحار ملكه و ملكوته، وفتت خاسئه و رجعت حسيره، لقصورها عن إدراك هذه المطالب العظيمه و ردعها الله تعالى عن ذلك و منعها من أن تحوم حول ذلك.

(و هى تجوب مهاوى سدف الغيوب متخلّصه إليه سبحانه) أى تقطع مهاوى

ظلمات الغيوب حال كونها متوجهه بكليتها إليه سبحانه في طلب إدراكه تعالى (فرجعت إذ جبهت) و رذت (معرفته) و مدعنه (بأنه لا- ينال بجور الاعتساف كنه معرفته) أى لا ينال باعتساف المسافات التى بينها و بينه و بشده الجولان فى تلك المنازل إلى كنه معرفته سبحانه.

إذ بينه و بين خلقه منازل غير متناهيه، و معارج غير مستقصاه بعضها نورانيه و بعضها ظلماتيه لا بدّ للسالك من قطع جميعها حتى يصل إلى باب الربوبيه، و أتى له بذلك و أين التراب من ربّ الأرباب فجور الاعتساف غير نافع فى تحصيل ما لا يمكن.

(و) لذلك اعترفت العقول بأنه لا ينال بذلك كنه معرفته كما اعترفت بأنه (لا تخطر ببال اولى الزويات خاطره من تقدير جلال عزته) إذ كلّ ما يخطر ببال أرباب الفكر و كلّ ما يتصوّره اولو النظر فى حقّه سبحانه و إن كان جليلا عظيما فهو أجلّ و أعظم من ذلك، لأنّ ذلك صفة الواصفين لا صفة الرب العظيم.

قال فضيل بن يسار فيما رواه عنه فى الكافى: سمعت أبا عبد الله عليه السّلام يقول: إنّ الله لا يوصف و كيف يوصف و قد قال فى كتابه:

«و ما قَدَرُوا اللهَ حَقَّ قَدْرِهِ».

فلا يوصف بقدر إلا كان أعظم من ذلك.

و روى عن محمّد بن علىّ الباقر عليه السّلام أنّ كلّ ما تصوّره أحد فى عقله أو وهمه أو خياله فالله سبحانه غيره و ورائه، لأنّه مخلوق و المخلوق لا يكون من صفات الخالق.

(الذى ابتدع الخلق على غير مثال امثله و لا مقدار احتذى عليه من خالق معبود كان قبله) أراد بذلك التنبيه على كون ايجاده للعالم بمحض الابداع و الاختراع و عدم كونه مستفادا من الغير.

بيان ذلك أن الصنایع البشريه إنما تحصل بعد أن يرتسم فى القوه المتخيله

صوره المصوع بل و كل فعل لا يصدر إلا بعد تصوّر وصفه و كفيته أولا.

و هذه التصورات تاره تحصل عن أمثله للمصنوع و مقادير خارجيه له يشاهدها الصانع و يحذو حذوها كما يفعل التلميذ فى الصباغه شيئا قد مثل له استاده هيئته و صورته فيفعل نظيره.

و تاره بمحض الالهام و الافاضه على قلبه كما يفاض على أذهان كثير من الأذكياء و المصوّرين صورته شكل لم يسبق إليه غيره، فيصوّره فى قلبه و يبرز صورته فى الخارج على طبق ما افيض على قلبه، و كفيته صنع الله سبحانه منزّهه عن كونها على أحد الوجهين.

اما الوجه الأول فلما مرّ فى شرح الفصل السابق من أنه سبحانه قبل القبل بلا قبل فليس قبله خالق مثل مثالا فاتّبعه سبحانه، و لا قدر مقدارا فقطع على قدره و احتذى عليه تعالى شأنه.

و أما الوجه الثانى فلأنّ الصورة المفاضه و المثال الملهم مستندان إلى المفيض و الملهم مستفادان من الغير فعلان له، و ليس قبله تعالى غير حتّى يستفيد و يستفيض منه مضافا إلى استلزامه الافتقار تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا، هذا.

و اما الثانى أعنى بيان جواز الاستدلال عليه تعالى و إمكان معرفته بآيات القدره و أدله العظمه فهو قوله (و أرانا من ملكوت قدرته) أى من ملكها كما قال الله:

«فَسُبْحَانَ الَّذِي يَدِيهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ ۗ».

أى بقدرته و نسبته إلى القدره لكون القدره مبدء الوجود كلّه فهى مبدء المالكيه (و عجائب ما نطقت به آثار حكمته) أى عجائب ما أفصحت عنه الأفعال و الأحكام الصادره عن وجه الحكمة و المصلحه على أحسن ترتيب و نظام، و تمام إتقان و انتظام.

(و اعتراف الحاجه من الخلق إلى أن يقيمها بمسالك قوّته) الموجود فى النسخ التى رأيناها يقيمها بضمير التأنيث فلا بدّ من رجوعه إلى الخلق باعتبار ملاحظه المعنى، إذ المراد المخلوقات بجمعها، و يحتمل رجوعه إلى الحاجه على تكلف،

و المقصود اقرار الخلايق و اعترافهم بالاحتياج و الافتقار إلى أن يقيمهم بقدرته و قوته الماسكه التي تمسك السماء و الأرض أن تزولا، و اعتراف بعضهم بلسان الحال و بعضهم بلسان الحال و المقال.

(ما دلنا باضطرار قيام الحجّه له على معرفته) أى أرانا من ملكوت القدره و آثار الحكمه و اعتراف الموجودات بالحاجه دليلا و افيا و برهانا كافيا دلنا على معرفته سبحانه، بسبب قيام الحجّه له تعالى بالضروره و البدهه.

و بعباره اخرى أرانا ممّا ذكر ما كان لنا دليلا على معرفته من أجل ضروريه الحجّه القائمه له على الخلايق فى باب المعرفه و بداهتها (و ظهرت فى البدائع التى أحدثها آثار صنعته و أعلام حكمته) أى ظهرت فى الحوادث البديعه المعجبه التى أحدثها و أوجدها آثار تدلّ على صانعيته و علامات يستدلّ بها على حكمته (فصار كلّ ما خلق) فى الأنفس و الآفاق (حجّه له و دليلا عليه و إن كان خلقا صامتا) لأنّ افتقاره الذاتى دليل على حاجته إلى المؤثر المبدع و إن لم يكن مفصحا عنه بلسانه، إما لعدم كونه ذا لسان كالجماد و النبات؛ و إما لكفره و إحداه كبعض أفراد الانسان.

(فحجّته بالتدبير ناطقه و دلالاته على المبدع قائمه) يحتتمل رجوع الضمير فى حجّته و دلالاته إلى الخلق الصامت، و يحتتمل رجوعه إلى الله سبحانه، و الثانى أظهر، و المراد أنّ حجّته تعالى ناطقه بكونه مدبّرا، و دليله قائم على كونه مبدعا مؤثرا.

فحاصل الكلام و فذلكه المرام أنّ فى ما أبدعه سبحانه فى عالم الكون و أحدثه فى الأنفس و الآفاق شواهد متظاهرة و آيات متناصره ناطقه بلسان حالها مفصحه عن جلاله بارئها، معربه عن كمال حكمته و تدبيره فيها، مناديه لأرباب القلوب بنغماتها، قائله:

أ ما ترانى و ما ترى صورتى و تركيبى و صفاتى و مناعى و اختلاف أحوالى و كثره فوائدى، أ تظنّ أنى خلقت بنفسى أو خلقتنى أحد من جنسى، و فعلت هذه الأفاعيل و ما يترتب عليها من المنافع بطبعى و ذاتى؟

أو ما تستحيى تنظر إلى كلمه مرقومه فى ثلاثه أحرف فتقطع أنه صنعه آدمى عالم قادر مرید متكلّم ثم تنظر إلى عجائب هذه الخطوط المرقومه على وجه الانسان بالقلم الالهى الذى لا يدرك الابصار ذاته و لا حركته و لا اتصاله بمحلّ الخطّ ثم ينفكّ قلبك من جلاله صانعه؟ و كذلك النطفه التى كأنها قطره من الماء المتشابه الأجزاء يقول لمن له قلب أو ألقى السمع و هو شهيد لا- المذنبهم عن السمع لمعزولون: توهمنى فى ظلمه الأحشاء مغموسا فى دم الحيض فى الوقت الذى يظهر التخطيط و التصوير على وجهى، و قد نقش النقاش حدقتى و أجفانى و جبهتى و خدى و شفتى، فترى النقوش يظهر شيئا فشيئا على التدرىج و لا ترى داخل الرّحم و لا خارجه أحدا و لا خبر منها للآم و لا للأب و لا للنطفه و لا للرّحم فما هذا النقاش؟ أفلم يكن بأعجب ممّن يشاهده ينقش بقلمه صوره عجيبه لو نظر إليها مرّتين أو أكثر لتعلمه فهل يقدر أن يتعلم هذا الجنس من النقش الذى يعمّ ظاهر النطفه و باطنها و جميع أجزائها من غير ملامسه النطفه و من غير اتصال بها لا من داخل و لا من خارج؟ فان كنت لا تتعجب من هذه العجائب و لا تعلم أنّ الذى صور و نقش هذه النقوش و الأشكال و الصّور و الأمثال مما لا شبه له و لا ندّ و لا شريك له و لا ضدّ، كما أنّ صنعه و نقشه لا يساويه نقش و صنع و التباعد و المباينه بين الفاعلين كما بين الفعلين فعدم تعجبك أعجب من كلّ عجيب، فانّ الذى أعمى بصيرتك مع هذا الوضوح و منعك اليقين مع هذا البيان جدير بأن يتعجب منه:

فَسُبْحَانَ مَنْ «أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى» و أَضَلَّ و أَغْوَى، و فتوح بصائر أحبائه فشاهدوه و هم به مؤمنون و أعمى قلوب أعدائه فقال فيهم «صُمُّ بَكُمُ عَمَى فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ» فله الخلق و الأمر لا معقب لحكمه و لا راد لقضائه.

المقصد الثالث

متضمن للشهادة بالتنزيه و التقديس و أنه سبحانه تعالى شأنه عن مشابهه

(و أشهد أنّ من شبّهك بتباين أعضاء خلقك و تلاحم حقاك مفاصلهم المحتجبه لتدبير حكمتك لم يعقد غيب ضميره على معرفتك و لم يباشر قلبه اليمين بأنّه لا ندّ لك) و لا يخفى ما فيه من المحسنات البيانيّه.

أولها أنّه عليه السّلام غير اسلوب الكلام و التفت من الغيبه إلى الخطاب على حدّ قوله تعالى: إياك نعبد، لأنّ الكلام إذا نقل من اسلوب إلى اسلوب آخر كان أحسن تطرئه لنشاط السّامع، و أكثر ايقاظا للاصغاء إلى ذلك الكلام.

و ثانيها أنّ التشبيه يعتمد على أركان: المشبّه، و المشبّه، و المشبّه به، فالمشبّه في هذا المقام هو القاييس له سبحانه على خلقه، و المشبّه هو الله العزيز المتعال، و المشبّه به في الحقيقه هو الخلق المتباينه الأعضاء و المتلائمه حقاك المفاصل إلّا أنّه عليه السّلام جعل المشبّه به تباين الأعضاء و تلاحم الحقاك تعريضا على ذمّ المشبّه و توبيخه، و تنبيها على غلظه في تشبيهه، و ذلك لأنّ تباين الأعضاء و تلاحمها من لوازم المشبّه به، و هما مستلزمان للتركيب و اجتماع المفردات المستلزمين للافتقار إلى المركب و الجامع، فمن كان ملزوما للحاجه و الافتقار كيف يجوز أن يشبه به العزيز الغنى المتكبر الجبار، فجعلها نفس المشبّه به تنبيها على كونها بمنزله الوسط في لزوم التركيب للمشبّه به الحقيقى حتّى يظهر بذلك تقدّسه عن التّشبه به.

و ثالثها أنّه وصف المفاصل بكونها محتجبه معلّلا-احتجابها بأنه من تدبيرات حكمته تعالى و مقتضياتها، و ذلك لأنها لو لم تحتجب و خلقت بارزه عريّه عن الغطاء و الغشاء ليست رباطاتها و قست فيعذر تصرّف الحيوان بها كما هو الآن مضافا إلى كونها معرضه للآفات المفسده لها و غير ذلك من خفيّ تدبيره و لطيف حكمته.

و رابعها أنّه عليه السّلام شهد في حقّ المشبّهه بعدم عقد ضميرهم المكنون على معرفه الله سبحانه و عدم اعتقادهم و يقينهم بأنه لا مثل له تعالى، و إنّما عبّر عن عدم اليقين

بعدم اليمين إشعاراً بأنّ اللازم على العبد في مقام تنزيهه سبحانه عن المثل و التّظير أن يكون تنزيهه له صادراً عن وجه كمال اليقين بحيث لو أراد الحلف بذلك أمكنه ذلك.

هذا إن جعلنا اليمين بمعنى القسم، و إن كان بمعنى القوّه فالمقصود الاشعار بأن يكون تنزيهه صادراً عن قوّه القلب و لا يكون مضطرباً فيه.

و لما شهد عليه السّلام في حقّ المشبهه بأنّه لم يعقد قلبه على معرفه الله سبحانه و لم يتيقّن تنزيهه عن المثل أكّد ذلك بقوله (و كأنه) أى المشبهه لله بخلقه (لم يسمع تبرّء التّابعين) و هم عبده الأصنام و الأوثان (من المتبوعين) أى من آلهتهم يوم القيامة (إذ يقولون) حين القوا «فى الجحيم فكُتِبُوا فِيهَا هُمْ وَ الْغَاوُونَ وَ جُنُودٌ أَيْلِسَ أَجْمَعُونَ» ... «تَاللّهِ إِنْ كُنَّا» أى قد كُنَّا «لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ إِذْ نُسُوِّكُمْ رَبِّ الْعَالَمِينَ وَ مَا أَضَلَّنَا إِلَّا الْمُجْرِمُونَ فَمَا لَنَا مِنْ شَافِعِينَ وَ لَا صِدِّيقٍ حَمِيمٍ فَلَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَكُونُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ» فأنّ المشبهين لو سمعوا ذلك و عرفوا بذلك أى بتبرّء التّابعين من المتبوعين و بما حكى الله عنهم فى الكتاب المبين، لعقدوا قلبهم على معرفه، و نزّهوه سبحانه عن المثل و الصفه، كيلا يقعوا فى الضلاله الدائمه و الحسرّه الباقيه، كما وقع فيها التّابعون بتلك الجبهه.

فأنّهم شهدوا على أنفسهم بالقسم البارّ بأنّهم فى ضلال مبين، و تحسّروا بأنّهم ليس لهم من شافعين و لا صديق حميم. و تمنّوا الرّجوع إلى الدّنيا ليكونوا من المؤمنين، كلّ ذلك من أجل تشبيههم الخالق بالخالق و إبدائهم المساواه بين معبوداتهم الباطله و بين ربّ العالمين، و عدم كونهم بعلوّ شأنه سبحانه و جلاله قدره موقنين مذعنين

(كذب العادلون بك) أى الجاعلون لك عديلا و مثلا (إذ شبهوك بأصنامهم) الباطله (و نحلوك حليه المخلوقين بأوهامهم) الفاسده (و جزؤوك تجزئه المجسّمات بخواطرهم) الكاسده (و قدروك على الخلقه المختلفه القوى بقرائح عقولهم) الجامده أمّا كذبهم فى تشبيهم له سبحانه بالأصنام فواضح، حيث اعترفوا بأنهم فى ضلال مبين من جهه تسويتهم الأصنام برّب العالمين و أمّا كذبهم فى نحلتهم له حليه المخلوقين، و تجزيتهم له تجزئه المجسّمات و تقديرهم له على الخلقه المختلفه القوى كقولهم: بأنّه فى صوره غلام أمرد فى رجليه نعلان من ذهب، و قولهم: بأنّه أجوف من فيه إلى صدره و ما سوى ذلك فصمت، و غير ذلك من هذياناتهم فأشدّ وضوحا إذ الأعضاء المختلفه إنّما تتولد و تكمل بواسطه قوى طبيعته و نباتيه و حيوانيه و غيرها، و هى قوى مختلفه بحقايقها متضاده فى أفعالها محتاجه إلى المركّب و الجامع، و الاحتياج مستحيل على واجب الوجود، تعالى عمّا يقول الظالمون علوا كبيرا (و أشهد أنّ من ساواك بشيء من خلقك فقد عدل بك و العادل بك كافر بما تنزلت به محكمات آياتك و نطقت عنه شواهد حجج بيناتك) شهاده ثانيه على كفر المشبهه متفرّعه على ما سبق.

وجهه كفرهم أنهم لما شبهوه بخلقه و سووه به حيث اعتقدوا أنّ خالقهم و صانعهم هو ما توهموه بأوهامهم الفاسده و وصفوه بعقولهم الكاسده مع عدم كونه خالقهم بل هو مخلوق لهم مصنوع مثلهم لا جرم كانوا بذلك متّخذين غير الخالق خالقا جاعلين لله سبحانه ندا و عديلا، و هو الكفر و الضلال كما شهدت به محكمات الآيات و أفصحت عنه شواهد أدلّه البينات قال سبحانه فى سورة البقره:

«وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ» إلى أن قال «إِذْ تَبَرَأَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا مِنَ الَّذِينَ

«اتَّبِعُوا وَرَأُوا الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ» و في سورة إبراهيم:

«أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَدُلُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ جَهَنَّمَ يَصِيلُونَهَا وَبُسَّ الْقَارِ وَجَعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِهِ قُلْ تَمَتَّعُوا فَإِن مَصِيرَكُمْ إِلَى النَّارِ» و في سورة الزمر: «وَجَعَلَ لِلَّهِ أَنْدَادًا لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِهِ قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا إِنَّكَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ» و في سورة فصلت:

«قُلْ أَإِنكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَنْدَادًا ذَلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ».

إلى غير هذه من الآيات الباهرة والحجج القاهره (و) أشهد (أنك أنت الله الذي لم تتناه في العقول فتكون في مهب فكرها مكيفا، و لا في رويات خواطرها فتكون محدودا مصرفا) و هي شهاده ثالثه على تنزهه من إحاطه العقول البشريه فنفاها بنفى ما يترتب عليها من كونه تعالى ذا نهايه، إذ معنى الاحاطه بالشىء هو إدراكه بكنهه و معرفته بجميع جهاته و بلوغ العقل غايته و نهايته بحيث لا- يكون وراء ما أدركه شىء آخر و نفي انتهائه بنفى ما يترتب عليه من كونه ذا كفيته تكيفه بها القوى المتخيله لتثبته بها العقول، و كونه محدودا أى ذا حدّ و نهايه أو محدودا بحدّ يحده و يعرفه إذ إدراك العقول للحقايق بكنهها إنما هو من حدودها و معرفاتها.

و هذا مبنى على كون المحدود مأخوذا من الحدّ الذى هو معرّف الشىء و القول الشارح له كما أنّ الاوّل مبنى على أخذه من الحدّ بمعنى النهايه، و هو بكلا المعنيين محال على الله سبحانه و كونه مصرفا أى ذا تصريف و تقليب مأخوذ من تصريف الرياح و هو تحويلها من وجه إلى وجه و من حال إلى حال لأنه إذا

كان العقول و الفكر متعلقه به لا بدّ أن يتصرّف فيه العقول و الأفكار، و تحوّل من وجه إلى وجه لتبلغ غايته و تعرفه بكنهه و هو معنى كونه مصرّفاً و لما كان هذه اللوازم كلّها باطله مستحيله في حقّه تعالى كان ملزومها و هو إحاطه العقول به و تناهيه فيها محالاً أما بطلان اللازم الأول فلأنّ الكيف حادث بالذات ممكن الوجود مفتقر إلى جاعل يوجد به برىء الذات من الاتصاف به، أما حدوثه فلكونه عرضاً قائماً بالمحلّ فهو مفتقر إلى جاعل و ينتهي افتقاره بالأخره إلى الحقّ تعالى، و أمّا برائه ذات المحدث من الاتصاف به فلأنّ موجد الشىء مقدّم عليه بالوجود فيستحيل أن يكون المكيف بالكسر أى موجد الكيف و جاعله مكيفاً أى منفعلاً- ذا كفيّته و إلا- لزم تقدّم الشىء على نفسه و كون الشىء الواحد فاعلاً قابلاً و هو محال و أمّا بطلان اللازم الثّاني و هو كونه محدوداً أى ذا نهايه فلأنّه لا غايه لوجوده و لا منتهى لذاته، لأنّ وجوده وراء ما لا يتناهى مدّه و عدّه بما لا يتناهى قوّه و شدّه و أمّا إن جعلنا الحدّ بالمعنى الثّاني الذى أشرنا إليه فلأنّ حدّ الشىء عباره عن معرّفه المركب من الجنس و الفصل و الله سبحانه بسيط الذات لا- جزء له و ما لا جزء له لا جنس له و ما ليس له جنس ليس له حدّ و قول شارح يعرّف به، و ما ليس له حدّ لا يكون محدوداً و أمّا بطلان اللازم الثالث أعنى كونه مصرّفاً فلاستحاله التغيّر و الانتقال من حال إلى حال على الله تعالى شأنه.

الترجمه

پس نظر کن اى سؤال کننده از صفات پروردگار پس آن چیزی که دلالت دارد قرآن بر آن از صفت حضرت آفریدگار پس اقتدا کن بآن و طلب روشنائی کن بنور هدایت او، و آنچه که تکلیف کرده آنرا شیطان ملعون دانستن او را از چیزی که نیست در قرآن بر تو فرض آن و نه در سنت پیغمبر خدا صلّى الله علیه و آله و نه ائمه هدی

علامت و نشانه او پس واگذار دانستن آن را بخدای تعالی، پس بدرستی که این منتهای حق خداوند است بر تو و زیاده از این بر تو لازم نیست.

و بدان که جماعتی که رسوخ دارند در علم و استوارند در دانش، ایشان کسانی هستند که بی نیاز ساخته ایشان را از بی فکر داخل شدن حجاباتی که زده شده در پیش غیبهها، اقرار و اعتراف ایشان باجمال آنچه که جاهل شده اند بتفسیر و توضیح آن از غیبی که پوشیده است، پس مدح فرموده حق سبحانه و تعالی اعتراف بعجز کردن ایشان را از أخذ نمودن آنچه که احاطه نکرده اند از حیثیت علم و نام نهاده ترک تعمق و خوض کردن ایشان را در چیزی که تکلیف نکرده بر ایشان بحث نمودن از حقیقت آن را برسوخ.

پس قناعت کن ایسائل در باب معرفت باین مقدار و تقدیر مکن عظمت پروردگار را باندازه عقل خود تا این که شوی از هالکین.

او سبحانه قادرست که اگر مجدّ شوند و همها تا دریابند نهایی توانائی آنرا، و طلب کند فکری که میراست از خطرات وساوس شیطانیه آنکه واقع شود در اسرار عمیقه پادشاهی او، و واله و متحیر باشند قلبها بسوی او تا این که جاری شوند در چگونگی صفتهای او، و غامض و خفی باشد محلّ دخول عقلها باندازه که خارج از وصف باشد بجهه طلب علم بذات او سبحانه ردع میکند و باز دارد خداوند تعالی آن عقول و اوهام را از معرفت بذات و صفات خود و حال آنکه قطع کند آن اوهام و عقول مواضع هلاک تاریکیهای غیبهها را در حالتی که رهیده باشد از غیر و نزدیکی جویند بسوی حق سبحانه.

پس برگشتند زمانی که باز داشته شدند در حالتی که اعتراف کننده باشند باین که رسیده نمی شود بشده جولان در بیداء جلال و عزّت و حقیقت معرفت او، و باین که خطور نمی کند بدل صاحبان فکرها خطور کننده از اندازه کردن بزرگی عزّت او.

آن خداوندی که ایجاد کرد مخلوقات را بدون سبق مثالی که متابعت

کرده باشد بر آن، و بی تقدّم مقدار و اندازه که عمل کرده باشد بر وفق آن که صادر شده باشد آن مثال و مقدار از خالق معبودی که بوده باشد قبل از او، و بنمود ما را از پادشاهی قدرت خود و از عجایب آن چیزی که گویا شده است بآن نشانهای حکمت او و از اعتراف نمودن خلایق باحتیاج خودشان باین که اقامه نماید و بپا داشته باشد ایشان را بنگه داشته قوه خود دلیل وافی و برهان شافی ما را بسبب ضروری و بدیهی بودن حجتی که قائم است مر او را بمعرفت او و ظاهر گردید در اشیاء بدیعه که ایجاد فرموده نشانهای صنعت او و علامتهای حکمت او.

پس گردید هر چیزی که خلق فرموده برهان قاطع مرا الوهیت آن را، و دلیل ساطع بر وجوب وجود آن و اگر چه بوده باشد آن مخلوق خلق غیر ناطق و جماد ساکت، پس حجت حق تعالی بتدبیر حکمت او گویا است و دلیل او بر وجود مبدع برپا.

پس شهادت می دهم بر این که کسی که تشبیه کرده تو را باعضای متباینه مخلوقات تو، و خورده های بهم پیوسته مفاصل ایشان که پوشیده شده است بتدبیر حکمت تو عقد نموده فکر باطنی خود را بر معرفت تو، و مباشر نکرده بقلب خودش یقین را باین که نیست هیچ مثلی تو را.

و گویا که نشنیده آن تشبیه کننده بیزاری جستن تابعان را از متبوعان در روز قیامت، و زمان انداخته شدن ایشان بر آتش وقتی که گویند: قسم بخدا که هر آینه بودیم ما در ضلالت هویدا، در وقتی که برابر کردیم ما شما را با پروردگار عالمیان.

دروغ گفتند کسانی که بتو مثل و عدیل قرار دادند وقتی که تشبیه کردند تو را به بتهای خودشان و بخشیدند بتو صفات مخلوقات را بوهمهای خود، و تجزیه کردند تو را همچو مجزا کردن اشیاء مجسمه با خواطرهای خود، و اندازه کردند تو را بر هیکلی و شکلی که مختلف است قوتهای او با عقلهای خود.

پس شهادت می دهم بر این که هر کس که مساوی ساخت تو را با چیزی از

مخلوق تو پس بتحقیق که عدیل قرار داد ترا و هر کس که عدیل قرار داد بتو کافر است بحکم آن چیزی که نازل شده با آن آیات محکمت تو، و بحکم آن چیزی که ناطق شد از آن گواهان حجتهای واضحۀ تو.

و شهادت می دهم بر این که توئی معبود بحق که پایان نداری در عقلها تا این که باشی در محلّ ورزیدن اندیشههای آن عقول مکیف با کیفیتی، و نه در اندیشههای خاطرهای آن عقول صاحب حدّ و نهایتی و موصوف بتغییر از حالت بحالتی

الفصل الثالث

اشاره

منها قدر ما خلق فأحکم تقدیره، و دبره فألطف تدبیره، و وجهه لوجهته فلم يتعدّ حدود منزلته، و لم يقصر دون الانتهاء إلى غاية، و لم يستصعب إذ أمر بالمضی علی إرادته، و کیف؟ و إنما صدرت الامور عن مشیّه المنشیء أصناف الأشياء بلا رویه فکر آل إليها، و لا- قریحه غریزه أضمر علیها، و لا- تجربه أفادها من حوادث الدهور، و لا- شریک أعانه علی ابتداع عجائب الامور، فتمّ خلقه و أذعن لطاعته، و أجاب إلى دعوته، و لم يعترض دونه ریث المبطلی، و لا- أنه المملک، فأقام من الأشياء أودها، و نهج حدودها، و لائم بقدرته بین متضادّها، و وصل أسباب قرائنها، و فرّقها أجناسا مختلفات، فی الحدود و الأقدار و الغرائز و الهيئات، بدایا (برایا خ ل) خلایق أحکم صنعها، و فطرها علی ما أراد و ابتدعها.

ص: ۳۲۷

(التدبير) فى الامور النَّظر إلى ما يؤل إليه عاقبتها و (وجهه) الشىء بالكسر جهه الشىء يتوجّه إليها قال تعالى:

«وَلِكُلِّ وِجْهَةٍ هُوَ مُوَلِّئُهَا».

و (قصر) السهم عن الهدف إذا لم يبلغه و قصرت عن الشىء أى عجزت عنه و (دون) الشىء أى قريبا منه و قبل الوصول إليه و (آل) إليه رجع و (الغريزه) الطبيعه و (قريحه الغريزه) ما يستنبطه الذّهن.

قال الجوهريّ: القريحه أوّل ما يستنبط من البئر و منه قولهم: لفلان قريحه جيده يراد استنباط العلم بجوده الطبع و (أضمّر عليها) أى بلغ الغايه و استقصى عليها من الاضمار بمعنى الاستقصاء، و قيل: من الاضمار بمعنى الاخفاء و ليس بشىء لتعدّيه بنفسه يقال أضمّره و أخفاه و لا- يقال: أخفى و أضمّر عليه و (الافاده) الاستفاده و (اعترض) الشىء دون الشىء حال، و اعتراض صار كالخشبه المعترضه فى النهر و (الريث) الابطاء و (الاناه) كفتاه: الحلم و الوقار مأخوذ من تأنّى فى الأمر أى تثبّت و (تلكّاء) عليه اعتلّ و عنه أبطأ و (الامود) محرّكه الاعوجاج و (قرائنها) جمع القرينه و هى الأنفس و يحتمل أن يراد بها مقارنات الأشياء كما تطلع عليه.

قال الشّارح المعتزلى: و (بدايا) ههنا جمع بديه و هى الحاله العجيبه بدأ الرّجل إذا جاء بالأمر البدىء أى المعجب و البديه أيضا الحاله المبتكره المبتدئه و منه قولهم فعله بادى بدىء على وزن فعل أى أوّل كلّ شىء.

الاعراب

قوله: و كيف استفهام على سبيل الانكار و إنما صدرت جملة حالیه و العامل محذوف أى كيف يستصعب و إنّما صدرت الامور، و جملة لم يعترض حال أيضا من فاعل المصدر أعنى دعوته، قوله: أجناسا حال من مفعول فُزّق أو منصوب بنزع

الخافض أى فرّقها بأجناس أو على أجناس مختلفه، وقوله: بدايا خلاق خير لمبتدأ محذوف أى هى بدايا خلاق، و اضافه بدايا إلى خلاق من باب اضافه الصّيفه إلى موصوفها، قال الشّارح المعتزلى: و يجوز أن لا يكون بدايا إضافه إليها بل يكون بدلا من اجناسا.

أقول: فعلى هذا الاحتمال تكون بدايا صفه ثانيه لأجناسا و ما ذكرناه أظهر فتدبّر.

المعنى

اشاره

اعلم أنّ هذا الفصل من الخطبه متضمن لتزويه الله سبحانه فى كيفيه ايجاده للأشياء و خلقه لها عن صفات المصنوعين، و فيه تنبيه على كون المخلوقين مذليّن لانقياد حكمه، مطيعين لأمره، ماضين على ارادته، غير متمردين عن طاعته كما قال عليه السّلام:(قدّر ما خلق فأحكم تقديره) يعنى أنّ كلّ مخلوق قدّره فى الوجود فعلى وفق حكمته بحيث لو زاد على ذلك المقدار أو نقص منه لاختلّت مصلحه ذلك المقدّر و تغيّرت جهه المنفعه فيه (و دبّره فألطف تدبيره) يعنى أنّه أوجد الأشياء على وفق المصلحه و نظام الخير فتصرّف فيها تصرّفات كليّه و جزئيه من غير شعور غيره ذلك.

(و وجّهه لوجهته فلم يتعدّ حدود منزلته و لم يقصر دون الانتهاء إلى غايته) أراد أنّه سبحانه وجّه كلّ ما خلق إلى الجبهه التى وجّهه إليها، و ألهم كلّا و يسّره لما خلق له، كالسحاب للمطر و الحمار للحمل و النّحل للشمع و العسل و هكذا فلم يتجاوز شىء منها مرسوم تلك المنزله المحدوده له المعينه فى حقّه، و لم يقصر دون الانتهاء إلى الغايه التى كتبت له فى اللّوح المحفوظ و إلّا لزم التّغيير فى علمه و عدم النفاذ فى أمره و هما محالان.

(و لم يستصعب إذ أمر بالمضى على إرادته) أى لم يستصعب أحد من المخلوق التّوجّه إلى الجبهه التى وجّهه إليها، و لم يمكنه التّخلّف من المضى إليها على وفق إرادته و حكمته بعد أمره له بذلك أمر تكوين لا تشريع.

(و كيف) يستصعب و يتخلف (و إنما صدرت الامور عن مشيئه المنشى أصناف الأشياء) يعنى أن جميع الآثار مستند إلى مشيئه إذ كل أثر فهو واجب عن مؤثره و الكل منته فى سلسله الحاجه إلى إرادته فهو واجب عنها.

و يدلّ عليه ما رواه فى الكافى عن على بن إبراهيم عن أبيه عن ابن أبى عمير عن عمر بن اذينه عن أبى عبد الله عليه السلام قال: خلق الله المشيئه بنفسها ثم خلق الأشياء بالمشيئه.

و سيأتى تحقيق الكلام فى ذلك بعد الفراغ من شرح الفصل، هذا و قوله عليه السلام (بلا رويّه فكر آل إليها و لا قريحه غريزه أضمر عليها و لا- تجربه أفادها من حوادث الدهور و لا- شريك أعانه على ابتداع عجائب الامور) إشاره إلى تنزّهه فى ايجاد المخلوقات عن الافتقار إلى هذه الامور، و أنّ ذاته بذاته مصدر جميع الامور و أنّ خلقه سبحانه لها غير موقوف على شىء منها.

أمّا رويّه الفكر فلائها عباره عن حركه القوه المفكره فى تحصيل المطالب من المبادى و انتقالها منها إليها و هى محال على الله سبحانه: «أمّا أولاً» فلكون القوه المفكره من خواصّ نوع الانسان «و أمّا ثانياً» فلائّن فايدتها تحصيل المطالب المجهوله من المعلومات و الجهل محال فى حقه تعالى و أمّا قريحه الغريزه فلائها على ما عرفت عباره عن استنباط العلم بجوده الذهن، و استحالته على الله واضحه إذ العلم عين ذاته و هو تعالى غير فاقد له حتّى يكون محتاجاً إلى التعمق و الاستنباط و النظر فى موارد و مصادره و الاستقصاء عليه و بلوغ الغايه فيه و أمّا التجربه فلائها عباره عن حكم العقل بأمر على أمر بواسطة مشاهدات متكرّره معدّه لليقين بسبب انضمام قياس خفى إليها، و هو أنّه لو كان هذا الأمر اتفاقياً لما كان دائماً أو أكثرياً و استحالتها على الله من وجهين: أحدهما أنّها، مركبه من مقتضى الحسّ و العقل، و ذلك أنّ الحسّ يشاهد وقوع الاسهال مثلاً

عقيب شرب الدواء مرّه بعد مرّه فينتزع العقل من تلك المشاهده حكما كلياً بأنّ ذلك الدواء مسهل و معلوم أنّ اجتماع الحسّ و العقل من خصايص نوع الانسان و ثانيهما أنّ التجربه إنّما تفيد علماً لم يكن قبل فالمحتاج إلى التجربه لاستفاده العلم بها ناقص بذاته مستكمل بها و المستكمل بالغير محتاج إليه فيكون ممكناً و أمّا الشريك المعين فلانتفاء الشريك أولاً كما مرّ في شرح الفصل الرابع من فصول الخطبه الاولى، و لانتفاء مبدء الاستعانه ثانياً لأنّ مبدئها هو العجز من الفعل و العجز عباره عن تناهي القوّه و القدره، و قدس الحقّ منزّه عن ذلك.

فقد وضح و اتّضح بذلك كلّ الوضوح أنّ الله سبحانه غير محتاج في ابداع الخلايق و ايجادها إلى الفكر و الزّويه، و لا قريحه الطّبيعه و لا تجربه و لا مشاركه و إنّما مستند الايجاد نفس الاراده و المشيّه و أنّه سبحانه «إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ».

(فتمّ خلقه) بمشيئته (و أذعن) الكلّ (لطاعته) بمقتضا امكانه و حاجته (و أجاب) الجميع (إلى دعوته) حيث دعاهم إلى بساط الوجود بمقتضا عموم الافاضه و الجود (و) الحال أنّه (لم) يعترض دونه ريث المبطى و لا أناه المملكي) أى لم يحل دون نفاذ أمره إبطاء المبطى و لا تثبت المتوقّف المعتلّ بل انقاد له جميع الأشياء و أسرعوا إلى أمره عند الدّعاء من غير تعلّل و لا إبطاء لكون الكلّ مقهوراً تحت قدرته أذله تحت عزّته كما قال عزّ من قائل:

«بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ وَإِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ».

يعنى أنّه إذا أراد فعله و خلقه يقول له ذلك بلا- لفظ و لا- نطق بلسان و لا- همه و لا- تفكّر، فقولهُ كن اشارهُ إلى هبه ما ينبغي لذلك المأمور و بذل ما يعدّه لاجابه

أمره بالكون في الوجود، وقوله: فيكون إشاره إلى وجوده، و الفاء المقتضية للتعقيب بلا مهله دليل على اللزوم و عدم التأخر، هذا.

و يحتمل أن يكون المراد بنفي اعتراض الرّيث و الاناه نفي اعتراضهما بالنظر إلى ذاته من حيث فاعليته، فيكون المقصود بذلك تنزيهه من أن يعرض له شيء من هذه الكيفيات كما يعرض على أحدنا إذا أردنا فعل شيء من حيث قصور قدرتنا و ضعف قوّتنا(فأقام من الأشياء أودها) و اعوجاجها، و إقامتها كناية عن اعداده ما ينبغي لها و إفاضته الكمال بالنسبة إليها (و نهج حدودها) و غاياتها أراد به ايضاحه لكلّ شيء و جهته و تيسيرها له (و لائم بقدرته بين متضادّها) كما جمع بين العناصر الأربعة على تضادّ كفيّتها في مزاج واحد (و وصل أسباب قرائنها) و نفوسها بتعديل أمزجتها لأنّ اعتدال المزاج سبب بقائها.

قال الشارح البحراني: و يحتمل أن يكون معنى الوصول لأسبابها هدايتها إلى عبادته و ما هو الأولى بها في معاشها و معادها و سوقها إلى ذلك، إذ المفهوم من قول القائل: وصل الملك أسباب فلان إذا علّقه عليه و وصله إلى برّه و انعامه، هذا إن جعلنا القران بمعنى الأنفس و إن كانت بمعنى مقارنات الشيء فهو إشاره إلى أنّ الموجودات لا تنفكّ عن أشياء يقترن بها من هيئه أو شكل أو غريزه و نحوها، و اقتران الشيتين لا محاله مستلزم لاقتران أسبابهما، لاستحاله قيام الموجود بدون أسبابه، و ذلك الاقتران و الاتّصال مستند إلى كمال قدرته إذ هو مسبب الأسباب.

(و فرّقها أجناسا مختلفات في الحدود و الاقدار و الغرايز و الهيئات) أي جعلها أقساما مختلفه النهايات و المقادير متفاوتة الطبايع و الصفات، فجعل بعضها طويلا و بعضها قصيرا و بعضها صغيرا و بعضها كبيرا، و جعل سجيّه بعضها شجاعا و بعضها جبانا و بعضها شحيحة و بعضها كريمه و هيئه بعضها حسنه و بعضها قبيحه و هكذا، هذا ان كان الحدود في كلامه عليه السّلام بمعنى النهايات قال الشارح البحراني: و إن حملنا الحدود على ما هو المتعارف كان حسنا،

فإنَّ حكمه الخالق سبحانه اقتضت تميّز بعض الموجودات عن بعض بحدودها وحقايقها، و بعضها بأشكالها و هيئاتها و مقاديرها و غرائزها و اخلاقها كما يقتضيه نظام الوجود و أحكام الصّنع و حكم الاراده الالهيه.

(بدايا خلاق أحكم صنعها و فطرها على ما أراد و ابتدئها) أى هى مخلوقات عجيبه أو مبتكره غير محتذى بها حذو خالق سابق، جعل صنعها محكما متقنا، و أوجدها على وفق ارادته و أبدعها من العدم المحض إلى الوجود من دون أن تكون لها مادّه أصلا لها كما زعمت الفلاسفه من أنّ الأجسام لها أصل أزلىّ هى المادّه فهو المخترع للممكنات بما فيها من المقادير و الأشكال و الهيآت، و المبتدع للموجودات بمالها من الحدود و الغايات و النّهيات بمحض القدره على وفق الاراده و مقتضى الحكمة.

تنبيه

اعلم أنّه لما جرى فى هذا الفصل ذكر حديث صدور الأشياء عن مشيئته سبحانه أحببت تنقيح ذلك المرام و عزمت على تحقيق الكلام فى هذا المقام لكونه من مزالّ الأقدام.

فأقول: و بالله التكلان و هو المستعان إنّ الكلام فى هذا الباب يقع فى مقامات ثلاثه.

المقام الاول

فى معنى المشيئه، و قد فسّرها أهل اللغه بالاراده قال فى القاموس: شئته إشائه شيئا و مشيئه و مشائه و مشائيه أرادته، و فى مجمع البحرين: و المشيئه الاراده من شاء زيد يشاء من باب قال أراد، و فى المصباح شاء زيد الأمر يشائه شيئا من باب قال أراد، و المشيئه اسم منه بالهمز، و الادغام غير سايع إلا على قياس من يحمل الأصل على الزايد لكنّه غير منقول و نحوها فى ساير كتب اللغه.

و أما فى الأخبار و أحاديث أنمّتنا الأبرار الأخيار فتاره اطلقتنا على معنى

واحد مثل ما رواه الطريحي عن الرضا عليه السلام ان الابداع و المشيه و الاراده معناها واحد و الأسماء ثلاثه، و اخرى و هو الأكثر على معنيين مختلفين يجعل مرتبه المشيه متقدمه على مرتبه الاراده و كون نسبتها إليها نسبة القوه إلى الضعف.

و يدلّ عليه ما رواه المحدّث المجلسي من المحاسن للبرقي قال: حدثني أبي عن يونس عن أبي الحسن الرضا عليه السلام قال: قلت: لا يكون إلا ما شاء الله و أراد و قضى؟ فقال عليه السلام: لا يكون إلا ما شاء الله و قدر و قضى، قلت: فما معنى شاء؟ قال: ابتداء الفعل، قلت: فما معنى أراد؟ قال عليه السلام: الثبوت عليه، قلت: فما معنى قدر؟ قال:

تقدير الشيء من طوله و عرضه، قلت: فما معنى قضى؟ قال عليه السلام: إذا قضى أمضاه فذلك الذي لا مردّ له.

و رواه في الكافي مسندا عن علي بن إبراهيم الهاشمي عن أبي الحسن موسى ابن جعفر عليهما السلام نحوه إلا أنه ليس فيه قوله: قلت: فما معنى أراد قال الثبوت عليه، و لعله سقط من الكتاب و الظاهر أنّ مراده منه هو ما ذكرنا كما فهمه شرح الحديث.

قال في مرآت العقول: قوله عليه السلام: ابتداء الفعل أي أول الكتابه في اللوح المحفوظ أو أول ما يحصل من جانب الفاعل و يصدر عنه ممّا يؤدّي إلى وجود المعلول و على ما في المحاسن يدلّ على أنّ الاراده تأكّد المشيه و في الله سبحانه تكون عباره عن الكتابه في الألواح و تسبب أسباب وجوده، و قوله: تقدير الشيء، أي تعيين خصوصياته في اللوح أو تعيين بعض الأسباب المؤدّيه إلى تعيين المعلول و تحديده و خصوصياته إذا قضى أمضاه، أي إذا أوجبه باستكمال شرايط وجوده و جميع ما يتوقّف عليه المعلول أوجده، و ذلك الذي لا مردّ له لاستحاله تخلف المعلول عن الموجب التام.

و قال الصّالح المازندراني في شرحه على أصول الكافي: لما كان قوله عليه السلام:

لا يكون شيء إلا ما شاء الله، دالّا بحسب الظاهر على أنّ المعاصي تقع بمشيئته تعالى و إرادته و هذا لا يستقيم على المذهب الحقّ، سأل السائل عن معنى المشيه حتى يظهر

له وجه الاستقامه، فأجاب عليه السّلام بأنّ المشيّه ابتداء الفعل و أوله، و لعلّ المراد بابتداء الفعل أنّ مشيّه تعالى أوّل فعل من الأفعال، و كلّ فعل غيرها يتوقّف عليها و يصدر بعدها كما يدلّ عليه ما عن أبي عبد الله عليه السّلام قال: خلق الله المشيّه بنفسها ثمّ خلق الأشياء بالمشيّه، يعنى خلق أفعاله بها و كذا خلق أفعال عباده لكن بتوسط مشيّه جازمه صادرة منهم، فإذا سلسله جميع الأفعال منتهيّه إلى مشيّه تعالى، و المراد به أنّ مشيّه أوّل المشيّهات، و كلّ مشيّه سواها تابعه لها، كما أنّه تعالى هو الفاعل الأوّل و كلّ فاعل بعدها فاعل ثانوى يسند فعله إليه بلا واسطه، و إلى الفاعل الأوّل بواسطه، و هذا معنى مشيّه تعالى لأفعال العباد و معنى اسناد فعلهم إلى مشيّه.

و فى محاسن البرقى بعد هذا السؤال و الجواب قلت: فما معنى أراد؟ قال:

الثبوت عليه، يعنى على ابتداء الفعل و من ههنا فسّر بعضهم الاراده تاره بأنّها عزمه على المشيّه، و تاره بأنها الاتمام لها، و تاره بأنّها الجدّ عليها.

و قال صدر المتألّهين: نسبة المشيّه إلى الاراده كنسبه الضعف إلى القوّه و نسبه الظنّ إلى الجزم، فإنّك ربما تشاء أشياء و لا تريده، فظهر أنّ المشيّه ابتداء العزم على الفعل هذا.

و فى الكافى عن عدّه من أصحابنا عن أحمد بن محمّد بن خالد عن أبيه و محمّد بن يحيى عن أحمد بن محمّد بن عيسى عن الحسين بن سعيد و محمّد بن خالد جميعا عن فضاله بن أيوب عن محمّد بن عماره عن حريز بن عبد الله و عبد الله بن مسكان جميعا عن أبي عبد الله عليه السّلام قال: لا يكون شىء فى الأرض و لا فى السّماء إلاّ بهذه الخصال السّبع: بمشيّه، و إرادته، و قدر، و قضاء، و اذن، و كتاب، و أجل، فمن زعم أنّه يقدر على نقص واحده فقد كفر.

قال فى مرآت العقول: يمكن حمل الخصال السبع على اختلاف مراتب التقدير فى الألواح السّماويه، أو اختلاف مراتب تسبب الأسباب السّماويه و الأرضيه، أو يكون بعضها فى الامور التكوينيّه و بعضها فى الأحكام التكليفيه، أو كلّها فى

فالمشيئة و هي العزم؛ و الإرادة و هي تأكدها في الأمور التكوينية ظاهرتان و أمّا في التكليفية فلعلّ عدم تعلق الإرادة الحتمية بالترك عبّر عنه بإرادته الفعل مجازا.

و الحاصل أنّ الإرادة متعلّقة بالأشياء كلّها لكن تعلقها بها على وجوه مختلفة إذ تعلقها بأفعال نفسه بمعنى ايجادها و الرضا بها و الأمر بها، و بالمباحة بمعنى الرخصة بها، و بالمعاصي إرادته أن لا يمنع منها بالجبر لتحقيق الابتلاء و التكليف كما قال تعالى: «وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكُوا».

أو يقال تعلقها بأفعال العباد على سبيل التجوّز باعتبار ايجاد الآله و القدره عليها و عدم المنع منها فكأنه أرادها.

و بالقدر تقدير الموجودات طولاً و عرضاً و كيلاً و وزناً و حدّاً و وصفاً و كماً و كيفاً، و بالقضاء الحكم عليها بالثواب و العقاب أو تسيب أسبابه البعيدة كما مرّ و المراد بالاذن إما العلم أو الأمر في الطاعات أو رفع الموانع، و بالكتاب الكتابه في الألواح السماوية أو الفرض و الايجاب كما قال تعالى: كتب عليكم الصيام، و كتب على نفسه الرّحمه، و بالأجل الأمد المعين و الوقت المقدر عنده تعالى.

و في الكافي أيضا عن الحسين بن محمّد عن معلّى بن محمّد قال: سئل العالم عليه السلام كيف علم الله؟ قال: علم و شاء و أراد و قدر و قضى و أمضى، فأمضى ما قضى و قضى ما قدر و قدر ما أراد، فبعلمه كانت المشيئة، و بمشيئته كانت الإرادة، و بإرادته كان التقدير، و بتقديره كان القضاء، و بقضائه كان الامضاء الحديث.

قال صدر المتألّهين في شرحه: هذا السائل سأله عليه السلام عن كيفية علمه تعالى بالجزئيات الزمانيه و المكانيه، فأجابه عليه السلام عنها بما أفاده من المراتب الستة المرتّب بعضها على بعض.

أولها العلم، لأنه المبدأ الأول لجميع الأفعال الاختياريه، فإن الفاعل المختار لا يصدر عنه فعل إلا بعد القصد و الاراده، و لا يصدر عنه القصد و الاراده إلا بعد تصوّر ما يدعوه إلى ذلك الميل و تلك الاراده و التصديق به تصديقا جازما أو ظنا راجحا، فالعلم مبدء مبادئ الأفعال الاختياريه، و اعلم أنّ المراد بهذا العلم المقدم على المشيّه و الاراده و ما بعدهما بحسب الاعتبار أو التحقّق هو العلم الأزليّ الذاتى الالهىّ أو القضائى المحفوظ عن التغيّر، فينبعث منه ما بعده و أشار إليه بقوله: علم، أى علم دائما عن غير زوال و تبدّل.

و ثانيها المشيّه، و المراد بها مطلق الاراده سواء بلغت حدّ العزم و الاجماع أم لا، و قد ينفكّ المشيّه فينا عن الاراده الجازمه كما نشأت أو نشتهى شيئا و لا نعزم على فعله لمانع عقليّ أو شرعيّ و إليها أشار بقوله: و شاء و ثالثها الاراده، و هى العزم على الفعل أو الترك بعد تصوّره و تصوّر غايه المترتبه عليه من خير أو نفع أو لذّه، لكنّ الله برىء عن أن يفعل لأجل غرض يعود إلى ذاته و إليها الاشاره بقوله: أراد.

و رابعها التقدير، فإنّ الفاعل لفعل جزئىّ من أفعال طبيعه واحده مشتركه إذا عزم على تكوينه فى الخارج كما إذا عزم الانسان على بناء بيت فلا بدّ قبل الشروع أن يعيّن مكانه الذى يبنى عليه، و زمانه الذى يشرع فيه، و مقداره الذى يكوّنه عليه من كبر أو صغر أو طول أو عرض، و شكله و وصفه و لونه و غير ذلك من صفاته و أحواله، و هذه كلّها داخله فى التقدير.

و خامسها القضاء، و المراد هنا ايجاب الفعل و اقتضاء الفعل من القوّه الفاعله المباشره، فإنّ الشىء ما لم يجب لم يوجد، و هذه القوّه الموجبه بوقوع الفعل منّا هى القوّه التى تقوم فى العضله و العصب من العضو الذى توقع القوّه الفاعله فيها قبضا و تشنجا؛ أو بسطا و إرخاء أو لا- فيتبعه حركه العضو فتتبعه صوره الفعل فى الخارج من كتابه أو بناء أو غيرهما، و الفرق بين هذا الايجاب و بين وجود الفعل فى العين كالفرق بين الميل الذى فى المتحرّك و بين حركته، و قد ينفكّ الميل كما تحسّ

يدك من الحجر المسكن باليد في الهواء، و معنى هذا الايجاب و الميل من القوه المحركه أنه لو لا هناك اتفاق مانع أو دافع من خارج لوقعت الحركة ضروره إذ لم يبق من جانب الفاعل شيء منتظر فقوله عليه السلام: و قضى، إشاره إلى هذا الاقتضاء و الايجاب الذى ذكرنا أنه لا- بدّ من تحقّقه قبل الفعل قبله بالذات لا بالزمان إلا أن يدفعه دافع من خارج، و ليس المراد منه القضاء الأزلى لأنه نفس العلم، و مرتبه العلم قبل المشيّه و الاراده و التقدير.

و سادسها نفس اليجاد و هو أيضا متقدّم على وجود الشيء المقدرّ فى الخارج و لهذا يعدّه أهل العلم و التحقيق من المراتب السابقيه على الوجود الممكن فى الخارج فيقال أوجب فوجب. فأوجد فوجد.

فان قلت: أليس اليجاد و الوجود و كذا الايجاب و الوجوب متضايين و المتضايان معان فى الوجود؟ قلت: المتضايان و إن كانا من حيث مفهوميهما الاضافيين و من حيث اتّصاف الذاتين بهما معا كما ذكرت، لكنّ المراد ههنا ليس حال المفهومين، فإنّ كلاً- من الموجد بالفعل أو المقتضى أو المحرّك قد يراد به المعنى الاضافى و المفهوم النسبى و حكمه كما ذكرت من كون تحقّقه مع تحقّق ما اضيف إليه من حيث إنه اضيف إليه، و قد يراد به كون الشيء بحيث يكون وجوده مستتبعا لوجود شيء آخر و هذا الكون لا محاله متقدّم على كون شيء آخر هو تابعه و مقتضاه الموجود بسبب هذا الاقتضاء أو اليجاد.

كما فى تحريك اليد بحركتها للمفتاح، تقول: تحرّك اليد فتحرك المفتاح فإنّ الفاء يدلّ على الترتيب و إن كانا معا فى الزمان و ربما يتقدّم المقتضى على المقتضى زمانا فى عالم الاتفاقات إذا كان هناك مانع من خارج كما فى المثال الذى ذكرناه و كما فى اقتضاء الشمس لاضائه ما يحاذيها من وجه الأرض فحال بينهما حائل، فعدم استضاءه ذلك الموضع ليس لأجل فتور أو نقصان فى جانب المقتضى، لأنّ حاله فى الاقتضاء و الاضائه لم يتغيّر عما كان، و إنّما التخلف فى الاستضاءه

لأجل شيء من جانب القابل، فقولته عليه السلام: فأمضى، اشاره إلى هذا الایجاد الذى بیننا أنه قبل الوجود و الصدور.

المقام الثانى

فى تحقيق أنّ المشيه و الاراده من صفات الفعل لا من صفات الذات، و توضیح ذلك موقوف على رسم مقدّمه متضمنه لقاعده كليها بها يعرف الفرق بين صفات الذات و صفات الفعل، و قد أشار إليها ثقه الاسلام الكلىنى عطر الله مضجعه فى الكافى أيضا و هى:

أنّ الفرق بينهما من وجوه ثلاثه:

الأول أنّ كلّ صفه وجوديه لها مقابل وجودىّ فهى من صفات الفعل لا من صفات الذات، لأنّ صفاته الذاتيه كلّها عين ذاته و ذاته مما لا ضدّ له، فكذلك كلّما هو عين ذاته، مثال ذلك أنّك تقول: إنّ الله سبحانه رضى و سخط و أحبّ و أبغض و أحيى و أمات، و هكذا و لا- يجوز أن تقول: علم و جهل و قدر و عجز و عزّ و ذلّ، فبذلك يعرف أنّ الحبّ و الاحياء و الرضا من صفات الفعل لأنّ البغض و الاماته و السخط مقابلاتها ناقضات لها، فلو كانت من صفات الذات لزم أن يكون مقابلاتها ناقضات للذات الأحديه و هو محال، لأنّه لا ضدّ له كما لا ندّ له فاتصاف ذاته بصفتين ذاتيتين متقابلتين محال.

الثانى أنّ كلّ صفه صحّ تعلق القدره بها فهى من صفات الفعل و كلّما لا تصحّ تعلقها بها فهى صفه الذات، و ذلك لأنّ القدره صفه ذاتيه تعلق بالممكنات لا- غير، فلا تعلق بالواجب و لا بالمتنع، فكلّ ما هو صفه الذات فهو أزلّى غير مقدور و كلّما هو صفه الفعل فهو ممكن مقدور فيصحّ أن تقول: يقدر أن يخلق و أن لا- يخلق و يقدر أن يميت و يحيى و أن يثيب و يعاقب و هكذا، و لا يصحّ أن تقول: يقدر أن يعلم و أن لا يعلم، لأنّ علمه بالأشياء ضرورىّ واجب بالذات، و عدم علمه بها محال ممتنع بالذات و مصحّ المقدوريّه هو الامكان، و مثله صفه الملك و العزّه و العظمه و الكبرياء و الجلال و الجمال و الجبروت و أمثالها.

ص: ٣٣٩

الثالث أنّ كلّ صفة صحّ تعلق الارادة بها فهي صفة فعل، و ما لا يصحّ تعلقها بها فهي صفة الذات، و ذلك لأنّ الارادة من توابع القدره إذ هي عباره عن اختيار أحد طرفي المقدور و العزم عليه لأجل تحقّق الدّاعي، فما لا يكون مقدورا لا يكون مرادا، و أيضا الارادة صفة فعل حادثه و الحادث لا يؤثر في القديم.

إذا عرفت هذه المقدمه الشريفه فأقول:

إنّ الارادة كما حقّقه صدر المتألّهين في شرح الكافي تطلق على معنيين:

أحدهما ما يفهمه الجمهور

، و هو الذي ضدّه الكراهه، و هي التي قد تحصل فينا عقيب تصوّر الشئ الملايم و عقيب التردّد حتى يترجّح عندنا الأمر الداعي إلى الفعل أو الترك فيصدر أحدهما منا، و هذا المعنى فينا من الصفات النفسانيه، و هي و الكراهه فينا كالشهوّه و الغضب فينا، و هذا المعنى لا- يجوز على الله سبحانه، بل ارادته نفس صدور الأفعال الحسنه منه من جهه علمه بوجه الخير و كراهته عدم صدور الفعل القبيح من جهه علمه بقبحه.

كما قال المفيد (ره): إنّ الاراده من الله جلّ اسمه نفس الفعل و من الخلق الضمير و أشباهه مما لا يجوز إلا على ذوى الحاجه و النقص و ذلك لأنّ العقول شاهده بأنّ القصد لا يكون إلا بقلب كما لا تكون الشهوه و المحبّه إلا لذي قلب و لا تصحّ التيه و الضمير و العزم إلا على ذيخاطر يضطرّ معه في الفعل الذي يقلب عليه إلى الاراده له و التيه فيه و العزم و لما كان الله تعالى يجلّ عن الحاجات و يستحيل عليه الوصف بالجوارح و الأدوات و لا- يجوز عليه الدّواعى و الخطرات، بطل أن يكون محتاجا في الأفعال إلى القصود و العزمات، و ثبت أنّ وصفها بالاراده مخالف في معناه لوصف العباد و أنها نفس فعله الأشياء و بذلك جاء الخبر عن أئمه الهدى.

ثمّ اورد روايه صفوان بن يحيى قال: قلت لأبى الحسن عليه السّلام: أخبرنى عن الاراده من الله و من الخلق؟ قال: فقال عليه السّلام: الاراده من الخلق الضمير(1) و ما يبدو لهم بعد ذلك من الفعل، و أما من الله تعالى فارادته إحداثه لا غير ذلك، لأنّه تعالى

ص: ٣٤٠

١- (١) الضمير أى تصور الشئ و توجه الذهن اليه.

لا يروى ولا يتفكر ولا يهيم وهذه الصفات منتفیه عنه و هی صفات الخلق فاراده الله تعالى الفعل يقول له كن فيكون بلا لفظ و لا نطق بلسان ولا همه ولا تفكر ولا كيف لذلك كما لا كيف له تعالى.

المعنى الثانى للاراده

كون ذاته سبحانه بحيث يصدر عنه الأشياء لأجل علمه بنظام الخير فيها التابع لعلمه بذاته، لا كاتباع الضؤ للمضىء و السخونه للمسخن، و لا كفعل الطبايع لا عن علم و شعور، و لا كفعل المجبورين و المسخرين، و لا كفعل المختارين بقصد زايد أو اراده ظتيه يحتمل الطرف المقابل.

و قد تحققت أنّ قيوم الكلّ إنّما يفعل الكلّ عن علم هو نفس ذاته العليم الذى هو أتمّ العلوم، فاذا هو سبحانه فاعل للأشياء كلّها باراده ترجع إلى علمه بذاته المستتبع لعلمه بغيره المقتضى لوجود غيره فى الخارج لا لغرض زايد و جلب منفعه أو طلب محمده أو ثناء أو التخلّص من مذمّمه، بل غايه فعله محبه ذاته فهذه الأشياء الصادره عنه كلّها مراده لأجل ذاته لأنها من توابع ذاته و علمه بذاته، فلو كنت تعشق شيئا لكان جميع ما يصدر عنه معشوقا لك لأجل ذلك الشئء.

و إليه الاشاره بما ورد فى الحديث الالهى عن نفسه: كنت كترًا مخفيًا فأحببت أن أعرف فخلقت الخلق لأعرف.

و إذا ظهر لك ذلك اتّضح عندك أنّ الاراده بالمعنى الثانى لا غبار على كونها من صفات الذات لكونها عباره اخرى للعلم بالأصلح و النّظام الخير و العلم صفة ذات له سبحانه، و بالمعنى الأول هى صفة فعل و لذلك صحّ سلبها عنه سبحانه.

و يشهد به ما رواه فى الكافى باسناده عن عاصم بن حميد عن أبى عبد الله عليه السّلام قال:

قلت: لم يزل الله مريدا قال: إنّ المرید لا يكون إلا المراد معه، لم يزل الله عالما قادرا ثم أراد.

فإنّه كما ترى يدلّ على كونها من الصفات الاضافيه المتجدّده كخالقيته تعالى و رازقيته، و يشهد به أخبار اخر أيضا لا حاجه إلى إيرادها بعد وضوح المراد.

فى تحقيق الحديث المعروف المروى فى الكافى عن على بن إبراهيم عن أبيه عن ابن أبى عمير عن عمر بن اذينة عن أبى عبد الله عليه السلام قال: خلق الله المشيئة بنفسها ثم خلق الأشياء بالمشيئة.

وقد ذكروا فى تأويله وجوها أشار إليها المحدث العلامة المجلسى طاب رسمه فى مرآت العقول.

الأول أن لا يكون المراد بالمشيئة الإرادة بل إحدى مراتب التقديرات التى اقتضت الحكمه جعلها من أسباب وجود الشئ، كالتقدير فى اللوح مثلا و الاثبات فيه، فإن اللوح و ما أثبت فيه لم يحصل بتقدير آخر فى لوح سوى ذلك اللوح و إنما وجد ساير الأشياء بما قدر فى ذلك اللوح و ربما يلوح هذا المعنى من بعض الأخبار، و على هذا المعنى يحتمل أن يكون الخلق بمعنى التقدير.

الثانى أن يكون خلق المشيئة بنفسها كناية عن كونها لازمه لذاته تعالى غير متوقفه على تعلق إرادته أخرى بها، فىكون نسبه الخلق إليها مجازا عن تحققها بنفسها منتزعه عن ذاته تعالى بلا توقف على مشيئة أخرى، أو أنه كناية عن أنه اقتضى علمه الكامل و حكمته الشامله كون جميع الأشياء حاصله بالعلم بالأصلح، فالمعنى أنه لما اقتضى كمال ذاته أن لا يصدر عنه شئ إلا على الوجه الأصلح و الأكمل فلذا لا يصدر شئ عنه تعالى إلا بإرادته المقتضيه لذلك.

الثالث ما ذكره السيد داماد قدس الله روحه و هو: أن المراد بالمشيئة هنا مشيئة العباد لأفعالهم الاختياريه، لتقدسه تعالى عن مشيئة مخلوقه زايده على ذاته عز و جلّ و بالأشياء أفاعيلهم المترتب وجودها على تلك المشيئة، و بذلك تنحل شبهه ربما اوردت ههنا، و هى: أنه لو كانت أفعال العباد مسبوقة بارادتهم لكانت الاراده مسبوقة باراده أخرى و تسلسلت الارادات لا إلى نهايه.

الرابع ما ذكره بعض الأفاضل و هو: أن للمشيئة معنيين أحدهما متعلق بالشئ و هى صفه كماليه قديميه هى نفس ذاته سبحانه، و هى كون ذاته سبحانه

بحيث يختار ما هو الخير و الصيِّاح و الاخر يتعلّق بالمشىء و هو حادث بحدوث المخلوقات لا تتخلف المخلوقات عنه، و هو ايجاده سبحانه إياها بحسب اختياره، و ليست صفه زايده على ذاته عزّ و جلّ و على المخلوقات بل هي نسبه بينهما تحدث بحدوث المخلوقات لفرعيتها على المنتسبين معا فنقول إنه لما كان ههنا مظنه شبهه هي: أنه إن كان الله عزّ و جلّ خلق الأشياء بالمشيّه فبم خلق المشيّه أبعشيّه اخرى فيلزم أن تكون قبل كلّ مشيّه مشيّه إلى ما لا نهايه له، فأفاد الامام عليه السلام أنّ الأشياء مخلوقه بالمشيّه و أما المشيّه نفسها فلا يحتاج خلقها إلى مشيّه اخرى، بل هي مخلوقه بنفسها لأنها إضافه و نسبه بين الشائي و المشيء تتحصّل بوجوديهما العيني و العلمى، و لذا أضاف خلقها إلى الله سبحانه لأنّ كلّ الوجودين له و فيه و منه، و فى قوله: بنفسها، دون أن يقول بنفسه إشاره لطيفه إلى ذلك، نظير ذلك ما يقال: إنّ الأشياء إنما توجد بالوجود و أما الوجود نفسه فلا يفتقر على وجود آخر بل إنما يوجد بنفسه.

الخامس ما ذكره بعض المحقّقين بعد ما حقّق: أنّ إرادته الله المتحقّقه المتجدّده هي نفس أفعاله المتجدّده الكائنه الفاسده، فارادته لكّل حادث بالمعنى الاضافى يرجع إلى ايجاده، و بمعنى المراديه يرجع إلى وجوده.

قال: نحن إذا فعلنا شيئاً بقدرتنا و اختيارنا فاردناه أولاً ثمّ فعلناه بسبب الاراده فالاراده نشأت من أنفسنا بذاتها لا باراده اخرى و إلاّ لتسلسل الأمر لا إلى نهايه فالاراده مراده لذاتها و الفعل مراد بالاراده، و كذا الشهوه فى الحيوان مشتاه لذاتها لذيه بنفسها و ساير الأشياء مرغوبه بالشهوه.

فعلى هذا المثال حال مشيّه الله المخلوقه و هي وجودات الأشياء، فإنّ الوجود خير و مؤثر لذاته و مجعول بنفسه و الأشياء بالوجود موجوده و الوجود مشيء بالذات و الأشياء مشيئه بالوجود، و كما أنّ الوجود حقيقه واحده متفاوته بالشده و الضعف و الكمال و النقص، فكذا الخيره و المشيئه، و ليس الخير المحض الذى لا يشوبه شرّ إلاّ الوجود البحت الذى لا يمازجه عدم و نقص، و هو ذات البارى جلّ مجده فهو

المراد الحقیقی إلى آخر ما حَقَّقه.

قال المحدث المجلسی (ره) بعد ایراد هذه الوجوه: و الأوفق بأصولنا هو الوجه الأول.

أقول: بل ما سوى الوجه الأخير كلّها أوفق و إن كانت متفاوتة بالقرب و البعد، و إنما الوجه الأخير الذي مرجعه إلى القول بوحده الوجود مخالف للأخبار و اصول الأئمة الأطهار سلام الله عليهم ما تعاقب الليل و النهار، و الله العالم بحقایق صفاته و المتعالی عن مجانسه مخلوقاته.

الترجمه

بعضی دیگر از آن خطبه شریفه اینست که فرموده:

تقدیر کرده خداوند تعالی هر چیزی را که آفریده پس محکم گردانیده اندازه و تقدیر آنرا؛ و تدبیر نموده هر چیزی را که خلق فرموده، پس لطیف گردانیده تدبیر آنرا و توجیه نموده هر شیء را بسوی جهت خود، پس تجاوز ننمود آن شیء از حدّ و سدّ مکان خود، و قاصر نشد نزد منتهی نشدن بغایت خود، و صعب و دشوار نشمرد آنچه که ایجاد فرمود مضمی بر وفق اراده او را وقتی که مأمور شد باین، و چه طور میباشد که دشوار شمارد و حال آنکه جمیع امور صادر شده از مشیته قاهره خداوندی که انشاء و ایجاد فرموده اصناف و احساس اشیاء را بدون رویه و فکری که رجوع نماید بآن، و بدون استنباط طبیعتی که اضممار نماید و بغایت برسد در آن، و بدون تجربه که استفاده نموده باشد آن را از حوادث روزگار و بیشتر یک و معاونی که اعانت و یاری نماید او را بر ایجاد عجائب امورات.

پس تمام شد مخلوق او سبحانه و گردن نهاد بفرمان برداری او، و اجابت نمود بسوی دعوت او در حالتی که حایل نشد نزد نفاذ امر او دیر کردن دیر کننده، و نه توقف نمودن توقف نماینده، پس راست فرمود از اشیاء کجی آن ها را، و روشن نمود حدود آنها را، و الفت داد با قدرت خویش در میان اضداد آنها، و متصل ساخت

ص: ۳۴۴

اسباب نفوس آن ها را، و متفرّق نمود آن ها را بأقسام مختلفه گوناگون در نهايات و مقادير و در طبيعتها و هيئتها، عجيب مخلوقاتى كه محكم گردانيد صنعت آن ها را و آفريد آنها را بر وجهى كه اراده کرده، و ابداع فرموده آنها را از كتم عدم با قدرت كامله و حكمت شامله.

و الفصل الرابع

اشاره

منها فى صفّه السّماء: و نظم بلا تعليق رهوات فرجها، و لاحم صدوع انفراجها، و وشّج بينها و بين أزواجها، و ذلّل للهابطين بأمره و الصّاعدين بأعمال خلقه حزونه معراجها، و ناديتها بعد إذ هى دخان فالتحمت عرى أشراجها، و فتق بعد الارتاق صوامت أبوابها، و أقام رسدا من الشّهب الثّواقب على نقابها، و أمسكها من أن تمور فى خرق الهواء بأيده، و أمرها أن تقف مستسلمه لأمره، و جعل شمسها آيه مبصره لنهارها، و قمرها آيه ممحوّه من ليلها، و أجرىهما فى مناقل مجريهما، و قدّر مسيرهما فى مدارج درجهما، ليميّز بين اللّيل و النّهار بهما، و ليعلم عدد السّنين و الحساب بمقاديرهما، ثمّ علّق فى جوّها فللكها، و ناط بها زينتها من خفيّات دراريّها، و مصابيح كواكبها، و رمى مسترق السّمع بثواقب شهبها، و أجرىها على أذلال تسخيرها، من ثبات ثابتها، و مسير سائرها، و هبوطها و صعودها، و نحوسها و صعودها.

ص: ۳۴۵

(الرّهوات) جمع رهوه و هي المكان المرتفع و المنخفض أيضا يجتمع فيه ماء المطر، و هو من الأضداد، و عن النهايه تفسيرها بالمواضع المنفتحه، و هو مأخوذ من قولهم رها رجله رهوا أى فتح و (الفرج) جمع الفرجه و هي المكان الخالى و (لاحم) الصق و (الصدع) الشقّ و (وشج) بتشديد الشين فالجيم المعجمه شبك و (ذلل) البعير جعله ذلولاً و هو ضدّ الصّعب الذى لا ينقاد من الذلّ بالكسر و هو اللين و (الحزونه) خلاف السّيهوله و (المعراج) السّيلم و المصعد و (العروه) من الدّلو و الكوز المقبض و من الثوب اخت زرّه كالعري و يكسر و (الأشراج) جمع الشّرج محرّكه كالأسباب و السّيب، و هي العروه للعيه و قيل و قد تطلق الاشراج على حروف العيبه التى تخاط و هو الأنسب فى المقام.

قال الشارح المعتزلى: و تسمّى مجرّه السّيماء شرجا تشبيها بشرج العيبه و اشراج الوادى ما انفسح منه و انشقّ و (فتق) الثوب فتقا شقّه و نقض خياطته حتّى انفصل بعضه عن بعض و (الرتق) ضدّ الفتق و (صوامت) الأبواب مغلقاتها و (الرصد) جمع راصد كخدم و خادم او اسم جمع و يكون مصدرا كالرّصد بالفتح، و الرّاصد هو القاعد على الطريق منتظرا لغيره للاستلاب أو المنع، و المرصاد الطريق و المكان يرصد فيه العدوّ و ارصدت له اعددت.

و (النقاب) بالكسر جمع نقب كسهام و سهم و هو الثقب و الخرق و الطريق فى الجبل و (المور) الموج و الاضطراب و الحرکه قال تعالى: يوم تمور السّيماء مورا و (الخرق) يكون بمعنى الثقب فى الحائط و الشقّ فى الثوب و غيره، و هو فى الأصل مصدر خرقته إذا قطعته و مزقته، يكون بمعنى القفر و الأرض الواسعه تتخرق فيها الرّياح أى تهب و تشتدّ و (الهواء) يقال: للجسم الذى هو أحد العناصر و يقال: لكلّ خال قال سبحانه: و افئدتهم هواء، أى خاليه من العقل أو الخير و (الأيد) القوّه و (المنقل) فى الأصل الطريق فى الجبل و (المدارج) جمع المدرج و هو المسلك و (درج) الصّبى دروجا و درجانا مشى و درجهما بالتّحريك الطريق،

و فى بعض النسخ درجيهما بصيغه التثنيه، و فى نسخه الشارح البحرانى درجتهما بالتاء الفوقانيه.

و (الجوّ) الهواء و (النياط) التعليق و (الدّرارى) الكواكب المضيئه جمع الدّرى بتثليث الدّال نسبت إلى الدّر لبياضها، و عن الفراء الكوكب الدّرى عند العرب عظيم المقدار، و قيل: هو أحد الكواكب الخمسه السياره، و لا يخفى أنّ وصفه عليه السّلام الدّرارى بالخفيات ينافى القولين ظاهرا و (مسترق السمع) المستمع مختلفيا، و فى النسخ مسترقى السّمع بصيغه الجمع و (الأذلال) بفتح الالف و الذال المعجمه جمع الذلّ بالكسر يقال: امور اللّهُ جاريه أذلالها بالنصب و على اذلالها أى مجاريها و يقال: دعه على اذلاله أى حاله بلا واحد و جاء على اذلاله أى وجهه.

الاعراب

قوله عليه السّلام: و ناداها بعد إذ هى دخان، قال الشارح المعتزلى: روى باضافه بعد إلى إذ، و روى بضمّ بعد أى و ناداها بعد ذلك إذ هى دخان و الأوّل أحسن و أصوب، لأنّها على الضّم تكون دخانا بعد فتور رهوات فزوجها و ملائمه صدوعها و الحال تقتضى أنّ دخانيّتها قبل ذلك لا بعده اه.

و قوله: و أمسكها من أن تمور فى خرق الهواء بأيده الظرف الأوّل أعنى فى خرق الهواء يجوز تعلّقه بأمسك و يجوز تعلّقه بتمور، و أما الثانى فهو متعلّق بالامسك لا- غير، و من فى قوله من ليلها إما لابتداء الغايه أو لبيان الجنس و تتعلّق بممحوه أو بجعل، و قوله عليه السّلام ثمّ علّق فى جوّها فلكها، الظاهر كون ثمّ هنا للترتيب الذكرى، و من خفيات دراريها إما متعلّق بناط أو بيان للزينه.

المعنى

اعلم أنه عليه السّلام لما ذكر فى الفصل السّابق عظمه قدره اللّهُ سبحانه فى الخلق و التقدير و اللّطف و التدبير و كمال حكمته فى الفطر و الابداع و الايجاد و الاختراع على نحو الاجمال و الاطلاق، عقّبه بهذا الفصل المتضمّن لعجيب خلقه السماء و بديع

ما أودعه فيها لدلالاتها المخصوصه على عظمه بارئها، و شهادتها المحسوسه على قدره صانعها و كفايتها للمستبصر و غيتها للمستهدى، و قد مرّ في تذييلات الفصل الثامن من فصول الخطبه الاولى ما فيه كفايه لشرح هذا المقام و درايه لذوى الأفهام إلاّ أنّا نعيد هنا بعض ما قدّمناه هناك و نزيد ههنا بعض ما لم نوردّه ثمه باقتضاء المقام و توضيحا لكلام الامام عليه السّلام فأقول:

قال: (و نظم بلا- تعليق رهوات فرجها) اى جمع و ألف أجزاء السماء المنفرجه المتصفه بالارتفاع و الانخفاض فسوّاها بقدرته الكامله من غير أن يعلّق بعضها ببعض بخياطه و علاقته كما ينظم الانسان ثوبا بثوب أو نحوهما بالقيّد و التعليق، و هو مناسب لما مرّ في شرح الخطبه الاولى من أنّ مادّتها الدّخان المرتفع من الماء إذ مثل ذلك يكون قطعاً ذات فرج.

و أما ما في شرح البحرانى من تأويل ذلك بتباين أجزاء المركّب لو لا التركيب و التأليف، أو بالفواصل التى كانت بين أطباق السماوات فخلقها الله سبحانه اكراماً متماسه لا خلا بينها، فمبنى على قواعد الفلاسفه و تقليدهم (و لاحم صدوع انفراجها) هذا العطف بمنزله التفسير و التوكيد للجمله السابقه اى الصق أجزاءها ذوات الصدوع بعضها ببعض و اضافته الصدوع إلى الانفراج من اضافته الخاصّ إلى العامّ (و وشّج بينها و بين أزواجها) اى شبك بينهما.

قال الشارح البحرانى: أراد بأزواجها نفوسها التى هى الملائكه السّماويه بمعنى قرائنها و كلّ قرين زوج اى ربط ما بينها و بين نفوسها بقبول كلّ جرم سماوى لنفسه التى لا يقبلها غيره.

و أورد عليه المحدّث العلامة المجلسى (ره) بأنّ القول بكون السّماوات حيوانات ذات نفوس مخالف للمشهور بين أهل الاسلام، بل نقل السيّد المرتضى رضى الله عنه اجماع المسلمين على أنّ الأفلاك لا شعور لها و لا إرادته، بل هى أجسام جماديه يحركها خالقها.

ثمّ قال (ره): و يمكن أن يراد بالأزواج الملائكه الموكلون بها، أو القاطنون

فيها، أو المراد أشباهها من الكواكب و الأفلاك الجزئية، و يمكن أن يكون المراد أشباهها فى الجسميه و الامكان من الأرضيات و يناسب ما جرى على الألسن من تشبيه العلويات بالآباء و السِّفَلِيَّات بالامهات (و دَلَّل لها بطين بأمره و الصاعدين بأعمال خلقه حزونه معراجها) أى دَلَّل للملائكه النَّازلين بأمره التكوينيّ و التشريعيّ و للكرام الكاتبين الصّاعدين بأعمال خلقه حزونه المعراج إلى السماء و قد تقدّم شرح حال الفرقه الاولى أعنى المدبّرات أمرا فى شرح الفصل التاسع من فصول الخطبه الاولى و شرح حال الفرقه الثانيه فى شرح الفصل الأوّل من الخطبه الثانيه و العشرين فى المقام الثاني من تكمله ذلك الفصل، هذا.

و قال الشارح البحرانى فى شرح هذه الفقره: قد سبقت الاشاره إلى أنّ الملائكه ليست أجساما كساير الحيوان، فاذاً ليس هبوطها و صعودها الهبوط و الصعود المحسوسين، و إلاً لكان البارى جلّ قدسه عن أوهام المتوهّمين فى جهه إليه يصعد و عنه ينزل، فاذاً هو استعاره لفظ النزول من الجهه المحسوسه إلى أسفل للنزول المعقول من سماء جود الالهى إلى أراضى الموادّ القابله للافاضات العاليه، و بذلك المعنى يكون هبوط الملائكه عباره عن ايصالها إلى كلّ ما دونها كماله متوسطه بينه و بين مبدعه و موجدّه و هم المرسلون من الملائكه بالوحى و غيره، و كذلك الصاعدون بأعمال الخلق هم الملائكه أيضا.

و أما معنى الصّيعود بها فيعود إلى كونها منقوشه فى ذوات الصّاعدين بها، و قد لاح فيما سبق أنّ علمه تعالى بمعلولاته البعيده كالزمانيات و المعدومات التى من شأنها أن توجد فى وقت و تتعلّق بزمان يكون بارتسام صورها المعقوله فى تلك الألواح، و هو أيضا مستعار كلفظ الهبوط للمعنى الذى ذكرناه من أراضى النفوس إلى الألواح.

فإنّ الانفراج الذى ذلّل حزونته لهم و سهّل عليهم سلوكه فيعود إلى عدم حجبتها و منعها لنفوذ علوم الملائكه بأعمال الخلايق و ما يجرى فى هذا العالم، و كما أنّ الجسم المتصدّع لا يمنع نفوذ جسم آخر فيه من حيث هو متصدّع و الوصول

إلى ما ورائه، كذلك السّماء لا تحجب علوم الملائكة أن تتعلّق بما فى هذا العالم من الموجودات، فجرت مجرى المنفرج من الأجسام فاطلق عليه لفظ الانفراج و تذليله لحزونه ذلك الانفراج لهم هو كونها غير مانعه بوجه لجريان علوم الملائكة المقربين فى هذا العالم.

أقول: و أنت خبير بما فيه، فإنّ ما ذكره كلّ تأويل لا داعى إليه موجب لطرح ظواهر الآيات المتوافره و نصوص الأخبار المتواتره المثبتة للهبط و الصعود المحسوسين للملائكة، بعيد عن لسان الشريعة، و إنما دعاه إلى ذلك استيناسه بحكمه الفلاسفه المخالفه للكتاب و السنه.

(و ناداها بعد إذ هى دخان فالتحمت عرى أشراجها) المراد بندائها حكمه و أمره التكويني النافذ فيها بالوجود و بالتحام عرى أشراجها تمام خلقها و فيضان الصور السماويه عليها، و ذلك باعتبار تركيبها و انضمام جزئها الصورى إلى جزئها المادى كما يلتحم طرفا العيبه تبشريح عراها، و فيه تلميح إلى قوله سبحانه:

«ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَ لِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ» فقله عليه السلام: و ناداها إشارة إلى قوله: ائتيا طوعا أو كرها، و قوله عليه السلام: بعد إذ هى دخان، موافق لقوله: و هى دخان، و قوله عليه السلام: فالتحمت اه مساوق لقوله:

فقضيهنّ الآيه.

قال البيضاوى فى تفسيرها: قصد نحو السماء و هى دخان أمر ظلمانى، و لعله أراد به مادّتها و الاجزاء المتفرّقه التى ركبت منها، فقال لها و للأرض ائتيا بما خلقت فيكما من التأثير و التآثر و ابراز ما أودعتكما من الأوضاع المختلفه و الكاينات المتنوّعه أو ائتيا فى الوجود أو اتيان السماء حدوثها و إتيان الأرض أن تصير مدحّوه، طوعا أو كرها شتّما ذلك أو أبيتما، و المراد إظهار قدرته و وجوب وقوع مراده لا إثبات الطلوع و الكره لهما، قالتا أتينا طائعين منقادين بالذات و الأظهر أنّ المراد تصوير

ص: ٣٥٠

تأثير قدرته فيهما و تأثرهما بالذات عنها و تمثيلها بأمر المطاع و إجابته المطيع الطائع كقوله: كن فيكون، ففضيهن سبع سموات خلقهن حلقا إبداعيا و أتقن أمرهن.

و قال الطبرسي في مجمع البيان أي ثم قصد إلى خلق السماء و كانت السماء دخانا، و قال ابن عباس كانت بخار الأرض و أصل الاستواء الاستقامه، و القصد التدبير المستقيم تسويه له:

«فَقَالَ لَهَا وَ لِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ» قال ابن عباس أتت السماء بما فيها من الشمس و القمر و النجوم، و أتت الأرض بما فيها من الأنهار و الأشجار و الثمار و ليس هناك أمر بالقول على الحقيقة و لا جواب لذلك القول بل أخبر الله سبحانه عن اختراعه السماوات و الأرض و إنشائه لهما من غير تعذر و لا كلفه و لا مشقّه بمنزله ما يقال للمأمور افعل فيفعل من غير تلبث و لا توقّف فعبر عن ذلك بالأمر و الطاعة و هو كقوله:

«إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ».

و إنما قال أتينا طائعين و لم يقل أتينا طائعتين لأنّ المعنى أتينا بمن فينا من العقلاء فغلب حكم العقلاء و قيل إنه لما خوطب خطاب من يعقل جمعن جمع من يعقل كما قال:

«وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ».

(و فتق بعد الارتفاق صوامت أبوابها) و هو إما كناية عن ايجاد الأبواب فيها و خرقها بعد ما كانت رتقا لا باب فيها، أو فتح الأبواب المخلوقه فيها حين ايجادها، و هذه الأبواب هي التي منها عروج الملائكه و هبوطها و صعود أعمال العباد و أدعيتهم و أرواحهم كما قال تعالى:

«إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَ اسْتَكْبَرُوا عَنْهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ» أو التي تنزل منها الأمطار كما أشار إليه بقوله:

«فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُنْهَمِرٍ» و يؤيد الأخير ما رواه الطبرسي (ره) في تفسير قوله سبحانه:

«أَوْ لَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا» عن أبي جعفر و أبي عبد الله عليهما السلام و عكرمه و عطيه و ابن زيد أن السماء كانت رتقا لا تمطر و الأرض رتقا لا تنبت ففتقنا السماء بالمطر و الأرض بالنبات، هذا.

و لا يخفى عليك أنه بعد دلاله كلام الامام عليه السلام كغير واحد من الآيات و الأخبار على أن للسماء أبوابا لا يعبا بما قاله الفلاسفه من استحاله الخرق و الالتيام على الفلك المبتنيه على قواعدهم الفاسده و عقولهم الكاسده.

و لعلّ الشارح البحراني ألجأه التقليد بهم إلى تأويل كلامه عليه السلام في هذا المقام بما لا ينافي اصولهم حيث قال: و افتتاق صوامت أبوابها بعد الارتتاق هو جعلها أسبابا لنزول رحمته و مدبرات تنزل بواسطه حركاتها على هذا العالم أنواع رحمه الله فكانت حركاتها تشبه الأبواب إذ هي أبواب رحمته و مفاتيح جوده.

و مثله ما ذكره في شرح قوله عليه السلام: (و أقام رصدًا من الشهب الثواقب على نقابها) حيث قال إنه استعار لفظ النقاب لكونها بحيث لا يمنع تعلّق العلوم بما ورائها من الأجسام و المجردات، و أنت خبير بأن كلّ ذلك تكلف لا داعي إليه و الأدلّه على امكان الخرق و وجود الأبواب فوق حدّ الاحصاء، و لعلنا نشبع الكلام في ذلك في مقام مناسب، و المهمّ الآن شرح معنى كلامه عليه السلام على مقتضى اسلوبنا و سليقتنا المفاده من الآيات و الأخبار فأقول: مراده عليه السلام بنقابها طرائقها كما قال سبحانه:

«وَ السَّمَاءِ ذَاتِ الْجُبُكِ» فالمقصود بذلك إقامة الشهب و إرصادها على المرصاد لطرده الشياطين عن استراق

السَّمْع كما حكى الله ذلك في سورة الجنّ بقوله:

«وَأَنَا لَمَسْنَا السَّمَاءَ فَوَجَدْنَاهَا مُلْتَثَّ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهَابًا وَأَنَا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَنْ يَسْتَمِعِ الْآنَ يَجِدْ لَهُ شِهَابًا رَصَدًا».

قال الطبرسي: ثم حكى الله الجنّ و قولهم:

«وَأَنَا لَمَسْنَا السَّمَاءَ» أي مسّناها، وقيل: طلبنا الصعود إلى السماء فعبر عن ذلك بالمسّ مجازاً.

«فَوَجَدْنَاهَا مُلْتَثَّ حَرَسًا شَدِيدًا» أي حفظه من الملائكة شداداً «وَشُهَابًا» والتقدير ملثت السماء من الحرس والشهب وهو جمع شهاب وهو نور يمتدّ من السماء كالنار.

«وَأَنَا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ» أي لاستراق السمع أي كان يتهيأ لنا فيما قبل القعود في مواضع الاستماع فنسمع صوت الملائكة و كلامهم:

«فَمَنْ يَسْتَمِعِ» منا «الآن» ذلك «يَجِدْ لَهُ شِهَابًا رَصِيدًا» يرمى به و يرصد له، و شهاباً مفعول به و رصداً صفتة قال معمر: قلت للزّهرى أ كان يرمى بالنجوم في الجاهليّة؟ قال: نعم قلت: أ فرأيت قوله:

«أَنَا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا» الآية قال: غلظ و شدّد أمرها حين بعث النبي صلّى الله عليه و آله و سلّم (و أمسكها من أن تمور في خرق الهواء بأيده) أي أمسكها بقدرته و قوّته من الحركة و الاضطراب في الهواء الذي هو أحد العناصر إذ لا دليل على انحصاره في الذي بين السماء و الأرض في المكان

الخالى الموهوم أو الموجود طبعاً أو قسراً، و المراد حركه أجزاءها فيما بين السماء و الأرض و يؤيده قوله سبحانه:

«وَيُمسِكُ السَّمَاءَ أَنْ تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِ» (و أمرها أن تقف مستسلمه لأمره) أى أمرها بالوقوف و القيام و أراد منها ذلك منقاده لارادته كما قال تعالى:

«وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ تَقُومَ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ بِأَمْرِهِ» قال الطبرسى: بلا دعامة تدعّمهما و لا علاقته تتعلّق بهما بأمره لهما بالقيام كقوله تعالى:

«إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ» و قيل بأمره أى بفعله و إمساكه إلا أن أفعال الله عزّ اسمه مضاف إليه بلفظ الأمر لأنه أبلغ فى الاقتدار فإن قول القائل أراد فكان أو أمر فكان أبلغ فى الدلالة على الاقتدار من أن يقول فعل فكان، و معنى القيام الثبات و الدوام (و جعل شمسها آيه مبصره لنهارها، و قمرها آيه ممحوه من ليلها) هو مأخوذ من قوله سبحانه فى سورة الاسرى:

«وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَتَيْنِ فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً لِّتَبْتَغُوا فَضْلًا مِنْ رَبِّكُمْ وَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَ الْحِسَابَ وَ كُلَّ شَيْءٍ فَصَّلْنَاهُ تَفْصِيلاً» و فيه قولان: أحدهما أن يراد أن الليل و النهار آيتان فى أنفسهما فتكون الاضافه فى آيه الليل و آيه النهار للتبيين كإضافه العدد إلى المعدود، أى فمحونا الآيه التى هى الليل فكانت مظلمه و جعلنا الآيه التى هى النهار مبصره و الثانى أن يراد:

و جعلنا آيتى الليل و النهار أى تيريهما آيتين، فيكون المراد بهما الشمس و القمر و ظاهر كلام الامام عليه السلام ربما يشعر بهذا القول، و يدل على القولين قوله سبحانه:

«وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ» أما كون الأولين آيتين فلأن كل واحد منهما مضاد للآخر معاند له، فكونهما متعاقبين على الدوام من أقوى الدلائل على أنهما غير موجودين بالذات بل لا بد لهما من فاعل يدبرهما و يقدرهما بالمقادير المخصوصه، مضافا إلى أن مقتضى التضاد بين الشيين أن يتفاسد الا أن يتعاونوا على سبيل المصالح، و هما مع تضادهما و تنافيهما متعاونان على تحصيل منافع الخلق و مصالحهم، فلو لا الليل لما حصل السكون و الراحة، و لو لا النهار لما أمكن الكسب و المعيشه، و لو لا الليل لفسدت الزراعات بالحراره، و لو لا النهار لفسدت بالبروده، فهما من أقوى الآيات و أظهر البيئات.

و أمّا كون الآخريين آيتين للصانع و دليلين على وجود القادر المختار فلأن الأجسام متماثله فاختصاصهما بالحركه الدائمه دون السكون لا بد له من مخصيص، و أيضا ان كل واحد من تلك الحركات مختصه بكيفيه معينه من البطوء و السيره فلا بد له أيضا من مخصيص على أن تقدير تلك الحركات بمقادير مخصصه على وجه تحصل عوداتها و دوراتها متساويه بحسب المده حاله عجيبه و صنعه بديعه لا بد لها من مدبر مقدر و مبدع مقتدر، هذا.

و أما المقصود بمحو آيه الليل فلهم فيه قولان:

أحدهما أنه هو ما يظهر في القمر من الزيادة و النقصان في النور فيبدو في أول الأمر في صورته الهلال ثم لا يزال يتزايد نوره حتى يصير بدرا كاملا، ثم يأخذ في الانتقاص قليلا قليلا و ذلك هو المحو إلى أن يعود إلى المحاق.

و الثاني أنه هو الكلف في وجه القمر و كونه مطموس النور، فانه بعد ما كان مساويا للشمس في الضوء و النور أرسل الله جبرئيل فأمر جناحه على وجهه فطمس عنه الضوء، و معنى المحو في اللغه إذهاب الأثر، و قد استظهرنا هذا القول في التذييل

السادس من تذييلات الفصل الثامن من فصول الخطبه الاولى ببعض الأخبار التي أوردناها هناك.

و ربما يستظهر القول الأوّل بقوله سبحانه:

«لَتَبْتَغُوا فَضْلاً مِنْ رَبِّكُمْ وَ لَتَعْلَمُوا عِدَدَ السِّنِينَ وَ الْحِسَابِ» لأنّ المحو إنّما يؤثّر في ابتغاء فضل الله إذا حملناه على زياده نور القمر و نقصانه، فإنّ أهل التجارب تبيّنوا أنّ اختلاف أحوال القمر في مقادير النور له أثر عظيم في أحوال هذا العالم و مصالحها، مثل أحوال البحار في المدّ و الجزر و مثل أحوال البحرانات على ما يذكره الأطباء في كتبهم و أيضاً بسبب زياده نور القمر و نقصانه تحصل الشهور و بسبب معاوده الشهور تحصل السنون العربيه المبتيه على رؤيه الأهلّه.

و أمّا المراد بجعل آيه النهار مبصره فيه أيضاً قولان:

أحدهما أنّ معنى كونها مبصره كونها مضيئه نيره، قال الكسائي: العرب تقول: أبصر النهار إذا أضاء أقول: و لعلّ ذلك من حيث إنّ الاضائه لما كان سبباً للابصار فاطلق اسم الابصار على الاضائه إطلاقاً لاسم المسبب على السبب.

و ثانيهما أنّ المبصره التي أهلها بصراء فيها قال أبو عبيده يقال: قد أبصر النهار إذا صار الناس يبصرون فيه، كقولهم رجل مخبت إذا كان أصحابه خبتاء و رجل مضعف إذا كان دوابه ضعفاء، هذا.

و بقي الكلام في إضافه الليل و النهار إلى السماء في كلامه عليه السّلام، و وجهها أنّ استنادهما لما كان إلى حركة الفلك أضافهما إليها لتلك المناسبه (و أجراهما في مناقل مجريهما و قدّر سيرهما في مدارج درجيهما) أراد بالمناقل و المدارج منازل الشمس و القمر.

قال ابن عباس: للشمس مائه و ثمانون منزلاً كلّ يوم لها منزل و ذلك في ستّه أشهر ثمّ إنها تعود إلى واحد واحد منها في ستّه أشهر مرّه اخرى، و القمر له ثمانيه و عشرون منزلاً.

و تحقيق المقام أنهم قَسَموا دور الفلك الذى يسير فيه الكواكب اثنا عشر قسما و سَمّوا كلّ قسم برجا كما قال سبحانه:

«وَ السَّمَاءِ ذَاتِ الْجُبُوجِ» و قال: «تَبَارَكَ الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا» قال الرازى البروج هى القصور العاليه سمّيت بروج الكواكب لأنها لهذه الكواكب كالمنازل لسكانها، ثم إنهم قَسَموا كلّ برج ثلاثين قسما و سَمّوا كلّ قسم درجه و سَمّوا البروج بهذه الأسماء:

الحمل، الثور، الجوزاء، السرطان، الاسد: السنبله، الميزان، العقرب، القوس، الجدى، الدلو، الحوت، و الشمس تسير كلّ برج منها فى شهر واحد، فتحصل تمام دورتها لتلك البروج فى سنه كامله و به تحصل السنه و هى ثلاثمأه و خمسه و ستون يوما و شىء تنزل كلّ يوم فى منزل و ما قاله ابن عباس فى كلامه الذى حكيناه لعلّه مبنّى على ما هو الشايع فى ألسنه الناس من تقدير السنه بثلاثمأه و ستين يوما و إن لم يكن مطابقا لشىء من حركتى الشمس و القمر فتأمل، هذا و ما ذكرناه فى سير الشمس أنّما هو بحسب حركتها الذاتيه، و أما حركتها بسبب حركه الفلك الأعظم فتتمّ فى اليوم بليته، و أمّا القمر فيسير كلّ برج فى أزيد من يومين و نقص من ثلاثه أيام و تمام دورتها فى ثمانيه و عشرين ليله، و له فى كلّ ليله منزل.

فمنازله ثمانيه و عشرون مسماه بتلك الأسماء:

الشرطين، البطين، الثريا، الدبران، الهقعه، الهنعه، الذراع، النثره، الطرفه، الجبهه، الدبره، الصرّفه، العواء، السماك، الغفر، الزبانا، الاكليل، القلب، الشوله، النعايم، البلده، سعد الذابح، سعد بلع، سعد السعود، سعد الاخيبه، فرغ الدلو المقدم، فرغ الدلو المؤخر، الرشا، و هو بطن الحوت و إلى تلك المنازل اشير فى قوله سبحانه:

ص: ٣٥٧

«وَالْقَمَرَ قَدَرْنَا مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ» أي قَدَرْنَا مسيره منازل أو سيره في منازل ينزل كل ليلة في واحده منها، فاذا كان في آخر منازلها دَقَّ واستقوس حَتَّىٰ عاد كالعرجون أي كالشمرخ المعوج القديم العتيق.

قال نصير المله و الدين (ره) في محكي كلامه من التذكرة: و أما منازل القمر فهي من الكواكب القريبه من منطقه البروج جعلها العرب علامات الاقسام الثمانيه و العشرين التي قَسَمَت المنطقه بها لتكون مطابقه لعدد ايام دور القمر.

و قال الخفري في شرحه: و المراد من المنزل المسافه التي يقطعها القمر في يوم بليلته، و منازل القمر عند الهند سبعة و عشرون يوما بليله و ثلث، فحذفوا الثلث لكونه أقل من النصف كما هو عادة أهل التنجيم.

و أما عند العرب فهي ثمانيه و عشرون، لا- لأنهم تَمَمُوا الثلث واحدا كما قال البعض، بل لأنه لما كان سنوهم لكونها باعتبار الأهلّه مختلفه الأوائل بوقوعها في وسط الصيف تاره و في وسط الشتاء أخرى، احتاجوا إلى ضبط سنه الشمس لمعرفة فصول السنه حَتَّىٰ يشتغلوا في استقبال كل فصل منها بما يهتمهم، فنظروا إلى القمر فوجدوه يعود إلى وضع له من الشمس في قريب من ثلاثين يوما و يختفي في هذا الشهر ليلتين أو أكثر أو أقل فأسقطوا يومين من الثلاثين فبقي ثمانيه و عشرون و هو الزمان الواقع في الأغلب بين رؤيته في العشيّات في أول الشهر و رؤيته بالغدوات في آخره، فقسّموا دور الفلك عليه، فكان كل منزل اثنتي عشره درجه و احدى و خمسين دقيقه تقريبا أي ستّه أسباع درجه فتصيب كل برج منزلان و ثلث.

ثم وجدوا الشمس تقطع كل منزل في ثلاثه عشر يوما في التقريب فسار المنازل في ثلاثمأه و أربعه و ستين يوما، لكن عود الشمس إلى كل منزل إنما يكون في ثلاثمأه و خمسه و ستين يوما، فزادوا يوما في أيام منازل غفر و قد يحتاج

إلى زياده للكبيسه حتى تصير أيامه خمسہ عشر و يكون انقضاء أيام السنه الشمسيه مع انقضاء أيام المنازل و رجوع الأمر إلى منزل جعل مبدء.

ثم إنهم جعلوا علامات المنازل من الكواكب الظاهره القريبه من المنطقه مما يقارب ممّر القمر أو يحاذيه، فيرى كلّ ليله نازلا يقرب أحدها فان سترها يقال كفحه فكافحه أى واجهه فغلبه و لا يتفأل به و إن لم يستره يقال: عدل القمر و يتفأل به.

و قوله (ليميز بين الليل و النهار بهما و ليعلم عدد السنين و الحساب بمقاديرهما) الظاهر كون التميز و العلم غايتين لمجموع الأفعال السابقه على حدّ قوله سبحانه في سورة الاسرى:

«وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَاتَيْنِ فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً لِّتَبْتَغُوا فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ وَتَعَلَّمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ» و قوله في سورة يونس: «هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسُ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَرَهُ مَنَازِلَ لِّتَعَلَّمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ» و يحتمل كون التميز غايه للأول و العلم غايه للأخير أو الأخيرين فيكون نشرًا على ترتيب اللَّف، و معناه على ذلك أنه تعالى جعل الشمس آيه مبصره و القمر آيه محوّه ليحصل التميز بين الليل و النهار بهما، و أجرى الشمس و القمر في منازلهما و قدر سيرهما في مناقلهما ليحصل العلم بعدد السنين و الحساب بمقادير سيرهما و تفاوت أحوالهما، هذا.

و المراد بالحساب حساب ما يحتاج إليه الناس في امور دينهم و دنياهم ليتمكّنوا بذلك من إتيان الحجّ و الصوم و الصّيلوات في أوقاتها، و يعرفوا عدّه المطلقه و المتوفّى عنها زوجها، و مدّه حلول آجال الديون و انقضائها، و يرتّبوا معاشهم بالزراعه و الحراثه و الفلاحة في ساعاتها و يهيئوا مهمّات الشتاء و الصيف و ضروريّات العيش

فى آنائها إلى غير هذه مما يحتاجون إليها فى الدنيا و الدين «إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ» (ثم علق فى جَوْها فلکها) هذه العبارة من مشكلات كلامه عليه السلام.

وجهه الاشكال فيها من ثلاثه وجوه: أحدها أنه عليه السلام قال فى صدر هذا الفصل: و نظم بلا تعليق رهوات فرجها، فنفى التعليق فى نظم الأجزاء ثمه ينافى إثباته هنا و ثانيها أن الجوّ عبارة عن ما بين السماء و الأرض من الهواء فما معنى تعليق الفلك فيه، ثم ما معنى الاضافه، و ثالثها أن المشهور أن الفلك هو السماء و الاضافه فى كلامه عليه السلام يفيد التغير و يرفع الاشكال عن الأول بحمل التعليق المنفى فيما سبق على التعليق بالعلائق المحسوسه و التعليق المثبت هنا على التعليق بالقدره، و عن الثانى بحمل الجوّ على الفضاء الواسع الموهوم أو الموجود الذى هو مكان الفلك و وجه اضافته إليها واضح، و عن الثالث بجعل المراد بالفلك مدار النجوم كما فسره به فى القاموس.

و قال الشارح المعتزلى: أراد به دائره معدّل النهار، و قيل: المراد به سماء الدنيا، و هو مبنى على كون النجوم فيها على وفق قوله سبحانه «إِنَّا زَيْنًا السَّمَاءِ الدُّنْيَا بِزِينَةِ الْكُوكَبِ» و على المشهور من عدم كون جميعها فى السماء الدنيا فلعلّ الأظهر أن يراد بالفلك ما ارتكز فيه من السماوات كوكب يتحرك بحركته، قاله فى البحار ثم قال: و يمكن على طريقه الاستخدام أو بدونه أن يراد بضمير السماء الذى أحاط بجميع ما ارتكزت فيه الكواكب المدبّر لها فكون فلکها فى جَوْها ظاهر أو يراد بالسماء الأفلاك الكليّه و بالفلك الأفلاك الجزئيه الواقعه فى جوفها (و ناط بها زينتها من خفّيات دراريها و مصابيح كواكبها) أى علق بالسماء ما يزينا من الكواكب الخفيه التى هى كالدّر فى الصّيفاء و الضياء، و الكواكب التى هى بمنزله المصباح يضىء و كونها زينه لها إمّا بضوئها أو باشتمالها على الأشكال

المختلفة العجيبه (و رمى مسترق السَّمع بثواقب شهبها) وفيه تلميح إلى قوله سبحانه «إِلَّا مَنْ اسْتَرَقَ السَّمْعَ فَاتَّبَعَهُ شِهَابٌ مُبِينٌ» أى
إِلَّا مَنْ حَاوَلَ أَخْذَ مَسْمُوعٍ مِنَ السَّمَاءِ فِي خَفِيهِ فَلَحِقَهُ شَعْلُهُ نَارٌ ظَاهِرٌ لِأَهْلِ الْأَرْضِ بَيْنَ لَمَنِ رَأَاهُ، وَ إِلَى قَوْلِهِ سَبْحَانَهُ:

«إِلَّا مَنْ خَطَفَ الْخَطْفَةَ فَاتَّبَعَهُ شِهَابٌ ثَاقِبٌ» قَالَ الطَّبْرَسِيُّ: وَ التَّقْدِيرُ لَا يَتَسَمَّعُونَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ إِلَّا مَنْ وَثَبَ الْوَثْبَةَ إِلَى قَرِيبٍ مِنَ
السَّمَاءِ فَاخْتَلَسَ خَلْسَهُ مِنَ الْمَلَائِكَةِ وَ اسْتَلَبَ اسْتِلَابًا بِسْرَعِهِ فَلَحِقَهُ وَ أَصَابَهُ نَارٌ مُضِيئَةٌ مُحْرِقَةٌ، وَ الثَّاقِبُ التَّيْرُ الْمَضِيءُ.

فان قلت: تقدّم ذكر الشهب فى قوله: و أقام رصدًا من الشهب الثواقب على نقابها فما وجه إعادتها؟ قلنا: إنّه عليه السّلام ذكر
سابقًا أنه أقامها رصدًا، و ثبت ههنا على أنّ إرصادها لرمى مسترق السّمع، روى عن ابن عباس أنه كان فى الجاهليّة كهنه و مع كلّ
واحد شيطان فكان يقعد من السّماء مقاعد للسّمع فيستمع من الملائكة ما هو كائن فى الأرض فينزل و يخبر به الكاهن فيفشيّه
الكاهن إلى النّاس، فلما بعث الله عيسى عليه السّلام منعوا من ثلاث سماوات، و لَمَّا بَعَثَ مُحَمَّدٌ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ وَ سَلَّمَ مَنْعُوا
مِنَ السَّمَاوَاتِ كُلِّهَا؛ وَ حَرَسَتْ السَّمَاءُ بِالنُّجُومِ وَ الشَّهَابِ مِنْ مَعْجَزَاتِ نَبِيِّنَا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ وَ سَلَّمَ لِأَنَّهُ لَمْ يَرُقْ قَبْلَ زَمَانِهِ، وَ
قِيلَ: إِنَّ الشَّهَابَ يَقْتُلُ الشَّيَاطِينَ، وَ قِيلَ لَا يَقْتُلُهُمْ.

قال الفخر الرّازى بعد ما عدّد جملة من منافع النجوم:

و منها أنه تعالى جعلها رجوما للشياطين الذين يخرجون النّاس من نور الايمان إلى ظلمة الكفر، يروى أنّ السّبب فى ذلك أنّ
الجنّ كانت تسمع بخبر السّماء، فلما بعث محمّدا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ وَ سَلَّمَ حرسّت السماء و رصدت الشياطين فمن جاء منهم
مسترقًا للسّمع رمى بشهاب

فأحرقه لئلا ينزل به إلى الأرض فيلقيه إلى الناس فيخبط على النبي صلى الله عليه وآله وسلم أمره و يرتاب الناس بخبره، و هذا هو السبب في انقضاض الشهب، فهذا هو المراد من قوله تعالى و جعلناها رجوما للشياطين.

و من الناس من طعن في هذا من وجوه:

أحدها أن انقضاض الكواكب المذكوره في كتب قدماء الفلاسفه قالوا: إن الأرض إذا سخنت بالشمس ارتفع منها بخار يابس فاذا بلغ النار التي دون الفلك احترق بها فتلك الشعلة هي الشهاب.

و ثانيها أن هؤلاء الجن كيف يجوز أن يشاهدوا واحدا و ألفا من جنسهم يسترقون السمع فيحرقون ثم إنهم مع ذلك يعودون لمثل صفتهم فإن العاقل إذا رأى الهلاك في شيء مره و مرارا امتنع أن يعود إليه من غير فائده.

و ثالثها أنه يقال: في ثخن السماء مسيره خمسمائه عام فهؤلاء الجن إن نفذوا في جرم السماء و خرقوا له فهذا باطل لأنه تعالى نفى أن يكون فيها فطور على ما قال: فارجع البصر هل ترى من فطور، و إن كانوا لا ينفذون في جرم السماء فكيف يمكنهم أن يسمعوا أسرار الملائكه من ذلك البعد العظيم فلم لا يسمعون كلام الملائكه حالكونهم في الأرض.

و رابعها أن الملائكه إنما اطلعوا على الأحوال المستقبله إما لأنهم طالعوها من اللوح المحفوظ، أو لأنهم يتلقونها من وحى الله تعالى إليهم، و على التقديرين فلم لا يمسكوا عن ذكرها حتى لا يتمكن الجن عن الوقوف عليها.

و خامسها أن الشياطين مخلوقون من النار و النار لا تحرق النار بل تقويها فكيف يحتمل أن يقال: الشيطان زجر من استراق السمع بهذه الشهب.

و سادسها أنه إن كان هذا القذف لأجل النبوه فلم دام بعد وفات الرسول صلى الله عليه وآله وسلم.

و سابعها أن هذه الرجوم إنما تحدث بالقرب من الأرض بدليل أننا نشاهد حركاتها بالغه و لو كانت قريبه من الفلك لما شاهدنا حركاتها كما لم نشاهد حركات

الكواكب، و إذا ثبت أنّ هذه الشهب إنما تحدث بالقرب من الأرض كيف يقال إنّها تمنع الشياطين من الوصول إلى الفلك.

و ثامنها أنّ هؤلاء الشياطين لو كان يمكنهم أن ينقلوا أخبار الملائكة من المغيبات إلى الكهنة فلم لا ينقلون أسرار المؤمنين إلى الكفار حتّى يتوسّل الكفار بواسطه و قوفهم على أسرارهم إلى إلحاق الضرر بهم.

و تاسعها لم لم يمنعهم الله ابتداء من الصعود إلى السماء حتّى لا يحتاج في دفعهم عن السماء إلى هذه الشهب و الجواب عن السؤال الأوّل أنا لا ننكر أنّ هذه الشهب كانت موجوده قبل مبعث النبي صلّى الله عليه و آله و سلّم و قد يوجد بسبب آخر و هو دفع الجنّ و زجرهم، يروى أنّه قيل للزهري أ كان يرمى في الجاهليه؟ قال: نعم قال: أ فرأيت قوله تعالى:

«أَنَا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَنْ يَسْمَعِ الْآنَ يَجِدْ لَهُ شِهَابًا رَصَدًا» قال: غلظت و شدّد أمرها حين بعث النبي صلّى الله عليه و آله و سلّم.

و الجواب عن السؤال الثاني أنه إذا جاء القدر عمى البصر، فاذا قضى الله على طائفه منهم الحرق لطغيانها و ضلالها قبيض له من الدواعي المطمعه في درك المقصود ما عندها يقدم على العمل المفضى إلى الهلاك و البوار.

و الجواب عن السؤال الثالث أنّ البعد بين السماء و الأرض مسيره خمسمائه عام فأما ثخن الفلك فلعله لا يكون عظيما.

و الجواب عن السؤال الرابع ما روى الزهري عن عليّ بن الحسين بن عليّ بن أبي طالب عليه السّلام عن ابن عباس (ره) قال بينا رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم جالس في نفر من أصحابه إذ رمى بنجم فاستنار فقال صلّى الله عليه و آله و سلّم: ما كنتم تقولون في الجاهليه إذا حدث مثل هذا؟ قالوا: كنا نقول: يولد عظيم أو يموت عظيم، قال النبي صلّى الله عليه و آله و سلّم: فانها لا ترمى لموت أحد و لا لحياته و لكن ربّنا تعالى إذا قضى الأمر في السماء سبّحت

حملة العرش ثم سبّح أهل السّماء و سبّح كلّ سماء حتّى ينتهى التّسييح إلى هذا السّماء و يستخبر أهل السّماء حملة العرش ما ذا قال ربّكم؟ فيخبرونهم و لا- يزال ينتهى ذلك الخبر من سماء إلى سماء حتّى ينتهى الخبر إلى هذه السّماء و يتخطّف الجنّ فيرمون. فما جاءوا به فهو حقّ و لكنّهم يزيدون فيه و الجواب عن السّؤال الخامس أنّ النّار قد تكون أقوى من نار اخرى فالأقوى يبطل الأضعف.

و الجواب عن السّؤال السادس أنه إنما دام لأنّه صلّى الله عليه و آله و سلّم أخبر بطلان الكهنة فلو لم يدم هذا القذف لعادت الكهانة و ذلك يقدر في خبر الرّسول صلّى الله عليه و آله و سلّم عن بطلان الكهانة.

و الجواب عن السّؤال السابع أنّ البعد على مذهبنا غير مانع من السّماع فلعلّه تعالى أجرى عادته بأنهم إذا وقعوا في تلك المواضع سمعوا كلام الملائكة.

و الجواب عن السّؤال الثامن لعلّه تعالى أقدرهم على استماع الغيوب عن الملائكة و أعجزهم عن إيصال أسرار المؤمنين إلى الكافرين.

و الجواب عن السّؤال التاسع أنه تعالى يفعل ما يشاء و يحكم ما يريد، فهذا ما يتعلّق بهذا الباب على سبيل الاختصار انتهى.

و قال المحدّث المجلسيّ (ره) بعد نقل كلام الرازي و أجوبته: أقول الأصوب في الجواب عن الثالث أن يقال: قد ظهر أنّ للسماء أبوابا يصعد منها الملائكة و صعد منها نبينا صلّى الله عليه و آله و سلّم و عيسى و إدريس عليه السّلام بل أجساد ساير الأنبياء و الأوصياء بعد وفاتهم على قول، و قد ورد في الأخبار أنّ الجنّ كانوا يصعدون قبل عيسى عليه السّلام إلى ما تحت العرش و بعد بعثته كانوا يصعدون إلى الرابعه و بعد بعثه النّبي صلّى الله عليه و آله و سلّم منعوا عن صعود السماء مطلقا بالشّهب، فصعودهم إمّا من أبوابها أو لكونهم اجساما لطيفه يمكنهم النفوذ في جرمها و لعلّ (1) المراد بالفطور فيها أن ترى فيها شقوق و ثقب أو تنهدم و تنحلّ أجزائها فلا إشكال في ذلك.

ص: ٣٦٤

١- (١) يعنى أنّ ما ذكرناه لا ينافى الفطور المنفى عنها في قوله تعالى: فارجع البصر هل ترى من فطور.

(و أجزاها على اذلال تسخيرها) أى على مجارى تسخيرها أو وجوه مقهوريتها و فيه تلميح إلى قوله تعالى:

«و الشَّمْسُ وَ الْقَمَرُ وَ النُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَ الْمَأْمُرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ» قال الطبرسى (ره): أى مذللات جاريات فى مجاريهن بتدبيره و صنعه خلقهن لمنافع العباد.

و قال الفخر الرازى، كون الشمس و القمر و النجوم مسخرات بأمره يحتمل وجوها:

أحدها أنا قد دللنا أن الأجسام متماثلة، و متى كان كذلك كان اختصاص جسم الشمس بذلك النور المخصوص و الضوء الباهر و التسخين الشديد و التدبيرات العجيبه فى العالم العلوى و السفلى لا بد و أن يكون لأجل أن الفاعل الحكيم و المقدر العليم خص ذلك الجسم بهذه الصفات، فجسم كل واحد من الكواكب و النيرات كالمسخر فى قبول تلك القوى و الخواص عن قدره المدبر العليم.

و ثانيها أن يقال: إن لكل واحد من أجرام الشمس و القمر و الكواكب سيرا خاصا بطيئا من المغرب إلى المشرق و سيرا آخر سريعا بسبب حركه الفلك الأعظم، فالحق سبحانه خص جرم الفلك الأعظم بقوه زايده على أجرام ساير الأفلاك و باعتبارها صارت مستولىه عليها قادره على تحريكها على سبيل القهر من المشرق إلى المغرب، فأجرام الأفلاك و الكواكب صارت كالمسخره لهذا القهر و القسر ثم ذكر باقى الوجوه و لا طائل تحتها.

و قوله عليه السلام: (من ثبات ثابتها و مسير سائرها) بيان لوجه تسخيرها و ثبات الثوابت بالنسبه إلى سير السيارات.

و المراد بالسيارات الكواكب السبعه و هى: القمر، و عطارد، و زهره، و الشمس و المريخ، و المشترى، و الزحل، و يسمى الشمس و القمر بالثيرين، و الخمسه

الباقية بالمتحيرة لأن لكل واحد منها استقامه ثم وقوفا ثم رجوعا ثم وقوفا ثانيا ثم عودا إلى الاستقامه و ليس للتيرين غير الاستقامه، و المراد بالثوابت إما ساير الكواكب على السماء غير هذه السبعه أو خصوص ما فى كره البروج.

و فى توحيد المفضل قال: قال الصادق عليه السلام: فكر يا مفضل فى النجوم و اختلاف مسيرها فبعضها لا تفارق مراكزها من الفلك و لا تسير إلا مجتمعه، و بعضها تنتقل فى البروج و تفترق فى مسيرها، فكل واحد منها يسير سيرين مختلفين، أحدهما عام مع الفلك نحو المغرب، و الآخر خاص لنفسه نحو المشرق كالنمله التى تدور على الرّحا، فالرّحا تدور ذات اليمين و النمله تدور ذات الشمال و النمله تتحرك فى تلك حركتين مختلفتين، إحداهما بنفسه فتتوجه أمامها، و الاخرى مستكرهه مع الرّحا تجذبها إلى خلفها، فاسأل الزّاعمين أنّ النجوم صارت على ما هى عليه بالاهمال من غير عمد و لا صانع لها ما منعها كلّها أن تكون راتبه أو تكون كلّها متنقله؟ فإنّ الاهمال معنى واحد فكيف صار يأتى بحركتين مختلفتين على وزن و تقدير؟ ففى هذا بيان أنّ مسير الفريقين على ما يسيران عليه بعمد و تدبير و حكمه و تقدير و ليس باهمال كما تزعمه المعطله.

فان قال قائل: و لم صار بعض النجوم راتبا و بعضها متنقلا؟ قلنا: إنّها لو كانت كلّها راتبه لبطلت الدلالات التى يستدلّ بها من تنقل المتنقله و مسيرها فى كلّ برج من البروج كما قد يستدلّ على أشياء ممّا يحدث فى العالم بتنقل الشمس و النجوم فى منازلها، و لو كانت كلّها متنقله لم يكن لمسيرها منازل تعرف و لا رسم يوقف عليه، لأنّه انما يوقف بمسير المتنقله منها لتنقلها فى البروج الرّاتبه كما يستدلّ على سير السّاير على الأرض بالمنازل يجتاز عليها، و لو كان تنقلها بحال واحده لاختلط نظامها و بطلت المآرب فيها و لساغ لقائل أن يقول: إنّ كينونيتها على حال واحده توجب عليها الاهمال من الجبهه التى وصفنا. ففى اختلاف سيرها و تصرّفها و ما فى ذلك من المآرب و المصلحه أبين دليل على العمد و التدبير فيها.

(و هبوطها و صعودها و نحوسها و صعودها) المراد بالهبوط إما مقابل الشرف كما هو مصطلح المنجمين، أو التوجه إلى حضيض الحامل فإن للكواكب صعودا في الأوج و هبوطا في الحضيض أو التوجه إلى الغروب فيكون الهبوط حسا و يقابله الصعود فيما ذكر.

و المراد بالصعود و النحوس كون اتصالات الكواكب أسبابا لصلاح حال شيء من الأشياء من أحوال هذا العالم و أسبابا لفساده.

قال المنجمون: زحل و المريخ نحسان أكبرهما زحل، و المشتري و الزهره سعدان أكبرهما المشتري، و عطارد سعد مع السعود و نحس مع النحوس، و الثيران سعدان من التثليث و التسديس نحسان من المقابله و التربع و المقارنه، و الرأس سعد و الذنب و الكبد نحسان، و الله العالم بحقايق ملكه و ملكوته.

الترجمه

بعض دیگر از این خطبه در صفت آسمان است می فرماید:

ترتیب داد حق سبحانه و تعالی بدون قید و علاقه پست و بلندی فرجه های آنرا و ملتئم نمود و بهم در آورد شکافهای گشادگی آنرا و بهم پیوست میان آنها و میان زوجهای آنها، و ذلیل و آسان نمود بجهه ملائکه که نزول کننده اند بامر او سبحانه و صعود نماینده اند با عملهای بندگان او دشواری نردبانهای آسمانها را، و ندا نمود آنها را بعد از این که بود دود پس بهم آمد بندهای ریسمانهای آنها و گشود بعد از بهم پیوستن درهای بسته آنها را، و بر پا نمود دیده بانها از شهابهای درخشان بر راهها و منفذهای آنها، و نگه داشت آنها را از این که حرکت نمایند و مضطرب گردند در شکاف هوا با قوت خود، و امر کرد آنها را باین که بایستند در حالتی که انقیاد و تسلیم نمایند فرمان او را.

و گردانید آفتاب آسمان را؟؟؟؟؟؟ آشکار برای روز آن، و ماه آنرا علامتی محو شده از شب آن، و جاری فرمود مهر و ماه را در مواضع انتقال که جای جریان ایشانست، و مقدر کرد سیر ایشان را در راههای درجه های ایشان تا تمیز دهد شب

و روز را بآن مهر و ماه و تا دانسته شود شماره سالها و حسابها بمقدار حرکات این دو کوكب، پس از آن در آویخت در فضای آسمان فلک را که محل دوران کوكب است، و منوط ساخت بآن زینت آنرا از ستارگان پنهان که مثل دژند در صفا و از چراغهای ستارها و انداخت بسوی شیاطین که بدزدی و سرقت گوش دهندگانند تا این که أسرار ملائکه را مطلع شوند بشهابهای درخشنده سوراخ کننده و جاری ساخت ستارگان را بر مجاری تسخیر و مقهوریت آنها از ثبات کواکب ثابته و سیر کردن ستارگان رونده، و از هبوط کردن ایشان بحضیض حامل، و صعود نمودن ایشان بأوج حامل و از سعادت آنها و نحوست آنها.

الفصل الخامس

اشاره

منها فی صفه الملائکه ثم خلق سبحانه لإسکان سماواته، و عماره الصّفيح الأعلى من ملکوته، خلقا بديعا من ملائکته، ملأ بهم فروج فجاجها، و حشابههم فتوق أجوائها، و بين فجوجات تلك الفروج زجل المسبّحين منهم فی حظایر القدس، و سترات الحجب، و سرادقات المجد، و وراء ذلك الرّجیح الذي تستك منه الأسماع سبحات نور تردع الأبصار عن بلوغها، فتقف خاسئه على حدودها، أنشأهم على صور مختلفات، و أقدار متفاوتات، أولى أجنحه تسبّح جلال عزّته، لا ينتحلون ما ظهر فی الخلق من صنعه، و لا يدعون أنهم یخلقون شيئا معه ممّا

ص: ۳۶۸

انفرد به، بل عباد مكرمون، لا- يسبقونه بالقول و هم بأمره يعملون. جعلهم فيما هنا لك أهل الأمانة على وحيه، و حملهم إلى المرسلين و دافع أمره و نهيه، و عصمهم من ريب الشبهات، فما منهم زائغ من سبيل مرضاته، و أمدهم بفوائد المعونه، و أشعر قلوبهم تواضع إخبارات السكينة، و فتح لهم أبواباً ذللاً إلى تماجيده، و نصب لهم منارا واضحاً على أعلام توحيده، لم تنقلهم موصرات الاثام، و لم ترتحلهم عقب الليالي و الأيام، و لم ترم الشكوك بنوازعها عزيمة إيمانهم، و لم تعترك الظنون على معاهد يقينهم، و لا قدحت قاده الأحن فيما بينهم، و لا سلبتهم الحيره ما لاق من معرفته بضمايرهم، و ما سكن من عظمته و هيبه جلالته في أثناء صدورهم، و لم تطمع فيهم الوسوس فتتزعج برينها على فكرهم منهم من هو في خلق الغمام الدلح، و في عظم الجبال الشمخ، و في قتره الظلام الأيهم، و منهم من قد خرقت أقدامهم تخوم الأرض السيفلى، فهي كرايات بيض قد نفذت في مخارق الهواء، و تحتها ربح هفافة تحبسها على حيث انتهت من الحدود المتناهيه، قد استفرغتهم أشغال عبادته، و وصلت حقايق الإيمان بينهم و بين معرفته، و قطعهم الإيقان به إلى الوله إليه، و لم تجاوز رغباتهم ما عنده إلى ما عند غيره.

قد ذاقوا حلاوه معرفته، و شربوا بالكأس الرّويّه من محبّته، و تمكّنت من سويداء قلوبهم و شيجه خيفته، فحنوا بطول الطّاعه اعتدال ظهورهم، و لم ينفد طول الرّغبه إليه مادّه تضرّعهم، و لا- أطلق عنهم عظيم الزّلفه ريق خشوعهم، و لم يتولّهم الإعجاب فيستكثروا ما سلف منهم و لا تركت لهم استكانه الإجلال نصيبا في تعظيم حسناتهم، و لم تجر الفترات فيهم على طول دؤوبهم، و لم تغض رغباتهم فيخالفوا عن رجاء ربّهم، و لم تجفّ لطول المناجاه أسلّات ألسنتهم، و لا ملكتهم الأشغال فتقطع بهمس الجوّار إليه أصواتهم، و لم تختلف في مقاوم الطّاعه مناكبهم، و لم يثنوا إلى راحه التّقصير في أمره رقابهم، و لا- تعدوا على عظيمه جدّهم بلائده الغفلات، و لا تنتصل في همهم خدائع الشّهوات. قد اتّخذوا ذا العرش ذخيره ليوم فاقتهم، و يّمموه عند انقطاع الخلق إلى المخلوقين برغبتهم، لا يقطعون أمد غايه عبادته، و لا يرجع بهم الاستهتار بلزوم طاعته، إلا إلى موادّ من قلوبهم غير منقطعه من رجائه و مخافته، لم تنقطع أسباب الشّفقه منهم فينوا في جدّهم، و لم تأسرهم الأطماع فيؤثروا و شيك السّعي على اجتهادهم، و لم يستعظموا

ما مضى من أعمالهم، و لو استعظموا ذلك لنسخ الرّجاء منهم شفقات وجلهم و لم يختلفوا فى ربّهم باستحواذ الشّيطان عليهم، و لم يفرّقهم سوء التقاطع، و لا تولّاهم غلّ التّحاسد، و لا شعّبتهم مصارف الرّيب، و لا اقتسمتهم أخياف الهمم، فهم أسراء إيمان لم يفكّهم من ربّيته زيغ و لا عدول، و لا ونا و لا فتور، و ليس فى أطباق السّيموات موضع إهاب إلّا و عليه ملك ساجد، أو ساع حافد، يزدادون على طول الطّاعه برّبهم علما، و تزداد عزّه ربّهم فى قلوبهم عظما.

اللغه

(عماره) المنزل جعله أهلا ضدّ الخراب الذى لا أهل له يقال عمره الله منزلك عماره و أعمره جعله أهلا و (الصفیح) السّماء و وجه كلّ شىء عريض قاله فى القاموس، و وصفه بالأعلى بالنسبه إلى الأرض لأنه الصفیح الأسفل، فما فى شرح المعتزلى من تفسيره بسطح الفلك الأعظم ليس بشىء بل مخالف لكلام الامام عليه السّلام مضافا إلى مخالفته لتفسير أهل اللغه إذ كلامه هنا و فى الخطبه الاولى صريح فى عدم اختصاص مسكن الملائكه بالفلك الأعظم، حيث قال ثمّه: ثمّ فتق ما بين السّماوات العلى فملاهنّ أطوارا من ملائكته، و ذكر هنا أنه تعالى ملأ بهم فروج فجاجها و حشابههم فتوق أجوائها.

و (الملكوت) كرهبوت العزّ و السلطان، قال بعض اللّغويين: إنّ أهل التحقيق يستعملون الملك فى العالم الظاهر و الملكوت فى العالم الباطن، و قال: إنّ الواو و التاء فيه كما فى رهبوت و رغبوت و جبروت و تربوت زیدتا للمبالغه فيكون معنى الملكوت الملك العظيم و (الفجاج) بكسر الفاء جمع فجّ بفتحها قال سبحانه:

«مِنْ كُؤْلٍ فَجَّ عَمِيقٍ» و هو الطريق الواسع بين الجبلين و (حشوت) الوساده بالقطن جعلتها مملوءه منه و (الفجوات) جمع فجوه و هى الفرجه و الموضع المتسع بين الشيئين و (الزجل) محرّكه رفع الصّوت مصدر زجل كفرح و (الحظيره) بالحاء المهمله و الظاء المعجمه الموضع الذى يحاط عليه لتأوى إليه الابل و الغنم و غيرهما ليقىها من الحرّ و البرد و (القدس) بسكون الدال و ضمّها الطهر و (السترات) بضمّتين جمع ستره بالضمّ و هو ما يستتر به كالسِّتاره و (السرّادق) الذى يمدّ فوق صحن البيت و البيت من الكرسف و (المجد) الشرف و العظمه و (الرجيح) الزلزله و الاضطراب و منه رجيج البحر و (استكّت) المسامع ضاقت و صمت قال الشّاعر:

و تَبَّتْ خَيْرَ النَّاسِ أَتَّكَ لِمَتْنِي وَ تَلَّكَ الَّتِي تَسْتَكُّ مِنْهُ الْمَسَامِعُ

و (السِّبْحَات) بضمّتين النور و البهاء و الجلال و العظمه و قيل: سبحات الوجه محاسنه لأنّك إذا رأيت الوجه الحسن قلت سبحان الله تعجّبا و (ردعه) كمنعه كفه وردّه و (خسأ) البصر كلّ من باب منع و الخاسى من الكلاب و نحوها المبعد الذى لا يترك أن يدنو من النّاس و (تسبّح) من التّسبيح و فى بعض النسخ تسبّح من السّباحه و فى هذه النسخه (خلال) بالخاء المعجمه المكسوره و هو وسط الشّىء أو جمع خلل بالتحريك و هو الفرجه بين الشيئين، و فى بعضها جلال بحار عزّته و (انتحل) الشّىء إذا ادّعاه لنفسه و هو لغيره و (حمّلهم) بتشديد الميم و (الزّيغ) العدول عن الحق قال سبحانه:

«ما زَاغَ الْبَصِيرُ وَ ما طَغَى» و (استعنت به) فأعاننى و قد يتعدّى بنفسه فيقال استعنته فأعاننى و الاسم منه العون و المعانه و المعونه بفتح الميم و ضمّ الواو على وزن مكرمه و بضمّ العين أيضا و اتباع الواو على وزن مقوله.

قال الفيومى: وزن المعونه مفعله بضمّ العين و بعضهم يجعل الميم أصليه و يقول

هى مأخوذه من الماعون و يقول هى فعوله و(اشعر) قلوبهممن شعرت بالشىء شعورا من باب قعد علمت و قيل مأخوذ من الشعار و هو ما يلبس تحت الدثار أى الزم قلوبهم تشبيها بلزوم الشعار للبدن و (أخبت) الرجل خضع لله و خشع قلبه و (السكينه) الوقار و الطمأنينه و المهابه و (الدلل) بضمّتين جمع الدلول و هو ضدّ الصّعب و (مجدّه) تمجيدا عظّمه و أثنا عليه و الجمع للدلاله على الأنواع و (الأعلام) جمع علم بالتحريك و هو الجبل الطويل قال الشّاعر:

ربما اوفيت فى علم ترفعن ثوبى شمالات

و (الاصر) الثقل و (العقب) جمع العقبه كغرف و غرفه و هى النوبه و اللّيل و النّهار يتعاقبان أى يتناوبان و يجىء كلّ منهما بعد الآخر و (نوازعها) فى بعض النسخ بالعين المهمله من نزع فى القوس إذا مدّها و فى بعضها بالغين المعجمه من نزع الشيطان بين القوم أى أفسد و (الاعتراك) الازدحام و (قدح) بالزند من باب منع أى رام الايراء به و هو استخراج النّار و (أحن) الرّجل من باب تعب حقد و أضمر العداوه، و الاحنه اسم منه و الجمع احن كسدره و سدر و (لاق) الشىء بغيره أى لرق و منه الليقه للصوق المداد بها و (الافتراع) الضرب بالقرعه و الاختيار.

و فى شرح المعتزلى هو من الافتراع بالسهم بأن يتناوب كلّ من الوسوس عليها، و الأنسب أن يجعل المزيد بمعنى المجرد يقال قرعته بالمقرعه ضربته بها، و فى بعض النسخ فتفترع بالفاء من فرعه أى علاه و الأول أنسب بالطبع و (الرّين) بالنون كما فى بعض النسخ و هو الدنس و الطبع و الغطاء و ران ذنبه على قلبه رينا غلب، و فى بعضها بالباء الموحده بمعنى الشك.

و (الغمام) جمع الغمامه و (الدلمح) بالحاء المهمله جمع دالح كراوع و ركع يقاب سحاب دالح أى ثقيل بكثره مائه و (الشّمخ) بالخاء المعجمه جمع الشامخ و هو المرتفع العالى و (القتره) بالضمّ بيت الصايد الذى يستتر به عند تصيده من خصّ و نحوه، و الجمع قتر مثل غرفه و غرف و (الايهم) الذى لا- يهتدى فيه و منه فلاه يهماء و (تخوم) الأرض بالضمّ حدودها و معالمها، قال الفيومى: التخّم حدّ الأرض

و الجمع تخوم مثل فلس و فلوس، و قال ابن الاعرابي و ابن السكيت الواحد تخوم و الجمع تخم مثل رسول و رسل.

و (ريح هفاهه) طيبه ساكنه و (وصلت) في بعض النسخ بالسین المهملة المشدده يقال و سلّ إلى الله توسيلا و توسل أي عمل عملا- يقرب به إليه و (الوله) محرکه شدّه الوجد أو ذهاب العقل و (شربوا بالكأس) بثلاث الرّاء و الكأس مؤنثه و (الرّويه) المرويّه التي تزيل العطش و (سويداء) القلب و سوداؤه حَبته و (الوشيجه) في الأصل عرق الشجره يقال: و شجت العروق و الأغصان أي اشتبكت و (حنيت) العود ثنيتة و حنّيت ضلعي عوّجتة و يقال للرّجل إذا انحنى من الكبر: حناه الدّهر.

و (اعجب) زيد بنفسه على البناء للمفعول إذا ترّفّع و سرّ بفضائله و أعجبنى حسن زيد إذا أعجبت منه قال الفيومي: و التعجب على وجهين أحدهما ما يحمده الفاعل و معناه الاستحسان و الاخبار عن رضاه به، و الثاني ما يكرهه و معناه الانكار و الدّم له ففي الاستحسان يقال أعجبنى بالألف و في الدّم و الانكار عجبت و زان تعبت و (الفترات) جمع الفتره مصدر بنيت للمرّه من فتر الشئ فتورا سكن بعد حدّه و لان بعد شدّه.

و (دأب) في عمله من باب منع دأبا و دابا بالتحريك و دؤبا بالضمّ جدّ و تعب.

و (غاض) الماء غيضا من باب سار قلّ و نقص و (اسله) اللسان طرفه و مستدقّه و (الهمس) محرّكه الصّوت الخفيّ و (الجوار) و زان غراب رفع الصّوت بالدعاء و التضرّع و (المقاوم) جمع مقام و (ثنا) الشئ يثنى و يثنو من باب رمى و دعا ردّ بعضه على بعض و ثنيتة أيضا أي صرفته إلى حاجته و (بلد) الرّجل بالضمّ بلاده فهو بليد أي غير فطن و لا ذكيّ و (ناضلته) مناضله راميته فنضلته نضلا من باب قتل غلبته في الرّميّ و انتضل القوم رموا للسبق و (الهمه) ما همّ به من أمر ليفعل و (يّمته) قصدته و (الأمد) المنتهى و قد يكون بمعنى امتداد المسافه و (رجع) يكون لازما و متعدّ يا تقول رجع زيد و رجعت أنا و (اهتر)

فلان بكذا و استهتر بالبناء للمفعول فهو مهتر و مستهتر بالفتح أولع به لا يتحدث غيره و لا يفعل غيره، و الاستهتار الولع بالشىء لا يبالى بما فعل فيه و شتم له.

و (الونى) الضعف و الفتور من ونى فى الأمر من باب تعب و وعدو (الوشيك) القريب و السريع و (نسخ) الشىء إزالته و إبطاله و (استحوذ) عليه الشيطان استولى و (التقاطع) التعادى و ترك البرّ و الاحسان و (توليت) الأمر قمت به و (الغل) الحقد و (الشعبه) من كل شىء الطائفه منه و شعبهم أى فرقهم و فى بعض النسخ تشعبتهم على التفعّل و الأول أظهر و (الزيب) جمع الزيبه و هو الشك.

و (أخيف) الهمم اختلافها و أصله من الخيف بالتحريك مصدر من باب تعب و هو أن يكون إحدى العينين من الفرس زرقاء و الاخرى كحلاء، فالفرس أخيف و الناس أخيف أى مختلفون، و منه قيل لاخوه الامم: أخيف لاختلافهم من حيث الألب و (الاهاب) ككتاب الجلد و (الحافد) المسرع و الخفيف فى العمل و يجمع على حفد بالتحريك و يطلق على الخدم لاسرعه فى الخدمه و (العظم) وزان عنب خلاف الصغر مصدر عظم و فى بعض النسخ بالضم و زان قفل و هو اسم من تعظم أى تكبر.

الاعراب

قوله: و بين فجوات آه الجملة حال من مفعول حشا، و قوله: و وراء ذلك خبر قدّم على مبتدئه و هو سبحات، و الابصار فى بعض النسخ بالنصب على أنه مفعول تردع و فاعله راجع إلى سبحات، و فى بعضها بالرفع على بناء تردع للمفعول، و أنشأهم عطف على ملأهم بهم، و أولى أجنحه حال من مفعول أنشأ، و جمله تسبح صفه لأولى أجنحه أو لأجنحه، و جمله لا ينتحلون حال، و اللام فى قوله: بالقول عوض عن المضاف إليه أى لا يسبقون الله بقولهم.

و قوله إلى المرسلين متعلق بحملهم على تضمين معنى البعث أو الارسال أو نحوه، و ودائع أمره بالنصب مفعول حملهم، و جمله لم تثقلهم استيناف بيانى، و الباء

فى قوله عليه السّلام: و شربوا بالكأس إمّا للاستعانه، أو بمعنى من و ربما يضمن الشّرب معنى الالتذاذ ليتعدّى بالباء و كلمه من فى قوله عليه السّلام: من قلوبهم ابتدائيه أى إلى موادّ ناشئه من قلوبهم، و فى قوله عليه السّلام، من رجائه بيانيه، فالمراد الخوف و الرجاء الباعثان لهم على لزوم الطاعه، و يحتمل أن يكون الاولى بيانيه أو ابتدائيه و الثانيه صله للانقطاع.

المعنى

اشاره

اعلم أنّ هذا الفصل من كلامه عليه السّلام متضمّن لبيان صفات الملائكه و كيفيه خلقتهم و حاله عبوديتهم و خشوعهم و ذلّتهم لمعبودهم، و قد مضى شطر واف من الكلام على هذا العنوان فى شرح الفصل التاسع من فصول الخطبه الاولى، و تقدّم ثمّه ما ينفعك فى هذا المقام و لما كان الغرض من هذه الخطبه الاشاره إلى عظمه الله سبحانه و قدرته و الابانه عن الصّفات الجماليه و الجلاليه له تعالى، و كان ملائكه السماوات من أفضل الموجودات و أشرف المجعولات و عجائب الخلاق و بدايع الصّينايح و عظم المخلوق كان دالا على عظم الخالق و بديع صنع المصنوع كان دليلا على كمال قدره الصّانع و تدبيره و حكمته، لا جرم ساق عليه السّلام هذا الفصل لبيان حالهم و ضمنه ذكر أوصافهم المختلفه و شئوناتهم المتفاوته بعبارات رائقه و بدائع فائقه.

قال الشّارح المعتزلى و لنعم ما قال: إذا جاء هذا الكلام الرّبانى و اللفظ القدسى بطلت فصاحه العرب و كانت نسبه الفصيح من كلامها إليه نسبه التراب إلى النضار الخالص، و لو فرضنا أنّ العرب تقدر على الألفاظ الفصيحه المناسبه أو المقاربه لهذه الألفاظ من أين لهم المادّه التى عبرت هذه الألفاظ عنها و من أين تعرف الجاهليه بل الصحابه المعاصرون لرسول الله صلّى الله عليه و آله هذه المعانى الغامضه السّمائيه ليتهيأ لها التعبير عنها.

أما الجاهليه فإنّهم إنما كانت تظهر فصاحتهم فى صفة بعير أو فرس أو حمار وحش أو ثور فلاه أو صفة جبال أو فلوات و نحو ذلك.

و أما الصّحابه المذكورون منهم بفصاحه إنما كان منتهى فصاحه أحدهم كلمات

لا يتجاوز السطرين أو الثلاثة إما في موعظه تتضمن ذكر الموت أو ذم الدنيا و ما يتعلّق بحرب و قتال من ترغيب أو ترهيب.

فأمّا الكلام في الملائكة و صفاتها و عبادتها و تسبيحها و معرفتها بخالقها و حبّها له و ولهها إليه و ما جرى مجرى ذلك ممّا تضمّنه هذا الفصل بطوله فإنّه لم يكن معروفا عندهم على هذا التفصيل، نعم ربّما علموه جملة غير مقسّمه هذا التقسيم و لا مرتّبته هذا الترتيب بما سمعوه من ذكر الملائكة في القرآن العظيم، فثبت أنّ هذه الامور الدقيقه مثل هذه العبارة الفصيحه لم تحصل إلاّ لعليّ عليه السّلام وحده، و اقسام أنّ هذا الكلام إذا تأمله اللّيب اقشعرّ جلده و رجف قلبه و استشعر عظمه الله العظيم في روعه و خلده و هام نحوه و غلب الوجد عليه و كاد أن يخرج من مسكه شوقا و أن يفارق هيكله صبابه و وجدا.

إذا عرفت ذلك فلنعد إلى شرح كلامه عليه السّلام فأقول: قال عليه السّلام (ثمّ خلق سبحانه لإمكان سماواته و عماره الصّفيح الأعلى من ملكوته خلقا بديعا من ملائكته) ظاهر كلمه ثمّ المفيد للترتيب الحقيقي كون خلق الملائكة بعد خلقه السّماوات، و يدلّ عليه أخبار كثيره إلاّ أنّ في بعض الروايات سبق خلقه الملائكة على خلقه السّماوات، و يمكن الجمع بالتخصيص ههنا بسكان السّماوات الذين لا يفارقونها، و المراد بالصّفيح الأعلى سطح كلّ سماء، و يقابله الصّفيح الأسفل الذي هو الأرض، و يظهر من ذلك عدم تلاصق السّماوات على ما ذهب إليه الفلاسفه من غير دليل يعتمد عليه.

و أمّا ما في شرح البحراني من أنّه يحتمل أن يشير عليه السّلام بالصّفيح الأعلى إلى الفلك التاسع و هو العرش لكونه أعظم الأجرام و أعلاها و سكانه الملائكة المدبرون له، فمبنيّ على اصول الفلاسفه مخالف للأخبار و كلام أهل اللغه حسبما عرفت آنفا في ترجمه لفظ الصّفيح، و مخالف أيضا لظاهر قوله عليه السّلام (فملاؤهم فروج فجاجها و حشابههم فتوق أجوائها) إذ الاستفادة من ذلك أنّ ما بين السّماوات مملؤه بهم فيكون السّطوح المحدّبه منها محلّ إسكان الملائكة و مكان عبادتهم لله سبحانه

بأنواع العبادة و يستفاد منه أيضا تجسم الملائكة و هو المستفاد من الأخبار المتواتره معنى.

و العجب أنّ شارح البحرانى أوّل ذلك أيضا بناء على الاصول الفاسده بأنه عليه السّلام استعار لفظ الفروج و الفجاج و الفتوق لما يتصوّر بين أجزاء الفلك من التباين لولد الملائكة الذين هم أرواح الأفلاك و بها قام وجودها، و بقاء جواهرها محفوظه بها، و وجه المشابهه ظاهر، و رشح تلك الاستعاره بذكر الملاء و الحشو، و أما فجاجها و فروجها فإشاره إلى ما يعقل بين أجزاءها و أجوائها المنتظمه على التباس لو لا- الناظم لها بوجود الملائكه، فيكون حشو تلك الفرج بالملائكه كناية عن نظامها بوجودها و جعلها مدبره لها انتهى.

و قد مضى فساد ذلك و بطلانه فى شرح الفصل التاسع من فصول الخطبه الأولى فتذكّر (و بين فجوات تلك الفروج) و متسعاتها (زجل المسّبحين منهم) و أصواتهم الرفيعه العالیه بالتصرّع و الابتهاج و المسكنه (فى حظائر القدس و سترات الحجب و سرادقات المجد) لعلّ المراد بها المواضع المعدّه لعباده الملائكه بين أطباق السّماوات و وصفها بالقدس من حيث اتصافها بالطهاره و النزاهه من الأدناس و الأرجاس و يمكن أن يكون الاشاره بها إلى ما فوق السماء السابعة من الحجب و السّرادقات النورانيه.

ففى الخبر أنّ ما فوق السماء السابعة صحارى من نور، و لا يعلم فوق ذلك إلاّ الله.

و عن وهب بن منبه فوق السّماوات حجب فيها ملائكه لا- يعرف بعضهم بعضا لكثرتهم يسبحون الله تعالى بلغات مختلفه و أصوات كالزّعد العاصف، هذا.

و قد أشار عليه السّلام إلى تفصيل الحجب و السّرادقات فيما رواه الصّدوق فى التوحيد باسناده عن زيد بن وهب قال: سئل أمير المؤمنين عليه السّلام عن الحجب، فقال عليه السّلام:

أوّل الحجب سبعة غلظ كلّ حجاب منها مسيره خمسمائه عام و بين كلّ حجابين مسيره خمسمائه عام، و الحجاب الثانى سبعون حجابا بين كلّ حجابين مسيره خمسمائه

عام و طولہ خمسائہ عام حجیہ کلّ حجاب منها سبعون ألف ملك قوّہ كلّ ملك منهم قوّہ الثقلين، منها ظلمہ، و منها نور، و منها نار، و منها دخان، و منها سحب، و منها برق، و منها مطر، و منها رعد، و منها ضوء، و منها رمل، و منها جبل، و منها عجاج، و منها ماء، و منها أنهار، و هي حجب مختلفه غلظ كلّ حجاب مسيره سبعين ألف عام.

ثمّ سرادقات الجلال و هي ستون «سبعون» سرادقا في كلّ سرادق سبعون ألف ملك بين كلّ سرادق و سرادق مسيره خمسائہ عام، ثمّ سرادقات العزّ، ثمّ سرادق الكبرياء، ثمّ سرادق العظمه، ثمّ سرادق القدس، ثمّ سرادق الجبروت، ثمّ سرادق الفخر، ثمّ سرادق النور الأبيض، ثمّ سرادق الوجدانيه، و هو مسيره سبعين ألف عام في سبعين ألف عام، ثمّ الحجاب الأعلى و انقضی كلامه عليه السّلام و سكت، فقال له عمر: لا بقيت ليوم لا أراك فيه يا أبا الحسن.

قال المجلسي (ره) بعد روايه ذلك في البحار: قوله عليه السّلام: منها ظلمه، لعلّ المراد من مطلق الحجب لا من الحجب المتقدّمه كما يدلّ عليه قوله غلظ كلّ حجاب اه (و وراء ذلك الرجيج الذي تستكّ منه الأسماع) و الزجل الذي تنسدّ منه الآذان (سبحات نور تردع الأبصار عن بلوغها) و تمنع الأعين عن وصولها لشده ضيائها و فرط بهائها (فتقف) الأبصار (خاسئه) حسيه (على حدودها) أي حدود تلك السبحات، و يستفاد من شرح المعتزلي رجوع الضمير إلى الأبصار، قال: أي تقف حيث تنتهي قوتها، لأنّ قوتها متناهيه فاذا بلغت حدّها وقفت هذا.

و المراد بسبحات النور إما الأنوار التي تغطي العرش.

و يدلّ عليه ما روى عن ميسره قال: لا تستطيع الملائكه الذين يحملون العرش أن ينظروا إلى ما فوقهم من شعاع النور.

و عن زاذان قال: حمله العرش أرجلهم في التخوم لا يستطيعون أن يرفعوا أبصارهم من شعاع النور.

و في حديث المعراج قال: و رأيت في عليين بحارا و أنوارا و حجبا و غيرها

لو لا تلك لاحترق كل ما تحت العرش من نور العرش، و إنما حجب النور التي دون العرش، و يؤيده ما فى الحديث أن جبرئيل عليه السلام قال لله سبحانه: دون العرش سبعون حجابا لو دوننا من أحدها لاحترقتنا سبحات وجه ربنا، و فى حديث آخر من طرق المخالفين حجاب النور و النار لو كشفه لأحرق سبحات وجه كل شيء أدركه بصره.

و قال الشارح البحرانى (ره) أشار عليه السلام بسبحات النور التي وراء ذلك الرجح إلى جلال وجه الله و عظمتة و تنزيهه أن يصل إليه أبصار البصائر، و تبه بكون ذلك وراء رجحهم على أن معارفهم لا تتعلق به كما هو، بل وراء علومهم و عباداتهم أطوار اخرى من جلاله تقصر معارفهم عنها و تردع أبصار البصائر عن ادراكها فترجع حسيه متحيره واقفه عند حدودها و غاياتها من الادراك.

أقول: و هو لا ينافى ما ذكرناه إذ ما ذكرته تفسير للظاهر و ما ذكره الشارح تأويل للباطن، و قد تقدم فى شرح الخطبه التي قبل هذه الخطبه (1) ما ينفك ذكره فى هذا المقام (أنشأهم على صور مختلفات و أقدار متفاوتات اولى أجنحه تسبح جلال عزته) قال الشارح البحرانى اختلاف صورهم كناية عن اختلافهم بالحقايق و تفاوت أقدارهم تفاوت مراتبهم فى الكمال و القرب منه، و لفظ الاجنحه مستعار لقواهم التي بها حصلوا على المعارف الالهيه و تفاوتها بالزياده و النقصان كما قال تعالى:

«أُولَىٰ أَجْنَحِهِ مَثْنَىٰ وَ ثَلَاثَ وَ رُبَاعَ» كناية عن تفاوت ادراكهم لجلال الله و علومهم بما ينبغى له، و لذلك جعل الأجنحه هي التي تسبح جلال عزته فإن علمهم بجلاله منزّه عما لا ينبغى لكرم وجهه و لا يناسب جلال عزته.

أقول: تسليط يد التأويل على الظواهر من غير دليل هدم لأساس الشريعة و حمل اللفظ على المجازات إنما هو عند تعذر إرادته الحقيقه، و اما مع إمكانها

ص: ٣٨٠

١- (١) و هي المصدره بقوله: الحمد لله المعروف من غير رؤيه، منه

و دلالة الدليل عليها فهو خلاف السيره المستمره مناف لمقتضى الاصول اللفظيه المتداوله بين أهل اللسان من العرب و من حذاذوهم من علماء الاصول و الأدب.

بل المراد انشاءهم على صور مختلفه و أشكال متشبهه فبعضهم على صوره الانسان و بعضهم على صوره الحيوان من الأسد و الثور و الديك و غيرها من أصناف الحيوان على ما ورد فى الأخبار، و بعضهم أولى أجنحه مشنى و ثلاث و رباع يزيد سبحانه عليها ما يشاء على وفق حكمته و مقتضى تدبيره و إرادته.

و ايجادهم على أقدار متفاوته فى الصغر و الكبر و الطول و القصر، روى على ابن إبراهيم القمى (ره) فى تفسير قوله سبحانه:

«جَاعِلِ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا أُولَىٰ أَجْنِحَةٍ مَّثْنَىٰ وَثُلَاثَ وَرُبَاعًا» عن الصادق عليه السّلام أنه قال: خلق الله الملائكة مختلفين، و قد رأى رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم جبرئيل و له ستمائة جناح على ساقه الدر مثل القطر على البقل قد ملأ ما بين السماء و الأرض، و قال: إذا أمر الله ميكائيل بالهبوط إلى الدنيا صارت رجله اليمنى فى السماء السابعة و الأخرى فى الأرض السابعة، و أنّ لله ملائكة أنصافهم من برد و أنصافهم من نار يقولون: يا مؤلفا بين البرد و النار ثبت قلوبنا على طاعتك، و قال: إنّ الله ملكا بعد ما بين شحمه اذنه إلى عينه مسير خمسمائة عام بخفقان الطير، و قال عليه السّلام: إنّ الملائكة لا يأكلون و لا يشربون و لا ينكحون و إنما يعيشون بنسيم العرش و إنّ لله ملائكة ركعا إلى يوم القيامة و إنّ لله ملائكة سجدا إلى يوم القيامة ثم قال أبو عبد الله عليه السّلام ما من شىء ممّا خلق الله أكثر من الملائكة و أنّه ليهبط فى كلّ يوم أو فى كلّ ليلة سبعون ألف ملك فيأتون البيت الحرام فيطوفون به ثم يأتون رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم ثم يأتون أمير المؤمنين عليه السّلام فيسلمون عليه ثم يأتون الحسين عليه السّلام فيقيمون عنده، فاذا كان وقت السحر وضع لهم معراج إلى السماء ثم لا يعودون أبدا.

و فى التوحيد بإسناده عن زيد بن وهب قال: سئل أمير المؤمنين على بن

أبى طالب عليه السلام عن قدره الله جلت عظمته، فقام خطيباً فحمد الله و أثنا عليه ثم قال:

إنَّ الله تبارك و تعالی ملائكه لو أنّ ملكاً منهم هبط إلى الأرض ما وسعته لعظمه خلقتة و كثره أجنحته، و منهم من لو كلفت الجنّ و الانس أن يصفوه ما و صفوه لبعده ما بين مفاصله و حسن تركيب صورته، و كيف يوصف من ملائكته من سبعمائه عام ما بين منكبیه و شحمه اذنيه، و منهم من يسدّ الافق بجناح من أجنحته دون عظم بدنه، و منهم من السّماوات إلى حجزته (١)، و منهم من قدمه على غير قرار في جوّ الهواء الأسفل و الأرضون إلى ركبتیه، و منهم من لو ألقى في نقره ابهامه جميع المياه لوسعتها، و منهم من لو القيت السفن في دموع عينه لجرت دهر الداهرين فتبارك الله أحسن الخالقين.

و فيه بإسناده عن ابن عباس عن النبي صلّى الله عليه و آله و سلّم قال: إنّ لله تبارك و تعالی ديكا رجلاه في تخوم الأرض السّابعة و رأسه عند (٢) العرش ثانی عنقه تحت العرش «إلى أن قال:» و لذلك الديك جناحان إذا نشرهما جاوز المشرق و المغرب، فإذا كان في آخر الليل نشر جناحيه و خفق بهما و صرخ بالتسييح يقول: سبحان الملك القدّوس الكبير المتعال لا إله إلاّ الله الحيّ القيوم، فإذا فعل ذلك سبّحت ديكه الأرض كلّها و خفقت بأجنحتها و أخذت في الصّراخ، فإذا سكن ذلك الديك في السّماء سكنت الديك في الأرض فإذا كان في بعض السحر نشر جناحيه فجاوز بهما المشرق و المغرب و خفق بهما و صرخ بالتسييح سبحان الله العظيم «سبحان خ» العزيز القهار سبحان الله ذی العرش المجید سبحان الله ربّ العرش الرّفيع، فإذا فعل ذلك سبّحت ديكه الأرض فإذا هاجت الديك في الأرض تجاوبه بالتسييح و التقديس لله عزّ و جلّ و لذلك الديك ريش أبيض كأشدّ بياض رأيته قطّ و له زعبا (٣) خضر تحت ريشه الأبيض كأشدّ خضره رأيتها قطّ فما زلت مشتاقا إلى أن أنظر إلى ريش ذلك الديك.

ص: ٣٨٢

١- (١) الحجزه معقد الازار

٢- (٢) ثانی عنقه ای عاطف و ملتو لعنقه، منه

٣- (٣) الزعب شعيرات صفر على ريش الفرخ، منه

و بهذا الإسناد عن النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ وَ سَلَّمَ قَالَ: إِنَّ لِلَّهِ تَبَارَكَ وَ تَعَالَى مَلَكًا مِنْ الْمَلَائِكَةِ نَصَفَ جَسَدَهُ الْأَعْلَى نَارًا وَ نَصَفَهُ الْأَسْفَلَ ثَلْجًا، فَلَا النَّارُ تَذِيبُ الثَّلْجَ وَ لَا الثَّلْجُ تَطْفِئُ النَّارَ وَ هُوَ قَائِمٌ ينادى بصوت رفيع: سبحان الله الذي كَفَّ حَرَّ هَذِهِ النَّارِ فَلَا يَذِيبُ الثَّلْجَ وَ كَفَّ بَرْدَ هَذَا الثَّلْجِ فَلَا يَطْفِئُ حَرَّ النَّارِ اللَّهُمَّ يَا مَوْلَانَا بَيْنَ الثَّلْجِ وَ النَّارِ أَلْفَ بَيْنَ قُلُوبِ عِبَادِكَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى طَاعَتِكَ هَذَا.

و بقى الكلام فى قوله عليه السَّلام اولى أجنحه تسبح جلال عزته، فأقول: إن كان تسبح بالتخفيف و الخلال بالخاء المعجمه فالمراد سباحتهم و سيرهم فى اطباق السَّمَاوَاتِ وَ فَوْقَهَا أَوْ نَزُولَهُمْ وَ صُعُودَهُمْ لِأَدَاءِ الرِّسَالَاتِ وَ غَيْرِهَا أَوْ سِيرَهُمْ فى مراتب القرب بالعباده و التسييح.

و أمّا على روايه التشديد و كون الجلال بالجيم فالجمله إما صفة لاولى أجنحه فالتأنيث باعتبار الجماعه و المقصود أنهم يسبحونه و يقَدِّسون جلاله و عظمته و عزّته و قوّته سبحانه من النقائص.

و إمّا صفة لأجنحه فالمقصود بالتسييح إمّا التنزيه و التقديس بلسان الحال إذ كلّ جناح من اجنحتهم بل كلّ ذرّه من ذرّات وجودهم ناطقه بلسان حالها شارحه لعظمه بارئها و مبدعها، برهان صدق على قدرته و قوّته و كماله، و دليل متين على تدبيره و حكمته و جلاله، و هذا عام لجميع الملائكه.

و إمّا التنزيه بلسان المقال و هو مخصوص ببعض الملائكه.

و يشهد به ما رواه فى التوحيد باسناده عن ابن عباس عن النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ وَ سَلَّمَ قَالَ:

إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَ تَعَالَى مَلَائِكُهُ لَيْسَ شَيْءٌ مِنْ أَطْبَاقِ أَجْسَادِهِمْ إِلَّا وَ هُوَ يَسْبِحُ اللَّهَ عَزَّ وَ جَلَّ وَ يَحْمَدُهُ مِنْ نَاحِيهِ بِأَصْوَاتٍ مُخْتَلِفَةٍ لَا يَرْفَعُونَ رُؤُوسَهُمْ إِلَى السَّمَاءِ وَ لَا يَخْفِضُونَهَا إِلَى أَقْدَامِهِمْ مِنَ الْبُكَاءِ وَ الْخَشْيَةِ لِلَّهِ عَزَّ وَ جَلَّ.

و عن جميل بن درّاج قال: سألت أبا عبد الله عليه السَّلام هل فى السماء بحار؟ قال عليه السَّلام: نعم أخبرنى أبى عن أبيه عن جدّه عليهم السَّلام قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ وَ سَلَّمَ: إِنَّ فى

السموات السبع لبحارا عمق أحدها مسيره خمسمائه عام فيها ملائكه قيام منذ خلقهم الله عزّ وجلّ و الماء إلى ركبهم ليس فيهم ملك إلاّ- و له ألف و أربع مائه جناح في كلّ جناح أربعة وجوه في كلّ وجوه «وجه خ» أربعة ألسن ليس فيها جناح و لا وجه و لا لسان و لا فم إلاّ و هو يسبح الله عزّ وجلّ بتسبيح لا يشبه نوع منه صاحبه، و الله أعلم بحقايق ملكه و ملكوته، و آثار جلاله و جبروته.

ثمّ وصف عليه السّلام الملائكه بأنهم (لا يتحلون ما ظهر في الخلق من صنعه و لا يدعون أنهم يخلقون شيئا معه مما انفرد به) أى لا يدعون الرّبوبيه لأنفسهم كما يدعيه البشر لهم و لأنفسهم فالقره الأولى لنفى ادعاء الاستبداد و الثانيه لنفى ادعاء المشاركه أو الاولى لنفى ادعائهم الخالقيه فيما هم و سايط وجوده و لهم مدخل فيه بأمره سبحانه و الثانيه لنفى ذلك فيما خلقه الله سبحانه بمجرد أمره من دون توسط الوسائل (بل) هم (عباد مكرمون لا يسبقونه بالقول و هم بأمره يعملون) و هو اقتباس من قوله سبحانه في سورة الأنبياء.

«وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ» الآية قيل: نزلت في خزاعه حيث قالت: الملائكه بنات الله، فنزه الله سبحانه نفسه عن ذلك و قال سبحانه أنفه له: بل هؤلاء الذين زعموا أنهم ولد الله ليسوا أولاده، بل هم عباد مكرمون أكرمهم الله و اصطفاهم لا- يسبقونه بالقول و لا- يتكلمون إلاّ- بما يأمرهم به ربّهم، فكلّ أقوالهم طاعه لربّهم و يكفي بذلك جلاله قدرهم، و هم بأمره يعملون، و من كان بهذه الصفه لا يوصف بأنه ولد.

(جعلهم) الله (فيما هنالك أهل الأمانه على وحيه، و حملهم إلى المرسلين ودايع أمره و نهيه) لعلّ هذا الوصف مختصّ ببعض الملائكه و يشهد به قوله سبحانه «اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا»

و يكفى للنسبه إلى الجميع كون بعضهم كذلك و ما هنالك عباره عن مراتب الملائكه و يدلّ على الاختصاص بالبعض أيضا قوله عليه السلام فى الفصل التاسع من الخطبه الأولى:

و منهم امناء على وحيه و ألسنه إلى رسله و مختلفون بقضائه و أمره، و قد تقدّم فى شرح ذلك الفصل ما ينفعك ذكره فى المقام و بينا ثمّه وجه الحاجه فى أداء الامانه إلى وجود الواسطه من الملائكه و أشرنا إلى جهه وصفهم بالامانه.

و محصّيه أنّه لما كان ذو الامانه هو الحافظ لما ائتمن عليه ليؤدّيه إلى مستحقّه و كانت الرّسالات النازله بواسطه الملائكه نازله كما هى محفوظه عن الخلل الصادر عن سهو لعدم أسباب السهو هناك أو عن عمد لعدم الدّاعى إليه لقوله تعالى:

«يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ وَ يَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ» صدق أنهم أهل الامانه على وحيه و رسالاته (و عصمهم من ريب الشبهات فما منهم زائع عن سبيل مرضاته) هذا الوصف عام لجميع الملائكه لأنهم معصومون من الشكّ و الاشتباه الناشى من معارضه النفس الأماره للقوّه العاقله إذ ليس لهم هذه النفس فلا يتصوّر فى حقّهم العدول عن سبيل رضوان الله و الانحراف عن القصد لانتفاء سببه الذى هو وجود هذه النفوس.

(و أمدهم بفوائد المعونه و أشعر قلوبهم تواضع اخبات السيّكينه) لعلّ المراد أنّه سبحانه أعطاهم المدد و القوّه و أيدهم بأسباب الطاعات و القربات و الألفاف و المعارف الصّارفه لهم عن المعصيه و أنه ألزم قلوبهم التواضع و الذلّه و الخضوع و الاستكانه لزوم الشعار للجسد أو أنه أعلمهم ذلك، و محصّيه عدم انفكاكهم عن الخوف و الخشوع و قد مرّ بعض الأخبار فيه فى شرح الفصل التاسع من الخطبه الاولى.

(و فتح لهم أبوابا ذللا- إلى تماجيده) أى فتح لهم أبوابا سهله إلى تعظيماته و الثناء عليه، و الجمع باعتبار أنواع التحيات و فتح الأبواب كناية عن إلهامها

عليهم و تسهيلها لهم لعدم معارضه شيطان أو نفس أماره بالسوء، بل خلقهم خلقه يلتذون بها كما ورد: أن شرابهم التسيح و طعامهم التقديس.

(و نصب لهم منارا واضحه على أعلام توحيده) استعار لفظ الأعلام لأدله التوحيد و براهين التفريد و وجه المشابهه ايصال كل منهما إلى المطلوب، و لعله أراد بالمنار الواضحه المنصوبه على تلك الأعلام ما يوجب لهم الاهتداء إلى تلك الأدله من الوحي و الالهام.

و ربما قيل في شرح ذلك: إنه استعار المنار الواضحه للوسائط من الملائكه المقربين بينهم و بين الحق سبحانه إذ إخباره عن الملائكه السجاويه و لفظ الاعلام لصور المعقولات في ذواتهم المستلزمه لتوحيده و تنزيهه عن الكثره، و وجه المشابهه أن المنار و الأعلام كما يكون وسائط في حصول العلم بالمطلوب كذلك الملائكه المقربون و المعارف الحاصله بواسطتهم يكون وسائط في الوصول إلى المطلوب الأول محرّك الكل عز سلطانة، و هو قريب مما قلناه إلا أن ما قلناه أظهروا أشبه هذا.

و أما توصيف المنار بوصف الوضوح فمن أجل وفور أسباب الهدايه و كثره الدلائل في حقهم لقربهم من سياحه عزته و ملكوته و مشاهدتهم ما يخفى علينا من آثار ملكه و جبروته.

(لم تثقلهم موصرات الآثام) أي مثقلاتها و أشار عليه السلام بذلك إلى عصمتهم من المعاصي لعدم خلق الشهوات فيهم و انتفاء النفس الاماره الداعيه إلى المعصيه (و لم ترتحلهم عقب الليالي و الأيام) أي لم يزعجهم تعاقبهما و لم يوجب رحيلهم عن دارهم، و المقصود تنزيههم عما يعرض للبشر من ضعف القوى أو القرب من الموت بكرور الليالي و مرور الأيام.

(و لم ترم الشكوك بنوازعها عزيمة ايمانهم) عزيمة ايمانهم ما لزم ذواتهم من التصديق بمبدعهم و ما ينبغي له، و المراد أنه لم ترم الشكوك بمحركاتها و هي شهواتها ما عزموا عليه من الايمان و التصديق، هذا على روايه نوازعها بالعين المهمله

و أما على روايتها بالغين المعجمه فالمقصود عدم انبعاث نفوسهم الأماره بالشكوكات و الشبهات و القائها الخواطر الفاسده إلى أنفسهم المطمئنه.

(و لم تعترك الظنون على معاهد يقينهم) المراد بالظنّ إمّا الاعتقاد الراجح غير الجازم أو الشكّ أو ما يشملهما، و لعلّ الأخير أظهر هنا، فالمقصود نفى ازدحام الظنون و الأوهام على قلوبهم التي هي معاهد عقائدهم اليقينيّه (و لا قدحت قاده الاحن فيما بينهم) أي لا- تثير الأحقاد و العداوات بينهم فتنه كما تثير النار قادحتها لتنزهم من القوّه الغضبيّه (و لا سلبتهم الحيره ما لاق من معرفته بضمائرهم و سكن من عظمته و هيبه جلاله في أثناء صدورهم) لَمّا كان الحيره عباره عن عدم الاهتداء إلى وجه الصواب من حيث تردّد العقل في أنّ أيّ الأمرين أولى بالطلب و الاختيار، و كان منشأ ذلك معارضه الوهم و الخيال للعقل و لم يكن لهم و هم و لا خيال، لا جرم لا حيره تخالط عقايدهم و تزيل هيبه عظمته من صدورهم.

قال المجلسي (ره): و يحتمل أن يكون المراد بالحيره الوله لشده الحبّ و كمال المعرفه كما سيأتي، فالمعنى أنّ شده و لهم لا يوجب نقصا في معرفتهم و غفله عن ملاحظه العظمه و الجلال كما في البشر، و على هذا فالسلب في كلامه عليه السلام راجع إلى المحمول كما أنه على ما قلناه راجع إلى الموضوع (و لم تطمع فيهم الوسوس فتتزعج برينها على فكرهم) أي لم تطمع فيهم الوسوس الشيطانيه و النفسانيه فتتناوب أو تضرب بأدناسها على قلوبهم، و الغرض نفى عروض الوسوس على عقولهم كما تعرض للبشر لانتفاء أسبابها في حقهم.

(منهم) أي من مطلق الملائكه (من هو في خلق الغمام الدّلع) أي السحاب الثقيله بالمطر، و المراد بذلك الصّيف هم المّدين مكانهم السحاب و هم خزّان المطر و زواجر السحاب المشار إليهم بقوله سبحانه: و الزاجرات زجرا قال ابن عباس: يعنى الملائكه الموكّلين بالسحاب فيشمل لمشيعى الثلج و البرد و الهابطين مع قطر المطر إذا نزل و إن كان السحاب مكانهم قبل التّزول قال سيّد

السَّاجِدِينَ عَلَيْهِ السَّلَامَ فِي دَعَائِهِ فِي الصَّيْلَاءِ عَلَى حَمَلِهِ الْعَرْشِ وَ سَائِرِ الْمَلَائِكَةِ مِنَ الصَّحِيفَةِ الْكَامِلَةِ: وَ خَزَانَ الْمَطْرُوزِ وَاجِرِ السَّحَابِ وَ الَّذِي بِصَوْتِ زَجْرِهِ يَسْمَعُ زَجْلَ الرَّعُودِ وَ إِذَا سَبَحَتْ بِهِ حَفِيفَةُ السَّحَابِ التَّمَعَّتْ صَوَاعِقُ الْبُرُوقِ وَ مَشِيعَى الثَّلْجِ وَ الْبَرْدِ وَ الْهَابِطِينَ مَعَ قَطْرِ الْمَطَرِ إِذَا نَزَلَ، هَذَا.

وَ يَحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ الْمَقْصُودُ تَشْبِيهِهُمْ فِي لَطَافِهِ الْجِسْمِ بِالسَّحَابِ، فَيَكُونُ الْمَعْنَى أَنَّهُمْ فِي الْخَلْقِ مِثْلَ خَلْقِ الْغَمَامِ.

وَ كَذَلِكَ قَوْلُهُ عَلَيْهِ السَّلَامَ (وَ فِي عَظْمِ الْجِبَالِ الشَّمَخُ) يَحْتَمَلُ أَنْ يَرَادَ بِهِ الْمَلَائِكَةُ الْمَوْكُولُونَ بِالْجِبَالِ لِلْحِفْظِ وَ سَائِرِ الْمَصَالِحِ، وَ أَنْ يَرَادَ بِهِ تَشْبِيهِهُمْ بِالْجِبَالِ فِي عَظْمَةِ الْخَلْقِ.

وَ هَكَذَا قَوْلُهُ (وَ فِي قَتْرِ الظَّلَامِ الْإِيهِمْ) مُحْتَمَلٌ لِأَنَّ يَرَادَ بِهِ الْمَلَائِكَةَ السَّاكِنُونَ فِي الظُّلُمَاتِ لِهَدَايِهِ الْخَلْقَ وَ حِفْظِهِمْ أَوْ غَيْرِ ذَلِكَ، وَ لِأَنَّ يَرَادَ بِهِ تَشْبِيهِهُمْ فِي السَّوَادِ بِالظُّلْمَةِ.

(وَ مِنْهُمْ مَنْ قَدْ خَرَقَتْ أَقْدَامُهُمْ تَخُومَ الْأَرْضِ السُّفْلَى، فَهِيَ كَرَائِيَاتٍ بِيضٍ قَدْ نَفَذَتْ فِي مَخَارِقِ الْهَوَاءِ وَ تَحْتَهَا رِيحٌ هَفَّافَةٌ تَحْسِبُهَا عَلَى حَيْثُ انْتَهَتْ مِنَ الْحُدُودِ الْمُتَنَاهِيَةِ) لَعَلَّ الْمُرَادَ بِهِمُ الْمَلَائِكَةُ الْمَوْكُولُونَ بِالْأَرْضِ يَقُولُ عَلَيْهِ السَّلَامُ: إِنَّهُمْ قَدْ خَرَقَتْ أَقْدَامُهُمْ حُدُودَ الْأَرْضِ السُّفْلَى وَ مَعَالِمَهَا وَ أَقْدَامُهُمْ بِمَنْزِلَةِ أَعْلَامٍ بِيضٍ قَدْ نَفَذَتْ فِي مَخَارِقِ الْهَوَاءِ، وَ أَرَادَ بِهَا الْمَوَاضِعَ الَّتِي تَمَكَّنْتَ فِيهَا تِلْكَ الْأَعْلَامُ بِخَرَقِ الْهَوَاءِ، وَ تَحْتَ هَذِهِ الْأَعْلَامِ رِيحٌ طَيِّبَةٌ سَاكِنَةٌ أَيْ لَيْسَتْ بِمُضْطَرِبَةٍ فَتَمُوجُ تِلْكَ الرِّيَّاتُ تَحْسِبُهَا حَيْثُ انْتَهَتْ هَذَا.

وَ قَالَ الشَّارِحُ الْبِحْرَانِيُّ: يَشْبَهُ أَنْ يَكُونَ هَذَا الْقِسْمُ مِنَ الْمَلَائِكَةِ السَّيْمَاوِيَةِ أَيْضًا وَ اسْتِعَارَ لَفْظَ الْأَقْدَامِ لِعُلُومِهِمُ الْمَحِيطَةَ بِأَقْطَارِ الْأَرْضِ السُّفْلَى وَ نَهَائِيَّاتِهَا، وَجِهَ الشَّبَهَ كَوْنِ الْعُلُومِ قَاطِعَةً لِلْمَعْلُومِ وَ سَارِيَةً فِيهِ وَاصِلَةً إِلَى نَهَائِيَّتِهِ كَمَا أَنَّ الْأَقْدَامَ تَقْطَعُ الطَّرِيقَ وَ تَصِلُ إِلَى الْغَايَةِ مِنْهَا.

وَ تَشْبِيهِهَا بِالرِّيَّاتِ الْبِيضِ مِنْ وَجْهَيْنِ أَحَدُهُمَا فِي الْبِيضِ لِأَنَّ الْبِيضَ لَمَّا اسْتَلْزَمَ

الصِّفاء عن الكدر و السّواد كذلك علومهم صافيه عن كدورات الباطل و ظلمات الشبه، الثاني في نفوذها في أجزاء المعلوم كما تنفذ الرّايات في الهواء، و أشار بالريح التي تحبس الاقدام الى حكمه الله التي اعطت كلاً ما يستحقّه و قصرت كلّ موجود على حدّه و بهفوفها الى لطف تصرّفها و جريانها في المصنوعات.

أقول: و لا بأس به و إن كان خروجاً عن الظاهر.

ثمّ أشار إلى استغراقهم في العباده و ثباتهم في المعرفة و المحبّه بقوله: (قد استفرغتهم أشغال عبادته) أي جعلتهم فارغين عن غيرها (و وصلت حقايق الايمان بينهم و بين معرفته) أراد بحقايق الايمان العقائد اليقينيّه تحقّق أن تسمّى إيماناً أو البراهين الموجبه له، و كونها وصله بينهم و بين معرفته من حيث إنّ التصديق بوجود الشّيء الواجب تحصيله أقوى الأسباب الباعثه على طلبه فصار الايمان و التصديق الحق بوجوده جامع بينهم و بين معرفته و وسيله لهم إليه.

(و قطعهم الايقان به الى الوله إليه) أي صرفهم اليقين بوجوب وجوده عن التوجه و الالتفات إلى غيره إلى و لهم إليه و تحيّرهم من شدّه الوجد (و لم تجاوز رغباتهم ما عنده إلى ما عند غيره) أي رغباتهم مقصوره على ما عنده سبحانه من قربه و ثوابه و كرمه، فانه منتهى رغبه الراغبين و هو غايه قصد الطالبين.

(قد ذاقوا حلاوه معرفته) استعار عليه السّلام لفظ الدّوق لتعقّلاتهم و رشّحه بذكر الحلاوه و كنى بها عن كمال ما يجدونه من اللذّه بمعرفته كما يلتذّ ذايق الحلاوه بها (و شربوا بالكأس الرّويه من محبّته) استعار لفظ الشرب لما تمكن في ذواتهم من كمال المحبّه و رشّحه بذكر الكأس الرّويه أي من شأنها أن تروى و تزيل العطش (و تمكنت من سويداء قلوبهم و شيجه خيفته) لما كان كمال استقرار العوارض القلبيّه من الحبّ و الخوف و نحوهما عباره عن بلوغها إلى سويداء القلب و تمكّنها فيها عبّر عليه السّلام بها مبالغه و أشار عليه السّلام بوشيجه خيفته إلى جهات الخوف المتشعبه في ذواتهم الناشئه من زياده معرفتهم بعزّته و قدرته و مقهوريّتهم تحت قوّته.

(فحنوا بطول الطاعه اعتدال ظهورهم) أي عوّجوا ظهورهم المعتدله المستقيمه بطاعاتهم الطويله، و هو كناية عن كمال خضوعهم.

(و لم ينفذ طول الرغبه إليه مادّه تضرّعهم) أراد به عدم إفناء طول رغبتهم إليه دواعى تضرّعهم له سبحانه كما فى البشر فإنّ أحدنا إذا كان له رغبه فى أمر و أراد الوصول إليه من عند أحد تضرّع إليه و ابتهل و إذا طال رغبته و لم ينل إلى مطلوبه حصل له الملل و الكلال انقطع دواعى نفسه و ميول قلبه و ينعدم ما كان سببا لتضرّعه و ابتهاله، و لَمّا كان الملل و الكلال من عوارض المركبات العنصريه و كانت الملائكه السماويه منزّهه عنها لا جرم حسن سلبها عنهم.

(و لا- اطلق عنهم عظيم الزلفه ربّ خشوعهم) لما كان من شأن مقرّبى الملوك و السّلاطين أنّهم كلّما ازداد زلفاهم و قرباهم إليهم انتقص خضوعهم و خشوعهم و تواضعهم من أجل أنّه يخفّ هيبتهم و سطوتهم فى نظرهم لكونهم بشرا مثلهم و لم يكن كذلك حال من كان مقرّبى الحضرة الرّبوبيّه بل هم كلّما ازدادوا قربا ازدادوا خشوعا من حيث عدم انتهاء السّلطنه الألهيه و عدم انتهاء مراتب العرفان و اليقين الدّاعيين إلى التضرّع و العباده و عدم وقوفها على حدّ، لا جرم لم يطلق عظم قربهم أعناق ذلّهم عن ربّقه الابتهاال، فهم بقدر صعودهم فى مدارج الطاعه يزداد قربهم، و كلّما ازداد قربهم تضاعف علمهم بعظمتهم فيحصل بزياده العلم بالعظمه كمال الخشوع و الذلّه.

(و لم يتولهم الاعجاب فيستكثروا ما سلف منهم، و لا تركت لهم استكانه الاجلال نصيبا فى تعظيم حسناتهم) المراد بذلك نفى استيلاء العجب عليهم و الاشاره إلى أنّهم لا يستعظمون ما سلف منهم من العبادات، و لا يستكثرون ما تقدّم منهم من الطاعات، و أنّهم لم يترك لهم خضوعهم الناشى عن ملاحظه جلال الله و ولهم الناشى من شدّه المحبّه إليه نصيبا فى تعظيم الحسنات و حظا فى إعظام القربات، لأنّ منشأ العجب هو النّفس الأماره و هو من أحكام الأوهام و الملائكه السماويه مبرّؤون منها و منزّهون عنها.

(و لم تجر الفترات فيهم على طول دووبهم) يعنى أنّهم على طول جدّهم فى العباده لا يحصل لهم فتور و لا قصور، و قد مضى بيان ذلك فى شرح الفصل التاسع من الخطبه الاولى قال زين العابدين و سيّد السّاجدين عليه السّلام فى الصلاه على حملة العرش

اللَّهُمَّ و حملہ عرشک الذین لا یفترون عن تسیحک و لا یملون عن تقدیسک.

و العجب من الشارح البحرانی حیث قال فی شرح هذه الفقرة: قد ثبت أنّ الملائکة السّماویة دائمة التّحریک لأجرامها حرکه لا یتخلّلها سکون و لا یکلّها و یفتراها إعیاء و تعب، و لبيان ذلك بالبراهین اصول ممّهده فی مواضعها و اما بالقرآن فلقوله تعالى:

«يَسِيرُونَ اللَّيْلَ وَ النَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ» انتهى أقول: و هو تأويل من غير دليل مقبول مبتن على اصول الفلاسفة الجاعلين الملائكة بالنسبة إلى أجرام السّماء بمنزلة النفوس الناطقة بالنسبة إلى أبدان البشر القائلين بكونها مدبّره لأمرها كما أن النفوس مدبّره للأبدان، و هو مخالف للاصول الشّرعيه موجب لطرح ظواهر الأدلّه من الكتاب و السّنه، فالأولى الاعراض عنه و الرّجوع إلى ما قاله المفسّرون في تفسير الآيه الشريفه.

قال الطبرسي: أي ينزّهون الله عن جميع ما لا يليق بصفاته على الدّوام في اللّيل و النهار لا يضعفون عنه، قال كعب جعل لهم التسيح كما جعل لكم النّفس في السّهوله، و قيل: معنى لا يفترون لا يتخلل تسيحهم فتره أصلا بفراغ أو بشغل آخر، و اورد عليه أنّهم قد يشتغلون باللّعن كما قال تعالى:

«أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ» و اجيب بأنّ التسيح لهم كالتنفس لنا لا يمنعهم عنه الاشتغال بشيء آخر.

و اعترض بأنّ آله التّنفس لنا مغايره لآله التكلّم فهذا صحّ اجتماع التّنفس و التكلّم، و اجيب بأنّه لا يستبعد أن يكون لهم ألسن كثيره أو يكون المراد بعدم الفتره أنّهم لا يتركون التسيح في أوقاته اللّايقه به.

(و لم تغض رغباتهم فيخالفوا عن رجاء ربّهم) أي لم تنقص رغباتهم إلى ما عنده فيعدلوا عن الرّجاء إليه، و ذلك لأنّ أشواقهم إلى كمالاتهم دائمه و علمهم بعظمه خالقهم و بحاجتهم إليه و بأنّه مفيض الكمالات و واهب الخيرات لا يتطرّق

إليه نقص فلا ينقطع رجائهم عنه و لا يأسون من فضله.

(و لم تجفّ لطول المناجاه أسلّات ألسنتهم) أراد عليه السّلام به عدم عروض الفتور و الكلال عليهم فى مناجاتهم كما يعرض علينا و يجفّ ألسنتنا بسبب طول المناجاه (و لا- ملكتهم الأشغال فتقطع بهمس الجوار إليه أصواتهم) أى ليست لهم أشغال خارجه عن العباده حتّى تنقطع لأجلها أصواتهم بسبب خفاء تضرّعهم إليه، و بعباره اخرى ليست لهم أشغال خارجه فتكون لأجلها أصواتهم المرتفعه خافيه ساكنه.

(و لم يختلف فى مقاوم الطاعه مناكبهم) أى لم ينحرف مناكبهم أو لم يتقدّم بعضهم على بعض فى مقامات الطاعه و صفوف العباده (و لم يثنوا إلى راحه التقصير فى أمره رقابهم) يعنى لم يصرفوا رقابهم من أجل تعب العبادات و كثرتها إلى الرّاحه الحاصله باقلال العباده أو تركها بعد التّعب فيقصروا فى أوامره، و المقصود نفى اتصافهم بالتعب و الرّاحه لكونهما من عوارض الأجسام البشريّه و توابع المزاج الحيوانى.

(و لا- تعدو على عزيزه جدّهم بلاده الغفلات) المراد أنهم لا تغلب على عزيزتهم و جدّهم فى العباده بلاده و لا غفله لكونهما من عوارض هذا البدن (و لا تنتصل فى هممهم خدابع الشهوات) أى لا ترمى الشهوات بسهام خدابعها هممهم، و المقصود نفى توارد وساوس الشّهوات الصارفه عن العباده و تتابعها عنهم لبرائتهم من القوّه الشهويّه.

(قد اتّخذوا ذا العرش ذخيره ليوم فاقتهم) ذو العرش هو الله سبحانه كما فى غير واحده من الآيات القرآنيه، و المراد بيوم فاقتهم يوم حاجتهم و هو يوم قبض أرواحهم كما يظهر من بعض الأخبار.

قال المجلسىّ (ره) و لا يبعد أن يكون لهم نوع من الثّواب على طاعتهم بازدياد القرب و افاضه المعارف و ذكره سبحانه لهم و تعظيمه إزّاهم و غير ذلك، فيكون إشاره إلى يوم جزائهم (و يّمموه عند انقطاع الخلق إلى المخلوقين برغبتهم) أى قصدوه بتضرّعهم إليه سبحانه عند انصراف الخلق و انقطاعهم منه إلى المخلوقين

و يحتمل رجوع ضمير رغبتهم إلى الخلق و إليهم و إلى الملائكة على سبيل التنازع.

(لا- يقطعون أمد غايه عبادته) أراد أنه لا- يمكنهم الوصول إلى منتهى نهايه عبادته الذى هو عباره عن كمال معرفته، و ذلك لكون مراتب العرفان و درجاته غير متناهيه فلا يمكنهم قطعها (و لا يرجع بهم الاستهتار بلزوم طاعته إلا إلى موادّ من قلوبهم غير منقطعه من رجائه و مخافته) أى لا يرجعهم الولع بلزوم طاعته سبحانه إلا إلى موادّ ناشئه من قلوبهم غير منقطعه و هذه الموادّ هو رجائه و مخافته الباعثان لهم على لزوم طاعته، و الغرض إثبات دوام خوفهم و رجائهم الموجبين لعدم انفكاكهم عن الطاعه بل لزيادتها كما يشعر به لفظ الموادّ.

قال الشّارح البحرانى: لما كانوا غرقى فى محبّته عاليمين بكمال عظمته و أنّ ما يرجونه من جوده أشرف المطالب و أربح المكاسب و ما يخشى من انقطاع جوده و نزول حرمانه أعظم المهالك و المعاطب، لا جرم دام رجائهم له و خضوعهم فى رِقّ الحاجه إليه و الفزع من حرمانه، و كان ذلك الخوف و الرّجاء هو مادّه استهتارهم بلزوم طاعته التى يرجعون إليها من قلوبهم فلم ينقطع استهتارهم بلزومها.

(لم تنقطع أسباب الشفقّه منهم فينوا فى جدّهم) أى لم تنقطع أسباب الخوف منهم فيفتروا فى الجدّ فى العباده و أسباب الخوف هى حاجتهم إليه سبحانه و افتقارهم إلى إفاضته و جوده، فإنّ الحاجه الضّروريه إلى الغير فى مطلوب يستلزم الخوف منه فى عدم قضائه و يوجب الاقبال على الاستعداد بجوده بلزوم طاعته و القيام بوظايف عبادته.

(و لم يأسرهم الأطماع فيؤثروا وشييك السّعى على اجتهادهم) أى لم تجعلهم الأطماع اسراء و ليسوا مأسورين فى ريقه الطمع حتّى يختاروا السّعى القريب فى تحصيل المطموع من الدّنيا الفانيه على اجتهادهم الطويل فى تحصيل السّعاده الباقيه كما هو شأن البشر، و ذلك لكون الملائكة منزّهين عن الشهوات و ما يلزمها من الاطماع الكاذبه.

(و لم يستعظمو ما مضى من ذلك) قد مرّ معناه فى شرح قوله: و لم يتولهم الاعجاب آه و إنّما أعاد ذلك مع إغناء السابق عنه و كفايته فى الدلالة على نفى العجب للإشارة إلى دليله و هو قوله (و لو استعظمو ذلك لنسخ الرجاء منهم شفقات و جلهم) يعنى أنهم لو استعظمو سالف أعمالهم لأوجب ذلك اغترارهم و زياده رجائهم لثواب أعمالهم فيبطل ذلك و يزيل ما دات و جلهم و خوفهم، ألا ترى أن الانسان إذا عمل لبعض الملوك عملاً يستعظمه فانه يرى فى نفسه استحقاق أجزل جزاء له و يجد التّطاول به فيهون ذلك ما يجده من خوفه، و كلّما ازداد استعظامه لخدمته ازداد اعتقاده فى قربه من الملك قوّه و بمقدار ذلك ينقص خوفه و يقلّ هيئته فى نظره، لكن الملائكة خائفون دائماً لقوله سبحانه:

«وَهُمْ مِنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ» فينتج أنّهم لا يستعظمون سالف عباداتهم (و لم يختلفوا فى ربّهم باستحواذ الشيطان عليهم) أى لم يختلفوا فيه من حيث الاثبات و النفى أو التعيين أو الصّيفات كالتجرد و التجسيم و كيفيّة العلم و غير ذلك، و قيل: أى فى استحقاق كمال العبادة، و المقصود نفى الاختلاف عنهم باستيلاء الشيطان كما هو فى الانسان لأنّه:

«لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ وَالَّذِينَ هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ» (١) (و لم يفرقهم سوء التقاطع) و التعادى و ترك البرّ و الاحسان (و لا تولّاهم غلّ الحاسد) الناشى من النفس الاماره بالحقد و العدوان (و لا شغبتهم مصارف الرّيب) و وجوهات شكوك الأذهان (و لا اقتسمتهم أخياف الهمم) و اختلافاتها لانحصار همهم فى طاعه الله الرّحيم الرّحمن (فهم اسراء الايمان لم يفكهم من ربّقتهم زيغ) و جور (و لا عدول و لاونا) و وهن (و لا فتور)

ص: ٣٩٤

ثم أشار عليه السلام إلى كثرة الملائكة بقوله: (و ليس في أطباق السموات موضع اهاب) و جلد (إلا و عليه ملك ساجد) خاشع لربّه (أوساع) مسرع (حافد) في طاعه معبوده (يزدادون على طول الطاعه برّبهم علما) و يقينا (و تزداد عزّه ربّهم في قلوبهم عظما) و كمالا.

قال الشّارح البحراني: اعلم أنّ للسماء ملائكة مباشره لتحريكها، و ملائكة أعلى رتبه من اولئك هم الأمرون لهم بالتحريك، فيشبه أن يكون الاشاره بالساجدين منهم إلى الأمرين، و السجود كناية عن كمال عبادتهم كناية بالمستعار، و يكون الاشاره بالساعين المسرعين إلى المتولين للتحريك، فأما زيادتهم بطول طاعتهم علما برّبهم فلما ثبت أنّ حركاتهم إنما هو شوقيه للتشبه بملائكة أعلى رتبه منهم في كمالهم بالمعارف الالهيه و ظهور ما في ذواتهم بالقوّه إلى الفعل، و زياده عزّه ربّهم عندهم عظما بحسب زياده معرفتهم له تابعه لها.

أقول: و قد مضى الاشاره منّا إلى أنّ هذا كلّ مبنّى على الاصول الحكميّه و عدول عن طريق الشريعه النبويّه على صادعها آلاف الصّلاه و السّلام و التّحيّه و قدّمنا الأخبار المناسبه للمقام في شرح الفصل التّاسع من الخطبه الاولى فتذكّر

و ينبغي تذييل المقام بأمرين مهمّين:

أحدهما في عصمه الملائكة

و هو مذهب أصحابنا الاماميّه رضوان الله عليهم و عليه دلّت الآيات القرآنيّه و الأخبار الكثيره من طرفنا، و لنقتصر على روايه واحده، و هو:

ما رواه في الصّافي قال: قال الرّاوي: قلت لأبي محمّد عليه السّلام: فإنّ قوما عندنا يزعمون أنّ هاروت و ماروت ملكان اختارتهما الملائكة لما كثر عصيان بني آدم، و أنزلهما الله مع ثالث لهما إلى الدّنيا، و أنّهما افتتنا بالزّهره و أراد الزنا و شربا الخمر و قتلا النفس المحرّمه؛ و أنّ الله يعدّ بهما بابل، و أنّ السحره منهما يتعلّمون السّحر و أنّ الله مسح تلك المرأه هذا الكوكب الذي هو الزّهره.

ص: ٣٩٥

فقال الامام عليه السّلام: معاذ الله من ذلك إنّ ملائكة الله معصومون محفوظون من الكفر و القبائح بألطف الله تعالى قال الله فيهم:

«لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ» وقال: «وَلَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ عِنْدَهُ» يعنى الملائكة «لَا يَشِيءُ تَكْبُرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ» وقال فى الملائكة أيضا: «بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ» إلى قوله «مُشْفِقُونَ» و مثله فى البحار عن يوسف بن محمّد بن زياد و على بن محمّد بن سيّار عن أبيهما أنهما قالوا:

فقلنا للحسن أبى القائم عليهما السّلام: فإنّ قوما إلى آخر الخبر، و رواه أيضا فى الاحتجاج عن أبى محمّد العسكرى عليه السّلام مثله.

نعم فى بعض الرّوايات ما يدلّ على خلاف ذلك، و هو ما رواه على بن إبراهيم القمىّ (ره) عن أبيه عن الحسن بن محبوب عن على بن رثاب عن محمّد بن قيس عن أبى جعفر عليه السّلام قال: سأله عطا و نحن بمكّة عن هاروت و ماروت، فقال عليه السّلام: إنّ الملائكة كانوا ينزلون من السّماء إلى الأرض فى كلّ يوم و ليله يحفظون أعمال أوساط أهل الأرض من ولد آدم عليه السّلام و الجنّ و يسطرونها و يعرجون بها إلى السّماء قال: فضجّ أهل السّماء من معاصى أوساط أهل الأرض فتوامروا فيما بينهم ممّا يسمعون و يرون من افترائهم الكذب على الله تبارك و جرأتهم عليه و نزّهوا الله تعالى ممّا يقول فيه خلقه و يصفون، فقال طائفه من الملائكة: يا ربّنا ما تغضب مما يعمل خلقك فى أرضك و ممّا يصفون فيك الكذب و يقولون الزّور و يرتكبون المعاصى، و قد نهيتهم عنها، ثمّ أنت تحلم عنهم و هم فى قبضتك و قدرتك و خلال عافيتك، قال عليه السّلام: فأحبّ الله عزّ و جلّ أن يرى الملائكة سابق علمه فى جميع خلقه و يعرّفهم

ما منّ به عليهم ممّا عدل به عنهم من صنع خلقه و ما طبعهم عليه من الطاعة و عصمهم به من الذنوب.

قال عليه السّلام: فأوحى الله إلى الملائكة أن اتدبوا منكم ملكين حتّى اهبطهما إلى الأرض ثمّ أجعل فيهما من طبائع المطعم و المشرب و الشّهوه و الحرص و الأمل مثل ما جعلته فى ولد آدم، ثمّ اختبرهما فى الطّاعة، قال عليه السّلام: فندبوا لذلك هاروت و ماروت و كانا أشدّ الملائكة قولاً فى العيب لولد آدم و استينار غضب الله عليهم.

قال عليه السّلام: فأوحى الله إليهما أن اهبطا إلى الأرض فقد جعلت فيكما من طبائع المطعم و المشرب و الشّهوه و الحرص و الأمل مثل ما جعلت فى ولد آدم قال عليه السّلام ثمّ أوحى الله إليهما: انظرا أن لا تشركا بى شيئا و لا تقتلا النفس الّتى حرّم الله و لا تزنيا و لا تشربا الخمر.

قال عليه السّلام: ثمّ كشط (1) عن السّماوات السّبع ليريها قدرته، ثمّ اهبطا إلى الأرض فى صورته البشر و لباسهم، فهبطا ناحيه بابل فرفع لهما بناء مشرف فأقبلا نحوه فاذا بحضرته امرأه جميله حسناء مزينه معطره مسفره مقبله.

قال عليه السّلام فلما نظرا إليها و ناطقها و تأملها وقعت فى قلوبهما موقعا شديدا لموضع الشّهوه الّتى جعلت فيهما، فرجعا إليها رجوع فتنه و خذلان و راوداها عن نفسها، فقالت لهما: إنّ لى دينا أدين به و لىس أقدر فى دينى على أن اجيبكما إلى ما تريدان إلاّ أن تدخلنا فى دينى الّذى أدين به، فقالا لها: و ما دينك؟ قالت: لى إله من عبده و سجد له كان لى السبيل إلى أن اجيبه إلى كلّ ما سألتنى، فقالا لها: و ما إلهك؟ قالت: إلهى هذا الصّنم.

قال عليه السّلام: فنظر أحدهما إلى صاحبه فقال: هاتان خصلتان مما نهينا عنها الشّرك و الزّنا، لأننا إن سجدنا لهذا الصّنم و عبدناه أشركنا بالله و إنّما نشرك بالله لنصل

ص: ٣٩٧

١- (١) الكشط رفعك الشىء عن الشىء عن الشىء قد غشاه قال تعالى: و اذا السماء كَشِطَتْ و كَشِطَ الجَلُّ من الفرس كشفه منه

إلى الزّنا و هو ذا نحن نطلب الزّنا فليس نعطي إلا بالشّرك.

فقال عليه السّلام: فائتمرا بينهما فغلبتهما الشّهوه التي جعلت فيهما، فقالا لها نجيبك إلى ما سألت، فقالت: فدونكما فاشربا هذا الخمر فأنه قربان لكما و به تصلان إلى ما تريدان، فائتمرا بينهما فقالا: هذه ثلاث خصال ممّا نهينا ربّنا عنها: الشرك و الزّنا، و شرب الخمر، و إنّما ندخل في شرب الخمر و الشّرك حتّى نصل إلى الزّنا، فائتمرا بينهما فقالا: ما أعظم البليّة بك قد أجبناك الى ما سألت، قالت:

فدونكما فاشربا من هذا الخمر، و اعبدا هذا الصّنم، و اسجدا له، فاشربا الخمر و عبدا الصّنم ثمّ راوداها عن نفسها.

فلمّا تهيّأت لهما و تهيّأ لها دخل عليها سائل يسأل هذه، فلمّا رآهما و رأياه ذعرا(1) منه، فقال لهما: إنكما لامرء آن ذعران، فدخلتما بهذه المرأة المعطره الحسناء إنكما لرجلا سوء، و خرج عنهما، فقالت لهما: و إلهي ما تصلان الآن إليّ و قد اطع هذا الرجل على حالكما و عرف مكانكما، و يخرج الآن و يخبر بخبركما و لكن بادرا إلى هذا الرجل فاقتلاه قبل أن يفضحكما و يفضحنى ثمّ دونكما فاقضيا حاجتكما و أنتما مطمئنّان آمنان.

قال عليه السّلام: فقاما إلى الرّجل فأدركاه فقتلاه ثمّ رجعا إليها فلم يرياها و بدت لهما سوآتهما و نزع عنهما رياشهما و اسقطا(2) في أيديهما، فأوحى الله إليهما أن اهبطتكما إلى الأرض مع خلقى ساعه من النهار فعصيتما مني بأربع من معاصي كلّها قد نهيتكما عنها و تقدّمت إليكما فيها فلم تراقباني و لم تستحييا مني، و قد كنتما أشدّ من نقم على أهل الأرض بالمعاصي و استجزّ أسفى و غضبى عليهم لما جعلت فيكما من طبع خلقى و عصمتي إياكما من المعاصي فكيف رأيتما موضع خذلاني فيكما.

اختارا عذاب الدّنيا أو عذاب الآخرة، فقال أحدهما لصاحبه: تتمّع من

ص: ٣٩٨

١- (١) ذعرا أى خافا منه

٢- (٢) سقط فى يده و اسقط مضمومتين ظلّ و أخطأ أو ندم و تحيّر، ق

شهوَاتنا فى الدنْيا إذ صرنا إليها إلى أن نصير إلى عذاب الآخرة، فقال الآخر: إنَّ عذاب الدنْيا له مدَّة و انقطاع و عذاب الآخرة قائم لا انقطاع له فلنا نختار عذاب الآخرة الشديد الدائم على عذاب الدنْيا المنقطع الفانى.

قال عليه السّلام: فاختارا عذاب الدنْيا فكانا يعلمان النَّاس السّحر فى أرض بابل ثمَّ لما علما النَّاس السّحر رفعنا من الأرض إلى الهواء، فهما معدَّبان منكَّسان معلقان فى الهواء إلى يوم القيامة، و رواه فى البحار عن العياشى عن محمّد بن قيس مثله، و بمعناه أخبار اخر، و يمكن حملها على التقيّه، و يشعر به كون السائل فى هذه الرّوايه من علماء العامه.

و ما رواه فى البحار عن العلل عن الصّادق عليه السّلام فى حديث قال: و أمّا الزّهره فإنّها كانت امرئّه تسمّى ناهيد (ناهيل خ ل) و هى الّتى تقول النَّاس إنّه افتتن بها هاروت و ماروت، فإنّ فى نسبة افتتانهما إلى النَّاس إشاره إلى ما ذكرناه كما لا يخفى.

و قال بعض أهل العرفان بعد ما أورد الرّوايات الدّالّه على تكذيب أمر هاروت و ماروت و الرّوايات الدّالّه على صحّه قصّتهما:

و الوجه فى الجمع و التوفيق أن يحمل روايات الصّححه على كونها من مرموزات الأوائل و إشاراتهم، و أنّهم عليه السّلام لما رأوا أنّ حكاتها كانوا يحملونها على ظاهرها كدّبوها ثمَّ قال: و أمّا حلّها فلعلّ المراد بالملكين الرّوح و العقل فإنّهما من العالم الرّوحانى اهبطا إلى العالم الجسمانى لاقامه الحقّ فافتتنا بزهره الحياه الدنْيا، و وقعا فى شبكه الشهوه، فشربا خمر الغفله، و عبدا صنم الهوى، و قتلا- عقلهما النَّاصح لهما بمنع تغذيته بالعلم و التقوى، و محو أثر نصحه عن أنفسهما، و تهيتنا للزّنا ببغى الدنْيا الدّنيّه الّتى تلى تربيّه النشاط و الطرب فيها الكوكب المسمّى بالزّهره، فهربت الدنْيا منهما و فاتتهما لما كان من عادتهما أن تهرب من طالبيها لأنّها متاع الغرور و بقى اشراق حسنهما فى موضع مرتفع بحيث لا تنالها ايدي طالبيها ما دامت الزّهره باقيه فى السّماء و حملهما حبّها فى قلبهما إلى أن وضعها طرائق مر السّحر و هو ما لطف مأخذه و دقّ، فخيّرا للتخلّص منها

فاختارا بعد التتبه و عود العقل إليهما أهون العذابين، ثم رفعا إلى البرزخ معدّيين و رأسهما بعد الى أسفل إلى يوم القيامة.

هذا ما خطر بالبال في حلّ هذا الرّمز و الله الهادى.

الثانى

اختلف المسلمون فى أنّ الأنبياء و الملائكة أيهم أفضل أى أكثر ثوابا، فذهب أكثر الأشاعره إلى أنّ الأنبياء أفضل، و قال المعتزله كما فى شرح المعتزلى إنّ نوع الملائكة أفضل من نوع البشر، و الملائكة المقربون أفضل من نوع الأنبياء و ليس كلّ ملك عند الاطلاق أفضل من محمّد صلّى الله عليه و آله و سلّم، بل بعض المقربين أفضل منه، و هو صلّى الله عليه و آله و سلّم أفضل من ملائكة اخرى غير الأولين.

و لا- خلافا بين علماء الاماميه قدّس الله ارواحهم فى أنّ الأنبياء و الأئمّه صلوات الله عليهم أفضل من جميع الملائكة، و أخبارهم على ذلك مستفيضه، و قد حقّقوا ذلك فى كتب الاصول و لا حاجه لنا الآن إلى بسط الكلام فى ذلك المقام، و إنّما نقتصر على روايه واحده توضيحا للمرام.

و هو ما رواه الصدوق فى كتاب إكمال الدّين و إتمام التّعمه قال: حدّثنا الحسن بن محمّد بن سعيد الهاشمى، قال: حدّثنا فرات بن إبراهيم بن فرات الكوفى قال: حدّثنا محمّد بن علىّ بن أحمد الهمدانى، قال: حدّثنى أبو الفضيل العيّاس ابن عبد الله البخارى، قال: حدّثنا محمّد بن القاسم بن إبراهيم بن عبد الله بن القاسم بن محمّد بن أبى بكر، قال: حدّثنا عبد السلام بن صالح الهروى عن علىّ بن موسى الرضا عليه السّلام عن أبيه موسى بن جعفر عن أبيه جعفر بن محمّد عن أبيه محمّد بن علىّ عن أبيه علىّ بن الحسين عن أبيه الحسين بن علىّ عن أبيه علىّ بن أبى طالب عليهم السّلام قال: قال رسول الله صلّى الله عليه و آله: ما خلق الله خلقا أفضل منّى و لا- أكرم عليه منّى قال علىّ عليه السّلام: فقلت: يا رسول الله فأنت أفضل أم جبرئيل؟ فقال: إنّ الله تبارك و تعالى

فَضَّلَ أَنْبِيَاءَهُ الْمُرْسَلِينَ عَلَى مَلَائِكَتِهِ الْمُقَرَّبِينَ وَفَضَّلَنِي عَلَى جَمِيعِ النَّبِيِّينَ وَالْمُرْسَلِينَ وَالْفِصْلَ بَعْدِي لَكَ يَا عَلِيُّ وَالْأَثْمَةَ مِنْ بَعْدِكَ، فَإِنَّ الْمَلَائِكَةَ لَخَدَامَنَا وَخَدَامَ مَحَبِّينَا يَا عَلِيُّ «الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ»... «وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا» بولايتنا، يا عليّ لو لا- نحن ما خلق الله آدم عليه السّلام ولا حوّا ولا الجنّة ولا النار ولا السّماء ولا الأرض، وكيف لا- نكون أفضل من الملائكة وقد سبقناهم إلى التّوحيد و معرفه ربّنا عزّ وجلّ و تسيّحه و تقدّيسه و تهليله، لأنّ أوّل ما خلق الله عزّ وجلّ أرواحنا، فأنطقنا بتوحيده و تمجيده ثمّ خلق الملائكة فلمّا شاهدوا أرواحنا نوراً واحداً استعظموا أمورنا فسبّحنا لتعلم الملائكة أنّا خلق مخلوقون و أنّه منزّه عن صفاتنا فسبّحت الملائكة لتسيّحنا و نزهته عن صفاتنا.

فلمّا شاهد و اعظم شأننا هلّلنا لتعلم الملائكة أنّ لا إله إلاّ الله فلمّا شاهدوا كبر محلّنا كبرنا الله لتعلم الملائكة أنّ الله أكبر من أن تنال و أنّه عظيم المحلّ فلمّا شاهدوا ما جعل الله لنا من القدره و القوّه قلنا: لا حول و لا قوّه إلاّ بالله العليّ العظيم، لتعلم الملائكة أنّ لا حول و لا قوّه إلاّ بالله.

فلمّا شاهدوا ما أنعم الله به علينا و أوجبه من فرض الطاعة قلنا: الحمد لله، لتعلم الملائكة ما يحقّ الله تعالى ذكره علينا من الحمد على نعمه فقالت الملائكة الحمد لله فبنا اهتمدوا إلى معرفه الله و تسيّحه و تهليله و تحميده، ثمّ إنّ الله تبارك و تعالى خلق آدم عليه السّلام و أودعنا صلبه و أمر الملائكة بالسّجود له تعظيماً لنا و إكراماً، و كان سجودهم لله عزّ وجلّ عبوديّه و لآدم إكراماً و طاعة لكونه؟؟؟ في صلبه فكيف لا نكون أفضل من الملائكة و قد سجدوا لآدم عليه السّلام كلّهم أجمعون.

و أنّه لما عرج بي إلى السّماء أذن جبرئيل عليه السّلام مثني مثني ثمّ قال: تقدّم يا محمّد، فقلت: يا جبرئيل تقدّم عليك؟ فقال: نعم لأنّ الله تبارك و تعالى

اسمه فضّل أنبيائه على ملائكته أجمعين وفضّل لك خاصّه، فتقدّمت و صلّيت بهم ولا فخر فلما انتهينا إلى حجب النور قال لى جبرئيل عليه السّلام: تقدّم يا محمّد و تخلف عنى، فقلت: يا جبرئيل فى مثل هذا الموضوع تفارقنى؟ فقال: يا محمّد إنّ هذا انتهاء حدّى الّذى وضعه الله لى فى هذا المكان فان تجاوزته احترقت أجنحتى لتعدّى حدود ربّى جلّ جلاله، فزج بى ربّى زجّه فى النور حتّى انتهيت إلى حيث ما شاء الله عزّ و جلّ من ملكوته.

فنوديت: يا محمّد، فقلت: لبيك ربّى و سعديك تباركت و تعاليت؛ فنوديت يا محمّد أنت عبدى و أنا ربك فإياى فاعبد و على فتوكّل فانك نورى فى عبادى و رسولى إلى خلقى و حجّتى فى بريّتى، لمن تبعك خلقت جتّى و لمن عصاك و خالفك خلقت نارى، و لأوصيائك أوجب كرامتى، و لشيعتك أوجب ثوابى.

فقلت: يا رب و من أوصيائى؟ فنوديت: يا محمّد إنّ أوصيائك المكتوبون على ساق العرش، فنظرت و أنا بين يدى ربّى إلى ساق العرش فرأيت اثنا عشر نورا فى كلّ نور سطر أخضر مكتوب عليه اسم كلّ وصى من أوصيائى أولهم على بن أبى طالب و آخرهم مهدى أمتى.

فقلت: يا رب هؤلاء أوصيائى من بعدى؟ فنوديت: يا محمّد هؤلاء أوليائى و أحبائى و أصفيائى حجّتى بعدك على بريّتى، و هم أوصياؤك و خلفاؤك و خير خلقى بعدك، و عزّتى و جلالى لاظهرنّ بهم دينى، و لأعلينّ بهم كلمتى و لاظهرنّ الأرض بآخرهم من أعدائى، و لا ملكنّه مشارق الأرض و مغاربها، و لأسخرنّ له الرّياح و لاذللنّ الرقاب الصّغار، و لا رقبه فى الأسباب، و لأنصرنّه بجندى، و لأمدنّه بملائكتى حتّى يعلو دعوتى و يجمع الخلق على توحيدى، ثم لأديمنّ ملكه و لأداولنّ الأيام بين أوليائى إلى يوم القيامة.

و الحمد لله ربّ العالمين و الصّلاه على نبيّنا محمّد و آله الطّيبين الطّاهرين و سلّم تسليمًا و إنّما ذكرت الزّوايه بطولها مع كون ذيلها خارجا عن الغرض لتضمّنه مناقب أهل البيت الأطهار، و كونه نصّا فى خلافة الأئمة الأبرار و لعامنى بايراد

فضایلهم و مناقبهم ما تعاقب علی اللیل و النّار، سلام الله علیهم أجمعین، و لعنه الله علی أعدائهم و منکری فضائلهم إلی یوم الدّین.

الترجمه

بعضی دیگر از این خطبه شریفه در صفة ملائکه است می فرماید:

بعد از خلق آسمان بیافرید حق سبحانه و تعالی از برای ساکن فرمودن در آسمانهای خود و معمور ساختن صفحه پهن بلند از ملکوت خود خلقی عجیب از ملائکه خود پس پرساخت بایشان فرجهای کشادگیهای آسمانرا، و مملو نمود بایشان کشادگیهای فضاها را، و میان وسعتهای این کشادگیها است صوتهای بلند تسبیح کنندگان از ایشان در حریمهای قدس و طهارت و پرده های حجابهای عظمت و سراپرده های بزرگی و عزت؛ و در پس این زلزله و اضطرابی که کر می شود از آن گوشها، اشراقات نوری است که باز میدارد دیده را از رسیدن بآن، پس می ایستد آن دیده ها ذلیل و متحیر بر حدود آن.

آفرید خداوند متعال آن ملائکه را بر صورتهای مختلفه و اندازهای متفاوته در حالتی که صاحبان بالها هستند که تسبیح میکنند بزرگی عزت او را، در حالتی که بخود نمی بندند آنچه که ظاهر شده در مخلوقات از صنع قدر او، و ادعا نمی کنند این که ایشان می آفرینند چیزی را با آفریدگار از آن چیزی که یگانه است او سبحانه بآفریدن آن، بلکه ایشان بندگانی هستند گرامی داشته شده در حالتی که پیشی نمی گیرند بخدا در گفتار خودشان، و ایشان بفرمان او سبحانه عمل می نمایند.

گردانید حق تعالی ایشان را در آنجا که هستند، یعنی در مقامات خودشان که حظایر قدس است اهل امانت بروحی خود و تحمیل نمود ایشان را در حالتی که ارسال میشوند بسوی پیغمبران امانتهای اوامر و نواهی خود را، و معصوم ساخت ایشان را از شک کردن در شبهها، پس نیست از ایشان میل کننده از راه رضای او، و مدد نمود ایشان را بفایده های اعانت بسوی طاعات، و لازم فرمود قلبهای ایشان را تواضع خضوع و قار را، و گشود بجهت ایشان درهای سهل و آسان بسوی تمجیدات

خود، و بر پا نمود از برای ایشان مناره‌های آشکار بر نشانهای توحید خود.

گران نکرد ایشان را گران سازنده‌های گناهها، و ضعیف نمود ایشان را تعاقب و تناوب شبها و روزها، و نینداخت شکها بمحرکات فاسده خود محکمی ایمان ایشان را، و عارض نشد ظنّها و وهمها بر مواضع عقد یقین ایشان، و بر نیفروخت بر افزونندگیهای حقد و حسد در میان ایشان، و سلب نکرد از ایشان حیرت چیزی را که چسبیده از معرفت او بقلب ایشان، و ساکن شده از عظمت و هیبت او در میان سینهای ایشان، و طمع ننموده در ایشان و سوسه‌ها تا این که بکوبد با استیلائی خود یا این که تناوب نماید با چرک خود بفکرهای ایشان.

بعضی از ایشان آنانند که قرار گرفته در ابرهای مخلوق شده گران بار باران، و در کوههای بزرگ بلند، و در سیاهی تاریکی که هدایت یافته نمی شود در آن، و بعضی دیگر آنانند که دریده است قدمهای ایشان حدود زمین پائین را، پس آن قدمها بمنزله علمهای سفیدند که فرو رفته باشند در مواضع خرق هوا و شکاف آن، و در زیر آن علمها است بادی که ساکن است و پاکیزه که بازداشته است آن علمها را بر مکانی که منتهی شده آن علمها از حدود بنهایت رسیده.

بتحقیق که فارغ نموده ایشان را از ما سوا شغل‌های عبادت او سبحانه، و وصل نموده است حقیقت‌های ایمان میان ایشان و میان معرفت آنرا، و بریده است ایشان را یقین و اذعان بخدا از غیر آن، و مایل ساخته ایشان را بسوی حیرانی او، و در نگذشته است رغبت‌های ایشان از آن چیزی که نزد او است بسوی آن چیزی که نزد غیر او است.

بتحقیق که چشیده اند شیرینی معرفت او را، و آشامیده اند با کاسه سیراب کننده از شراب محبت او، و متمکن و برقرار شده از ته دل‌های ایشان رگهای خوف و خشیت او، پس خم کرده اند بدرازی عبادت راستی پشت‌های خودشان را، و تمام نکرده درازی رغبت بسوی او ماده تضرع ایشان را، و رها نکرده از گردن‌های ایشان بزرگی قرب و منزلت بحضرت ربّ العزّه ریسمان خشوع و ذلترا و غالب نشده بر ایشان عجب و خودپسندی تا این که بسیار شمارند آنچه که پیش

گذشته از ایشان از طاعات و عبادات، و نگذاشته از برای ایشان خواری که ناشی شده از ملاحظه جلال پروردگار نصیب و بهره در تعظیم و بزرگ دانستن حسنات خودشان، و جاری نشده سستیها در ایشان با درازی جدّ و جهد ایشان.

و ناقص نگشته رغبتهای ایشان تا مخالفت کنند و عدول نمایند از امیدواری پروردگار خودشان، و خشک نگشته بجهه طول راز و نیاز اطراف زبانهای ایشان و مالک نشده است ایشان را شغلهای خارج از عبادت تا این که منقطع شود بسبب پنهانی تصریح ایشان بسوی او آوازه‌های بلند ایشان، و مختلف نشده در صفهای عبادت دوشهای ایشان، و ملتفت نساخته اند بسوی راحتی که باعث تقصیر در امر او است گردنهای خودشان را، و غالب نمی شود بر عزم جدّ و جهد ایشان بیخردی غفلتها، و تیر نمی اندازند در همتهای ایشان فریب دهندگان شهوتها.

بتحقیق که اخذ نموده اند صاحب عرش را ذخیره بجهه روز حاجت شان، و قصد کرده اند او را نزد بریده شدن خلق بسوی مخلوقات برغبتهای قطع نمی توانند کنند پایان غایه عبادت او را، و باز نمی گردانند ایشان را حرص و محبت بلزوم طاعت او مگر بسوی مادّهائی که بریده نمی شوند آن مادّها که از دل ایشانست که عبارت اند از خوف و رجا آن، بریده نشده اسباب ترس از ایشان تا سست شوند در جدّ و جهد خودشان:

و اسیب نموده ایشان را طمعهای دنیوی تا این که اختیار نمایند سعی نزدیک در تحصیل دنیا را بر کوشش خودشان در تحصیل سعادت آخرت، و بزرگ نمی شمارند آنچه که گذشته از اعمال ایشان، و اگر بزرگ شمارند اعمال خودشان هر آینه باطل و زایل می نماید رجاء و امیدواری ایشان ترسهای ایشان را، و اختلاف نمی نمایند در ذات و صفات پروردگار بسبب غلبه شیطان بر ایشان، و پراکنده نساخته ایشان را بدی بریدن از یکدیگر، و مالک نشده ایشان را خیانت حسد

بردن بیکدیگر، و متفرّق نساخته ایشان را مواضع صرف شک و کمان، و منقسم نگردانیده ایشان را اختلافهای همّتها.

پس ایشان اَسیران ایمانند که رها ننموده ایشان را از بند ایمان میل نمودن از حق و نه عدول کردن از منهج صدق و نه سستی در عبادت و نه کاهلی در طاعت، و نیست در طبقهای آسمان جای پوستی مگر که بر او است ملک سجد، کننده یا سعی نماینده شتابنده که زیاده می گردانند بر درازی طاعت پروردگار خودشان علم و یقین را، و افزون می گرداند عزّت کردگار ایشان در دلهای ایشان عظم و شأن را.

هذا آخر الجزء السادس من هذه الطبعه النفیسه و قد تمّ تصحیحه و تهذیبه بید العبد «السید ابراهیم المیانجی» عفی عنه و عن والديه فی الیوم الثانی من شهر ذی الحجه الحرام سنه ۱۳۷۹ و یلیه انشاء الله الجزء السابع و اوله:

«الفصل السادس» من المختار التسعین و الحمد لله أولا و آخرا.

بسمه تعالی

هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ

آیا کسانی که می‌دانند و کسانی که نمی‌دانند یکسانند؟

سوره زمر / ۹

مقدمه:

موسسه تحقیقات رایانه ای قائمیه اصفهان، از سال ۱۳۸۵ هـ. ش تحت اشراف حضرت آیت الله حاج سید حسن فقیه امامی (قدس سره الشریف)، با فعالیت خالصانه و شبانه روزی گروهی از نخبگان و فرهیختگان حوزه و دانشگاه، فعالیت خود را در زمینه های مذهبی، فرهنگی و علمی آغاز نموده است.

مرامنامه:

موسسه تحقیقات رایانه ای قائمیه اصفهان در راستای تسهیل و تسریع دسترسی محققین به آثار و ابزار تحقیقاتی در حوزه علوم اسلامی، و با توجه به تعدد و پراکندگی مراکز فعال در این عرصه و منابع متعدد و صعب الوصول، و با نگاهی صرفاً علمی و به دور از تعصبات و جریانات اجتماعی، سیاسی، قومی و فردی، بر مبنای اجرای طرحی در قالب «مدیریت آثار تولید شده و انتشار یافته از سوی تمامی مراکز شیعه» تلاش می نماید تا مجموعه ای غنی و سرشار از کتب و مقالات پژوهشی برای متخصصین، و مطالب و مباحثی راهگشا برای فرهیختگان و عموم طبقات مردمی به زبان های مختلف و با فرمت های گوناگون تولید و در فضای مجازی به صورت رایگان در اختیار علاقمندان قرار دهد.

اهداف:

۱. بسط فرهنگ و معارف ناب ثقلین (کتاب الله و اهل البیت علیهم السلام)
۲. تقویت انگیزه عامه مردم بخصوص جوانان نسبت به بررسی دقیق تر مسائل دینی
۳. جایگزین کردن محتوای سودمند به جای مطالب بی محتوا در تلفن های همراه، تبلت ها، رایانه ها و ...
۴. سرویس دهی به محققین طلاب و دانشجو
۵. گسترش فرهنگ عمومی مطالعه
۶. زمینه سازی جهت تشویق انتشارات و مؤلفین برای دیجیتالی نمودن آثار خود.

سیاست ها:

۱. عمل بر مبنای مجوز های قانونی
۲. ارتباط با مراکز هم سو
۳. پرهیز از موازی کاری

۴. صرفا ارائه محتوای علمی

۵. ذکر منابع نشر

بدیهی است مسئولیت تمامی آثار به عهده ی نویسنده ی آن می باشد .

فعالیت های موسسه :

۱. چاپ و نشر کتاب، جزوه و ماهنامه

۲. برگزاری مسابقات کتابخوانی

۳. تولید نمایشگاه های مجازی: سه بعدی، پانوراما در اماکن مذهبی، گردشگری و...

۴. تولید انیمیشن، بازی های رایانه ای و ...

۵. ایجاد سایت اینترنتی قائمیه به آدرس: www.ghaemiyeh.com

۶. تولید محصولات نمایشی، سخنرانی و...

۷. راه اندازی و پشتیبانی علمی سامانه پاسخ گویی به سوالات شرعی، اخلاقی و اعتقادی

۸. طراحی سیستم های حسابداری، رسانه ساز، موبایل ساز، سامانه خودکار و دستی بلوتوث، وب کیوسک، SMS و...

۹. برگزاری دوره های آموزشی ویژه عموم (مجازی)

۱۰. برگزاری دوره های تربیت مربی (مجازی)

۱۱. تولید هزاران نرم افزار تحقیقاتی قابل اجرا در انواع رایانه، تبلت، تلفن همراه و... در ۸ فرمت جهانی:

JAVA.۱

ANDROID.۲

EPUB.۳

CHM.۴

PDF.۵

HTML.۶

CHM.۷

GHB.۸

و ۴ عدد مارکت با نام بازار کتاب قائمیه نسخه :

ANDROID.۱

IOS.۲

WINDOWS PHONE.۳

WINDOWS.۴

به سه زبان فارسی ، عربی و انگلیسی و قرار دادن بر روی وب سایت موسسه به صورت رایگان .

در پایان :

از مراکز و نهادهایی همچون دفاتر مراجع معظم تقلید و همچنین سازمان ها، نهادها، انتشارات، موسسات، مؤلفین و همه

بزرگوارانی که ما را در دستیابی به این هدف یاری نموده و یا دیتا های خود را در اختیار ما قرار دادند تقدیر و تشکر می
نماییم.

آدرس دفتر مرکزی:

اصفهان - خیابان عبدالرزاق - بازارچه حاج محمد جعفر آواده ای - کوچه شهید محمد حسن توکلی - پلاک ۱۲۹/۳۴ - طبقه
اول

وب سایت: www.ghbook.ir

ایمیل: Info@ghbook.ir

تلفن دفتر مرکزی: ۰۳۱۳۴۴۹۰۱۲۵

دفتر تهران: ۰۲۱ - ۸۸۳۱۸۷۲۲

بازرگانی و فروش: ۰۹۱۳۲۰۰۰۱۰۹

امور کاربران: ۰۹۱۳۲۰۰۰۱۰۹



مرکز تحقیقات رایانگی

اصفهان

گامی

WWW



برای داشتن کتابخانه های تخصصی
دیگر به سایت این مرکز به نشانی

www.Ghaemiyeh.com

www.Ghaemiyeh.net

www.Ghaemiyeh.org

www.Ghaemiyeh.ir

مراجعه و برای سفارش با ما تماس بگیرید.

۰۹۱۳ ۲۰۰۰ ۱۰۹

